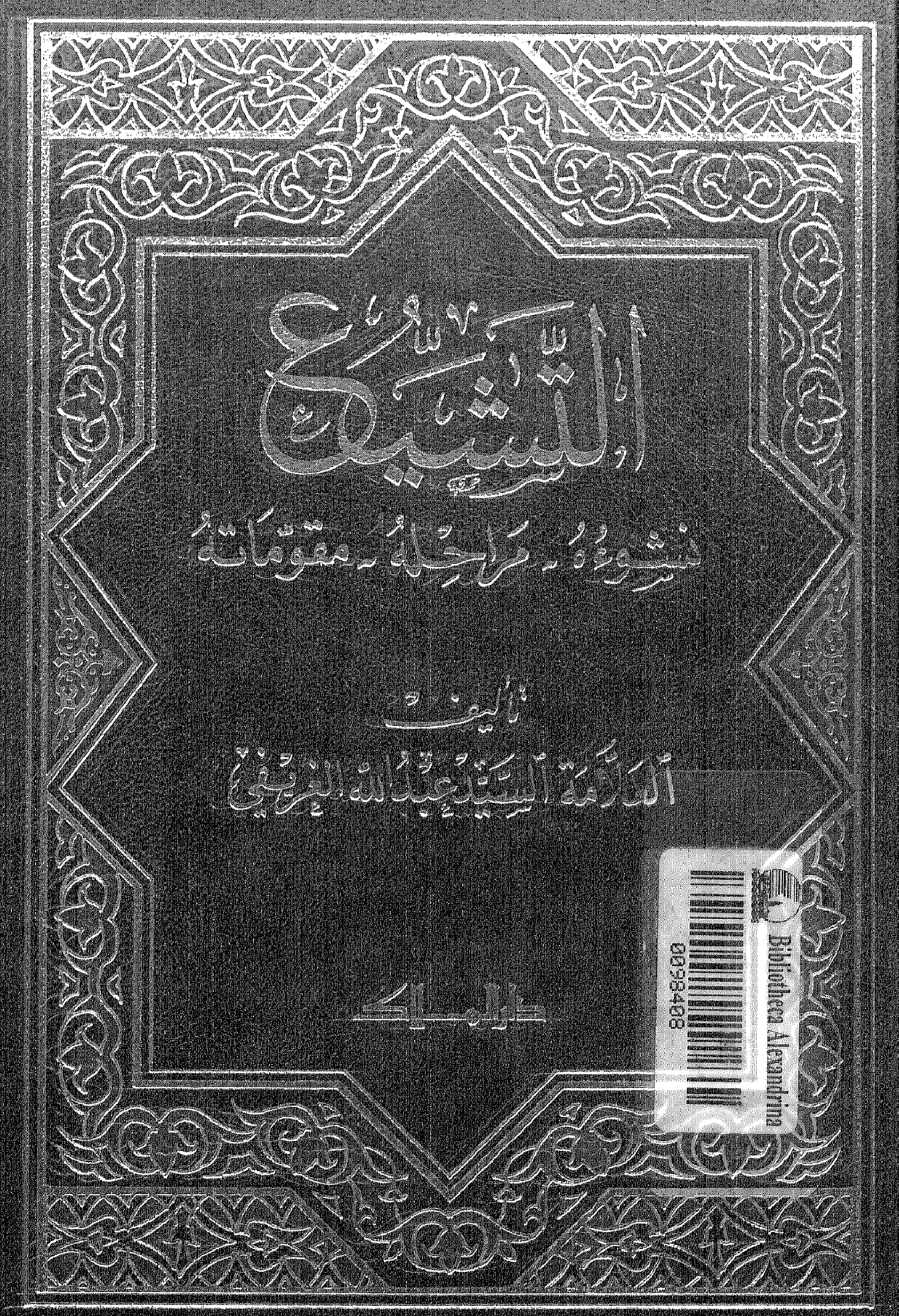
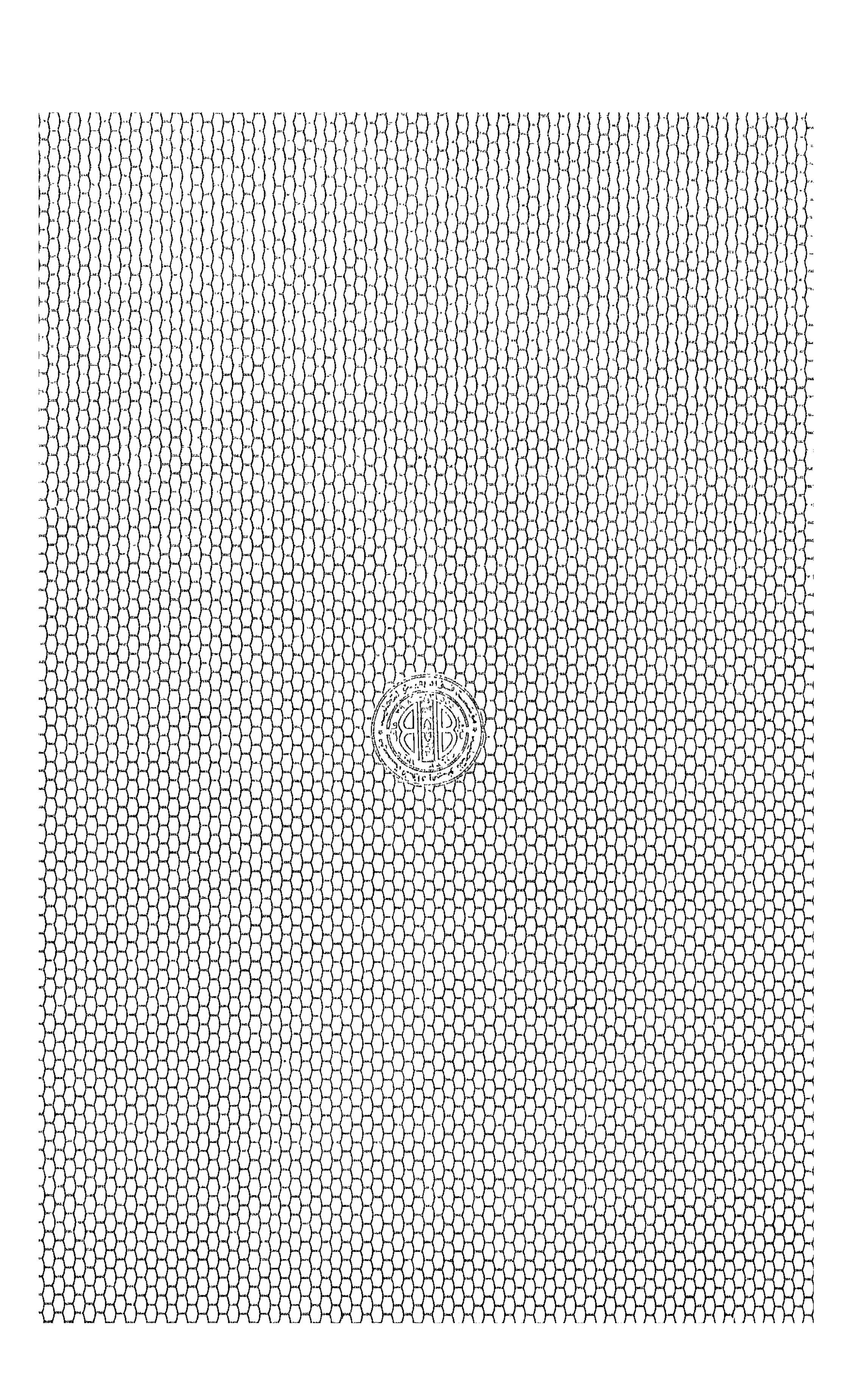

التشيع
نشوؤه ـ مراحله ـ مقوماته
تأليف
العلامة السيد عبد الله الغريفي
دار الملاك
Bibliotheca Alexandrina
0098408



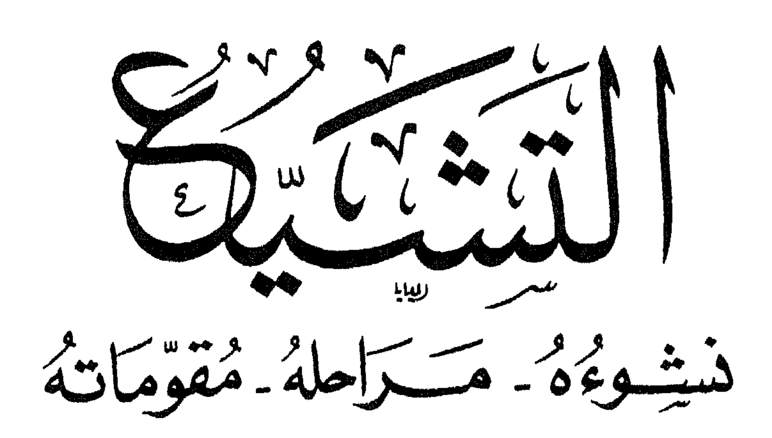


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التشيع

نشوءه - مراحله - مقوماته





تأليف

العلامة السيد عبد الله الغريفي



الطبعة الرابعة

١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م



بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك ـ طريق المطار ـ خلف كلية الهندسة هاتف : ٨٢٥١٢٠ ـ ٠١ / ٨٢٣٢٧٨ ـ ٠١ / ٨٢١٨١٨ ـ ٠١
ص .ب . ٢١٦/٢٥ فاكس : ٤٧٨٤٣٢٠ ـ ٢١٢ ـ ٠٠١

الإهداء

هذه بضاعة مزجاة...
أضعها - وأنا خجل - بين يدي قمة الشموخ
والصمود والجهاد...
بطلة كربلاء...
زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام
سائلاً المولى الكريم أن يتقبل مني هذا
المجهود الضئيل يوم لا ينفع مال ولا
بنون إلا من أتى الله بقلب سليم...

عبد الله الغريفي



بسم الله الرحمن الرحيم



المقـــدّمَة

تعتبر قضية التشيع والشيعة التي تنتظمها عقيدة «الإمامة» واحدة من القضايا الكبيرة الأهمية في الإسلام وتأريخه ، كونها تشكل جزءاً لا يتجزأ من بُنيته العقائدية والفكرية والسياسية والإجتماعية وكونها تمثل أيضاً رؤية تقول بأنّها الصيغة الأسلم والأصح لفهم الإسلام وتجسيده بأصوله وأركانه وفروعه ، وقد تحددت هذه الرؤية في أصل نشوء التشيع بالإستناد إلى مبادىء الإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإلى نهج وممارسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم في الإسلام .

إنّ كثيراً من الدراسات والبحوث وفي مختلف المجالات قد كتبت عن التشيع والحالة الشيعية التيْ تجسده ، منها ما كتبها الشيعة أنفسهم ، ومنها ما كتبها آخرون ، من مواقع فكرية وإنتماءات مذهبية مختلفة ، وهو الأمر الذي يدلل وبصرف النظر عن مضمون تلك الكتابات من حيث موضوعيتها أو عدم موضوعيتها . ومقدار قيمتها العلمية ، على الأهمية الكبيرة لهذه القضيّة في بُنية الإسلام والمجتمع الإسلامي .

لكن وبالرغم من ذلك فإنّ هذه القضية كانت وما تزال ، وستظل بحاجة دائمة إلى المزيد من الدراسات والبحوث التي تعمق مضمون التشيع وركائزه وتحقق المزيد من إستجلاء معالمه ودلالاته منذ نشوئه وحتى الآن ، ومن ثم تجيب علي الأسئلة والقضايا التي تطرحها المسيرة المتواصلة للحياة بمتطلباتها ومستجداتها ، هذا فضلاً عما تؤديه من دور في توضيح وتصحيح الكثير من المواقف والنظرات الخاطئة إزاء التشيع والحالة الشيعية .

إنّ هدف هذا البحث هو المساهمة في دراسة التشيع والحالة الشيعية التي تجسده في جذورها ومنطلقاتها ، وفي ركائزها ومقوماتها ، وفي مسارها وحركتها وامتداداتها .

غير أنّ هذا النوع من الدراسات ربما يثير بعض الإشكالات والإعتراضات التي ترى في هذا النواع من الدراسات أنّه يحمل صيغة مذهبية خاصة ، لا معالجة لجزء من بنية الحالة الإسلامية العامة ، ومن هذه الإعتراضات أو الإشكالات :

أولاً : إنّ الطروحات المذهبية تكرّس الحالة الخلافية بين المسلمين على كل المستويات الفكرية والشعورية والإجتماعية والسياسية .

ثانياً : إنّ تأصيل الحالة المذهبية سيؤدي إلى بروز سلبيات كبيرة تتناقض بشكل واضح مع المشروع الإسلامي التوحيدي الذي بدأ تحركه يأخذ زخماً جديداً بانبعاث الصحوة الإسلامية الجديدة .

ثالثاً : إنّ التعاطي مع القضايا والمفردات المذهبية يضعنا أمام أجواء منغلقة ، تصادر حالات الإنفتاح والتقارب والتفاهم وتعمّق الحواجز الفكرية والنفسية داخل الأمة .

رابعاً : إنّ معالجة هذا النوع من الموضوعات يستثير حساسيات تاريخية ، جديرة بأن تنسى وتطوى ملفاتها في ظل الظروف الإستثنائية الصعبة التي تمر بها أمة الإسلام .

خامساً : إنّ مسألة الإمامة والخلافة هي قضية تاريخية لا جدوى أو لا مردودات عملية من إثارتها وتناولها في واقعنا المعاصر .

سادساً : إنّ التأكيد على الهوية الإنتمائية المذهبية يولّد في الذهنيات حالة التخلي عن الهوية الإسلامية العامة ويخلق في وعي الآخرين هذا اللون من الفهم .

إنّ هذه الإعتراضات أو الإشكالات ورغم الوجاهة التي تبدو فيها ، وحق أصحابها في التعبير عنها وإثارتها ، لكنها لا تملك قوة الدليل والحجة للبرهان عليها ، ولتوضيح ذلك نشير إلى الأسباب التالية :

السبب الأول : لا يمكن تجميد حالات الخلاف والتوتر في داخل الأمة إلّا من خلال خلق جو من الحوار الموضوعي الواعي ، وفي ظل هذا الحوار المنفتح تتحول الكثير من بؤر التوتر إلى نقاط هادئة ، وتتحرك حالات الخلاف في إتجاه التلاؤم والوفاق .

إنّ غياب الحوار الهادف يدفع بالكثير من حالات الخلاف إلى مواقع المواجهة ، ويكرّس عوامل التوتر والتأزم والتشتت في داخل الأمة .

وإنّ الخوف من إثارة مسألة الإمامة التي هي الناظم لقضية التشيع ، خشية إستثارة تاريخ طويل من الخلافات والصراعات والحساسيات أمر لا مبرر له وذلك لعدة إعتبارات :

١ ـ إنّ من القصور إعتبار الحديث عن الإمامة ودراستها في التصور الشيعي هو أمر يثير الخلاف كونها مسألة واقعية وموجودة في البُنية الإسلامية ، تماماً كما هو الحال في الحديث عن مسألة الخلافة ودراستها وإنّ مسألة الإمامة كما الخلافة تطرح مسألة القيادة في الإسلام ، وهي مسألة كبيرة الأهمية ، بل مسألة المسائل .

٢ ـ إنّ أساليب المعالجة والدراسة لأمثال هذه المسائل ، غالباً ما تكون هي المسؤولة عن كثير من الإثارات والحساسيات والخلافات ، وليس المسائل نفسها ، فمتى ما توافرت تلك الأساليب والمعالجات على الموضوعية والمنهجية فإنّ عوامل الإثارة والتوتر تتجمد وتقف .

٣ ـ إنّ الخلافات التي تتحرك في الساحة الإسلامية يقف وراءها عدة عوامل :
أ ـ نقص أو قلة المعرفة والمعلومات .
ب ـ التعصب .
ج ـ العناصر السيئة أو عديمة المسؤولية في الأمة .
د ـ السياسات المنحرفة .
هـ ـ القوى الاستكبارية الكافرة .

فإذا طوقت هذه العوامل ضمنا لمكّونات الوحدة الإسلامية أن تتحرك في الأجواء الطبيعية الصالحة ، وأعطينا للحوارات الفكرية مساراتها الموضوعية النظيفة .

السبب الثاني : إنّ الساحة الفكرية المعاصرة تزخر بألوان من النتاجات ذات الصبغة التشويهية للحالة الشيعية مما يسبب تشويشاً للمفاهيم والتصورات ، وبالتالي يعقّد الصيغ التوحيدية في داخل الأمة ، فلا بد من طرح الرؤى الصحيحة للمسألة وتوضيحها وإزالة الإشكالات المزروعة في الذهنيات لخلق الآفاق المنفتحة أمام الإتجاهات الخيرة الطامحة إلى تعميق الأخوة بين أبناء الأمة الواحدة .

السبب الثالث : إنّ مسألة الإمامة التي تنتظم قضية التشيع مسألة بالغة الأهمية والخطورة على عدة أصعدة :

أولاً : الصعيد الفكري :

فمسألة الإمامة تشكل جزءاً هاماً في بنية الإسلام الفكرية ، فالمنهجية الشمولية في الدراسات الإسلامية تفرض التعاطي مع هذه المسألة التي تملك عمقها في داخل البنية الإسلامية ، فالمسألة بكل صيغها وتصوراتها المختلفة تمثل بعداً خطيراً في منظومة الفكر الإسلامي وهذا يفرض الحاجة إلى معالجة موضوعية جادة من أجل بلورة رؤية واعية حول مفهوم الإمامة .

ثانياً : الصعيد السياسي :

إنّ مسألة الإمامة تجسّد في أهم أبعادها المضمون القيادي بما يحمله من دلالات سياسية خطيرة ، وإنّ إغفال مفردة هامة كمفردة الإمامة يحدث خللاً واضحاً في الرؤية

السياسية ، وبالتالي يحدث خللاً في الرؤية الإسلامية العامة ، فلا بد من استيعاب هذه المسألة لانجاز المضمون الإسلامي الشامل بكل مفرداته العقائدية والفكرية والأخلاقية والإجتماعية والسياسية .

ثالثاً : الصعيد التاريخي :

إنّ مسألة الإمامة تدخل في صميم البحث التاريخي وضمن مفرداته الأساسية ، فالرؤية التاريخية الموضوعية لكي تعالج المسألة التاريخية وهي مسألة خطيرة على مستوى حركة الرسالة والدعوة والأمة ، يجب أن تستوعب كل الأحداث والملابسات السياسية والإجتماعية التي تفاعلت في داخل الساحة الإسلامية في مرحلة من أخطر مراحل المسيرة والتي تتمثل في مقطعين تاريخيين هامين : عصر الرسالة ، وعصر الخلافة في الفترة التاريخية التي تلت عصر الرسالة مباشرة حيث شكلت هذه الفترة المخاض العسير الذي أنجب أخطر المعطيات السياسية والإجتماعية في مسيرة الأمة .

رابعاً : الصعيد التشريعي :

إنّ مسألة الإمامة لا تتجمد في الموقع التاريخي بل تتفاعل مع الحركة التشريعية في منطلقاتها التاريخية وفي امتداداتها العملية المتلاحمة مع المسيرة في كل أشواطها ، تمنحها الرؤية الشرعية في مواجهة كل المستجدات والمتغيرات ، وترشّد خطواتها على كل المستويات الفكرية والفقهية والإجتماعية والسياسية .

السبب الرابع : إنّ إثارة مسألة التشيع على مستوى الدراسات والبحوث حاجة علمية تواجه الفراغ الفكري التي عاشته أجيال الأمة حول هذه المسألة ، هذا الفراغ الذي ترسخ في ذهنية الأمة من خلال :

- الإنحسار التاريخي للحالة الشيعية على المستوى القيادي .
- التطويق الفكري والإعلامي .
- الحصار السياسي .

وأمام هذا الإختناق الفكري الذي فرض حول مسألة التشيع يتحتم تنشيط الفعاليات العلمية والثقافية الجادة لملء الفراغات الكبيرة في ذهنية أجيال المسلمين مع التأكيد على ضرورة التوافر على الروح العلمية الموضوعية في معالجة هذه المسألة .

السبب الخامس : الحديث عن الهوية الإنتمائية الخاصة يؤكّد المنحى الذي إعتمده الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في تعاملهم مع القضية الإسلامية حيث تحركوا ضمن مسارين :

المسار الأول :

تأصيل خط الإمامة بكل ما يحمله من مفاهيم وأفكار ، وأهداف وتوجهات وخصائص ومميزات .

المسار الثاني :

تأصيل الحالة الإنتمائية العامة من خلال التأكيد على العناصر المشتركة التي تشكل مرتكزات الوحدة في داخل الأمة .

وبالتالي فإنّ معالجة مسألة الإمامة لا تعبر عن نزعة مذهبية ضيقة ، ولا تشكل حالة من التنافي مع المشروع التوحيدي في حركة الأمة ، فالمسألة في منحاها الأصيل تجسّد المضمون الإسلامي بكل دلالاته ومعطياته . وبكل مرتكزاته ومقوماته ، وخصائصه ومميزاته .

إنّ فكرة الدراسة التي بين أيدينا تتجه إلى بلورة وعي توحيدي يعتمد الوضوح في الرؤية ، وإزالة كل الإشكالات التي تعقّد حالة التلاحم الفكري والنفسي والعملي في مسيرة الأمة .

إنّ الجهود التوليفية والتوفيقيه التي لا تعتمد الوعي والفهم والبصيرة لا يمكن أن تنجز مشروعاً توحيدياً أصيلاً يحمل مقومات البقاء والثبات ، ويواجه مخططات التجزئة والتفريق .

خطة البحث :

وأمّا خطة البحث فتشتمل على : مقدمة ، وثلاثة أقسام ، وخاتمة .

(١) المقدمة :

وتناولت هدف البحث ، وموضوعه ، وأهميته ، والأسباب التي تقف وراء إختياره ، والخطة المعتمدة في إنجازه . . .

(٢) القسم الأول :

ويعالج مسألة التشيع في نشوئه ومراحله وذلك من خلال ثلاثة فصول . . .

يتناول الفصل الأول الآراء والتفسيرات التي حاولت أن تؤرخ للظاهرة الشيعية في نشوئها وولادتها والعوامل والأسباب التي أنتجت تلك الظاهرة .

ويتناول الفصل الثاني الرؤية التي يتبناها البحث حول نشوء التشيع ومراحله ، التي تجسّدت في :

أ ـ مرحلة التأصيل والتجذير .
ب ـ مرحلة التجسيد والتطبيق .
ج ـ مرحلة الوضوح والإمتداد .

ويتناول الفصل الثالث مسألة الإمامة وهي العقيدة التي تنتظم قضية التشيع . . . وعالج هذا الفصل مسألة الإمامة من خلال النصوص والأحاديث . وقد تضمن الفصل مبحثين أساسيين :

المبحث الأول :

يدوّن نصوص الإمامة ، ويضعها ضمن ثلاث منظومات رئيسية :

ـ المنظومة الأولى : النصوص المباشرة .
ـ المنظومة الثانية : الدلالة الإلتزامية .
ـ المنظومة الثالثة : المؤشرات العامة .

المبحث الثاني :

يعالج موقف مدرسة الخلفاء من نصوص الإمامة ويناقش هذا الموقف على مستويين :

الأول : مستوى صحة النصوص .
الثاني : مستوى دلالة النصوص .

(٣) القسم الثاني :

يبحث هذا القسم دور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة ويضم هذا القسم فصلين :

الفصل الأول : يتناول التغييرات الطارئة في الصيغة الإسلامية والمتجسّدة في المجالات التالية :

ـ العقيدة .
ـ التفسير القرآني .
ـ السنة النبوية .
ـ التاريخ الإسلامي .

الفصل الثاني : يتناول الأدوار التي مارسها الأئمة من أهل البيت (ع) في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة وذلك من خلال المستويات التالية :

أ ـ المستوى العقائدي .
ب ـ المستوى الروحي .
ج ـ المستوى السياسي .
د ـ المستوى التشريعي .

(٤) القسم الثالث :

ويعالج أبرز المستويات التي تكوّن المقوّمات الأساسية للحالة الشيعية . . . ويتناول هذا القسم ثلاثة مستويات رئيسية ضمن ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المستوى العقائدي :

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : المستوى العقائدي العام ويتناول الأصول العقائدية العامة : التوحيد ، النبوة ، المعاد .

المبحث الثاني : المستوى العقائدي الخاص ويتناول عقيدة الإمامة من خلال النصوص التي حددت عدد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

الفصل الثاني : المستوى الروحي :

ويتناول هذا الفصل مبدأ «الولاء لأهل البيت» من خلال ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : تأصيل المبدأ الولائي لأهل البيت (ع) .
المبحث الثاني : الدلالات الكبيرة لمبدأ الولاء .
المبحث الثالث : المضمون الحقيقي للولاء .

الفصل الثالث : المستوى العملي :

ويتناول المضمون العملي الذي تجسّده الحالة الشيعية في الإلتزام بنهج الأئمة من أهل البيت (ع) .

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : النهج القيادي .
المبحث الثاني : النهج السلوكي .
المبحث الثالث : النهج الفقهي .

(٥) الخاتمة : نتائج البحث :

وهي عبارة عن تلخيص وتكثيف لموضوعات البحث الأساسية ، واستخلاص بعض الإستنتاجات المهمة .

مصادر البحث والدراسة :

وفي معالجة أفكار هذا البحث والدراسة حاولنا جهد الإمكان إعتماد النص الإسلامي في مرافده الأصيلة :

- القرآن الكريم .
- السنة النبوية .
- أحاديث الأئمة من أهل البيت (ع) .

وحاولنا كذلك بقدر ما أمكن التوافر عليه الرجوع إلى مصادر الحديث المعتمدة عند علماء المسلمين .

فمن المصادر المعتمدة عند علماء مدرسة أهل البيت رجعنا بشكل أساس إلى :

- «الكافي» لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) .
- «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» للمحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة (١١٠٤ هـ) .

ومن المصادر المعتمدة عند علماء مدرسة الخلفاء رجعنا إلى :

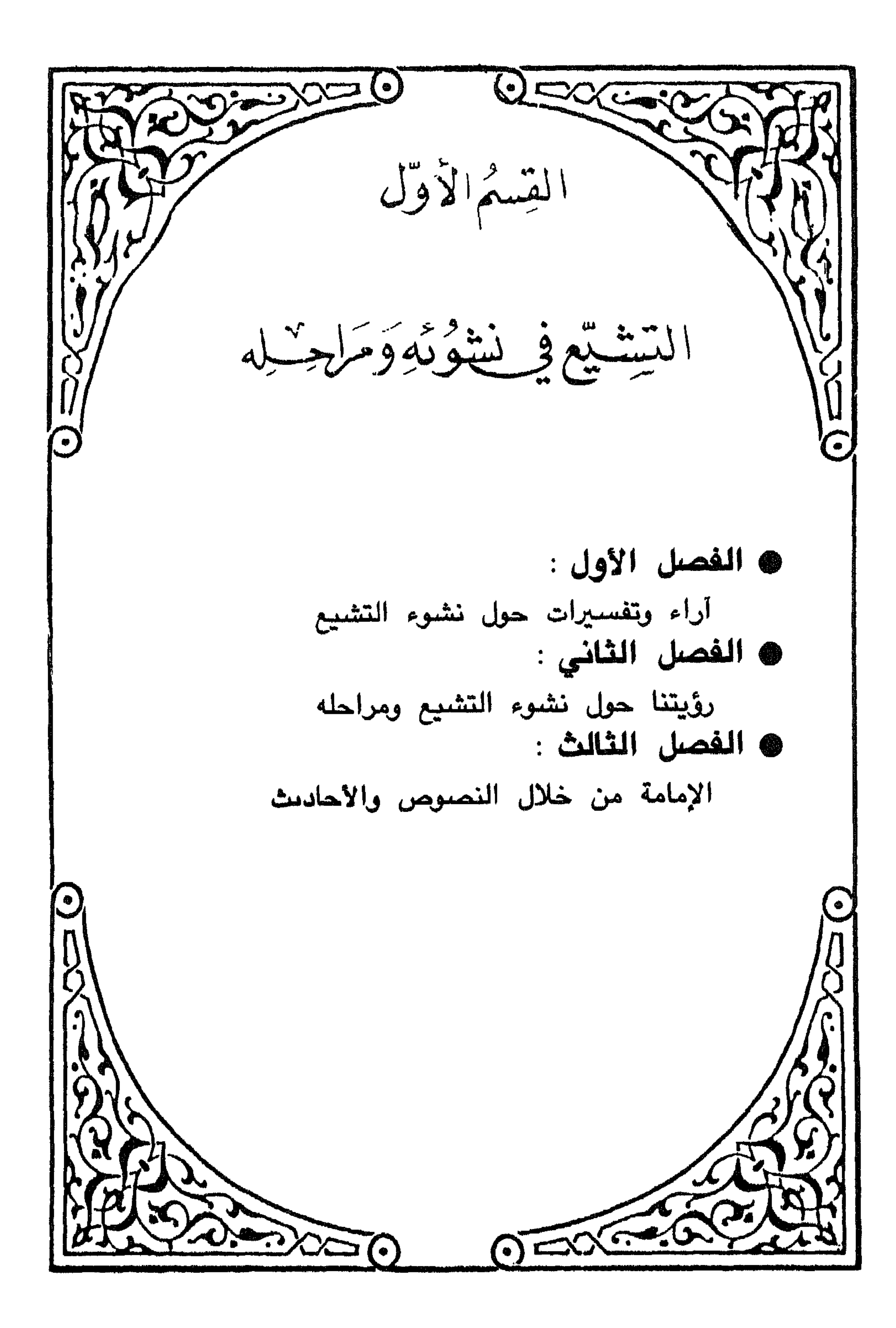
- «صحيح البخاري» لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة (٢٥٦ هـ) .
- «صحيح مسلم» لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة (٢٦١ هـ) .
- «الجامع الصحيح» لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة (٢٩٧ هـ) .
- «سنن ابن ماجه» لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه المتوفى سنة (٢٧٥ هـ) .
- «مسند أحمد بن حنبل» لأبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفى سنة (٢٤١ هـ) .
- «المستدرك على الصحيحين» لأبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٥ هـ) .

ومصادر أخرى كثيرة في الحديث ، والتفسير ، والسيرة والتاريخ ، والفقه واللغة .

والله نسأل أن يمنحنا التوفيق والسداد ، وأن يرشدنا إلى ما يحبه ويرضاه ، وهو ولي التوفيق .

السيدة زينب (ع) ـ دمشق
غرة ذي القعدة ١٤١٠ هـ

عبد الله الغريفي



القِسمُ الأوّل

التشيّع في نشوئه ومراحله

● **الفصل الأول :**

آراء وتفسيرات حول نشوء التشيع

● **الفصل الثاني :**

رؤيتنا حول نشوء التشيع ومراحله

● **الفصل الثالث :**

الإمامة من خلال النصوص والأحاديث

القِسْمُ الأوّل

الفَصْلُ الأوّل

آراءٌ وتفسيراتٌ حَوْل نشُوءِ التشيّع

يتجه بعض الكتاب والباحثين والمؤرخين إلى تفسير التشيع باعتباره ظاهرة طارئة أفرزتها مجموعة عوامل إجتماعية وسياسية وتاريخية .

وفي تحديد العوامل التي أنتجت الظاهرة الشيعية ، وفي التأريخ لبداياتها تعددت الآراء وتباينت التفسيرات .

ونحاول أن نضع بين يدي القارىء أبرز الآراء والتفسيرات التي تناولت هذه الظاهرة وأرّخت لها .

الرأي الأول :

يؤرخ لولادة التشيع بالمرحلة التاريخية المبكرة التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة .

ونلمس هذا الرأي في كلمات بعض الباحثين والمؤرخين منهم :

(١) اليعقوبي في تاريخه حيث قال :

«وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم : العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي بن كعب»[1] .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ١٢٤/٢ .

(٢)الدكتور أحمد أمين في «فجر الإسلام» حيث قال :
«وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي (ص) أنّ أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه»[١] .

(٣) الدكتور محمد علي أبو ريّان في (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام) حيث قال :
«وكان علي بن أبي طالب يرى في الخلافة حقاً شرعياً له فهو ابن عم رسول الله (ص) وزوج ابنته فاطمة وأول من آمن بالرسالة ، والتف حوله أتباع كانوا يرون الخلافة يجب أن تؤول إلى آل البيت وعلى رأسهم علي بن أبي طالب»[٢] .

(٤) المستشرق جولد تسيهر في (العقيدة والشريعة) حيث يرى أنّ التشيع نشأ بعد وفاة النبي (ص) وبالضبط بعد حادثة السقيفة[٣] .

الرأي الثاني :
يفترض ولادة التشيع في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان نتيجة أحداث وتناقضات برزت في داخل المجتمع الإسلامي ، هيأت جواً ملائماً لنشوء الفرق والأحزاب والإنتماءات .
«ومن الذاهبين لذلك جماعة من المؤرخين والباحثين منهم : ابن حزم وجماعة آخرون ذكرهم بالتفصيل يحي هاشم فرغل في كتابه (عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ج ١٠٥/١) وقد استند إلى مبررات شرحها»[٤] .

الرأي الثالث :
ينسب ولادة التشيع إلى أيام خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث توافرت الظروف الملائمة لبروز هذه الحالة .
وقد أشار إلى هذا الرأي الشهيد الصدر حيث قال :
«ومنهم من يرد ظاهرة التشيع إلى عهد خلافة الإمام علي عليه اسلام وما هيأة ذلك العهد من مقام سياسي وإجتماعي على مسرح الأحداث»[٥] .

---

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٦٦ .
(٢) محمد علي أبو ريّان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ص ١٢٥ .
(٣) الدكتور الوائلي : هوية التشيع ص ٢٤ نقلا عن : (العقيدة والشريعة) لجولد تسيهر ص ١٧٤ .
(٤) هوية التشيع ص ٢٥ .
(٥) بحث حول الولاية ص ١٠ .

ونجد عند ابن النديم في (الفهرست) هذا اللون من التوجه في تفسير الظاهرة الشيعية حيث قال :

«لما خالف طلحة والزبير علياً عليه السلام ، وأبيا إلّا الطلب بدم عثمان بن عفان ، وقصدهما علي (ع) ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جل إسمه ، تسمى من اتبعه على ذلك ، الشيعة فكان يقول : شيعتي»[1] .

وهناك من الباحثين من يفترض ولادة التشيع يوم واقعة صفين[2] .

الرأي الرابع :

يعتبر التشيع ظاهرة تمخضت عن الظروف والملابسات التي أنتجتها واقعة كربلاء ، وما أفرزته من تطورات جديدة في داخل السّاحة الإسلامية .

ويمكن أن نلمس هذا الإتجاه عند :

(١) الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع) حيث قال :

«على أننا نرى أن التشيع السياسي ، وإن كان ظهر في الفترة التي افترضها الباحثون السابقون ، إلّا أنّ دلالة الإصطلاح (شيعة) على الكتلة التي ندرسها من المسلمين وانصرافه إليهم دون غيرهم ، قد بدأ بحركة التوابين التي ظهرت سنة ٦١ هـ وانتهت باالفشل سنة ٦٥ هـ وكان قائد الحركة يلقب بشيخ الشيعة»[3] .

(٢) (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) :

حيث يرى أنّ مقتل الحسين (ع) أعطى للفكرة الشيعية طابعاً جديداً متطوراً ، إذ قال :

«والحق أنّ ميتة الشهداء التي ماتها الحسين والتي لم يكن لها أيّ أثر سياسي ، قد عجلت في التطور الديني للشيعة حزب علي ، الذي أصبح في ما بعد ملتقى جميع النزعات المناوئة للعرب»[4] .

وهنا أرى من الضرورة وضع ملاحظتين حول كلام بروكلمان وليس بهدف نقد وتقويم هذا الرأي ، فذلك متروك لنتائج وخلاصات البحث ، وإنّما هو التنبيه العابر الذي يوجّه ذهنية القارىء إلى بعض الإلتفاتات الفورية التي لا يحسن إرجاؤها .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٢٣ .
(٢) عبدالله نعمة : روح التشيع ص ٢٢ .
(٣) الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع ج ٢٢/١ .
(٤) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٢٨ .

الملاحظة الأولى :

لا نتفق مع بروكلمان في نفيه الأثر السّياسي لثورة كربلاء ، فالواقع التاريخي يؤكد عمق الأثر السّياسي الذي أنتجته هذه الثورة في السّاحة الإسلامية فمن نتائجها السياسية :

١ ـ الوعي السياسي الجديد الذي بدأ يتكون في ذهنية الأمة وما يحمله هذا الوعي من رؤى وتصورات حول أنظمة الحكم القائمة ، والكيانات السّياسية المتسلطة .

٢ ـ الحس الثوري الذي أخذ يتفاعل مع وجدان الجماهير وينمّي في داخل الأمة حالات الرفض والتصدي .

٣ ـ الإنتفاضات والثورات التي تفجرت في مراحل تاريخية تالية ، عبّرت عن صحوة سياسية كبيرة أحدثتها ثورة الإمام الحسين عليه السّلام في كربلاء[1] .

الملاحظة الثانية :

إنّنا نرفض مقولة بروكلمان بأنّ حزب علي أصبح ملتقى جميع النزعات المناوئة للعرب فهي مقولة لا تملك أيّ مبرر موضوعي ولا تحمل أيّ مستند علمي وإنّما تعبر عن إحدى حالات التحريف التاريخي التي شوشت الكثير من الرؤى والمفاهيم والأفكار .

الرأي الخامس :

يعطي لظاهرة التشيع إنتماء إلى جذور خارجية . . . .

وأصحاب هذا الإتجاه ينحون منحيين مختلفين :

المنحى الأول :

يحاول تنسيب الظاهرة إلى الأصول اليهودية .

ومن المؤرخين والباحثين الذين تبنوا هذا المنحى :

(١) الطبري في تاريخه حيث قال :

«عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال : كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام» . . . .

وتحدث الطبري عن بعض أفكار عبدالله بن سبأ :

«ثم قال لهم : إنّه كان ألف نبي ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد ، محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء»[2] .

---

(١) يقرأ : شمس الدين : ثورة الحسين (ع) .

(٢) الطبري : تاريخ الطبري ج ٣٧٨/٣ .

(٢) محمد فريد وجدي في (دائرة المعارف) حيث قال :

«وكان ابن السوداء [عبدالله بن سبأ] في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنّه وجد في التوراة أنّ لكل نبي وصياً ، وأنّ علياً وصي محمد . . . .»[١] .

وأمام هذا الرأي أضع الملاحظات العابرة التالية كتنبيهات عاجلة ، تاركاً الرؤية التقويمية التفصيلية إلى الخلاصات التي يتمخض عنها هذا البحث . .

وملاحظاتنا العاجلة على هذا المنحى :

أولاً : المصدر التاريخي الأول الذي دوّن قضية «عبدالله بن سبأ» هو الطبري ، ومنه استقت بقية المصادر الأخرى القديمة والحديثة .

ثانياً : الأساس الوحيد الذي اعتمده الطبري في تدوين هذه القضية هو «روايات سيف بن عمر» .

ثالثاً : فإذا استطاع البحث العلمي :

آ ـ أن يسقط وثاقة «سيف بن عمر» على مستوى الرواية .

ب ـ وأن يثبت أسطورية «ابن سبأ» على مستوى الواقع التاريخي فإنّ هذا المنحى ينهار من أساسه .

وفعلاً توافر هذا الموضوع على دراسات علمية تاريخية مستوعبة أكّدت الحقيقتين الآنفتين[٢] .

المنحى الثاني :

يحاول تنسيب الظاهرة إلى الأصول الفارسية . . . .

وهذا الإتجاه نجد له صدى واضحاً في كتابات ودراسات أكثر المستشرقين ، كما نجد له تلميحات وإيماءات عند بعض الكتّاب من المسلمين كأبي زهرة في كتابه «تاريخ المذاهب الإسلامية» ، وأحمد عطية الله في كتابه «القاموس الاسلامي»[٣] .

الرأي السادس :

يؤرخ لولادة التشيع بزمن الإمام جعفر الصادق عليه السّلام الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السّلام . . .

---

(١) الوائلي : هوية التشيع ص١٣٣ نقلاً عن «دائرة معارف القرن العشرين» ج ١٧/٥ .

(٢) يقرأ : آ ـ السيد العسكري : عبدالله بن سبأ .

ب ـ الدكتور الوائلي : هوية التشيع .

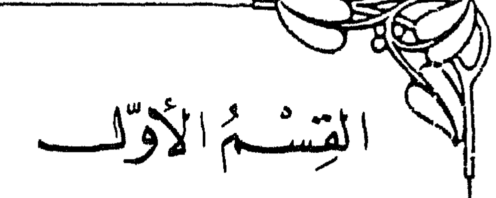
ج ـ الدكتور طه حسين : الفتنة الكبرى .

(٣) يقرأ : هوية التشيع ص٥١ ، ٦٢ ـ ٧١ .

يقول علي عبد الرزاق في كتابه (الاسلام وفلسفة الحكم) :

«ومنهم من يؤرخ هذه الولادة بزمن الإمام جعفر الصادق حين قام فيه تلميذه هشام بن الحكم بدور واضع قواعد التشيع ، ومهندس بنائه الفكري ـ حسب قول الدكتور محمد عمارة ـ على القاعدة الرئيسية التي قام عليها التشيع وهي النص على علي بالخلافة والوصية إليه بها وهما لم يعرفا إلّا في عهد الإمام الصادق وهشام بن الحكم»[1] .

(١) عبدالله نعمة : روح التشيع ص ٢٢ نقلاً عن «الاسلام وفلسفة الحكم» ص ١٥٨ ، ١٥٩ .



الفصْلُ الثاني

رُؤيَتنَا حوْل نشُوءِ التشيّع وَمَراحِله

المراحل الأساسية للتشيع :

● المرحلة الأولى :

مرحلة التأصيل والتجذير

● المرحلة الثانية :

مرحلة التجسيد والتطبيق

● المرحلة الثالثة :

مرحلة الوضوح والإمتداد

المرحلة الأولى

مرحلة التأصيل والتجذير

بدأت هذه المرحلة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله .

أهداف هذه المرحلة :

في هذه المرحلة تمّ إنجاز هدفين على يديّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله :
١ ـ تأصيل الصيغة الإصطلاحية .
٢ ـ تأصيل الصيغة المضمونية «القيادة والإمامة» .

الهدف الأول :

تأصيل الصيغة الإصطلاحية (الكلمة) :

من خلال قراءة المصادر التاريخية ، وكتب الحديث والتفسير واللغة نستطيع أن نتعرّف على البدايات الأولى لولادة مصطلح «الشيعة» .
ففي مناسبات عدة طرح الرسول صلى الله عليه وآله هذا المصطلح ، وجذّره في وعي الأمة ، وأصّله في ذاكرتها ،عمّقه في وجدانها .

وبحجم ما أكّدت توجيهات الرسول صلى الله عليه وآله ، وخطاباته هذا المصطلح ، فقد تكوّنت نخبة متميزة من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله كسلمان الفارسي ، وأبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والمقداد ، تحمل هوى وحباً نحو علي بن أبي طالب ، وفي أيام الرسول صلى الله عليه وآله حتى أصبح لفظ «الشيعة» لقباً لهؤلاء الصحابة .
ذكر أبو حاتم في كتاب (الزينة) :

«إنّ أول إسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة : أبو ذر ، وعمار ، ومقداد وسلمان الفارسي . . . [1]» .

نماذج من النصوص :

(١) السيوطي في (الدر المنثور) ج ٨/٥٨٩ .

روى عن ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبدالله قال : كنا عند النبي (ص) فأقبل علي (ع) فقال النبي (ص) : «**والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة**» فنزل قوله تعالى : **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** .

وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال :

لّما نزله قوله تعالى : **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** قال النبي (ص) لعلي (ع) :

«هم أنت وشيعتك» .

وأخرج ابن مردويه عن علي (ع) قال : قال لي رسول الله (ص) : «**ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين**» .

(٢) ابن حجر في (الصواعق المحرقة) الباب ١١ ، الفصل الأول ، الآية الحادية عشرة :

عن ابن عباس قال :

لما أنزل الله تعالى : **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** .

قال رسول الله (ص) لعلي (ع) :

«**هم أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين**» .

(٣) القندوري الحنفي في (ينابيع المودة) ج ٢/٦١ .

(المناقب السبعون في فضائل أهل البيت ـ الحديث ٤٥) :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«**علي وشيعته هم فائزون يوم القيامة**» .

(٤) الشبلنجي في (نور الأبصار) ص ٧١ ، ١٠٢ .

عن ابن عباس قال :

لما نزلت هذه الآية : **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** .

---

(١) الوائلي : هوية التشيع ص ٢٧ .

قال النبي (ص) لعلي (ع) :

«أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين»[1] .

(٥)وأورد الحديث نفسه ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص ١٠٧ .[2]

(٦) الحمويني الشافعي في (فرائد السمطين) ج ١٥٦/١ .

عن جابر قال : كنا عند النبي (ص) فأقبل علي (ع) فقال (ص) :

«قد أتاكم أخي» .

ثم قال (ص) :

«والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»[3] .

(٧) الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل) ج ٣٥٦/٢ - ٣٣٦ .

الأحاديث من ١١٢٥ إلى ١١٤٨ .

أخرج بالإسناد إلى علي (ع) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«يا علي ألم تسمع قول الله تعالى :

﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ هم شيعتك وموعدي وموعدك الحوض يدعون غراً محجلين»[4] .

(٨) ومن المصادر التي ذكرت نزول آية : **﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** في علي عليه السلام وشيعته ، وأنّهم الفائزون يوم القيامة :

١ - كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

٢ - المناقب للخوارزمي الحنفي ٦٢ - ١٨٧ .

٣ - نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٩٢ .

٤ - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٤٤٢/٢ ح ٩٥١ .

٥ - تفسير الطبري ج ١٤٦/٣٠ .

٦ - تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص ١٨ .

٧ - فتح القدير للشوكاني ج ٤٧٧/٥ .

٨ - روح المعاني للألوسي ج ٢٠٧/٣٠ .

٩ - جواهر العقدين للسمهودي (العقد الثاني ، الذكر الثامن ص ٢١٨ مخطوط) .

---

(١) (٢) يقرأ : الراضي : سبيل النجاة ص ٦٢ ، ٢٩٧ .

(٣) (٤) الراضي : سبيل النجاة ص ٢٩٦ ، ٦٢ .

١٠ ـ توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل لشهاب الدين أحمد ص ٥٠٥ (مخطوط) .
١١ ـ أنساب الأشراف للبلاذري ج ١٨٢/٢ رقم ٢١٥ .
١٢ ـ إستجلاب إرتقاء الغرف للسخاوي ص ٦٦ (مخطوط)[1] .

الهدف الثاني :

تأصيل الصيغة المضمونية (القيادة) .
«تأصيل مضمون الإمامة» :

لتناول هذا الجانب أسلوبان :
الأول : اعتماد النصوص والأحاديث .
الثاني : الدراسة التحليلية العقلية .

ونؤجل الأسلوب الأول ، إلى الفصل القادم ، ونطرح هنا الأسلوب الثاني ، لاستكشاف دور الرسول صلى الله عليه وآله في تأصيل الصيغة القيادية الإمتدادية . . .

الرسول صلى الله عليه وآله ومستقبل الدعوة والقيادة :

كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وآله مع مستقبل الدعوة والقيادة؟

نعني بمستقبل الدعوة والقيادة ، مرحلة ما بعد إنتقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى . . . .

وأمام هذا التساؤل ثلاث إحتمالات :
الأول : السلبية «الصمت واللامبالاة» .
الثاني : تفويض الإختيار إلى الأمة «مبدأ الشورى» .
الثالث : النص والتعيين .

الإحتمال الأول :

السلبية «الصمت واللامبالاة» :

هذا الإحتمال مرفوض ، لأنّه يستبطن ثلاث دلالات خاطئة :

---

(١) راجع : آ ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج٣٢٤/١ .
ب ـ الميلاني : قادتنا ج٤٣٠/٢ ـ ٤٣٨ .
ج ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص٦٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

الدلالة الأولى :

غياب الرؤية المستقبلية عند الرسول (ص) :

وهذا يتناف :

(١) مع التصور الإيماني لشخصية الرسول صلى الله عليه وآله بما تحمله من خصوصية النبوة والإتصال الغيبي .

(٢) مع الواقع الموضوعي الذي برهن على توافر هذه الرؤية .
وقد أكّدت ذلك النصوص التي تحدث عن حالة الإرتداد في داخل الأمة ، كما روت مصادر الحديث :

١ ـ صحيح البخاري ج ٦٧٣/٩ .
كتاب الفتن باب ١٠٦٨ (الباب الأول) ح ١٨٧٨ :
عن أبي وائل قال : قال عبدالله قال النبي (ص) :
«أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم إختلجوا دوني فأقول : أي ربي أصحابي ، فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك» .

٢ ـ صحيح البخاري ج ٦٧٣/٩ (الباب نفسه) :
عن أبي حازم قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي (ص) يقول :
«أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم» .

٣ ـ صحيح مسلم ج ١٧٩٤/٤ ح ٢٢٩٣ (باب إثبات حوض نبينا (ص) وصفاته) :
عن رسول الله (ص) أنّه قال :
«إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول : يا رب ! منّي ومن أمتي ، فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم» .

٤ ـ صحيح مسلم ج ١٧٩٦/٤ ح ٢٢٩٧ :
عن النبي (ص) قال :
«أنا فرطكم على الحوض ، ولأنازعنّ أقواماً ثم لأغلبنّ عليهم فأقول : يا رب ! أصحابي أصحابي . . .
فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» .

٥ ـ صحيح مسلم ج ١٨٠٠/٤ ح ٢٣٠٤ :

عن النبي (ص) قال :

«ليردنّ عليّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ ، اختلجوا دوني ، فلأقولنّ : أي رب أصيحابي أصيحابي ، فليقالنّ لي : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» .

الدلالة الثانية :

مستقبل الدعوة والأمة لا يدخل ضمن إهتمامات الرسول صلى الله عليه وآله .

وهذا يتناقض :

(١) مع الإعتقاد بخاتمية الرسالة الإسلامية وعالميتها .

(٢) مع الإيمان بالجانب الرسالي في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله .

(٣) مع الواقع التاريخي الذي برهن على إهتمامات الرسول (ص) بقضايا الرسالة المستقبلية . . .

ومن الشواهد التاريخية على هذا الإهتمام :

١ ـ قضية جيش أسامة :

«كان صلى الله عليه وآله على فراش الموت وقد ثقل مرضه ، وهو يحمل همّ معركة ، كان قد خطط لها ، وجهز جيش (أسامة) لخوضها ، فكان يقول : **جهّزوا جيش أسامة ، أرسلوا بعث أسامة** . . . . ويكرر ذلك ويغمى عليه بين الحين والحين»[1] .

٢ ـ قضية الدواة والكتف :

دوّنت هذه القضية أهم مصادر الحديث :

١ ـ صحيح البخاري ؛

وردت قضية الدواة والكتف في عدة مواقع من صحيح البخاري :

(آ) صحيح البخاري ج ١/١١٩ ، ١٢٠ ح ١١٢ .

كتاب العلم : باب كتابة العلم :

«عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبي (ص) وجعه ، قال : **إيتوني بكتاب ، اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده** . قال عمر : إنّ النبي (ص) غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله ،

---

(١) الشهيد الصدر : بحث حول الولاية ص ٢٣ .

حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط ، قال : **قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع** ، فخرج ابن عباس يقول : إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه» .

(ب) صحيح البخاري ج ٤/٤٩٠ ح ١٢٢٩ .

كتاب الجهاد والسير باب ٨١٤ (جوائز الوفد) :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء ، فقال : اشتدّ برسول الله (ص) وجعه يوم الخميس فقال : **إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً** ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا : هجر رسول الله (ص) قال : **دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»** .

(ج) صحيح البخاري ج ٤/٥٣١ ح ١٣٣٥ .

كتاب الجزية باب ٨٦١ (إخراج اليهود من جزيرة العرب) .

«عن سعيد بن جبير قال : سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه الحصى ، قلت : يا ابن عباس وما يوم الخميس ، قال : اشتدّ برسول الله (ص) وجعه فقال : **ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً** فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : ماله اهجر استفهموه فقال : **ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»** .

(د) صحيح البخاري ج ٧/٢٢٥ ح ٥٧٤ .

كتاب المرضى والطب باب ٣٥٧ (قول المريض قوموا عني) :

عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبي (ص) :

هلمّ اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده .

فقال عمر : إنّ النبي (ص) قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبي (ص) كتاباً لن تضلّوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغوْ والإختلاف عند النبي (ص) قال رسول الله (ص) : **قوموا** ، قال عبيدالله : فكان ابن عباس يقول : إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم الكتاب من **اختلافهم ولغطهم»** .

٢ ـ صحيح مسلم : ج ١٢٥٧/٣ ، ١٢٥٩ .

حديث ١٦٣٧ ـ كتاب الوصية باب ٥ :

ذكرها بثلاث طرق :

آ ـ عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : يوم الخميس ما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه الحصى .

فقلت : يا ابن عباس ما يوم الخميس؟

قال : اشتدّ برسول الله (ص) وجعه فقال : «ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي» .

فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع وقالوا : ما شأنه؟ أهجر ، استفهموا قال (ص) : «دعوني فالذي أنا فيه خير» .

ب ـ عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يوم الخميس ما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنّها نظام اللؤلؤ ، قال : قال رسول الله (ص) :

«ايتوني بالكتف والدواة [أو اللوح والدواة] اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» .

فقالوا : إن رسول الله (ص) يهجر .

ج ـ عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس قال : «لما حُضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي (ص) : هلمّ اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . فقال عمر : إنّ رسول الله (ص) قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله .

فاختلف أهل البيت فاختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله (ص) كتاباً لن تضلّوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلمّا أكثروا اللغو والإختلاف عند رسول الله (ص) ، قال رسول الله (ص) : قوموا» .

الدلالة الثالثة :

الإعتقاد بأنّ الأمة وحدها قادرة على احتواء الموقف بكل تناقضاته الحادة ، بنحو يحمي الدعوة من خطر الإنهيار ، ويصون المسيرة من منزلقات الإنحراف .

وهذا الإعتقاد غير وارد :

(١) لأنّ خلو السّاحة من قائد بمستوى النبي صلى الله عليه وآله يضع الأمة أمام صدمة عنيفة تفقدها القدرة على إتخاذ القرار الصائب .

(٢) الأمة لم تكتمل صياغتها بالدرجة التي تؤهلها أن تمارس دورها بدون ترشيد وتخطيط من قبل القيادة المتمثلة في الرسول صلى الله عليه وآله .

(٣) وجود مجموعة أخطار تهدد مستقبل الدعوة والرسالة :

- التناقضات التي تعيش في داخل الأمة .
- طابور المنافقين المتستر .
- إرهاصات الإرتداد وإدعاءات النبوة التي بدأت تتحرك هنا وهناك .

الخلاصة :

من خلال ما مر من نقاط ، يتّضح لنا فساد «الإحتمال الأول» .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإحتمال الثاني :

تفويض الإختيار إلى الأمة «مبدأ الشورى» :

هذا الإحتمال يفترض أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد منح الأمة صلاحية إختيار القيادة الفكرية والروحية والسياسية التي ترعى المسيرة وتصون التجربة ، وذلك من خلال مبدأ الشورى .

ولنا حول هذا الإحتمال عدة مناقشات وإشكالات :

الإشكال الأول :

عدم توافر النص الذي يدعم هذا الإتجاه :

فليس في الروايات التي بين أيدينا والمدوّنة في مصادر الحديث المعتمدة ما يشير إلى ذلك ، في حين أنّ المسألة في هذا الإتجاه لو كانت مطروحة من قبل الرسول (ص) لكان لها وجود واضح في خطابات الرسول (ص) وبياناته لتوافر الدواعي والأسباب لذكرها وعدم إخفائها ومصادرتها :

آ ـ «بي تخدم الإتجاه الذي تسلّم زعامة الأمة .

ب ـ حداثة هذا المبدأ في ذهنية الأمة مما يفرض توعية مكثفة وطرحاً مركزاً .

فغياب النص يلغي هذا الإحتمال تماماً .

آيات الشورى في القرآن :

قد يقال بأنّ آيات الشورى التى وردت في القرآن تدعم هذا الإتجاه . .

فأمامنا نصّان قرآنيان يتحدثان عن الشورى :

النص الأول :

قوله تعالى في سورة (آل عمران) الآية ١٥٩ :

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين﴾ .

النص الثاني :

قوله تعالى في سورة (الشورى) الآية ٣٨ :

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ .

فهل النصّان يطرحان «مبدأ الشورى» كصيغة سياسية لاختيار القيادة ؟

نجيب عن هذا التساؤل ضمن النقاط التالية :

١ ـ النصان أجنبيان عن موضوع القيادة والخلافة :

فالنص الأول توجيه للرسول (ص) أن يدعو المسلمين إلى القتال باسلوب المشاورة ، مع تأكيد النص على أنّ الموقف مناط بعزم الرسول صلى الله عليه وآله وقناعاته لا بمشورة المسلمين ، وقد برهنت حالات المشاورة على صوابية إختيار الرسول (ص) كما حدث في غزوة بدر[1] .

وأمّا النص الثاني فلا يستفاد منه أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم[2] .

٢ ـ التشاور لا يمكن أن يكون في القضايا التي ورد فيها تحديد شرعي ، فليس لأحد صلاحية في قبال تشريعات الله تعالى . .

قال الله تعالى في سورة (القصص) الآية ٦٨ :

﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ .

وقال تعالى في سورة (الاحزاب) الآية ٣٦ :

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ .

ومسألة الإمامة تدخل ضمن المساحة المحددة شرعاً ، كما سنثبت ذلك ، فهي بالتالي تكون خارجة عن الدائرة التي تعالجها آيات الشورى . . .

٣ ـ قضية القيادة والإمامة لا يمكن أن تناط بالأمة لعدة إعتبارات :

أ ـ الإعتبار الشرعي :

حيث حددت النصوص مسألة الإمامة كما سنرى . .

ب ـ الإعتبار الفكري :

حيث تمثل الإمامة «المرجعية» التي تموّن الأمة بالرؤى والأفكار والتصورات والتشريعات ، فلا يمكن أن يعطى للأمة صلاحية تحديدها وإختيارها .

---

(١) السيد العسكري : معالم المدرستين ج١/٣٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ج١/٣٥٧ .

ج ـ الإعتبار النفسي :

فقضية القيادة تملك حساسية كبيرة وتتأثر بانفعالات الناس وعواطفهم وتوجهاتهم الفكرية والنفسية وإنتماءاتهم العقائدية والإجتماعية والسياسية ، فمن الصعب أن تترك لإختياراتهم .

د ـ الإعتبار العقلي :

فالأمة مهما توافرت على أعلى المستويات من النزاهة والموضوعية والتحرر من المؤثرات الشعورية واللا شعورية ، فإنّها تبقى محكومة للرؤية العقلية المحدودة العاجزة عن «إختيار الأصلح» .

الإشكال الثاني :

ويواجه صيغة الشورى إشكال «الغموض التشريعي» ونعني به عدم وضوح المعالم التشريعية لهذه الصيغة ، فلا نملك بين أيدينا تحديداً تشريعياً لهذا المبدأ السياسي الجديد .

ـ معناه وحدوده وتفاصيله ؟
ـ موازينه ومقاييسه وضوابطه ؟
ـ أدواته التنفيذية ووسائله التطبيقية ؟

فالقول بأنّ الرسول (ص) قد طرح هذا المبدأ وألزم الأمة بتنفيذه يفرض :
أولاً : أن يقوم الرسول (ص) بتحديد معالمه الواضحة .
ثانياً : أن يمارس صلى الله عليه وآله إعداداً فكرياً وروحياً وسياسياً للتعاطي مع هذا المبدأ .
ثالثاً : أن يهيء نماذج متعددة مؤهلة لتولي زعامة التجربة وقيادتها ، والاشراف على التشريع وتنفيذه .

فهل نجد في النصوص والأحاديث المدوّنة في المصادر المعتمدة عند المسلمين ما يجيب عن تلك التساؤلات ويملأ تلك الفراغات ؟

نقول بكل جزم أن النصوص لا تسعفنا في الإجابة ، ولا نلمس من خلالها أي إشارة تحاول أن تعالج تلك الإبهامات والإشكالات ، وتنفي كل ألوان الغموض التي تواجه نظام الشورى ، كمبدأ سياسي يمس أخطر قضية في البُنية الفكرية والاجتماعية والسياسية .

الإشكال الثالث :

الإشكالية الثالثة التي تواجه أطروحة الشورى أنّها لم تتوافر على أيّ لون من ألوان التطبيق في واقع التجربة التي مارست السلطة وزعامة الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله .

ورغم أنّ الاتجاه الذي تولى السلطة السياسية في هذه المرحلة هو صاحب التنظير لاطروحة الشورى إلاّ أنّنا لا نجد لها أيّ صدى في الممارسة العملية لاختيار القيادة وتعيين الزعامة .

١ ـ المهاجرون والأنصار الذين حضروا «اجتماع السقيفة» لم يفكروا إطلاقاً بذهنية الشورى ، بل لم يرد هذا المصطلح في الخطابات السياسية التي طرحت في ملتقى السقيفة ، وهذا واضح من خلال المداولات والمناقشات والممارسات التي طغت على أجواء هذا اللقاء السياسي الأول من نوعه في تاريخ المسلمين ، والذي تمخض عنه اختيار أبي بكر للخلافة وقيادة المسيرة .

وإنّ قراءة متأنية في الأوراق التاريخية التي احتفظت لنا بالملفات الوثائقية لوقائع اجتماع السقيفة ، تمنحنا القناعة بصحة الرؤية المطروحة من قبلنا .

٢ ـ الخليفة الأول أبو بكر حينما حدّد خليفته في زعامة المسلمين لم يتعاط مع نظام الشورى ، حيث حكّم الضرورة السياسية في الانفراد باتخاذ القرار في تعيين القيادة والسلطة بالنصّ المباشر على عمر بن الخطاب .

٣ ـ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أوكل أمر التعيين إلى ستة من الصحابة ، ضمن شروط وضوابط حددها لهم ، ولم يجعل لبقية الأمة أيّ دور حقيقي في الاختيار ، بل كان يتمنى ادراك أحد رجلين ليسند إليه الأمر ، فحينما طلب منه الناس الاستخلاف قال :

«لو أدركني أحد رجلين لجعلت هذا الأمر إليه ، لوثقت به ، سالم مولى أبي حذيفة ، وأبي عبيدة بن الجراح ، ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى»[1] .

الخلاصة :

في ضوء ما أوردناه من ملاحظات وإشكالات نتجه الى رفض (الاحتمال الثاني) .

وللتعمّق أكثر في فهم هذا الاتجاه ومناقشاته يمكن قراءة الكتب التالية :

(١) بحث حول الولاية للمفكر الإسلامي الكبير الشهيد السيد محمد باقر الصدر .

(٢) السقيفة للحجة الشيخ محمد رضا المظفر .

---

(١) الصدر : بحث حول الولاية ص٣٢ نقلاً عن طبقات ابن سعد ج٣/٢٤٨ .

(٣) معالم المدرستين للبحاثة السيد مرتضى العسكري .
(٤) السقيفة والخلافة للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود .

الاحتمال الثالث :

النص والتعيين :

وهذا الاحتمال هو الذي يملك عناصر القبول والاختيار :
أولاً : لأنّه الاحتمال المتعين بعد إلغاء الاحتمالين الآخرين . فالقسمة العقلية تحصر الاحتمالات في ثلاثة :

آ ـ السلبية . . .
ب ـ التفويض للأمة . . .
ج ـ النص والتعيين . . .

فإذا سقط الاحتمالان الأول والثاني بقي الاحتمال الثالث هو المتعين . .

ثانياً : ولتوافر النصوص الصريحة (كما سنرى) الدالة على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من ذريته(ع) .
فمن خلال هذين العنصرين :
الأول : الذي يؤكد صحة مبدأ النص والتعيين .
والثاني : الذي يحدد المصاديق القيادية .
نخلص الى النتيجة التالية وهي :
«أنّ الرسول صلى الله عليه وآله مارس دور التأصيل للمضمون القيادي ، واتخذ كل الاجراءات اللازمة لحمايته وضمانة بقائه وديمومته» .
وسوف نتناول هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل القادم إن شاء الله .

المرحلة الثانية

مرحلة التجسيد والتطبيق

في المرحلة الأولى من مراحل التشيع والتي عاصرت الرسالة تمَّ انجاز مهمتين :
الأولى : تأصيل الصيغة الاصطلاحية :

ومن خلال هذا التأصيل :

١ - تكرّس هذا المصطلح في ذهنية المسلمين .

٢ - وترسخت دلالاته الروحية والعاطفية والإيمانية في الواقع النفسي والشعوري والذهني للأمة .

الثانية : تأصيل المضمون القيادي :

ومن خلاله تم وضع «اطروحة الإمامة» في داخل البُنية الإسلامية الفكرية والروحية والسياسية والاجتماعية ، وتمثّلت هذه الاطروحة في «زعامة الأئمة من أهل البيت(ع)» بعد الرسول صلى الله عليه وآله .

وفي المرحلة الثانية بدأت حالة التجسيد العملي لاطروحة الإمامة حيث اتجه شطر من الأمة يمثله صحابة كبار الى الالتزام بالنص الشرعي على إمامة أهل البيت عليهم السلام .
وبدأت المرحلة الثانية بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة .

اتجاهان حول الخلافة :

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة تحرك في داخل الساحة الإسلامية اتجاهان حول مسألة الخلافة :

الاتجاه الأول :

الاتجاه التعبدي :

هذا الاتجاه كان يؤمن :

١ ـ بالنص الصادر عن رسول الله (ص) حول إمامة علي بن أبي طالب .

٢ ـ وبوجوب التعبد بهذا النص .

ممثلو الاتجاه الأول :

وقد مثّل الاتجاه التعبدي نخبة من كبار الصحابة منهم :

١ ـ سلمان الفارسي .

٢ ـ أبو ذر الغفاري .

٣ ـ عمار بن ياسر .

٤ ـ المقداد .

٥ ـ أبو أيوب الأنصاري .

٦ ـ خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين .

٧ ـ أبو الهيثم بن التيهان .

الاتجاه الثاني :

الاتجاه الاجتهادي :

وهذا الاتجاه كان يرى إمكانية الاجتهاد في نصوص الإمامة والتصرف فيها ، ما دامت المسألة خارج دائرة العبادات والغيبيات . وقد اضطر هذا الاتجاه الى تجميد اطروحة زعامة الإمام علي عليه السلام وإسناد السلطة الى غيره حسب القرار الذي أنتجه «اجتماع السقيفة» .

ممثلو هذا الاتجاه :

وقد مثّل هذا الاتجاه الاجتهادي الذي قدّر له أن يحكم ويتسلم زعامة السلطة ، ويمتد في داخل الأمة عدد من الصحابة الكبار منهم :

١ ـ أبو بكر .

٢ ـ عمر بن الخطاب .

٣ ـ عثمان بن عفان .

٤ ـ أبو عبيدة بن الجراح .

وللتعرف على المزيد من الإيضاحات حول :

ـ هذين الاتجاهين : التعبدي والاجتهادي .

ـ أو هاتين المدرستين : مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء .

ـ أو هاتين الاطروحتين : الإمامة والسقيفة . .

تقرأ الكتب التالية :

١ ـ بحث حول الولاية للشهيد الصدر .

٢ ـ معالم المدرستين للسيد العسكري .

٣ ـ السقيفة للشيخ المظفر .

التشيع تجسيد لمبدأ الإمامة :

من خلال الفهم الذي طرحناه حول مسألة الإمامة ، ومن خلال تحديد الإتجاه الذي تعاطى مع هذا الفهم يمكن أن نقول :

١ ـ إنّ التشيع تجسيد لمبدأ الإمامة .

٢ ـ وإنّ التشيع نتاج طبيعي لحركة الدعوة .

٣ ـ وإنّ التشيع ولادة شرعية أنجبتها أحشاء الرسالة .

٤ ـ وإنّ التشيع تعبير أصيل لواقعية التجربة الإسلامية بما تحمله من طموحات كبيرة في استمرارية النمو الثوري والحركة التغييرية . .

يقول المفكر الإسلامي الكبير الشهيد الصدر :

«وهكذا وجد التشيع في إطار الدعوة الإسلامية متمثلاً في الاطروحة النبوية التي وضعها النبي صلى الله عليه وآله بأمر من الله للحفاظ على مستقبل الدعوة .

وهكذا وجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسرح الأحداث بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة وحاجاتها وظروفها الأصيلة التي كانت تفرض على الإسلام أن يلد التشيع .

وبمعنى آخر : كانت تفرض على القائد الأول للتجربة أن يعد للتجربة قائدها الثاني ، الذي تواصل على يده ويد خلفائه نموها الثوري ، وتقترب نحو اكتمال هدفها التغييري في اجتثاث كل رواسب الماضي الجاهلي وجذوره ، وبناء أمة جديرة على مستوى متطلبات الدعوة ومسؤولياتها[1] .

وهكذا ولدت الحالة الشيعية كجزء أصيل في مسيرة الرسالة ، وكضرورة تحتمها حركة الدعوة .

---

(١) الشهيد الصدر : بحث حول الولاية ص٦٩ ، ٧٠ .

وإنَّ إلغاء هذه الحالة في جسم الرسالة ، وفي كيان الدعوة يعني عملية بتر وتشويه للبُنية المتناسقة في هذا الجسم ، وعملية إستئصال لأجزاء حية أساسية في هذا الكيان ، ومحاولة خطيرة لتغيير المسار الطبيعي لحركة الإسلام ، وتعطيل واضح لدور القيادة في مسيرة الأمة .

ونحن في فهمنا هذا للحالة الشيعية لا نصدر عن إنفعالات مأسورة لتأثيرات إنتمائية أو لضغوطات شعورية ولا شعورية وإنما هي القناعات الفكرية التي أنتجتها الرؤية المتأملة في الأدلة ، وصاغتها حالة التعاطي الموضوعي مع النصوص .

أو بحسب تعبير الإمام شرف الدين في «مراجعاته» حيث قال :

«إنَّ تعبدنا في الأصول بغير المذهب الأشعري وفي الفروع بغير المذاهب الأربعة ، لم يكن لتحزُّب أو لتعصُّب ولا لريب في اجتهاد أئمة تلك المذاهب ولا لعدم عدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم ، وجلالتهم علماً وعملاً ، لكن الأدلة الشرعية أخذت بأعناقنا إلى الأخذ بمذهب الأئمة من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي والتنزيل ، فانقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده ، وأصول الفقه وقواعده ، ومعارف السنّة والكتاب ، وعلوم الأخلاق والسلوك والآداب ، نزولاً على حكم الأدلة والبراهين ، وتعبداً بسنّة سيد النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين .

ولو سمحت لنا الأدلة بمخالفة الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله ، أو تمكنا من تحصيل نية القربة لله سبحانه في مقام العمل على مذهب غيرهم لقصصنا أثر الجمهور وقفونا أثرهم ، تأكيداً لعقد الولاء ، وتوثيقاً لعرى الإخاء ، لكنها الأدلة القطعية تقطع على المؤمن وجهته وتحول بينه وبين ما يروم»[1] .

---

(١) شرف الدين : المراجعات ص٦٠ ، ٦١ مراجعة ٤ .

المرحلة الثالثة

مرحلة الوضوح والإمتداد

كانت البدايات الأولى لهذه المرحلة في عصر الإمام الباقر عليه السلام (الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام : ٥٧ ـ ١١٤هـ) حيث توافرت الظروف الموضوعية الملائمة لطرح الأفكار التفصيلية التي تبنتها مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

وتنامت هذه الحركة التفصيلية في طرح الأفكار والمفاهيم وإبراز المعالم الواضحة لمدرسة الأئمة(ع) في أيام الإمام الصادق عليه السلام (الإمام السادس من أئمة أهل البيت : ٨٣ ـ ١٤٨هـ) .

اهم اهداف هذه المرحلة :

توافرت المرحلة الثالثة على مجموعة أهداف ، حاول الأئمة(ع) من خلالها أن يعطوا لهذه المرحلة طابعها المتميز بالوضوح والامتداد مما أنتج حالة نشطة في الحركة الانتمائية إلى خط أهل البيت عليهم السلام بما يحمله هذا الخط من خصائص تجسّد المضمون الأصيل للرسالة .

وقد اعتمد الأئمة عليهم السلام في هذه المرحلة مسارين متوازيين :

المسار الأول :

تأكيد الحالة الإسلامية العامة :

ويتجسد هذا المسار في الحفاظ على الهوية الإسلامية بكل عناصرها العامة ، وتحصين الأمة في مواجهة أساليب التحريف والتمييع ، وتأصيل المضامين التوحيدية في حركة المجتمع . .

المسار الثاني :

تأكيد الحالة الانتمائية الخاصة :

ويتجسّد هذا المسار في التوجه لبناء الكتلة الخاصة المنتمية إلى مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

ومن خلال هذا المسار أعطى الأئمة عليهم السلام للحالة الشيعية خصائصها المتميزة فكرياً وروحياً وسياسياً . .

ولا يشكل هذا المنحى حالة تناقضية مع المنحى الأول ، ولا يمثل تكريساً للصيغة التجزيئية في حركة الأمة ، فالأئمة(ع) وهم يمارسون بناء «الكتلة الخاصة» أكّدوا على حقيقتين هامتين :

الأولى : التأكيد على الصبغة الإسلامية الأصيلة في كل ما يطرحون من أفكار ومفاهيم وتصورات ، وهذا يعطي «للجماعة الخاصة» إنتماءها المشدود إلى القرآن والسنة وإلى كل المرتكزات المشتركة في حركة الأمة .

الثانية : التأكيد على حالة التواصل والإنفتاح ، والحضور الدائم في داخل الأمة . . وهذا يجنّب «الجماعة المنتمية» النزعة الإنعزالية الانزوائية ، ويوفّر أجواء مفتوحة أمام الرؤى والتصورات الأصيلة التي يريد الأئمة(ع) إيصالها إلى ذهنية الأمة .

وفي ضوء المسار الثاني المتمثل في بناء «الكتلة الصالحة» يمكن أن نحدّد آهم أهداف المرحلة الثالثة ضمن النقاط التالية :

١ ـ إيضاح المعالم التفصيلية .

٢ ـ إعداد الكوادر المؤهلة لحمل مسؤوليات هذه المرحلة .

٣ ـ توسيع القاعدة المنتمية إلى خط الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

ونحاول أن نتناول هذه الأهداف بشيء من التفصيل . .

الهدف الأول :

إيضاح المعالم التفصيلية :

إذا كان التشيع في المرحلة الاولى يمثل حالة نظرية ، وفي المرحلة الثانية يمثل حالة تطبيقية لم تتوافر لها الظروف الموضوعية للوضوح والتجلي ، فإنّه في المرحلة الثالثة يمثل الحالة التطبيقية الواضحة في معالمها وأفكارها وأهدافها .

ولإبراز هذا الجانب نتناول مسألتين :

الأولى : مسألة الإمامة . .

الثانية : مسألة الفقه والحديث .

المسألة الأولى :

مسألة الإمامة :

هذه المسألة كانت تملك وضوحاً منذ تمّ وضع (اطروحة الإمامة) في داخل البنية الإسلامية على يد الرسول صلى الله عليه وآله . . .
إلّا أنّ الصيغة السياسية البديلة التي قدّر لها أن تحكم زعامة الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ، قد جمّدت «اطروحة الإمامة» المتمثلة في زعامة الأئمة من أهل البيت(ع) .

ومن خلال هذا التجميد والإلغاء ، اختفت الكثير من معالم هذه الأطروحة ، وبعثرت الأوراق الإثباتية التي كانت تملكها . .
وقد تصدى أئمة أهل البيت(ع) وأتباعهم للدفاع عن هذه الأطروحة والحفاظ على مستنداتها الشرعية ووثائقها التاريخية . .
ويمثل موقف التصدي والدفاع عن مسألة الإمامة دوراً مشتركاً مارسه الأئمة من أهل البيت(ع) وأتباعهم في كل المراحل التاريخية .
فمنذ اليوم الأول لتجميد أطروحة الإمامة عقب «قرار السقيفة» برزت مواقف التصدي والدفاع ، وسوف نتناول هذا الجانب ـ إن شاء الله ـ في موقع آخر من هذا الكتاب . .
ولعل موقف الزهراء بنت رسول الله (ص) ، يمثل أبرز وأجرأ المواقف المتصدية لقرار السقيفة[1] .

المرحلة الثالثة ومسألة الإمامة :

من خلال ما توافرت عليه هذه المرحلة من إمكانات ملائمة لطرح مفاهيم مدرسة أهل البيت(ع) ، فقد حظيت مسألة الإمامة باهتمام كبير من قبل الأئمة(ع) وأتباعهم .
والشواهد على هذا الاهتمام كثيرة نذكر منها :

---

(١) تقرأ خطبة الزهراء(ع) في :
أ ـ بلاغات النساء لابن أبي طيفور ١٢ ـ ٢٠ .
ب ـ شرح نهج البلاغة لابن الحديد ج٤/٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧ .
ج ـ أعلام النساء لعمر كحالة ج٣/١٢٠٨ ، ١٢١٩ .
(راجع : حسين الراضي : سبيل النجاة ص٢٨١) .

١ ـ الأحاديث المكثفة الصادرة عن أئمة أهل البيت(ع) حول مسألة الإمامة .
٢ ـ الاحتجاجات العقائدية والمناظرات الكلامية التي مارستها الكوادر المنتمية إلى مدرسة أهل البيت(ع) .
٣ ـ الكتابات حول مسألة الإمامة .

(١) الأحاديث المكثفة حول مسألة الإمامة :

فقد أكد أئمة هذه المرحلة في أحاديثهم وكلماتهم على قضية الإمامة ، للحفاظ على منطلقاتها الأصيلة في مسار الرسالة وحركة الدعوة والتصدي لمحاولات المصادرة التي ألغت خط الإمامة في واقع السلطة وفي واقع الأمة . .

ونضع بين يدي القارىء نماذج محدودة كعينات من النصوص الصادرة عن الأئمة عليهم السلام في هذه المرحلة :
١ ـ أحاديث صادرة عن الإمام الباقر عليه السلام .
٢ ـ أحاديث صادرة عن الإمام الصادق عليه السلام .

أحاديث صادرة عن الإمام الباقر عليه السلام :

١ ـ قال عليه السلام :
«إنّ الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كعدد نقباء بني إسرائيل ، وكانوا إثني عشر ، الفائز من والاهم ، والهالك من عاداهم»[١] .

٢ ـ وقال عليه السلام :
«نحن إثنا عشر إماماً ، منهم حسن وحسين ، ثمّ الأئمة من ولد الحسين عليه السلام»[٢] .

٣ ـ وقال عليه السلام :
«الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إثنا عشر ، الثاني عشر هو القائم عليه السلام»[٣] .

---

(١) الشيخ عبد الله البحراني : العوالم ج١٥/٣ ص٢٦٢ نقلاً عن «كفاية الأثر» ص٢٤٤ .
(٢) العوالم ج١٥/٣ ص٢٦٥ نقلاً عن «عيون أخبار الرضا» ج١/٥٦ ح٢١ .
(٣) العوالم ج١٥/٣ ص٢٦٣ نقلاً عن «كفاية الأثر» للخزاز القمي ص٢٤٨ .

٤ ـ وقال عليه السلام :

«تكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي تاسعهم قائمهم»[١] .

٥ ـ وقال عليه السلام :

«إنَّ الله عز وجل أرسل محمداً صلى الله عليه وآله إلى الجن والإنس وجعل من بعده إثني عشر وصياً»[٢] .

ملاحظة :

في القسم الثاني من هذا الكتاب (الفصل الأول : المطلب الثاني) سوف نتناول ـ إن شاء الله ـ النصوص الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والتي أكدت على عدد الأئمة الإثني عشر .

أحاديث صادرة عن الإمام الصادق عليه السلام :

١ ـ قال عليه السلام :

«الأئمة إثنا عشر . . . . .»[٣] .

٢ ـ وقال عليه السلام :

«نحن إثنا عشر مهدياً»[٤] .

٣ ـ عن عبد الله بن أبي الهذيل سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الإمامة في من تجب ؟ وما علامة من تجب له الإمامة ؟

فقال عليه السلام :

«إنَّ الدليل على ذلك ، والحجة على المؤمنين ، والقائم بأمور المسلمين والناطق بالقرآن ، والعالم بالأحكام ، أخو نبي الله صلى الله عليه وآله ، وخليفته على أمته ، ووصيه عليهم ، ووليه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، المفروض الطاعة بقول الله عز وجل :

﴿يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ الموصوف بقوله عز وجل :

---

(١) العوالم ج١٥/٢ ص٢٦٤ نقلاً عن «الخصال» للصدوق ص٤١٩ .

(٢) العوالم ج١٥/٣ ص٢٦٤ نقلاً عن «الخصال» ص٤٧٨ .

(٣) العوالم ج١٥/٣ ص٢٦٩ نقلاً عن «كفاية الأثر» ص٢٦٢ .

(٤) العوالم ج١٥/٣ ص٢٧٢ .

﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ المدعو اليه بالولاية ، المثبت له الإمامة يوم غدير خم بقول الرسول صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل :

(ألست أولى بكم منكم بأنفسكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأعن من أعانه) .

ذلك علي بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وأفضل الوصيين ، وخير الخلق أجمعين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم الحسنان سبطا رسول الله ، وإبنا خيرة النسوان ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم ابن الحسن عليه السلام . .

وهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله ، المعروفون بالوصية والإمامة ، لا تخلو الأرض من حجة ، والحجة على أهل الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وكل من خالفهم ضال مضل تارك للحق والهدى ، وهم المعبرون عن القرآن ، والناطقون عن الرسول صلى الله عليه وآله بالبيان ، وأنّ من مات ولا يعرفهم مات ميتة جاهلية ، ودينهم الورع والعفة والصدق ، والصلاح والاجتهاد. . .»[1] .

ملاحظة :

في الفصل الثالث من هذا القسم تناولٌ مفصّل لنصوص الإمامة من كتاب الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله . . .

(٢) الاحتجاجات العقائدية والمناظرات الكلامية :

في الفترة التي عاصرت هذه المرحلة من مراحل التشيع نشطت الحركة الكلامية بما زخرت به من حوارات ومناظرات عقائدية ومذهبية ، أعطت للخلاف بين الفرق والمذاهب طابعاً جديداً طغت عليه الصنعة الجدلية والعقلية .

وقد خاضت الكوادر التي أنتجتها مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذه المرحلة معركة الحوارات والمناظرات بما تملكه من مؤهلات علمية متميزة صاغتها الرعاية الخاصة التي مارسها الأئمة عليهم السلام في إعداد هذه الكوادر .

---

(١) العوالم ج١٥/٣ ص٢٧٠ ـ ٢٧١ نقلاً عن «كمال الدين» و«عيون أخبار الرضا» للصدوق .

ونطرح مثالاً واحداً من تلك المناظرات لواحد من كوادر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهو «هشام بن الحكم» . .

هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة المتميزين بقوة البديهة والحجة ، كان مناظراً حاذقاً ، ومحاوراً جريئاً ، ومدافعاً صلباً عن عقيدة الإمامة .

قال ابن النديم في الفهرست :

«هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة ، ممن فتق الكلام في الإمامة ، وهذب المذهب والنظر ، وكان حاذقاً بصناعة الكلام ، حاضر الجواب»[1] .

وقال الزركلي :

«هشام بن الحكم فقيه ، متكلم ، مناظر من أكابر الإمامية ، ولد بالكوفة . . .»[2] .

وقال الدكتور أحمد أمين :

«أمّا هشام بن الحكم فيظهر أنّه أكبر شخصية شيعية في علم الكلام ، وكان من تلاميذ جعفر الصادق(ع) وكان جدلاً قوي الحجة ، ناظر المعتزلة وناظروه ، ونقلت في كتب الأدب له مناظرات كثيرة تدل على حضور بديهته وقوة حجته»[3] .

وقد وردت في حق هشام بن الحكم روايات مدح وثناء من قبل الأئمة عليهم السلام :

قال الإمام الصادق عليه السلام :

«يا هشام لا زلت مؤيداً بروح القدس»[4] .

وقال عليه السلام :

«هذا ناصرنا بقلبه ولسانه»[5] .

وقال الإمام الرضا عليه السلام عنه :

«رحمه الله كان عبداً ناصحاً . .»[6] .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص٢٢٣ .

(٢) أسد حيدر : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة . المجلد ٢/٨٠ . نقلاً عن «الاعلام» للزركلي ج١١٢٣/٣ .

(٣) المصدر نفسه المجلد ٢/٨٠ .

(٤) (٥) (٦) المصدر نفسه ، المجلد الثاني ص٩٩ .

المناظرة بين هشام بن الحكم وزعيم المعتزلة :

يحدّثنا هشام بن الحكم عن المناظرة الكلامية التي دارت بينه وبين عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة . .

يقول هشام :

بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة ، وعظم ذلك عليّ ، فخرجت اليه ودخلت البصرة يوم الجمعة ، وأتيت مسجد البصرة ، فإذا أنا بحلقة كبيرة ، وإذا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء مؤتزر بها من صوف ، وشملة مرتدي بها ، والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت : أيّها العالم أنا رجل غريب أتأذن لي فأسألك عن مسألة ؟

قال : سل .

قلت : ألك عين ؟

قال : يا بني أي شيء هذا السؤال ؟

فقلت : هذه مسألتي .

قال : سل وإن كانت مسألتك حمقى .

قلت : أجبني فيها .

فقال لي : سل .

فقلت : ألك عين ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أرى بها الألوان والأشخاص .

قلت : ألك أنف ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أشم به الرائحة .

قلت : ألك لسان ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أتكلم به .

قلت : ألك أذن ؟
قال : نعم .
قلت : فما تصنع بها ؟
قال : أسمع بها الأصوات .
قلت : ألك يدان ؟
قال : نعم .
قلت : فما تصنع بهما ؟
قال : أبطش بهما ، وأعرف بهما اللين من الخشن .
قلت : ألك رجلان ؟
قال : نعم .
قلت : فما تصنع بهما ؟
قال : انتقل بهما من مكان الى مكان .
قلت : ألك فم ؟
قال : نعم .
قلت : فما تصنع به ؟
قال : أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها .
قلت : ألك قلب ؟
قال : نعم .
قلت : فما تصنع به ؟
قال : أميِّز به كل ما ورد على هذه الجوارح .
قلت : أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟
قال : لا .
قلت : وكيف ذاك وهي صحيحة سليمة ؟
قال : يا بني إنَّ الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته ردته الى القلب ، فيتيقن بها اليقين وأبطل الشك .
قلت : فإنَّما أقام الله القلب لشك الجوارح ؟
قال : نعم .
قلت : لا بد من القلب وإلَّا لم تستيقن الجوارح ؟
قال : نعم .
قلت : يا أبا مروان إنَّ الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح وينفي ما شكت فيه ، ويترك هذا الخلق كله في حيرتهم وشكهم

واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك . .
قال : فسكت ولم يقل شيئاً»[1] .

(٣) الكتابات حول مسالة الإمامة :

وتمثل هذه الظاهرة إحدى الدلالات التي عبرت عن اهتمام المرحلة الثالثة بمسألة الإمامة ، ففي هذه المرحلة تحركت مجموعة فعاليات فكرية وثقافية للدفاع عن قضية الإمامة والحفاظ على نصوصها وأدلتها .

وقد أنتجت المرحلة عدة مؤلفات تناولت مسألة الإمامة ، ومن أمثلتها :

١ ـ كتاب «الإمامة»
المؤلف : أبو جعفر محمد بن علي الكوفي الملقب (بمؤمن الطاق) وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام .

٢ ـ كتاب «الإمامة»
المؤلف : الخليل بن أحمد النحوي العروضي (ت١٦٠ أو ١٧٠هـ) وهو من أصحاب الإمام الصادق(ع) .

٣ ـ كتاب «الإمامة»
المؤلف : هشام بن الحكم الكوفي (ت١٧٩هـ) وهو من أصحاب الإمام الصادق(ع) .

٤ ـ كتاب «الإمامة»
المؤلف : أبو جعفر السكاك (تلميذ هشام بن الحكم) .

٥ ـ كتاب «الإمامة»
المؤلف : أبو جعفر أحمد بن الحسين الصيقل الكوفي من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام .

٦ ـ كتاب «الإمامة»
المؤلف : عبد الله بن مسكان وهو من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام .

٧ ـ كتاب «الإمامة»
المؤلف : أبو يوسف يعقوب بن نعيم الكاتب وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام . .

---

(١) الطبرسي : الاحتجاج ج٢/١٢٥ ـ ١٢٨ .

المسألة الثانية :

الفقه والحديث :

توافرت المرحلة الثالثة على مجموعة عوامل ساهمت في انتشار علوم آل محمد صلى الله عليه وآله ، ومن هذه العوامل .

١ ـ التزامن مع المرحلة التاريخية التي شهدت نهايات الدولة الأموية وبدايات الدولة العباسية ، وتمتد هذه الفترة التاريخية من سنة (٩٥هـ) حتى سنة (١٧٠هـ) ، وقد عاصر هذه الفترة ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام :

أ ـ الإمام الباقر عليه السلام (٥٧ ـ ١١٤هـ) .
ب ـ الإمام الصادق عليه السلام (٨٣ ـ ١٤٨هـ) .
ج ـ الإمام الكاظم عليه السلام (١٢٨ ـ ١٨٣هـ) .

٢ ـ نمو الحركة العلمية بما أفرزته من انفتاحات فكرية على آفاق مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعلوم الأئمة(ع) .

٣ ـ حركة التأليف والكتابة :
وقد ساهمت الحركة الكتابية في الاحتفاظ بنتاجات مدرسة أهل البيت في شتى المجالات العقائدية والفكرية والفقهية والعلمية . .

علامات بارزة :

ومن الشواهد التي تؤكد حالة التميز لهذه المرحلة في مجالات الفقه والحديث :

(١) عدد الرواة :

قال الشيخ المفيد وهو يتحدث عن الإمام الصادق عليه السلام : «فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه عليه السلام من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل»[1] .

---

(١)المفيد : الارشاد ص٢٧١ .

وقال ابن شهراشوب :

«نقل عن الصادق عليه السلام من العلوم ما لم ينقل عن أحد وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات وكانوا أربعة آلاف رجل»[1] .

وقال الحسن الوشاء :

«أدركت في هذا المسجد [مسجد الكوفة] تسعمائة شيخ كل يقول : «حدثني جعفر بن محمد»[2] .

وقال الطبرسي في أعلام الورى :

«قد تضافر النقل بأنّ الذين رووا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان»[3] .

ونصّ الشيخ شمس الدين محمد بن مكي الشهيد في أول الذكرى أنّه كتب من أجوبة مسائل أبي عبد الله الصادق عليه السلام أربعة آلاف رجل من أهل العراق والحجاز وخراسان والشام[4] .

وقال المحقق الحلي في المعتبر :

«روى عن الصادق صلوات الله عليه ما يقرب أربعة آلاف رجل»[5] .

(٢) كبار ائمة الحديث والفقه من رواد مدرسة الإمام الصادق(ع) :

ومن العلامات البارزة في هذه المرحلة ، وجود عدد من كبار أئمة الحديث والفقه المنتمين إلى مختلف الفرق والمذاهب ضمن تلامذة الإمام الصادق عليه السلام ، ومن هؤلاء :

١ ـ أبو حنيفة ـ إمام المذهب الحنفي (٨٠ ـ ١٥٠هـ) :

انقطع إلى مجلس الإمام الصادق عليه السلام طوال عامين قضاهما بالمدينة ، وفيهما يقول : «لولا السنتان لهلك النعمان»[6] .

---

(١) الخوئي : معجم رجال الحديث ج١/٥٧ نقلاً عن «المناقب» ج٢/٣٢٤ .

(٢) الميلاني : قادتنا ج٦/٢٥٤ نقلاً عن «تنقيح المقال» ج١/٢٩٤ .

(٣) الصدر : الشيعة وفنون الإسلام ص٥١ .

(٤) الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص٢٨٧ .

(٥) المصدر نفسه ص٢٨٧ .

(٦) الجندي : الإمام جعفر الصادق ص١٦٢ .

قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول» وهو يتحدث عن الإمام الصادق عليه السلام :

«واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم مثل : مالك بن أنس ، وأبو حنيفة»[1] .

وقال ابن حجر المكي في الصواعق المحرقة وهو يتحدث عن الإمام الصادق عليه السلام :

«وروى عنه الأئمة الكبار كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفياني وأبي حنيفة وشعبة . . . .»[2] .

وجاء في هوامش الصواعق :

«وله [الإمام الصادق] منزلة رفيعة في العلم ، أخذ عنه جماعة ، منهم الإمام أبو حنيفة ومالك ، ولقب بالصادق لأنّه لم يعرف عنه الكذب قط ، كان جريئاً صداعاً بالحق»[3] .

٢ ـ مالك بن أنس ـ إمام المذهب المالكي (٩٣ ـ ١٧٩هـ)

وكان من روّاد مجلس الإمام الصادق عليه السلام وممن نهلوا من علومه ، واستفادوا من دروسه ، كما صرح بذلك ابن طلحة الشافعي في كتابه (مطالب السؤول) ، وابن حجر في كتابه (الصواعق المحرقة) ، وأكد ذلك الكثير من الباحثين والدارسين والعلماء والكتّاب»[4] .

ملاحظة :

الشافعي يعدُّ من تلامذة مالك بن أنس ، كما أنّ أحمد بن حنبل (إمام المذهب الحنبلي) يعدُّ من تلامذة الإمام الشافعي ، وبناء على ذلك فإنّ الإمام الصادق عليه السلام يعتبر أستاذ الأئمة الأربعة .

٣ ـ سفيان الثوري (٩٥ ـ ١٦١هـ)

وهو أحد الأعلام الكبار ومن رؤساء المذاهب الفقهية التي لم يكتب لها الانتشار ، وقد حضر مجلس الإمام الصادق واستفاد من علومه وروى حديثه كما صرح بذلك ابن حجر وغيره .

---

(١) الميلاني : قادتنا ج٦/٢٨٩ نقلاً عن مطالب السؤول ص٢١٨ .

(٢) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص٣٠٥ .

(٣) الصواعق المحرقة (الهامش) ص٣٠٥ .

(٤) يقرأ : أسد حيدر : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٢/٤١٨ . الجندي : الإمام جعفر الصادق ص١٥٩ .

وقال أسد حيدر :

«سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي المتوفي سنة ١٦١هـ ، أحد الأعلام ومن رجال الصحاح الستة ، ورؤساء المذاهب البائدة ، كان كثير التردد على الإمام الصادق ، وله أخبار كثيرة يرويها عنه ابن داود والحلبي والكشي»[1] .

(٣) الأصول المعتمدة في الحديث :

وفي هذه المرحلة دونت «الأصول الأربعمائة» التي ضمت الأحاديث الصادرة عن الإمام الصادق عليه السلام في شتى المجالات العقائدية والفقهية ومختلف العلوم الإسلامية .

فكان أصحابه عليه السلام وتلامذته إذا سمعوا منه حديثاً بادروا الى إثباته وتدوينه وكتابته ، وبذلك استطاعوا أن يحتفظوا بجميع ما صدر عن الإمام عليه السلام من أحاديث ومسائل في عدة مصنفات سميت «بالأصول الأربعمائة» .

قال الشيخ الطبرسي في (أعلام الورى) :

«وصنف من جواباته [الإمام الصادق] في المسائل أربعمائة كتاب ، تسمى الأصول رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى الكاظم عليه السلام»[2] .

وقال المحقق الحلي في (المعتبر) :

«كتبت من أجوبة مسائل جعفر بن محمد أربع مئة مصنف لأربع مئة مصنف سموها أصولاً»[3] .

وقال الشهيد في (الذكرى) :

«إنّه كتبت من أجوبة الإمام الصادق عليه السلام أربع مئة مصنف لأربع مئة مصنف»[4] .

وقال الشيخ حسين بن عبد الصمد في (الدراية) :

«قد كتبت من أجوبة مسائل الإمام الصادق عليه السلام فقط أربع مئة مصنف لأربع مئة مصنف تسمى الأصول في أنواع العلوم»[5] .

وقال المحقق الداماد في (رواشحه) :

---

(١) أسد حيدر : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة . المجلد الأول ، ج٢/٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٢) (٣) (٤) اقابزرك الطهراني : الذريعة ج٢/١٢٩ .

(٥) الذريعة ج٢/١٢٩ .

«المشهور أنَّ الأصول أربع مئة مصنف لا ربع مئة مصنف من رجال أبي عبد الله الصادق عليه السلام»(١) .

وقال الشهيد الثاني في (شرح الدراية) :

«استقر أمر المتقدمين على أربع مئة مصنف لأربع مئة مصنف سموها أصولاً فكان عليها اعتمادهم»(٢) .

موسوعات الحديث عند الشيعة :

وقد اعتمدت «الأصول الأربعمائة» في انجاز «موسوعات الحديث» الأولى عند الشيعة وهي :

(١) الكافي

المؤلف : ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفي سنة ٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ .

عدد أحاديث الكتاب : (١٦٠٩٩ حديثاً)

(٢) «من لا يحضره الفقيه»

المؤلف : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ«الصدوق» المتوفي سنة ٣٨١هـ

عدد أحاديث الكتاب : (٩٠٤٤ حديثاً) .

(٣) «التهذيب»

المؤلف : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بـ«شيخ الطائفة» المتوفي سنة ٤٦٠هـ

عدد أحاديث الكتاب : (١٣٥٩٠ حديثاً) .

(٤) «الاستبصار»

المؤلف : شيخ الطائفة الطوسي

عدد أحاديث الكتاب : (٥٥١١ حديثاً)

وبعد الكتب الأربعة صدرت عدة موسوعات كبيرة للحديث عند الشيعة منها :

(٥) بحار الأنوار

المؤلف : العلامة المجلسي

المتوفي سنة ١١١١هـ

---

(١) (٢) الذريعة ج ٢/١٢٩ ، ١٣٠ .

(٦) الوافي
المؤلف : الفيض الكاشاني
المتوفي سنة ١٠٩١هـ

(٧) وسائل الشيعة
المؤلف : الحر العاملي
المتوفي سنة ١١٠٤ هـ
عدد أجزاء الكتاب : (٢٠ جزءاً)

(٨) مستدرك الوسائل
المؤلف : العلامة النوري
المتوفي سنة ١٣٢٠ هـ

(٩) العوالم
المؤلف : الشيخ عبد الله بن نور الدين البحراني (من معاصري العلامة المجلسي) .

(١٠) جامع الأحكام
المؤلف : السيد عبد الله شبر
المتوفي سنة ١٢٤٢ هـ

(١١) جامع أحاديث الشيعة
باشراف السيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٠ هـ) .

الهدف الثاني :

إعداد الكوادر المؤهلة لحمل مسؤوليات المرحلة :

ونظراً لاتساع مسؤوليات هذه المرحلة فقد اتجه الأئمة عليهم السّلام إلى بناء وإعداد كوادر بمستوى مسؤوليات وأهداف المرحلة .

ونحاول أن نستعرض نماذج لنمطين من كوادر هذه المرحلة .
(١) كوادر الحديث والفقه .
(٢) كوادر المناظرة وعلم الكلام .

(١)كوادر الحديث والفقه :

١ ـ أبان بن تغلب (ت ١٤١ هـ) .
٢ ـ أبان بن عثمان (ت ٢٠٠ هـ) .
٣ ـ أبو بصير الأسدي (ت ١٥٠ هـ) .
٤ ـ أبو حمزة الثمالي (ت ١٥٠ هـ) .
٥ ـ بريد العجلي (ت ١٥٠ هـ) .
٦ ـ بكير بن أعين (توفي في حياة الإمام الصادق (ع)) .
٧ ـ جابر بن يزيد الجعفي (ت ١٢٨ هـ) .
٨ ـ جميل بن دراج (ت في أيام الرضا (ع)) .
٩ ـ حماد بن عثمان الكوفي (ت ١٩٠ هـ) .
١٠ ـ حماد بن عيسى الكوفي (ت ٢٠٩ هـ) .
١١ ـ زرارة بن أعين (ت ١٥٠ هـ) .
١٢ ـ عبد الله بن مسكان (ت في أيام الإمام الكاظم (ع)) .
١٣ ـ الفضيل بن يسار (ت في أيام الإمام الصادق (ع)) .
١٤ ـ محمد بن مسلم الثقفي (ت ١٥٠ هـ) .
١٥ ـ المعلى بن خنيس (ت في أيام الإمام الصادق (ع)) .
١٦ ـ معاوية بن عمار (ت ١٧٥ هـ) .

(٢) كوادر المناظرة والكلام :

١ ـ حمران بن أعين (من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (ع)) .
٢ ـ مؤمن الطاق محمد بن علي بن النعمان (من أصحاب الإمام الصادق) .
٣ ـ هشام بن الحكم الكندي (من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم) .
٤ ـ المفضل بن عمر الكوفي (من أصحاب الإمام الصادق) .
٥ ـ فضال بن الحسن الكوفي (من أصحاب الإمام الصادق) .
٦ ـ قيس بن الماصر (من أصحاب الإمام الصادق) .
٧ ـ السكاك محمد بن خليل البغدادي (تلميذ هشام بن الحكم) .
٨ ـ هشام بن سالم (من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم) .
٩ ـ أبو مالك الضحاك الحضرمي (أدرك الإمامين الصادق والكاظم) .
١٠ ـ يونس بن يعقوب (أدرك الأئمة : الصادق والكاظم والرضا) .

ملاحظة :

للإطلاع على تراجم هؤلاء الرجال يقرأ :

١ ـ رجال النجاشي .

٢ ـ رجال الطوسي .

٣ ـ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي .

الهدف الثالث :

الاتساع والإمتداد على مستوى الأمة :

ولكي نستوعب حجم النمو والإمتداد في داخل الكتلة المنتمية إلى خط الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام نحاول أن نتابع الحركة الإمتدادية للحالة الإنتمائية منذ البدايات الأولى للتكوّن :

(١) التكوّن :

في عصر الرسالة كانت النواة الاولى لتكوّن الحالة الولائية ، مجسّدة في نخبة من كبار الصحابة وهم : سلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار ، والمقداد .

(٢) التحدّي الأول :

كان التحدّي الأول للحالة الإنتمائية ، هو الصيغة السياسية البديلة التي مارست السّلطة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة ، وجمّدت أطروحة الإمامة .

وواجهت الحالة الإنتمائية الموقف بوعي وبصيرة ، فحافظت على رؤيتها وقناعاتها في زحمة تلك المتغيرات السياسية ، وتعاطت مع الصيغة الحاكمة ضمن الحدود التي تفرضها مصلحة الرسالة .

وفي ضوء هذا التعامل الواعي مع الصيغة الجديدة استطاعت الحالة الإنتمائية أن تحافظ على وجودها ، وأن تنفتح على أجواء الساحة بكل ما تحمله من رؤى سياسية تتنافى مع رؤيتها حول مفهوم القيادة .

(٣) الإنطلاقة الأولى :

وفي أيام الخلافة التي مارس فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، زعامة السلطة السّياسية توافرت أجواء موضوعية ملائمة أعطت لحالة الولاء والإنتماء بداية الإنطلاق والنمو والحركة .

(٤) الحفاظ على الذات :

ولّما جاء دور الإمام الحسن بن علي عليهما السلام ، كانت الاوضاع السّياسية في السّاحة الإسلامية تتحرك في إتجاه الضغط والمصادرة لحالة الإنتماء والولاء لأهل البيت (ع) من خلال العنف السياسي والحصار الاجتماعي وأساليب التصفية والإبادة .

فكان الموقف في ظل هذه الاوضاع المضادة أن يتحرك الإمام الحسن عليه السّلام لحماية «الكتلة الخاصة» للاحتفاظ بخط الأصالة في داخل الأمة ، وإعداد الحالة الإنتمائية لمرحلة تكون فيها أقدر على التصدي والمواجهة . . ولعل هذا أحد مبررا الصلح وأهدافه .

(٥) الحركية والثورية :

وتستمر حالة «الإنتماء» متجاوزة كل المعوقات الفكرية والسّياسية والإجتماعية .

وتأتي ثورة الإمام الحسين عليه السلام فتعطي «للحالة الولائية والإنتمائية» أقصى مستويات الفاعلية والحركية وتمنحها أعلى درجات الحرارة والثورية .

وقد أنتجت المتغيرات الفكرية والنفسية والسّياسية التي أفرزتها الثورة الحسينية في السّاحة الإسلامية أبعاداً جديدة وآفاقاً كبيرة دفعت بالحركة الإنتمائية إلى مواقع متقدمة ، وفتحت لها مسارات واسعة للنمو والإمتداد والترسّخ ، وأفرغت في داخلها روح الثورية والتحدي والصمود ، وعمّقت في وجدانها مضامين الجهاد وقيم الإستشهاد .

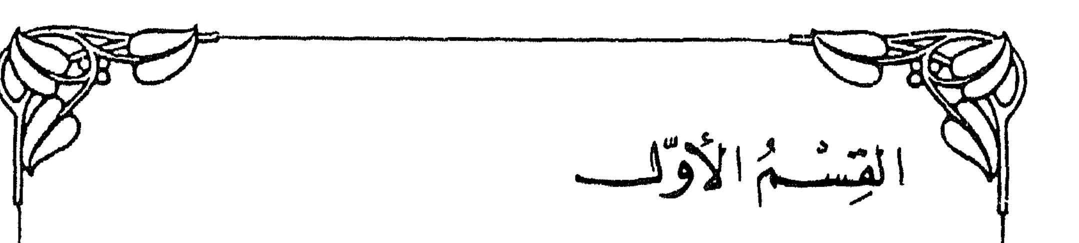
(٦) الإمتداد والإتساع :

ويواصل الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام عملية الصياغة والبناء «للحالة الإنتمائية» وترشيدها عقائدياً وفكرياً وروحياً وسياسياً واجتماعياً .

وفي عصر الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام تنامت الممارسات البنائية والترشيدية للحالة الإنتمائية نتيجة لتوافر ظروف موضوعية هيأت لتلك الممارسات أجواء فاعلة .

وفي ظل هذه الأجواء اتجهت المرحلة الثالثة الى تجذير حالة الإنتماء في عمق القاعدة الجماهيرية من خلال :

١ ـ التأصيل العقائدي والفكري والروحي في داخل «الكتلة المنتمية» .
٢ ـ البناء العملي المتميز لاعطاء «الجماعة المنتمية» هويتها الواضحة ، ومعالمها التفصيلية البارزة .
٣ ـ تحريك الحالة الإنتمائية لتمثل امتداداً واتساعاً ونمواً في داخل الأمة .



القِسمُ الأوّل

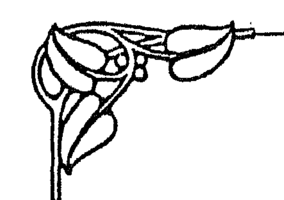
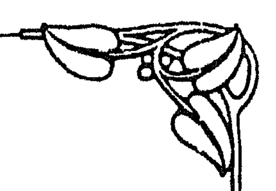
الفَصْلُ الثالِث

الإمامَة مِن خِلال النصوص والأحاديث

- المبحث الأول :
  منظومات النصوص والأحاديث
- المبحث الثاني :
  كيف عالجت مدرسة الخلفاء نصوص الإمامة



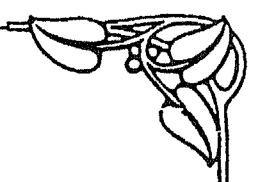


المبحث الأول
منظومات النصوص والأحاديث

- المنظومة الأولى :
  النصوص المباشرة
- المنظومة الثانية :
  الدلالة الإلتزامية
- المنظومة الثالثة :
  المؤشرات العامة



المنظومة الأولى

النصوص المباشرة

- المجموعة الأولى : نصوص الولاية
- المجموعة الثانية : نصوص الخلافة
- المجموعة الثالثة : نصوص الإمامة
- المجموعة الرابعة : نصوص الوصية
- المجموعة الخامسة : نصوص الوراثة

المجموعة الأولى

نصوص الولاية

النص الأول :

آية الولاية :

قوله تعالى في سورة (المائدة) الآية ٥٥ :

﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .

النزول :

أكدت أكثر كتب التفسير على نزول هذه الآية في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك عندما تصدق بخاتمه وهو راكع في صلاته .

١ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي :

«روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله (ص) يوماً صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم اشهد أنّي سألت في مسجد الرسول (ص) فما أعطاني أحد شيئاً ، وعلي عليه السلام كان راكعاً ، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي (ص) فقال : «اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال : ﴿رب اشرح لي صدري﴾ إلى قوله ﴿وأشركه في أمري﴾ فأنزلت قرآناً ناطقاً ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً﴾ اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري» .

قال أبو ذر : فوالله ما أتم رسول الله (ص) هذه الكمة حتى نزل جبريل فقال : يا محمد اقرأ ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ إلى آخرها»[1] .

٢ ـ الكشاف للزمخشري :

قال في تفسيره للآية من سورة المائدة :

«وإنها نزلت في علي كرّم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجاً في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته .

(فإن قلت) كيف صحَّ أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة ؟

(قلت) جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب به رجلًا واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها»[2] .

٣ ـ الدّر المنثور للسيوطي :

«وأخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال : تصدق علي عليه السلام بخاتمه وهو راكع فقال النبي (ص) للسائل من أعطاك هذا الخاتم ؟ قال : ذاك الراكع ، فأنزل الله ﴿إنّما وليكم الله ورسوله﴾ .

(قال) : وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿إنّما وليكم الله ورسوله﴾ الآية قال : نزلت في علي بن أبي طالب (ع) .

(قال) : وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل قال : تصدق علي (ع) بخاتمه وهو راكع فنزلت : ﴿إنّما وليكم الله ورسوله﴾[3] .

٤ ـ مجمع الزوائد للهيثمي :

«عن عمار بن ياسر قال : وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله (ص) فأعلمه بذلك فنزلت على رسول الله (ص) هذه الآية ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون

---

(١) تفسير الرازي ج ٢٦/١٢ .

(٢) تفسير الزمخشري ج ٣٤٧/١ .

(٣) السيوطي : الدر المنثور المجلد ١٠٤/٣ ـ ١٠٦ .

الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ فقرأها رسول الله (ص) ثم قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه ، رواه الطبراني في الأوسط»[1] .

مصادر اخرى :

١ ـ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج١/١٦١ .
٢ ـ تفسير الطبري «تفسير الآية المذكورة» .
٣ ـ تفسير القرطبي «الآية المذكورة» .
٤ ـ أسباب النزول للواحدي ص١١٣ .
٥ ـ تفسير ابن كثير «الآية المذكورة» .
٦ ـ تفسير النسفي «الآية المذكورة» .
٧ ـ أحكام القرآن للجصاص ج٤/١٠٢ .
٨ ـ جامع الأصول لابن الأثير ج٩/٤٧٨ .
٩ ـ تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنبلي ص ١٥ .
١٠ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : باب ٣٨ .
١١ ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٠٨ ، ١٢٣ .
١٢ ـ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ص ٣١[2] .

دلالة النص :

الإستدلال بهذا النص على الإمامة يعتمد على مقدمتين :
الأولى : إثبات نزول النص في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .
الثانية : إثبات أن لفظ «الولي» يحمل مدلول الإمامة .
وقد تكلفت مصادر التفسير والحديث بإثبات المقدمة الأولى ونحاول هنا تناول المقدمة الثانية من خلال النقاط التالية :

(١) النص أثبت الولاية لله عز وجل وللرسول صلى الله عليه وآله ولعلي بن أبي طالب عليه السلام بناء على ما أثبتته المقدمة.الأولى من أنّه عليه السلام هو المعني بقوله تعالى : ﴿الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ١٩/٧ ، ٢٠ .
(٢) راجع :
أ ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١٩/٢ .
ب ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص١٣٧ رقم (٥٣٣) .

(٢) الولي في اللغة يحمل عدة معاني :
- مالك الأمر والأولى بالتصرف .
- الناصر .
- المحب .
- الصديق .
- الحليف .
- الوارث .
- إلى آخر المعاني التي تدوّنها كتب اللغة .

(٣) المعنى المناسب لهذا النص هو المعنى الأول «مالك الأمر والأولى بالتصرف» أي من له صلاحية الولاية على أمور الناس والأولى بها منهم .

ودليلنا على ذلك :

أولاً : إنّ إعطاء «الولي» معنى آخر لا ينسجم مع دلالة الحصر الوارد في هذا النص ، فتصدير الآية بـ«إنما» وهي من أقوى أدوات الحصر يفيد بأن «الولاية» هنا من اختصاص الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وكل المعاني الأخرى لا تتلاءم مع هذه الصيغة الحصرية .

ثانياً : القرائن اللفظية والحالية التي تزامنت مع أجواء النص تؤكد المعنى الذي اخترناه في تفسير هذا النص .

لو رجعنا إلى ما أوردته كتب التفسير في أسباب نزول النص ، وقرأنا ذلك قراءة متأنية ، واستوعبنا مفردات النص وأجوائه الخاصة لاتضح لنا أنّ النص يتحدث عن ولاية «ذات صبغة قيادية» .

- دعاء رسول الله (ص) بما يحمله من دلالة واضحة على إعطاء علي عليه السلام موقعاً متميزاً على نسق الموقع الذي أعطي لهارون عليه السلام .

ثالثاً : لقد ثبت عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وهم حجتنا في فهم القرآن ونصوصه ، أنّهم عليهم السلام احتجوا بهذا النص في مقام إثبات الإمامة .

روى الحسين بن أبي العلاء قال : ذكرت لأبي عبد الله الصادق قولنا في الأوصياء أنّ طاعتهم مفترضة ؟

قال عليه السلام : «نعم هم الذين قال الله عز وجل : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ .

وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[1] .

وذكر القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) عن الحمويني أنَّ علياً عليه السلام قال لجماعة من المهاجرين والأنصار في مسجد الرسول (ص) في أيام خلافة عثمان بن عفان :

«أنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت : ﴿يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ .

وحيث نزلت :

﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .

وأمر الله عز وجل نبيه أن يعلمهم ولاة أمرهم وأن يفسر لهم من الولاية كما فسَّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجهم فنصبني للناس بغدير خم ، فقال : أيُّها الناس أتعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، فقال آخذاً بيدي : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من ولاه وعاد من عاداه . . .

فقام سلمان وقال : يا رسول الله ولاء علي ماذا ؟

قال : ولاؤه كولائي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه»[2] .

(٤) قد يقال إنَّ النص بصيغة الجمع فكيف أطلق على الإمام علي وهو مفرد .

والجواب : إنَّ هذا الاستعمال وارد في لغة العرب وفي القرآن شواهد على ذلك .

١ ـ قوله تعالى في سورة (آل عمران) الآية ١٧٣ :

﴿الذين قال لهم الناس إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ .

وقد أجمع المفسرون على أن القائل هو «نعيم بن مسعود الأشجعي» وحده ، فأطلق الله سبحانه عليه لفظ (الناس) وهو مفرد .

قوله تعالى في سورة المائدة /الآية ١١ :

﴿يا أيّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم﴾ .

---

(١) الكليني : الكافي (الأصول) ج ١٨٧/١ (كتاب الحجة) .

(٢) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة باب ٣٨ .

ذكر المفسرون أن الذي بسط يده إليهم رجل واحد من بني محارب يقاله له «غورث» وقيل هو «عمرو بن جحاش» من بني النضير[1].

٣ ـ في آية المباهلة الآية ٦١من سورة آل عمران) أطلق الله سبحانه لفظ «الأبناء» على الحسن والحسين (ع) ولفظ «النساء» على الزهراء فاطمة عليها السلام ، ولفظ «الأنفس» على علي بن أبي طالب عليه السلام كما أجمعت على ذلك كتب التفسير والأخبار.

النص الثاني :

حديث الغدير :

الصيغة الأولى :

برواية الصحابي البراء بن عازب :

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن البراء بن عازب قال : «كنا مع رسول الله (ص) في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله (ص) تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي رضي الله عنه فقال : **ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**

قالوا : بلى .

قال : **الستم تعلمون أنّي أولى بكل مؤمن من نفسه؟**

قالوا : بلى .

فأخذ بيد علي فقال : **من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه .**

قال : فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»[2] .

الصيغة الثانية :

برواية الصحابي زيد بن أرقم :

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن زيد بن أرقم قال :

«كنّا بالجحفة فخرج رسول الله (ص) إلينا ظهراً وهو آخذ بعضد علي رضي الله تعالى عنه فقال : **يا أيُّها الناس ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**

قالو : بلى .

---

(١) شرف الدين : المراجعات ص ٢٣٤ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٢٨١/٤ «حديث البراء بن عازب»

قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه»[1] .

وروى الحاكم في المستدرك عن زيد بن أرقم قال :

«لمّا رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال كأنّي قد دعيت فأجبت إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ثم قال : إنّ الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

(قال الحاكم بعد ذكر الحديث) : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[2] .

الصيغة الثالثة :

برواية الصحابي حذيفة بن أسيد الغفاري :

روى الطبراني عن حذيفة أنّه قال :

«لمّا صدر رسول الله (ص) من حجة الوداع نهى أصحابه عن سمرات [نوع من الشجر] متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهن ثم بعث اليهنّ فقم ما تحتهن من الشوك وعمد إليهنّ فصلى عندهنّ ثم قام فقال : يا أيُّها الناس إنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله ، وإنّي لأظن يوشك أن ادعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا : نشهد أنّك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً ، قال : أليس تشهدون أنّ لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ جنته حق وناره حق وأنّ الموت حق وأنّ البعث حق بعد الموت ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور .

قالوا : بلى نشهد بذلك .

قال : اللهم اشهد .

ثم قال : يا أيُّها الناس إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً رضي الله عنه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه . . »[3] .

الصيغة الرابعة :

برواية الصحابي سعد بن أبي وقاص :

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٣٦٨/٤ «حديث زيد بن أرقم» .

(٢) الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحن ج ١٠٩/٣ .

(٣) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ١٦٧/٩ .

روى النسائي الشافعي في (خصائص أمير المؤمنين) عن سعد بن أبي وقاص قال :
«كنّا مع رسول الله (ص) بطريق مكة وهو متوجه إليها فلما اجتمع الناس إليه ، قال :
أيُّها الناس : من وليكم؟
قالوا : الله ورسوله ـ ثلاثاً ـ .
ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال : **من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**»[1] .

الصيغة الخامسة :

روى الطبراني عن جرير قال :
«شهدنا الموسم في حجة الوداع مع رسول الله (ص) فبلغنا مكاناً يقال له غدير خم ، فنادى الصلاة جامعة فاجتمعنا المهاجرون والأنصار ، فقام رسول الله (ص) وسطنا فقال :
أيُّها الناس بم تشهدون؟ قالوا : نشهد أنْ لا إله إلاّ الله ، قال : **ثم ما** ، قالوا : أنّ محمداً عبده ورسوله ، قال : **فمن وليكم؟** .
قالوا : الله ورسوله مولانا . . .
ثم ضرب بيده إلى عضد علي رضي الله عنه فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال :
من يكن الله ورسوله مولاه فإنّ هذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيباً ، ومن أبغضه فكن له مبغضاً . .»[2] .

الصيغة السادسة :

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي الطفيل قال :
«جمع علي رضي الله تعالى عنه الناس في الرحبة ثم قال لهم :
انشد الله كل امريء مسلم سمع رسول الله (ص) يقول :
يوم غدير خم ما سمع لما قام . فقال ثلاثون من الناس وقال أبو نعيم فقام ناس كثير ، فشهدوا حين أخذ بيده ، فقال للناس : **أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**
قالوا : نعم يا رسول الله .
قال : **من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه .**
(قال) فخرجت وكأنّ في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إنّي سمعت علياً رضي الله تعالى عنه يقول كذا وكذا .
قال : فما تنكر قد سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك له»[3] .

---

(١) النسائي : خصائص أمير المؤمنين ص٩٨ حديث ٩٣ ج
(٢) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ١٠٩/٩ .
(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ٣٧٠/٤ «حديث زيد بن أرقم» .

الصيغة السابعة :

روى الطبراني عن حبشي بن جناده قال :

«سمعت رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم :
اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره وأعن من أعانه»[1] .

الصيغة الثامنة :

جاء في الصواعق المحرقة لابن حجر :

أنّ النبي (ص) قال يوم غدير خم :

«من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار» .

وقال ابن حجر حول حديث الغدير :

«إنّه حديث صحيح لامرية فيه ، وقد أخرجه جماعة كالترمذي ، والنسائي ، وأحمد وطرقه كثيرة جداً ، ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً ، وفي رواية لأحمد أنّه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته ، .... وكثيراً من اسانيدها صحاح وحسان ، ولا التفات لمن قدح في صحته ....»[2] .

الصيغة التاسعة :

الصيغة المطلقة :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«من كنت مولاه فعلي مولاه»

رواه الترمذي في صحيحه (ج ٥/ ٦٣٣ حديث ٣٧١٣) وقال عنه : «هذا حديث حسن صحيح»

ورواه ابن ماجه في سننه (ج ١/ ٤٥ حديث ١٢١)

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ١٠٩/٩ وقال عنه : «رواه الطبري ورجاله قد وثقوا» .
(٢) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٦٤ .

ورواه الحاكم في مستدركه (ج ٣/ ٣٧١)
وغيرهم كثيرون[١] .

طائفة من مصادر حديث الغدير

١ ـ مسند أحمد بن حنبل ج ٤/ ٣٦٨ ، ٣٧٠
٢ ـ صحيح الترمذي ج ٥/ ٦٣٣ حديث ٣٧١٣
٣ ـ سنن ابن ماجه ج ١/ ٤٣ ، ٤٥ حديث ١١٦ ، ١٢١
٤ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣/ ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ٣٧١
٥ ـ مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩/ ١٠٦ ـ ١١٢
٦ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢/ ١٣ ، ٤٥ ، ٤٧
٧ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ٤
٨ ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤
٩ ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ١٦ .
١٠ ـ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٨٤ ـ ٩٨ حديث ٧٦ ـ ٩٣
١١ ـ ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص ٦٧
١٢ ـ الحاوي للفتاوي للسيوطي الشافعي ج ١/ ١١٢
١٣ ـ فرائد السمطين للحمويني ج ١/ ٦٤ ، ٦٥ ، ٧١
١٤ ـ البداية والنهاية لابن كثير ج ٥/ ٢١٢
١٥ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢
١٦ ـ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١/ ١٩٠
١٧ ـ ميزان الإعتدال للذهبي ج ٣/ ٢٩٤
١٨ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥
١٩ ـ تفسير الفخر الرازي ج ٣/ ٦٣٦
٢٠ ـ الإعتقاد على مذهب السلف للبيهقي ص ١٩٥
٢١ ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٨٠
٢٢ ـ نوادر الاصول للحكيم الترمذي ص ٢٨٩
٢٣ ـ الرياض النضرة للطبري الشافعي ج ٢/ ٢٢٣

---

(١) راجع : حسين الراضي : سبيل النجاة ص ١٧٨ .

٢٤ ـ أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢/ ٢١٥
٢٥ ـ اسد الغابة لابن الأثير ج ١/ ٣٦٧ ، ج ٢/ ٢٣٣ ، ج ٣/ ٩٢ ، ٩٣ ، ج ٤/ ٢٨ ، ج ٥/ ٦ ، ٢٠٥[1]

تواتر حديث الغدير :[2]

صرح بتواتر حديث الغدير جملة من علماء السنّة ومحققيهم منهم :

١ ـ صاحب الفتاوى الحامدية في رسالته «الصلوات الفاخرة في الأحاديث المتواترة»
٢ ـ جلال الدين السيوطي الشافعي في «الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة»
٣ ـ الملا علي القاري في «المرقاة شرح المشكاة»
٤ ـ أبو بكر الجعابي روى الغدير بمائة وخمسة وعشرين طريقاً في كتابه «من روى حديث غدير خم» .
٥ ـ شمس الدين الجزري الشافعي روى حديث الغدير من ثمانين طريقاً في كتابه «اسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب»
٦ ـ ابن كثير الدمشقي في تاريخه «في ترجمة محمد بن جرير الطبري»
٧ ـ شمس الدين الذهبي له كتاب «طريق حديث الولاية»
٨ ـ الحاكم الحسكاني الحنفي له كتاب «دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاة»
٩ ـ ابن جرير الطبري أخرج حديث الغدير في كتابه «الولاية» من خمسة وسبعين طريقاً .
١٠ ـ ابن عقدة أخرج حديث الغدير من مائة وخمسة طرق .

---

(١) راجع : ١ ـ الأميني : الغدير في الكتاب والسنة والأدب .
٢ ـ التستري : إحقاق الحق .
٣ ـ شرف الدين : المراجعات ص ٢٥٩ .
٤ ـ حسين الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات .

(٢) راجع : ١ ـ شرف الدين : المراجعات ص ٢٧٢ .
٢ ـ الأميني : الغدير ج١/١٥٢ .
٣ ـ التستري : إحقاق الحق ج٢/٤٢٣ .
٤ ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٣ .

دلالة حديث الغدير :

النص يحمل دلالة صريحة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام . . .

ولكي نستوعب هذه الدلالة ، وننفي كل المحتملات الاخرى التي تحاول أن تفرغ النص من دلالاته الأصيلة ، ومعطياته السياسية والقيادية ، نضع بين أيدينا النقاط التالية :

النقطة الأولى :

أن نتعامل مع النص من خلال الأجواء التي صدر فيها ، أو بعبارة أخرى من خلال القرائن المقامية التي أحاطت النص حين صدوره ، لأنّ إقتطاع النص من أجوائه الخاصة يفقده مضمونه الحقيقي .

فما هي القرائن الحالية التي تزامنت مع النص ؟

١ ـ المكان : غدير خم على مقربة من «الجحفه» بين مكة والمدينة في صحراء يلفحها الهجير ، وتلتهب رمالها بوهج الظهيرة .

٢ ـ الزمان : أثناء العودة من حجة الوداع ، في مرحلة تمثل المقطع الأخير من حياة الرسول صلى الله عليه وآله .

٣ ـ الإجتماع : لقاء جماهيري حاشد ضم ما يربو على «مائة ألف» إنسان من المسلمين . . .

٤ ـ الخطاب : حديث تاريخي خطير القاه الرسول صلى الله عليه وآله في يوم الغدير . . . .

٥ ـ الاسلوب : أخذه (ص) بيد علي (ع) ورفعها أمام الناس حتى بان بياض إبطيهما .

النقطة الثانية

القرائن اللفظية والكلامية :

ويجب ثانياً لكي نعطي للنص دلالاته أن نستوعب «القرائن اللفظية والكلامية» التي تحرك من خلالها النص :

١ ـ التمهيدات. التي طرحها الرسول صلى الله عليه وآله :

ـ «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟»

ـ «ألستم تعلمون أني آولى بكل مؤمن من نفسه ؟»

- «فمن وليكم ؟»
- «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً عبده ورسوله . . . .»
٢ ـ الدعاء لعلي عليه السلام :
«اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيثما دار»
٣ ـ قوله صلى الله عليه وآله :
«ياأيّها الناس إنّي فرطكم وإنّكم واردون عليّ الحوض ، لأنّي سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل . . . وعترتي أهل بيتي ، فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض . . .»
٤ ـ التصريح الواضح في خطاب الرسول صلى الله عليه وآله بأنّها الأيام الأخيره في حياته المباركه :
- «إنّي يوشك أن أدعى فأجيب . . . .»
- «كأنّي دعيت فأجبت . . . . . .»
- «نبأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله . . . .»
٥ ـ التأكيد في أخر الخطبه أن يبلغ الشاهد منهم الغائب . . . .
٦ ـ التصريحات التي صدرت من بعض الصحابة :
- قول عمر : «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنه» حسب رواية أحمد بن حنبل في مسنده .
- أو قوله نفسه : «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم» [1]

في ضوء القرائن الحالية واللفظية :

فمن خلال القرائن المقامية التي تزامنت مع النص ، والقرائن اللفظية التي تحرك ضمنها ، نتجه إلى اعطاء النص دلالة سياسية كبيرة ، تتمثل في تحديد «القيادة» التي تتحمل مسؤوليات الدعوة المستقبلية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، وإنّ تفريغ النص من

(١) نصت على ذلك بعض المصادر منها :
ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢/٧٥
المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٤ .
شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج١/١٥٨ .
(راجع : سبيل النجاة ص١٨٣) .

هذا المضمون ، وإعطاءه دلالات عادية كما حاولت ذلك مدرسة الخلفاء ، يستبطن إتهاماً واضحاً لأبصر قيادة في تاريخ المسيرة البشرية ، حيث تعاملت مع القضايا الصغيرة بصيغة لا تنسجم مع حجم القضايا .

فعلى ضوء ما تحمله أجواء الحدث ، ومفردات الخطاب نعتقد بكل إطمئنان أنّ الموقف يمثل قراراً صريحاً بتعيين القيادة السياسية والفكرية والروحية للأمة .

واذا حاولنا أن نعتمد الوثائق التاريخية التي تحتفظ بها مدرسة أهل البيت عليهم السّلام حول هذا الحدث في صيغته ومفرداته ، فإنَّ المسألة تأخذ بعداً أكثر تعبيراً وتأكيداً ودلالة ووضوحاً ، لأنَّ الصيغة هنا لم تفقد شيئاً من مكوناتها وعناصرها ، في حين نحتمل قوياً أنّ هذه الصيغة مسّها شيء من التغيير في ظل المنحى السيّاسي الجديد الذي جمّد أطروحة الغدير ، لأنّ بقاء الصيغة بكل خصائصها الأصيلة ، وبكل مفرداتها وعناصرها يلغي المسار السياسي الذي تصدى لزعامة الأمة . .

ورغم هذا الإحتمال الوارد موضوعياً ، فإنّ ما بين أيدينا من نصوص الحدث ومفرداته ، كما دونتها مدرسة الخلفاء نفسها يكفي لانجاز الصيغة التي نتبناها في مسألة الإمامة والخلافة . .

النقطة الثالثة :

آية التبليغ تحدد المضمون الكبير لحادثة الغدير :

وآية التبليغ هي قوله تعالى في سورة (المائدة) الآية ٦٧ :

﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ .

وقد أكّدت الكثير من المصادر نزول هذه الآية على الرسول صلى الله عليه وآله ، حينما كان في طريق العودة من حجة الوداع في مكان يقال له «غدير خم» .

١ ـ السيوطي في الدر المنثور :

روى باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : «نزلت هذه الآية **﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربّك﴾** على رسول الله (ص) يوم غدير خم في علي بن أبي طالب» [1] .

---

(١) السيوطي : الدر المنثور المجلد ١١٧/٣ .

٢ ـ الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل :

روى باسناده عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك﴾ الآية ، قال : نزلت في علي ، أمر رسول الله (ص) أن يبلّغ فيه ، فأخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) فقال : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه» (١) .

٣ ـ الواحدي في اسباب النزول :

روي بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال :

«نزلت هذه الآية : ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك﴾ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه» (٢) .

٤ ـ الفخر الرازي في التفسير الكبير :

قال في سياق تعداد الوجوه الواردة في سبب نزول آية ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك﴾ :

«العاشر : نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السّلام ولّما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال : من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .

فلقيه عمر فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي» (٣) .

مصادر اخرى :

١ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي .
٢ ـ فتح القدير للشوكاني ج٢/٦٠ .
٣ ـ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج١/٤٤ .
٤ ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٥ .
٥ ـ ينابيع المودة للقندوري الحنفي الباب ٣٩ .
٦ ـ فرائد السمطين للحمويني ج١/١٥٨ .

---

(١) الميلاني : قادتنا ج٣/١٠٠ نقلاً عن «شواهد التنزيل» ج١/٩٨٩ .
(٢) الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج١/٤٣٧ نقلاً عن «أسباب النزول» ص ١٥٠ .
(٣) الرازي : التفسير الكبير ج١٢/٤٩ ، ٥٠ .

٧ ـ الولاية في طرق حديث الغدير لابن جرير الطبري .
٨ ـ الكشف والبيان للثعلبي مخطوط .
٩ ـ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين الحنفي ج٨/٥٨٤ .
١٠ ـ مودة القربى للهمداني .
١١ ـ تفسير النيسابوري .
١٢ ـ روح المعاني للألوسي .
١٣ ـ تفسير المنار لمحمد عبده .
١٤ ـ المناقب لعبد الله الشافعي (مخطوط)[1] .

مؤشرات خطيرة :

آية التبليغ تحمل عدة مؤشرات تعبر عن خطورة المسألة المطروحة :

١ ـ الصيغة الحدية الصارمة التي وردت في هذا الخطاب الالهي :
ـ ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك﴾ .
ـ ﴿وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾ .

٢ ـ لغة النص تؤكد خطورة المسألة المطروحة على صعيد الرسالة وحركة الدعوة وديمومة العطاء . .

٣ ـ النص يحمل من الإيحاءات ما تعبر عن «حساسية القضية» وما تثيره من جو نفسي رافض ، يضع الرسول صلى الله عليه وآله أمام حالة صعبة تحتاج إلى حماية وعصمة من الله تعالى لمواجهة الإرهاصات المحتملة . .

﴿والله يعصمك من الناس﴾ .

٤ ـ التوقيت الإلهي للنص ، حيث نزل في أثناء العودة من حجة الوداع (المرحلة الأخيرة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله) وهذا يعطي للقضية المطروحة بعداً مستقبلياً في حركة الدعوة .

فمن خلال هذه المؤشرات يمكن أن نفهم طبيعة القضية المطروحة وما تملكه من موقع في عمق الرسالة .

---

(١) راجع : أ ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص١٨٦ رقم ٦٢٦ .
ب ـ الأميني : الغدير ج١/٢١٤ .
ج ـ التستري : إحقاق الحق ج٦/٤٣٧ .

وإذا وضعنا في حسابنا أنّ قضايا الرسالة الأساسية سواء في مجال العقيدة أو في مجال التشريع ، كان قد تمّ الإنتهاء من تبليغها في مراحل سابقة ، ولم تبق إلى هذه المرحلة من عمر الرسالة .

فما هي القضية التي تحمل ذلك البعد الكبير في عمق الرسالة ، وتستأثر بهذا الاهتمام الإلهي ، وتتناسب مع هذه المرحلة من حياة الدعوة ؟

ليس إلا قضية الإمامة والقيادة والخلافة . .

النقطة الرابعة :

آية الإكمال تعطي لمسألة القيادة موقعها في حركة الرسالة :

قال الله تعالى في سورة المائدة/الآية ٣ :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ .

أشارت كثير من مصادر التفسير والتاريخ إلى نزول هذا النص في يوم الغدير . . .

١ ـ السيوطي في الدر المنثور :

ذكر عن ابن مردويه ، وابن عساكر ، كلاهما عن أبي سعيد الخدري قال : «لمّا نصب رسول الله (ص) عليّاً يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه بهذه الآية : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾** [(١)] .

وذكر عن ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة قال : «لمّا كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة قال النبي (ص) : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فأنزل الله : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾** [(٢)] .

٢ ـ الحمويني في فرائد السمطين :

روى باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : «إنّ رسول الله (ص) لمّا دعا الناس الى علي (ع) في غدير خم وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقم ، وذلك يوم الخميس فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس الى بياض إبطي رسول الله (ص) ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾** فقال رسول الله (ص) : الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي . . .» [(٣)] .

---

(١) السيوطي : الدر المنثور المجلد ١٩/٣ .

(٢) المصدر نفسه المجلد ١٩/٣ .

(٣) الميلاني : قادتنا ج٧٩/٣ نقلاً عن «فرائد السمطين» ج٧٤/١ رقم ٤٠ .

٣ ـ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب :

روي باسناده عن أبي هريرة قال : «من صام ثمانية عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي (ص) بيد علي فقال : ألست ولي المؤمنين ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، فأنزل الله : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم . . .﴾[1]

٤ ـ الحاكم الحسكاني الحنفي في شواهد التنزيل :

روى باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : «إنّ رسول الله (ص) لمّا نزلت عليه هذه الآية [آية الإكمال] قال : الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي ، ثم قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله»[2] .

مصادر أخرى :

١ ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ١٩ ج ٢٤ .
٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٨/٢٩٠ .
٣ ـ الإتقان للسيوطي الشافعي ج١/٣١ .
٤ ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٨٠ .
٥ ـ تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص ٣٠ .
٦ ـ تفسير ابن كثير الشافعي .
٧ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي باب ٣٨ .
٨ ـ كتاب الولاية لابن جرير الطبري .
٩ ـ تاريخ ابن كثير الدمشقي الشافعي ج٥/٢١٠ .
١٠ ـ الكشف والبيان للثعلبي (مخطوط) .
١١ ـ روح المعاني للألوسي ج٦/٥٥ .
١٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ج٥/٢١٣ .
١٣ ـ أرجح المطالب لعبيد الله الحنفي ص ٥٦٨[3] .

---

(١) الميلاني : قادتنا ج٣/٨٥ نقلاً عن «ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر الشافعي ج٢/٧٥ رقم ٥٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ج٣/٨٢ نقلاً عن «شواهد التنزيل» ج١/١٥٧ رقم ٢١١ .

(٣) راجع : أ ـ الأميني : الغدير ج١/٢٣٠ .

دلالة هذا النص :

آية الإكمال تحدد موقع القيادة في حركة الرسالة :

١ ـ القيادة الشرعية المعصومة تمثل الضمانة الكبيرة لحماية المسيرة الرسالية ، والحفاظ على التجربة الإسلامية .

٢ ـ القيادة المعصومة تمثل الإمتداد الطبيعي للحركة التغييرية في داخل الأمة ، بما تحمله هذه الحركة من عناصر الأصالة والقدرة والوضوح والإستقامة ، فديمومة الحالة التغييرية الأصيلة على كل المستويات الفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية تحتاج إلى القيادة الصالحة المعصومة .

٣ ـ غياب القيادة المعصومة في هذه المرحلة من مراحل المسيرة (مرحلة ما بعد الرسول (ص) يحدث فراغاً تشريعياً كبيراً يدفع بالمسيرة إلى متاهات التحريف ، ويعرّض التجربة إلى أخطار المصادرة ، ويضع الأمة أمام منزلقات التيه والضلال ، ويجمّد حالة التعاطي مع المصادر الأصيلة في الإسلام .

٤ ـ غياب القيادة المعصومة يحدث فراغاً سياسياً كبيرا يضع التجربة الإسلامية في زحمة التناقضات والمفارقات والصراعات .

وفي ضوء هذه الإعتبارات يمكن أن نفهم عمق العلاقة بين هذا النص القرآني ـ آية الإكمال ـ والحدث التاريخي الكبير الذي تمّ من خلاله تعيين القيادة الإسلامية في يوم الغدير .

النقطة الخامسة :

إحتجاج الائمة من أهل البيت (ع) بحديث الغدير :

(١) إحتجاج أمير المؤمنين (ع) بحديث الغدير :

١ ـ روى أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى «أنّه شهد علياً رضي الله عنه في الرحبة قال : انشد الله رجلاً سمع رسول الله (ص) وشهده يوم غدير خم إلاّ قام

= ب ـ التستري : إحقاق الحق ج٦ .
جـ ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص١٨٨ رقم ٦٢٧ .

ولا يقوم إلّا من قد رآه ، فقام إثنا عشر رجلا فقالوا : قد رآيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول : اللهم والِ من والاه ،. وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله»[1] .

وروى أيضاً عن ابن أبي ليلى قال : «شهدت علياً رضي الله عنه في الرحبة ينشد الناس ، أنشد الله من سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، لما قام فشهد ، (قال عبد الرحمن) فقام اثنا عشر بدرياً كأني انظر الى أحدهم ، فقالوا : نشهد أنّا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ وأزواجي أمهاتهم ؟

فقلنا : بلى يا رسول الله .

قال : فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . . »[2] .

٢ ـ روى النسائي في الخصائص باسناده عن سعيد بن وهب قال : «قال علي كرم الله وجهه في الرحبة : أنشد بالله من سمع رسول الله (ص) يوم غدير خم يقول : إنّ الله ورسوله ولي المؤمنين ومن كنت وليه فهذا وليه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره . . » (فقال سعيد) قام إلى جنبي ستة[3] .

٣ ـ روى الطبراني في الأوسط عن عمير بن سعد :

«أنّ علياً جمع الناس في الرحبة وأنا شاهد فقال : انشد الله رجلاً سمع ورسول الله (ص) يقول : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، فقام ثمانية عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا النبي (ص) يقول ذلك . . »[4] .

٤ ـ روى الخوارزمي في المناقب بإسناده عن أبي الطفيل عامر بن واثله أنّ علياً عليه السلام احتج في يوم الشورى ، وجاء في كلامه :

«فانشدكم بالله ، هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، ليبلغ الشاهد الغائب ، غيري؟ قالوا : اللهم لا»[5] .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١/١١٩ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج١/١١٩ .

(٣) النسائي : الخصائص ص ١٠٠ حديث ٩٥ .

(٤) الهيثمي : مجمع الزوائد ج٩/١١ وقال عنه : «إسناده حسن» .

(٥) الخوارزمي : المناقب ، الفصل التاسع عشر .

(٢) احتجاج الزهراء عليها السلام بحديث الغدير :

روى شمس الدين الجزري الدمشقي الشافعي في كتابه (أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب) عن فاطمة بنت رسول الله (ص) أنها قالت في بعض إحتجاجاتها :
«أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه؟ وقوله صلى الله عليه وآله : أنت مني بمنزلة هارون من موسى (ع) . .»[١] .

(٣) احتجاج الإمام الحسن عليه السلام بحديث الغدير :

قال عليه السلام في إحدى خطبه :
«إنّا أهل البيت اكرمنا الله بالإسلام ، واختارنا واصطفانا وأذهب عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً» .
وقال عليه السلام :
«وسمعوه [يعني رسول الله (ص)] يقول لأبي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ إنّه لا نبي بعدي . . .
وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خم وقال لهم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب»[٢] .

(٤) احتجاج الإمام الحسين عليه السلام بحديث الغدير :

ذكر سليم بن قيس الهلالي في كتابه أنّ الحسين بن علي عليه السلام جمع الناس في منى وفيهم مائتا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وعدد كبير من التابعين ، فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه وتحدث عن حق أهل البيت وفضائلهم ، إلى أن قال عليه السلام :

«أنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه [يعني علياً عليه السلام] يوم غدير خم فنادى له بالولاية ، وقال : ليبلغ الشاهد الغائب؟
قالوا : اللهم نعم»[٣] .

---

(١) الأميني : الغدير ج ١/١٩٦ ، ١٩٧ .
(٢) الأميني : الغدير ج ١/١٩٧ ، ١٩٨ .
(٣) الأميني : الغدير ج ١/١٩٨ ، ١٩٩ .

(٥) احتجاج الإمام الصادق عليه السلام بحديث الغدير :

قال عليه السلام في حديث له عن أمير المؤمنين عليه السلام والنص على إمامته :

«الناطق بالقرآن ، العالم بالأحكام ، أخو نبي الله صلى الله عليه وآله وخليفته على أمته ، ووصيه عليهم ، ووليه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، المفروض الطاعة بقول الله عز وجل :

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾

الموصوف بقوله عز وجل :

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾

المدعو له بالولاية ، المثبت له الإمامة يوم غدير خم بقول الرسول صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل :

ألست أولى بكم منكم بأنفسكم؟ قالوا : بلى ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره وأخذل من خذله ، وأعن من أعانه»[1] .

النص الثالث :

حديث الولاية بصيغ أخرى :

(١) قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«علي ولي كل مؤمن بعدي»

١ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل :

روى أحمد في مسنده عن عمران بن حصين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

«إنّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»[2] .

٢ ـ صحيح الترمذي :

عن عمران بن حصين أنّ رسول الله (ص) قال :

«إنّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»[3] .

٣ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري :

عن ابن عباس في حديث يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ، جاء فيه :

---

(١) الشيخ عبدالله البحراني : العوالم ج ٣/١٥ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٤٣٨/٤ .

(٣) صحيح الترمذي ج ٦٣٢/٥ حديث ٣٧١٢ .

«وقال له رسول الله (ص) : أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنه»[1] .

٤ ـ التلخيص للحافظ الذهبي :

أورد الحديث نفسه مسلماً بصحته[2] .

٥ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي :

عن الحسن بن علي قال : قال رسول الله (ص) : **«أمّا أنت يا علي فمني وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن بعدي»**[3] .

(٢) قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«علي وليكم بعدي»

١ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل :

عن بريده الأسلمي قال : قال رسول الله (ص) :

«لا تقع في علي فإنّه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي ، وإنّه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»[4] .

٢ ـ مجمع الزوائد للهيثمي :

عن بريده عن النبي (ص) قال في علي (ع) :

«وإنّه وليكم بعدي»

(قال الهيثمي) : رواه الطبراني في الأوسط[5] .

٣ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي :

قال : أخرج الطبراني عن بريده الأسلمي عن النبي (ص) قال : **«من أبغض علياً فقد أبغضني ، ومن فارق علياً فقد فارقني ، إنّ علياً مني وأنا منه ، طينته من طينتي وطينتي من طينة إبراهيم ، وأنا أفضل من ابراهيم ذرية بعضها من بعض ، يا بريده أما علمت أنّ لعلي اكثر من الجارية التي أخذها ، إنه وليكم من بعدي»**[6] .

مصادر اخرى :

الحديث توافرت على تدوينه عدة مصادر أخرى منها :

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج ١٣٤/٣ وعقب على الحديث بقوله : «هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه» .

(٢) الذهبي : التلخيص «بذيل المستدرك» ج ٢١٣٣/٣ ، ١٣٤ .

(٣) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ٧ ص ٥٢ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ج ٣٥٦/٥ «حديث بريدة الأسلمي» .

(٥) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ١٣١/٩ .

(٦) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ٥٨ ص ٩٧ .

١ - خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٩٢ .
٢ - ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣٦٩/١ .
٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤٥٠/٢ .
٤ - كنز العمال للمتقي ج ١٥٤/٦ .
٥ - كنوز الحقائق للمناوي ص ١٨٦[1]

(٣) قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«علي أولى الناس بكم بعدي»

١ - مجمع الزوائد للهيثمي :

عن وهب بن حمزة قال : «صحبت علياً إلى مكة فرأيت منه بعض ما أكره ، فقلت لئن رجعت لاشكونك إلى رسول الله (ص) فلمّا قدمت لقيت رسول الله (ص) فقلت : رأيت من علي كذا وكذا فقال : **لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي** .

(قال الهيثمي) : رواه الطبراني[2] .

٢ - وذكر الحديث نفسه كل من :
ا - ابن الأثير في أسد الغابة ج ٩٤/٥ .
«في ترجمة وهب بن حمزة» .
ب - المناوي في فيض القدير (الشرح) ص ٣٥٧ .
ج - ابن حجر في الإصابة ج ٦ قسم ١ ص ٣٢٥ .
د - المتقي في كنز العمال ج ١٥٥/٦[3] .

---

(١) راجع : ا - شرف الدين : المراجعات ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
ب - الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج ١٠/٢ .
ج - حسين الراضي : سبيل النجاة ص ١٣٥ .
(٢) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ١١٢/٩ .
(٣) راجع : الفيروزابادي : فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١٣/٢ .

المجموعة الثانية

نصوص الخلافة

النص الأول :

حديث الدار يوم الإنذار :

لما نزل قوله تعالى **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دار عمه أبي طالب ، وعرض عليهم الإسلام وفي آخر حديثه (ص) قال :

«يا بني عبد المطلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به ، جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟

فأحجم القوم عنها ، غير علي ـ وكان أصغرهم ـ إذ قام فقال : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ رسول الله (ص) برقبته وقال : **إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا .**

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب ، قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»(1) .

الصيغ المتعددة لهذا النص :

الصيغة الأولى :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

قال علي : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه .

فقال (ص): **إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»**

جاءت هذه الصيغة أو قريب منها في عدة مصادر :

---

(1) شرف الدين : المراجعات ص ١٨٨ المراجعة رقم ٢٠ .

١ ـ تاريخ الطبري ج ٢/٦٢ ـ ٦٤ .
٢ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير الشافعي ج ٢/٦٢ .
٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣/٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٤٤ .
٤ ـ السيرة الحلبية للحلبي الشافعي ج ١/٣١١ .
٥ ـ منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥/٤١ .
٦ ـ كنز العمال للمتقي ج ١٥/١١٥ ح ٣٣٤ .
٧ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١/٨٥ .
٨ ـ التفسير المنير للجاوي ج ٢/١١٨ .
٩ ـ تفسير الخازن لعلاء الدين الشافعي ج ٣/٣٧١ ، ٣٩٠ .
١٠ ـ سنن البيهقي .
١١ ـ تفسير الثعلبي «في تفسير سورة الشعراء» .
١٢ ـ تاريخ أبي الفداء ج ١/١١٦ .
١٣ ـ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٧٦ حديث ٦٣ .
١٤ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٠٥ .
١٥ ـ فرائد السمطين للحمويني ج ١/٨٦ .
١٦ ـ نظم دور السمطين للزرندي الحنفي ص ٨٣ .
١٧ ـ حياة محمد لمحمد حسنين هيكل ص ١٠٤ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ(١) .

الصيغة الثانية :

أوردها أحمد بن حنبل في مسنده ، حيث روى عن علي (ع) أنّه قال :
«لما نزلت هذه الآية ﴿**وانذر عشيرتك الأقربين**﴾ جمع النبي (ص) من أهل بيته ، فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال : فقال لهم : **من يضمن عني ديني ، ومواعيدي ، ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي؟** . . .
فقال علي رضي الله عنه : أنا»(٢)

الصيغة الثالثة :

جاء في عدة من المصادر أنّ النبي (ص) قال :
«**فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟**
فلم يقم أحد . .

---

(١) راجع :
أ ـ شرف الدين : المراجعات ص ١٨٨ م ٢٠ .
ب ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص ١١٣ ، ١١٤ رقم ٤٥٩ .
(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ١/١١١ .

فقام علي (ع) فقال له الرسول : اجلس .
وكرر ذلك ثلاثاً ، فلا يقوم إلا علي ، وفي الثالثة ضرب بيده على يد علي» .
توجد هذه الصيغة في المصادر التالية :
١ ـ تاريخ الطبري ج ٣٢١/٢ .
٢ ـ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٧٦ ج ٦٣ .
٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢١٢/١٣ .
٤ ـ مسند أحمد بن حنبل ج ١٥٩/١ «ذكر الحديث بالمعنى ولم يورد كلمة (ووارثي) .
٥ ـ منتخب كنز العمال للمتقي (بهامش مسند أحمد) ج ٤٢/٥[١] .

النص الثاني :

حديث الثقلين :

الصيغة الأولى :

جاء في صحيح الترمذي عن جابر بن عبدالله قال : رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفه وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول :
«يا أيُّها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إنْ أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٢] .

الصيغة الثانية :

جاء في صحيح الترمذي عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله (ص) :
«إنّ تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٣] .

الصيغة الثالثة :

جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله (ص) :
«إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض (أو ما بين السماء إلى الأرض) وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[٤] .

---

(١) راجع :
أ ـ شرف الدين : المراجعات ص ٢٩٩ م ٦٦ .
ب ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص ٢٢١ رقم ٧١١ .
(٢) صحيح الترمذي ج ٦٦٢/٥ حديث ٣٧٨٦ .
(٣) صحيح الترمذي ج ٦٦٣/٥ حديث ٣٧٨٨ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ج ١٨٢/٥ «حديث زيد بن ثابت» .

الصيغة الرابعة :

جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري ، قال عن النبي (ص) قال :

«إنّي أوشك أن ادعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(١)

الصيغة الخامسة :

جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري عن زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم ، أمر بدوحات فقممن فقال :

«كأنّي قد دعيت فأجبت أنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، ثم قال : إنّ الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن (ثم أخذ بيد علي فقال) : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه»(٢) .

الصيغة السادسة :

جاء في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله (ص) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال :

«أمّا بعد ، ألا أيّها الناس ، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولها كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : **«وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيت ، أذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي»**(٣) .

الصيغة السابعة :

جاء في إحياء الميت للسيوطي :

أخرج البزار عن علي رضي الله عنه قال :

قال رسول الله (ص) :

«إني مقبوض ، وإني قد تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتي ، وإنكم لن تضلوا بعدهما»(٤) .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١٧/٣ «حديث أبي سعيد الخدري» .

(٢) الحاكم : المستدرك ١٠٩/٣ وقال عنه «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» .

(٣) صحيح مسلم ج١٨٧٣/٤ حديث ٢٤٠٨ .

(٤) السيوطي : إحياء الميت ص٤٥ الحديث ٢٣ .

الصيغة الثامنة :

جاء في إحياء الميت للسيوطي :

أخرج الطبراني عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال : خطبنا رسول الله (ص) بالجحفة فقال :

«ألست أولى بكم من أنفسكم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله ،

قال : فإنّي سائلكم عن إثنين : عن القرآن ، وعترتي»[1] .

الصيغة التاسعة :

جاء في الصواعق المحرقة لابن حجر عن رسول الله (ص) قال :

«يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً ، فينطلق بي ، وقد قدمت اليكم القول ، معذرة إليكم ، إلا أنّي مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل ، وعترتي أهل بيتي ، ـ ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال ـ هذا علي مع القرآن ، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض ، فأسألهما ما خلفت فيهما»[2] .

الصيغة العاشرة :

جاء في مجمع الزوائد للهيثمي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) :

«إنّي خلفت فيكم اثنين ، لن تضلوا بعدهما أبداً : كتاب الله ونسبي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[3] .

مصادر كثيرة دونت حديث الثقلين :

حديث الثقلين بلغ حد التواتر والإشتهار ، فقد دوّنته كتب الحديث والتفسير والتاريخ والسير والتراجم واللغة .

وقامت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في مصر بإصدار رسالة ضافية ، ألفّها بعض أعضائها باسم «حديث الثقلين» وقد استوفى فيها مؤلفها ما وقف عليه من أسانيد الحديث في الكتب المعتمدة لدى أهل السنّة[4] .

---

(١) السيوطي : إحياء الميت ص ٥٧ ، ٥٨ الحديث ٤٣ .

(٢) الصواعق المحرقة : ابن حجر ص ١٩٤ الباب التاسع ، الفصل الثاني .

(٣) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ١٦٦/٩ .

(٤) محمد تقي الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ص ١٦٤ .

ونشير هنا إلى بعض المصادر التي توافرت على تدوين هذا الحديث :

١ - صحيح مسلم ج ١٨٧٣/٤ حديث ٢٤٠٨ .
٢ - صحيح الترمذي ج ٦٦٢/٥، ٦٦٣، حديث ٣٨٧٦، ٣٧٨٨ .
٣ - مسند أحمد بن حنبل ج ١٧/٣ ، ج ١٨٢/٥ «وفي مواضع متعددة من الكتاب» .
٤ - المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ١٠٩/٣ .
٥ - الدر المنثور للسيوطي ج ٧/٦ ، ٣٠٦ .
٦ - جامع الأصول لابن الأثير ج ١٨٧/١ ح ٦٥ .
٧ - المعجم الكبير للطبراني ص ١٣٧ .
٨ - إحياء الميت للسيوطي ص ٣٠ - ٣٢ ، ٥٧ .
٩ - مجمع الزوائد للهيثمي ص ٣٠ - ٣٢ ، ٥٧ .
١٠ - خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٨٤ - ٨٥ .
١١ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ٤ .
١٢ - مصابيح السنة للبغوي ص٢٠٦ .
١٣ - دخائر العقبي للطبري ص ١٦ .
١٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الشافعي ج ١٢/٢ .
١٥ - تفسير الخازن ج ٤/١ .
١٦ - مناقب علي بن أبي طالب لابن المغاذلي الشافعي ص ٢٣٤ .
١٧ - فرائد السمطين للحمويني الشافعي ج ١٤٣/٢ باب ٣٣ .
١٨ - كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٦٥/١ ج٩٤٥ .
١٩ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١٩٤/٢ .
٢٠ - نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٢٣٢ .
٢١ - الفتح الكبير للنبهاني ج ٥٠٣/١ ، ج ٣٨٥/٣ .
٢٢ - الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩٤ باب ٩ فصل ٢ .
٢٣ - المعجم الصغير للطبراني ج ١٣٥/١ .
٢٤ - تاج العروس للزبيدي ج ٢٤٥/٧ .
٢٥ - القاموس للفيروزابادي ص١٢٥٦[1] .

---

(١) للاطلاع على المزيد من مصادر «حديث الثقلين» يقرأ :
أ - «حديث الثقلين» رسالة أصدرتها دار التقريب في القاهرة .
ب - «عبقات الأنوار - قسم حديث الثقلين» للسيد حامد حسين الكهنوي
ج - فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٥٢/٢ - ٦٣ .
د - سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص ١٢ - ٢٢ .

النص الثالث :

حديث «الخلفاء الإثني عشر»

(١) صحيح البخاري :

ـ الجزء التاسع ص ٧٢٩ حديث ٢٠٣٤ ـ كتاب الأحكام باب ١١٤٨ بسنده إلى جابر بن سمرة قال : سمعت النبي (ص) يقول : «يكون إثنا عشر أميراً» .

فقال كلمه لم أسمعها ، فقال أبي إنّه قال : «كلهم من قريش» .

(٢) صحيح مسلم :

ـ الجزء الثالث ص ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ حديث ١٨٢١ ، ١٨٢٢ ـ كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش .

بسنده إلى جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى إثني عشر خليفة» .

(٣) صحيح الترمذي :

ـ الجزء الرابع ص ٥٠١ حديث ٢٢٢٣ ـ بسنده إلى جابر بن سمرة قال : قال رسول الله (ص) :

«يكن بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش» .

(٤) صحيح أبو داود :

ـ الجزء الثاني ص ٢٠٧ كتاب المهدي ـ بسنده إلى جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى إثني عشر خليفة» فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفيت قلت لأبي : يا أبه ما قال ؟ قال : «كلهم من قريش» .

(٥) مسند أحمد بن حنبل :

ـ الجزء الأول ص ٣٩٨ حديث عبد الله بن مسعود ـ

بسنده إلى مسروق قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (ص) : كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟

فقال عبد الله بن مسعود : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم لقد سألنا رسول الله (ص) فقال :

«إثنا عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل» .

وروى أحمد في مسنده حديث «الاثني عشر خليفة» عن جابر بن سمرة من أربع وثلاثين طريقاً ، وسوف نذكر في فصل قادم إن شاء الله مزيداً من هذه الروايات .

(٦) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري :

ـ الجزء الثالث ص٦١٨ ـ بسنده إلى عون ابن أبي جحيفة عن أبيه قال : كنت مع عمي عند النبي (ص) فقال :

«لا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي إثنا عشر خليفة» ثم قال كلمة وخفض بها صوته فقلت لعمي وكان أمامي ؛ ما قال يا عم ؟ قال : قال يا بني : «كلهم من قريش» .

(٧) كنز العمال للمتقي المهدي :

ـ الجزء السادس ص ٢٠١ ـ

قال النبي (ص) :

«يكون لهذه الأمة إثنا عشر خليفة قيماً ، لا يضّرهم من خذلهم ، كلهم من قريش» .

ملاحظة :

سوف نتناول في فصل قادم ـ إن شاء الله ـ هذه الأحاديث التي تضمنت النص على عدد الخلفاء ، ونعطيها دلالاتها الحقيقية التي لا تنسجم إلا مع اطروحة الإمامة التي تبنتها مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام . .

كما سوف نتناول كل التفسيرات التي حاولت أن تعالج هذه النصوص وفق المنظور الذي تبنته مدرسة الخلفاء ، وما تواجهه تلك التفسيرات من إشكالات صعبة ، لا يمكن تجاوزها إلاّ بالرجوع إلى منحى الأئمة عليهم السلام في فهم هذه النصوص[1] .

نصوص مدوّنة في مصادر مدرسة اهل البيت (ع) :

(١) عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده (ع) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«الأئمة بعدي إثنا عشر أولهم علي وأخرهم القائم ، هم خلفائي وأوصيائي»[2] .

(٢) عن الإمام الرضا (ع) عن آبائه عليهم السلام مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله :

«من أحب أن يتمسك بديني ، ويركب سفينة النجاة فليقتد بعلي بن أبي طالب ، فإنّه وصيي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد مماتي»[3] .

(١) القسم الثاني من هذا الكتاب : الفصل الأول ، المبحث الثاني .

(٢) المراجعات ص ٢٨٥ نقلاً عن «اكمال الدين» للصدوق .

(٣) المراجعات ص ٢٨٦ نقلاً عن «اكمال الدين» للصدوق .

(٣) عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
«علي أقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً -إلى أن قال- وهو الإمام والخليفة من بعدي»[١] .

(٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
«يا علي أنت وصيي ، وأبو ولدي ، وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد موتي ، أمرك أمري ونهيك نهي»[٢] .

(٥) عن الإمام العسكري عن أبيه عن آبائه عليهم السلام مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

«يا ابن مسعود ، علي بن أبي طالب إمامكم بعدي ، وخليفتي عليكم»[٣] .

(٦) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«يا علي أنت خليفتي على أمتي»[٤] .

(٧) عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«يا علي أنت وصيي وخليفتي ووزيري ووارثي وأبو ولدي»[٥] .

(٨) عن سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :
«يا معاشر المهاجرين والأنصار ، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؟ .

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : **«هذا علي أخي ووصيي ووزيري ووارثي ، وخليفتي ، وإمامكم فأحبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ، فإنّ جبرائيل أمرني أن أقوله لكم»**[٦] .

---

(١) المراجعات ص ٢٩٠ نقلاً عن : أمالي الصدوق ص ١٧ .
(٢) المراجعات ص ٢٩٠ نقلاً عن «أمالي الصدوق» ص ٨٦ .
(٣) المراجعات ص ٢٨٦ نقلاً عن «اكمال الدين» للصدوق .
(٤) المراجعات ص ٢٨٩ نقلاً عن «أمالي الصدوق» .
(٥) المراجعات ص ٢٩١ نقلاً عن «أمالي الصدوق» .
(٦) المراجعات ص ٢٩١ نقلاً عن «أمالي الصدوق» .

المجموعة الثالثة

نصوص الإمامة

« النصوص التي تضمنت مصطلح (الإمام) »

تقدمت طائفة من هذه النصوص ضمن المجموعة الثانية ونضيف هنا نماذج أخرى توافرت على المصطلح ، ولوضوح دلالات النصوص اكتفينا بالجانب الإثباتي وتركنا الحديث عن الجانب الدلالتي .

النص الأول :

جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم بالإسناد إلى عبدالله بن أسعد بن زرارة عن أبيه قال :

قال رسول الله (ص) : «أوحى إليّ في علي ثلاث : إنّه سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين» (قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) [(١)] .

مصادر أخرى :

١ ـ المعجم الصغير للطبراني ج ٢/٨٨ .
٢ ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٦٥ ، ١٠٤ .
٣ ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص/٢٣٥ .
٤ ـ نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ١١٤ .
٥ ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٠٧ .
٦ ـ مجمع الزوائد للهيثمي ٩/١٢٤ .
٧ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج/١/٦٩ .

---

(١) الحاكم : المستدرك ج ٣/١٣٧ ، ١٣٨ .

٨ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢/٢٥٧ ح ٧٧٣ ، ٧٧٤ .
٩ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي .
١٠ ـ فرائد السمطين للحمويني ج ١/١٤٣[1] .

النص الثاني

الحاكم في المستدرك على الصحيحين :

عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله (ص) وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب وهو يقول :

«هذا إمام البررة وقاتل الفجرة ، منصور من نصره مخذول من خذله»[2] .

المصادر الأخرى :

١ ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٨٤ .
٢ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢/٤٧٦ ح ٩٩٦ ، ٩٩٧ .
٣ ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص ١١١ .
٤ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٢١ .
٥ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩٣ باب ٩ فصل ٢ .
٦ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ٥٩ .
٧ ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٠٨ .
٨ ـ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ص ٣١ .
٩ ـ الجامع الصغير للسيوطي ج ٢/٥٦ .
١٠ ـ تفسير الثعلبي (في تفسير الآية ٥٥/المائدة)[3] .

---

(١) راجع : أ ـ شرف الدين : المراجعات ص ٢٤٠ .
ب ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص ١٤١ رقم ٥٥١ .
ج ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج ٢/١١٣ .
(٢) الحاكم : المستدرك ج ٣/١٢٩ .
(٣) راجع : أ ـ شرف الدين : المراجعات ص ٢٤٠ .
ب ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص ١٤١ رقم ٥٥٠ .

النص الثالث :

أبو نعيم في حلية الأولياء :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (ع) :

«مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين»(١) .

مصادر اخرى :

١ ـ كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٥/١٥٧ ح ٣٤٣ .
٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩/١٧٠ .
٣ ـ نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ١١٥ .
٤ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢/٤٤٠ ح ٩٤٩ .
٥ ـ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ج ١/٤٦ .
٦ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ٥٦ ج ٢/٥ .
٧ ـ منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٥/٥٥ .
٨ ـ فرائد السمطين للحمويني ج ١/١٤١ .(٢)

النص الرابع :

القندوزي الحنفي في ينابيع المودة :

عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) :

«الأئمة من ولدي ، فمن أطاعهم فقد أطاع الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله ، هم العروة الوثقى ، والوسيلة إلى الله جل وعلا»(٣) .

النص الخامس :

أخرج أبو نعيم والحمويني عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال علياً ، وليوال وليه ، وليقتد بالأئمة من ولده من بعده فإنهم عترتي . . .»(٤) .

---

(١) شرف الدين : المراجعات ص ٢٤١ .
(٢) راجع : حسين الراضي : سبيل النجاة ص ١٤٢ رقم ٥٥٣ .
(٣) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ٧٧ ج ٣/١٠٥ .
(٤) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ٤٣ ج ١/١٢٦ .

المصادر :

١ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١/٨٦ .
٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩/١٧٠ .
٣ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢١٤ .
٤ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢/٩٥ .
٥ ـ فرائد السمطين للحمويني ج ١/٥٣ .
٦ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ٤٣[١] .

النص السادس :

في المناقب عن ابن الطغيل بن واثله قال : قال رسول الله (ص) :

«يا علي أنت وصيي حربك حربي وسلمك سلمي ، وأنت الإمام وأبو الأئمة الأحد عشر المطهرون . . .»[٢] .

نصوص مدونة في مصادر مدرسة اهل البيت (ع) :

(١) عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«الأئمة بعدي إثنا عشر ، أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها»[٣] .

(٢) عن أبي عبدالله الصادق عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«الأئمة بعدي إثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي بعدي»[٤] .

(٣) عن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«الأئمة بعدي إثنا عشر ، تسعة من صلب الحسين ، تاسعهم ، قائمهم ، إلا إنّ مثلهم فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[٥] .

---

(١) راجع : حسين الرضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص٢٧ ، ٢٨ رقم ٤٥ .
(٢) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ١٦ ج ١/٨٣ .
(٣) المراجعات ص٢٨٨ نقلاً عن «اكمال الدين» للصدوق .
(٤) الصافي : منتخب الأثر ص٥٨ نقلاً عن «كفاية الأثر» .
(٥) المصدر نفسه ص٨٣ نقلاً عن «كفاية الأثر» لابن القاسم الخزاز .

(٤) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلهٓ :

«يا علي أنت إمام المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وقائد الغر المحجلين ، وحجة الله بعدي وسيد الوصيين»[١] .

(٥) عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد طلع علينا علي عليه السلام :

«هذا إمامكم بعدي»[٢] .

(٦) عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تهلكوا ولن تضلوا .

قال : إنّ إمامكم ووليكم علي بن أبي طالب ، فوازروه وناصحوه وصدقوه فإنّ جبرائيل أمرني بذلك»[٣] .

(٧) عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) :

«معاشر أصحابي إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطة في بني اسرائيل ، فتمسكوا بأهل بيتي بعدي ، والأئمة الراشدين من ذريتي فإنكم لن تضلوا أبدا .

فقيل : يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟

قال : إثنا عشر من أهل بيتي أو قال من عترتي»[٤] .

(٨) عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الأئمة من بعدي بعدد نقباء بني اسرائيل وكانوا إثني عشر ، ـ ثم وضع يده على صلب الحسين وقال ـ تسعة من صلبه والتاسع مهديهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، فالويل لمبغضهم»[٥] .

---

(١) المراجعات ص ٢٨٩ نقلاً عن «أمالي الصدوق» .

(٢) المراجعات ص ٢٨٩ نقلاً عن «أمالي الصدوق» .

(٣) المراجعات ص ٢٩١ نقلاً عن «أمالي الصدوق» .

(٤) منتخب الأثر من ٢٥ نقلاً عن «كفاية الأثر» لأبي القاسم الخزاز .

(٥) المصدر نفسه ص ٨٤ نقلاً عن «كفاية الأثر» .

المجموعة الرّابعة

نصوص الوصيّة

ملاحظة :

مصادر مدرسة الخلفاء توافرت بشكل واضح على تدوين نصوص الوصية على الرغم من كون ذلك يشكل تنافياً صريحاً مع المسار الفكري والسياسي الذي تتبناه تلك المدرسة .

وهذا يعبّر عن جنبة موضوعية في الإحتفاظ بالنصوص ، ومن ناحية أخرى يؤكد وفرة الأحاديث وكثافة الروايات الصادرة في مسألة الإمامة ، خاصة إذا وضعنا في إعتبارنا أنّ مصادر مدرسة الخلفاء قد دوّنت في مرحلة تاريخية تتوافر فيها كل الدواعي المذهبية والسياسية لإخفاء نصوص الإمامة ، وأحاديث الولاية وروايات الفضائل الخاصة بأهل البيت عليهم السلام .

فعلى الباحث حينما يريد أن يتناول نصوص الإمامة المدونة في المصادر المعتمدة لدى مدرسة الخلفاء أن يضع في حسابه هذا الجانب الموضوعي لكي لا يفاجأ عندما يجد بعض المصادر الهامة تخلو من النصوص ذات الصيغة المباشرة ، ومرجع ذلك كما قلنا إلى عاملين أساسيين :

العامل الأول :

كون النصوص التي تؤكد إمامة أهل البيت عليهم السلام تتنافى مع الصيغة السياسية التي قدّر لها أن تنجح في تسلّم السلطة منذ البدايات الأولى في تاريخ الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . . .

العامل الثاني :

كون النصوص تؤكد المسار الفكري لمدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، وهذا لا ينسجم مع ما تبنته الصيغة الجديدة من منحى آخر في المجالات الفكرية والاجتهادية والفقهية . .

ومع كل هذه الإعتبارات فإنّ مصادر مدرسة الخلفاء قد توافرت على نسبة كبيرة من النصوص صالحة لإثبات الإمامة ، كما هو واضح من خلال ما طرحناه ونطرحه من أمثلة ونماذج وعينات .

نصوص الوصية في مصادر مدرسة الخلفاء

النص الأول :

حديث الدار يوم الإنذار :

قول الرسول صلى الله عليه وآله وقد أخذ برقبة علي بن أبي طالب عليه السلام : «إنّ **هذا أخي ، ووصيي ، وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»** .

من مصادر هذا الحديث :

١ ـ تاريخ الطبري ج٢/٦٢ ـ ٦٤ .
٢ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير الشافعي ج٢/٦٢ .
٣ ـ منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٥/٤١ .
٤ ـ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٧٦ ح٦٣ .
٥ ـ فرائد السمطين للحمويني ج١/٨٦[١] .

النص الثاني :

أحمد بن حنبل في المناقب :

روى باسناده عن أنس بن مالك قال : قلنا لسلمان : «سل النبي (ص) من وصيه ؟
فقال له سلمان : يا رسول الله من وصيك ؟
فقال : يا سلمان من كان وصي موسى ؟
فقال : فقلت يوشع بن نون .

---

(١) ذكرنا مصادر هذا الحديث حينما تناولنا نصوص المجموعة الثانية .

قال (ص) : فإنّ وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب»[1] .

وفي ينابيع المودة للقندوزي الحنفي قال :

«في مسند أحمد بن حنبل بسنده عن أنس بن مالك قال : قلنا لسلمان : سل النبي (ص) من وصيه ـ وساق الحديث نفسه ـ»[2] .

مصادر اخرى :

بهذا اللفظ أو قريب منه جاء الحديث في عدة مصادر منها :

١ ـ مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج٩/١١٦ .

٢ ـ كنز العمال للمتقي الهندي ج٦/٥٤ ح/٢٥٧٠ .

٣ ـ تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي (باب حديث النجوى) .

٤ ـ المعجم الكبير للطبراني .

٥ ـ منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٥/٣٢ .

٦ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر ج٣/١٠٦ .

٧ ـ الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج٢/١٧٨ .

٨ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ١٥[3] .

النص الثالث :

الذهبي في (ميزان الإعتدال) :

عن محمد بن حميد الرازي عن سلمه الأبرش عن ابن اسحاق عن شريك ، عن أبي ربيعة الأيادي عن ابن بريده عن أبيه عن رسول الله (ص) قال :

«لكل نبي وصي ووارث وإنّ علياً وصيي ووارثي»[4] .

---

(١) المناقب ج١ ، الحديث ١٧٢ (مخطوط) «راجع : قادتنا ج٢/١٩» .

(٢) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ١٥ ج١/٧٧ .

(٣) راجع : أ ـ شرف الدين : المراجعات ص٣٠١ .

ب ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج٢/٣٦ .

ج ـ العسكري : معالم المدرستين ج١/٢١٦ .

د ـ العسكري نجم الدين : علي والوصية ص٢٩٨ .

هـ ـ حسين الراضي : سبيل النجاة ص٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤) الذهبي : ميزان الإعتدال ج٢/٢٧٣ .

في أحوال «شريك بن عبد الله النخعي» رقم ٣٦٩٧ وعبر عنه «الحافظ الصادق أحد الأئمة» .

وقد كذب الذهبي بالحديث وقال : لا يحتمله شريك ، وقال عن محمد بن حميد الرازي أنه ليس بثقة .

والجواب : أن محمد بن حميد الرازي قد وثقه جماعة من الأعلام كالإمام أحمد بن حنبل والإمام أبو القاسم البغوي والإمام ابن جرير الطبري ، وإمام الجرح والتعديل وابن معين وغيرهم من طبقتهم[1] .

مصادر دونت الحديث :

١ ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص٢٠٠ حديث ٢٣٨ .
٢ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عن تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج٣/٥ حديث ١٠٢١ ، ١٠٢٢ .
٣ ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص٤٢ .
٤ ـ ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي ص٧١ .
٥ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ١٥ .
٦ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٦٢٠ .
٧ ـ الرياض النضرة للطبري الشافعي ج٢/٢٣٤ .
٨ ـ كنوز الحقائق للمناوي الشافعي ص١٣٠ .
٩ ـ شرح الهاشميات لمحمد محمود الرافعي ص٢٩[2] .

النص الرابع :

أبو نعيم في حلية الأولياء :
عن أنس قال : قال رسول الله (ص) :
«يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب ، إمام المتقين وسيد المسلمين ، ويعسوب الدين ، وخاتم الوصيين ، وقائد الغر المحجلين . ـ قال أنس ـ فدخل علي . . . .»[3] .

مصادر دونت هذا الحديث :

١ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم ج١/٦٣ .
٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩/١٦٩ .

---

(١) شرف الدين : المراجعات ص٣٠١ م٦٨ .
(٢) راجع : حسين الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص٢٢٣ رقم ٧١٨
(٣) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ٥٩ ج٢/١٣٩ .

٣ ـ المناقب للخوارزمي ص٤٢ .
٤ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج٢/٤٨٧ حديث ١٠٠٥ .
٥ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٢١٢ .
٦ ـ مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ص٢١ .
٧ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ٥٩ ج٢/١٣٩ .
٨ ـ فرائد السمطين للحمويني ج١/١٤٥[1] .

النص الخامس

القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) :
عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
«أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين ، وإنّ أوصيائي بعدي إثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم المهدي»[2] .

أخرج الحمويني الشافعي في (فرائد السمطين) :
عن أبي ذر قال : قال رسول الله (ص) :
«أنا خاتم النبيين وأنت ياعلي خاتم الوصيين إلى يوم الدين»[3] .

وبهذا اللفظ أو قريب منه جاء الحديث في عدة مصادر منها :
١ ـ كنوز الحقائق للمناوي ص٤٢ .
٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٠/٣٥٦ .
٣ ـ فردوس الأخبار للديلمي (حرف الألف)[4] .

النص السادس :

الحمويني الشافعي في (فرائد السمطين) :
عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :
«إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي ، إثنا عشر أولهم أخي وآخرهم ولدي .

---

(١) راجع : حسين الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص١٤٢ ، ٢٢٢ ، رقم ٥٥٤ ، ٧٢٠ .
(٢) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ٧٧ ج٣/١٠٥ .
(٣) نجم الدين العسكري : علي والوصية ص١٧٠ .
(٤) نجم الدين العسكري : علي والوصية ص١٧٠ ، ١٧١ .
الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج٢/٣٩ .

قيل : يا رسول الله ومن أخوك ؟
قال : علي بن أبي طالب .
قيل : فمن ولدك ؟
قال : المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .
والذي بعثني بالحق نبياً ، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه ، وتشرق الأرض بنوره ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[1] .

وأورد الحديث مختصراً القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) نقلاً عن كتائب (فرائد السمطين) للحمويني[2] .

تنبيه :
للتوسع في الإطلاع على نصوص الوصية المدونة في مصادر مدرسة الخلفاء يقرأ :
١ ـ المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين ص ٣٠١ م٦٨ .
٢ ـ سبيل النجاة في تتمة المراجعات : حسين راضي ص٢٢٣ .
٣ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة : الفيروزابادي ج٢/٣٥ .
٤ ـ معالم المدرسين : السيد مرتضى العسكري ج١/٢١٢ .
٥ ـ علي والوصية : نجم الدين العسكري .

---

(١) العوالم ج١٥/٣ ص١٩٢ (الهامش ـ مستدركات) نقلاً عن «فرائد السمطين» للحمويني .
(٢) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب ٧٨ ج٣/١٠٨ .

نصوص الوصية في مصادر مدرسة أهل البيت (ع)

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
«من أحب أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ويدخل جنة عدن التي وعدني ربي . . . فليتول علي بن أبي طالب والأوصياء من بعده ، فإنهم لا يخرجونكم من الهدى ولا يدخلونكم في ضلالة»[١] .

(٢) عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
«الأئمة بعدي إثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم ، هم خلفائي وأوصيائي»[٢] .

(٣) عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
«من أحب أن يتمسك بديني ، ويركب سفينة النجاة ، فليقتد بعلي بن أبي طالب ، فإنّه وصيي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد مماتي»[٣] .

(٤) عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
«أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين»[٤] .

(٥)عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

---

(١) العوالم ج١٥/٣ ص٢٠٢ .
(٢) المراجعات ص٢٨٥ نقلاً عن «اكمال الدين» للصدوق ص٢٥٣ .
(٣) المراجعات ص٢٨٦ نقلاً عن «اكمال الدين» للصدوق ص٢٥٤ .
(٤) المراجعات ص٢٨٨ نقلاً عن «اكمال الدين» ص٢٧٤ .

«معاشر الناس من أحسن من الله قيلاً ، إنّ ربكم جل جلاله أمرني أن أقيم لكم علياً علماً وإماماً وخليفة ووصياً ، وأن أتخذه أخاً ووزيراً»[1]

(٦) عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«أنا سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء ، وسبطاي خير الأسباط ، ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسين ، ومنا مهدي هذه الأمة .

فقيل له : يا رسول الله كم عدد الأئمة بعدك ؟

قال : عدد الأسباط وحواري عيسى ونقباء بني اسرائيل»[2] .

(٧) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله في الشكاة التي قبض فيها ، فإذا فاطمة عند رأسه ، قال : فبكت حتى ارتفع صوتها .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إليها فقال :

حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك ؟

قالت : أخشى الضيعة بعدك يا رسول الله .

قال : يا حبيبتي لا تبكين ، فنحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعطها أحداً قبلنا ولم يعطها أحداً بعدنا . منا خاتم النبيين وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل وهو أنا أبوك ، ووصينا خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك . وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله وهو عمك . ومنا من له جناحان في الجنة يطير بها مع الملائكة وهو ابن عمك ومنا سبطا هذه الأمة وهما إبناك الحسن والحسين .

وسوف يخرج الله من صلب الحسين تسعة من الأئمة أمناء معصومون .

ومنا مهدي هذه الأمة ، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل ، وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقر كبيراً ، فيبعث الله عند ذلك مهدينا ، التاسع من صلب الحسين ، يفتح حصون الضلالة وقلوباً غفلى ، يقوم في الدين في آخر الزمان ، كما قمت به في أول الزمان ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»[3] .

(٨) عن سلمان الفارسي قال : قلنا يوماً : يا رسول الله من الخليفة بعدك حتى نعلمه ؟

قال لي : يا سلمان ادخل عليَّ أباذر والمقداد وأبا أيوب الأنصاري - وأم سلمة زوجة النبي من وراء الباب -

---

(١) المراجعات ص٢٩٠ نقلاً عن «آمال الصدوق» ص٢٧ .

(٢) العوالم ج١٥/٣ ص١٧٢ .

(٣) العوالم ج١٥/٣ ص١٢٣ ، ١٢٤ .

ثم قال لنا : اشهدوا وافهموا عني ، إنّ علي بن أبي طالب وصيي ووارثي وقاضي ديني وعداتي ، وهو الفارق بين الحق والباطل وهو يعسوب المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، والحامل غداً لواء رب العالمين ، هو وولداه من بعده ، ثم من ولد الحسين إبني أئمة تسعة هداة مهديون إلى يوم القيامة»[1] .

ملاحظة :

للاطلاع على المزيد من نصوص الوصية المدونة في مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السلام يقرأ :

١ ـ إكمال الدين : للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) .

٢ ـ كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر : لعلي بن محمد الخزار القمي (من تلامذة الشيخ الصدوق) .

٣ ـ غاية المرام وحجة الخصام : للسيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ) .

٤ ـ عقبات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار : للسيد حامد حسين الكهنوي (ت ١٣٠٦ هـ) .

٥ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب : للشيخ الأميني .

نصوص الوصية ودلالاتها السياسية والقيادية

إنَّ نظرة متأنية في نصوص الوصية ، تمنحنا رؤية واضحة حول دلالاتها السياسية والقيادية ، هذه الدلالات التي تتجاوز ذلك المفهوم الطافح العادي الذي تحاول بعض التفسيرات أن تعطيه لهذه النصوص .

ونؤكد مرة اخرى أنَّ الذي ألجأ مدرسة الخلفاء الى إلغاء الدلالة السياسية والقيادية لنصوص الوصية ، هو حالة التنافي الصريح بين هذه الدلالة والصيغة الحاكمة المتبناة من قبل المدرسة . .

وأمّا الرؤية المقابلة التي تتبناها مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، فهي تعتمد مجموعة عناصر تحدد الدلالة الحقيقية لهذه النصوص :

---

(١) العوالم ج١٥/٣ ص١٢٧ .

العنصر الأول :

القرائن اللفظية :

لكي نحدد الدلالة الحقيقية لمفردة «الوصي» في هذه النصوص يجب أن نتعامل معها من خلال الصيغة التعبيرية بما تحمله من قرائن لفظية تعطي الكلمة مضمونها ومعناها ، وإنّ فصل الكلمة عن وسطها الصياغي يصادر الدلالة الأصلية لها .

ونحاول إبراز جانب من تلك القرائن :

١ ـ إقتران المفردة بلفظ «الخليفة» في أغلب النصوص :

ـ **«إنّ خلفائي وأوصيائي . . .»**

ـ **«فإنّه وصيي وخليفتي على أمتي . .»**

ـ **إنّ ربكم أمرني أن أقيم لكم علياً علماً وإماماً وخليفة ووصياً»**

فهذا الاقتران يحدد المضمون القيادي والسياسي للمفردة .

٢ ـ التأكيد على وجوب الطاعة لا ينسجم إلاّ مع الموقع القيادي .

ـ **«فاسمعوا له وأطيعوا . .»**

٣ ـ تعبيرات تحدد وظائف قيادية :

ـ **«وأنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»** .

٤ ـ تعبيرات تحدد خصائص قيادية :

ـ **«من أحب أن يتمسك بديني ويركب سفينة النجاة بعدي فليقتدِ بعلي بن أبي طالب . . فإنّه وصيي وخليفتي»** .

ـ **«إنّ وصيي وموضع سري وخير من أترك بعدي . .»**

ـ **«يا علي أنت وصيي ، حربك حربي وسلمك سلمي»**

ـ **«أنت وصيي . . تقضي ديني ، وتنجز عداتي ، وتقاتل عن سنتي»**

٥ ـ الاستفسارات الصادرة عن الصحابة :

ـ **«يا رسول الله من الخليفة بعدك ؟**

فيجيب (ص) : علي بن أبي طالب وصيي ووارثي»

العنصر الثاني :

التأكيدات المستمرة منذ بداية الدعوة وحتى آخر لحظة في حياته صلى الله عليه وآله :

فلو استقرأنا «أحاديث الوصية» لوجدناها تمتد مع حركة الدعوة منذ بداياتها في يوم الإنذار حينما نزل قوله تعالى :

﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ، وحتى النهايات الأخيرة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله .

وهذا يعبّر عن خطورة المفهوم الذي أرادت هذه النصوص تأصيله في ذهنية الأمة ، وفي وجدانها وفي حركتها .

فأيّ مفهوم هذا الذي يحمل هذا العمق في مسيرة الرسالة ، وفي حركة الدعوة ؟

ليس إلّا مفهوم القيادة والإمامة والخلافة . . وهو المفهوم الذي ينسجم مع هذا اللون المكثف من هذه التأكيدات والاهتمامات .

وإنّ إعطاء «أحاديث الوصية» مدلولاً عادياً ، إغفال واضح لطبيعة النصوص التي عالجت المسألة بدرجة كبيرة من العمق والتأكيد والاهتمام .

وإذا ساغ لنا أن نفهم الوصية لعلي عليه السلام ضمن هذا المدلول العادي الذي لا يتجاوز قضاء الديون ورعاية الأهل والأولاد فكيف يمكن أن نفهم ذلك بالنسبة لبقية الأئمة عليهم السلام الذين عبرت عنهم أحاديث الرسول (ص) بالأوصياء ؟

العنصر الثالث :

احتجاجات الأئمة عليهم السلام بنصوص الوصية :

(١) احتجاج امير المؤمنين عليه السلام :

١ ـ روى الخوارزمي في «المناقب» عن علي عليه السلام :

«أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه»[١] .

٢ ـ وروى ابن أبي الحديد في «شرح النهج» قول علي عليه السلام في كتاب له إلى أهل مصر :

«واعلموا أنّه لا يسوى إمام الهدى وإمام الردى ، ووصي النبي وعدو النبي»[٢] .

٣ ـ وذكر اليعقوبي جواب الإمام علي عليه السلام للخوارج حيث زعموا أنّه(ع) قد ضيّع الوصية :

«أمّا قولكم أنّي كنت وصياً فضيعت الوصية ، فإنّ الله عز وجل يقول : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ، ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين﴾ أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج اليه أحد كان البيت يكفر ؟

---

(١) العسكري : معالم المدرستين ج١/٢٢١ نقلاً عن «المناقب» ص١٢٥ .

(٢) معالم المدرستين ج١/٢٢١ نقلاً عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٢/٢٨ .

إنَّ هذا البيت لو تركه من استطاع اليه سبيلاً كفر ، وأنتم كفرتم بترككم إيايّ لا أنا بتركي لكم»[١] .

٤ ـ ومن كلام لأمير المؤمنين(ع) في نهج البلاغة قال :

«لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد ، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، إليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة»[٢] .

٥ ـ ومن كلامه عليه السلام في نهج البلاغة :

«أيُّها الناس إنّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم ، وأدّيت لكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم»[٣] .

(٢) احتجاج الإمام الحسن عليه السلام :

قال عليه السلام في إحدى خطبه :

«أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبي ، وأنا ابن الوصي ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن النذير ، وأنا ابن الداعي الى الله بإذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وأنا من أهل البيت الذين افترض مودتهم على كل مسلم . . .»[٤] .

(٣) احتجاج الإمام الحسين عليه السلام :

خطب الإمام الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من المحرم فقال :

«أمّا بعد فانسبوني فانظروا من أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلي وانتهاك حرمتي ، ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله ، وابن وصيه ، وابن عمه وأول القوم إسلاماً ، وأول المؤمنين بالله ، والمصدِّق لرسوله بما جاء من عند ربّه»[٥] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢/١٩٢ ، ١٩٣ .
(٢) الخطبة ٢ من نهج البلاغة ج١/٨٤ ، ٨٥ .
(٣) الخطبة ١٨٢ من نهج البلاغة ج٢/٣٩٦ .
(٤) (الحاكم النيسابوري) المستدرك ج٣/١٧٢ .
(٥) العسكري معالم المدرستين ج١/٢٢٢ نقلاً عن «تاريخ الطبري» ج٢/٣٢٩ .

(٤) احتجاج الإمام الصادق عليه السلام :

قال عليه السلام وهو يتحدث عن علي عليه السلام :

«كان علي يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت ، وقال له صلى الله عليه وآله : لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة ، فإن لا تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه ، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء»[١] .

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج١٣/٢١٠ .

المجموعة الخامسة

نصوص الوراثة

نصوص في مصادر مدرسة الخلفاء :

النص الأول .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«لكلّ نبي وصي ووارث وإنّ علياً وصيي ووارثي»[1] .

النص الثاني :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في حديث المؤاخاة :

«والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلّا لنفسي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي .

فقال : وما أرث منك ؟

قال : ما ورث الأنبياء قبلي ، كتاب ربهم وسنة نبيهم» .

المصادر :

١ ـ تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص٢٣ .
٢ ـ كنز العمال للمتقي ج٦/٢٩٠ ح٥٩٧٢ .
٣ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج١/١٠٧
٤ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ٩ .

(١) أوردنا هذا الحديث ضمن المجموعة الرابعة وذكرنا هناك مصادره .

٥ ـ فرائد السمطين للحمويني الشافعي ج١/١١٥ ، ١٢١ .
٦ ـ الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج٢/٢٣٤ .
٧ ـ المناقب لأحمد بن حنبل (نقل عنه المتقي في كنز العمال ج٦/ ٣٩٠ ح٥٩٧٢) .
٨ ـ الطبراني في مجمعه (نقل عنه المتقي في الكنز ج٥/٤١ ح٩١٩) .
٩ ـ الطبراني في مجمعه (نقل عنه المتقي في الكنز ج٥/٤١ ح٩١٩) .
١٠ ـ البارودي في المعرفة (نقل عنه المتقي في الكنز ج٥/٤١)[١] .

النص الثالث :

الحاكم في المستدرك على الصحيحين :
عن ابن عباس قال : كان علي يقول :
«والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه فمن أحق به مني»[٢] .

مصادر دونت الحديث :

١ ـ التلخيص للذهبي (بذيل المستدرك) ج٣/١٢٦ .
٢ ـ خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي ص٧٥ .
٣ ـ فتح الملك العلي للمغربي ص٥١ .
٤ ـ نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٩٧ .
٥ ـ مجمع الزوائد للهيثمي ج٩/١٣٧ .
٦ ـ ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص١٠٠ .
٧ ـ المناقب أحمد بن حنبل (نقل عنه الطبري في ذخائر العقبى ص١٠٠) .
٨ ـ الطبراني (نقل عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩/١٣٧) .
٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٣/٢٢٨ .
١٠ ـ الرياض النضرة للطبري ج٢/٣٠٠ .
١١ ـ ميزان الإعتدال للذهبي ج٣/٢٥٥ .
١٢ ـ فرائد السمطين ج١/٢٢٤ ح١٧٥[٣] .

---

(١) راجع : أ ـ المراجعات ص٢١٠ .
ب ـ سبيل النجاة ص١٢٢ ، ٢١٩ .
(٢) الحاكم : المستدرك ج٣/١٢٦ .
(٣) راجع : أ ـ المراجعات ص٢١٧ .
ب ـ سبيل النجاة ص٢٢٠ رقم ٧١٠ .

النص الرابع :

الحاكم في المستدرك على الصحيحين :

عن أبي اسحاق قال : سألت قثم بن العباس كيف ورث علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دونكم ؟ قال : لأنه كان أوّلنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقا[1] .

(قال الحاكم) :

«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

وذكره الذهبي في التلخيص مقراً صحته[2] .

النص الخامس :

عن علي عليه السلام أنّه قيل له : كيف ورثت ابن عمك دون عمك ؟

قال : «جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب وهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق ، فصنع لهم مداً من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا ، وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يمس فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا بني عبد المطلب إنّي بعثت اليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي ، وصاحبي ، ووارثي .

فلم يقم إليه أحد ، فقمت إليه وكنت من أصغر القوم فقال لي : اجلس ، ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم اليه .

فيقول لي : اجلس ، حتى كان في الثالثة ، ضرب بيده على يدي ، فلذلك ورثت ابن عمي دون عمي» .

المصادر :

١ ـ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٧٦ ح٦٣ .
٢ ـ تاريخ الطبري ج٢/٣٢١ .
٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٣/٢١٢
٤ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٢٠٦ .
٥ ـ منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٥/٤٢ .
٦ ـ مسند أحمد بن حنبل ج١/١٥٩ (نقله بالمعنى) وسنده صحيح .
٧ ـ كنز العمال للمتقي ج١٥/١٥٤ ح٣٤٥ .

---

(١) الحاكم : المستدرك ج٣/١٢٥ .
(٢) الذهبي : التلخيص (بذيل المستدرك) ج٣/١٢٥ .

٨ ـ تهذيب الآثار لابن جرير .
٩ ـ وأخرجه الضياء المقدسي في المختاره[1] .

النص السادس :

روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة) :
عن معاذ قال : قال علي عليه السلام :
«يا رسول الله ما أرث منك ؟
قال : ما يرث النبيون بعضهم من بعض كتاب الله وسنة نبيه»[2] .

نصوص الوراثة في مصادر مدرسة أهل البيت(ع)

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
«علي أخي ، ووزيري ، ووارثي ، ووصيي ، وخليفتي في أمتي ، وولي كل مؤمن بعدي»[3] .
(٢) وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :
«يا علي أنت أخي وأنا أخوك ، أنا المصطفى للنبوة ، وأنت المجتبى للإمامة ، أنا صاحب التنزيل وأنت صاحب التأويل ، وأنت أبو هذه الأمة ، يا علي أنت وصيي ، وخليفتي ، ووزيري ، ووارثي ، وأبو ولدي»[4] .
(٣) عن سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :
يا معشر المهاجرين والأنصار ، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ؟
قالوا : بلى يا رسول الله .
قال : هذا علي أخي ، ووصيي ووزيري ، ووارثي ، وخليفتي إمامكم فأحبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ، فإنَّ جبرائيل أمرني أن أقوله لكم»[5] .
(٤) عن الإمام الحسن عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام :

---

(١) راجع : أ ـ شرف الدين : المراجعات ص٢٩٩ .
ب ـ الراضي : سبيل النجاة ص٢٢١ .
(٢) الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج٢/٤٦ نقلاً عن «الرياض النضرة» للطبري ج٢/١٧٨ .
(٣) المرجعات ص٢٨٧ نقلاً عن «اكمال الدين» للصدوق ص٢٧١ .
(٤) المراجعات ص٢٩١ نقلاً عن «أمالي الصدوق» ص٢٩٥ .
(٥) المراجعات ٢٩١ نقلاً عن «أمالي الصدوق» ص٢٤٧ .

«أنت وارث علمي ، ومعدن حكمي ، والإمام بعدي»[1] .

(٥) من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله حين حضرته الوفاة : «الله الله في أهل بيتي ، مصابيح الظلم ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم ، ومستقر الملائكة ، منهم وصيي ، وأميني ، ووارثي ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى ، ألا هل بلغت ؟ . . . .»[2] .

(٦) ومن وصيته صلى الله عليه وآله :

«القرآن إمام هدى ، وله قائد يهدي إليه ، ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولي الأمر بعدي وليه ، ووارث علمي ، وحكمتي ، وسري وعلانيتي ، وما ورّثه النبيون من قبلي ، وأنا وارث ومورث ، فلا تكذبنكم أنفسكم ، أيها الناس : الله الله في أهل بيتي فإنّهم أركان الدين ، ومصابيح الظلم ، ومعدن العلم ، علي أخي ، ووارثي ، ووزيري ، وأميني ، والقائم بأمري ، والموفي بعهدي على سنتي ، أول الناس بي إيماناً ، وآخرهم عهداً عند الموت ، وأولهم لي لقاء يوم القيامة ، فليبلغ شاهدكم غائبكم»[3] .

(٧) عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«علي بن أبي طالب وصيي ووارثي وقاضي ديني وعداتي ، وهو الفارق بين الحق والباطل ، وهو يعسوب المسلمين ، وإمام المتقين»[4] .

(٨) عن عمار قال : لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا بعلي عليه السلام ، فسارّه طويلاً ثم قال :

«يا علي أنت وصيي ، ووارثي ، قد أعطاك الله علمي وفهمي»[5] .

(٩) عن الأصبغ بن نباته قال : سمعت عمران بن حصين يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام :

«أنت وارث علمي ، وأنت الإمام والخليفة بعدي ، تعلم الناس بعدي ما لا يعلمون ، وأنت أبو سبطي ، وزوج إبنتي ، ومن ذريتكم العترة الأئمة المعصومون . . فسأله سلمان عن الأئمة ؟

فقال : عدد نقباء بني إسرائيل»[6] .

---

(١) المراجعات ص٢٩٣ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج٢٢/٤٧٧ .

(٣) بحار الأنوار ج٢٢/٤٨٧ .

(٤) العوالم ج١٥/٣ ص١٢٧ .

(٥) العوالم ج١٥/٣ ص١٧٧ .

(٦) العوالم ج١٥/٣ ص١٨٠ .

دلالة نصوص الوراثة :

من خلال مجموعة اعتبارات يمكن أن نعطي للوراثة مضموناً سياسياً وفكرياً وروحياً يرتبط بمسألة الإمامة والقيادة والخلافة :

١ ـ فلا يمكن أن نفهم الوراثة في حدود المدلول الفقهي لهذه المفردة .

أمّا على مبنى مدرسة الخلفاء فلأنَّ النبي صلى الله عليه وآله لا يورث ، ولأنَّ العم مقدّم على ابن العم في الميراث .

وأمّا على مبنى مدرسة أهل البيت عليهم السلام فالبنت تحجب ابن العم في مراتب الورثة .

٢ ـ ورود المفردة في سياق عدة مفردات تؤكد المضمون القيادي :

(الوصي ، الخليفة ، الوزير ، الوارث) .

٣ ـ مضامين الوراثة كما حددتها النصوص :

أ ـ «ما أرث منك ؟

ـ ما ورث الأنبياء قبلي ، كتاب ربهم وسنة نبيهم» .

ب ـ «ووارث علمه . . . .»

ج ـ «أنت وارث علمي» .

د ـ «أنت وصيي ووارثي قد أعطاك الله علمي وفهمي» .

هـ ـ «وارث علمي وحكمتي وسرى وعلانيتي ، وما ورثت النبيون من قبلي» .

و ـ «تعلم الناس بعدي ما لا يعلمون . .» .

فنظرة متأنية متأملة في هذه المقاطع ، تضع الباحث أمام المضمون الكبير للوراثة التي ورد التأكيد عليها في النصوص ، فإنَّ القيمومة على كتاب الله وسنة نبيه (ص) واحتضان فكر الرسالة وأحكامها ، والاختصاص بالمهام التبليغية والترشيدية في حركة الدعوة ، ومسيرة الأمة ، مضامين لا تنسجم إلّا مع موقع الإمامة والقيادة .

المنظومة الثانية

الدلالة الإلتزامية

في المنظومة الأولى تناولنا عدة نماذج من النصوص التي طرحت مسألة الإمامة بشكل مباشر عبر مفردات واضحة الدلالة في هذا الاتجاه من أمثال (الإمامة والخلافة والوراثة) .

وفي هذه المنظومة نحاول تناول نماذج أخرى من النصوص طرحت مسألة الإمامة ، لا من خلال مفرداتها المباشرة ، وإنّما من خلال «خصائصها اللازمة» .

وإذا أردنا أن نستعير المصطلحات المنطقية فإنّنا نستطيع أن نصوغ المنظومتين من النصوص بالشكل التالي :

(١) المنظومة الأولى :

وتضم النصوص التي تدل على الإمامة «بالدلالة المطابقية» والدلالة المطابقية في التعريف المنطقي هي : «دلالة اللفظ على تمام معناه الموضوع له ومطابقته»[١] .

فكل المفردات التي تضمنتها نصوص المنظومة الأولى من أمثال (الولي ، والخليفة ، والإمام ، والوصي ، وأمير المؤمنين) تدل على معنى «الإمامة والخلافة» دلالة مطابقية .

(٢) المنظومة الثانية :

وتضم النصوص التي تدل على الإمامة «بالدلالة الإلتزامية» والدلالة الإلتزامية في التعريف المنطقي هي عبارة عن :

«دلالة اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له ، لازم له يستتبعه إستتباع الرفيق اللازم»[٢] .

ولتوضيح الفكرة نستعين بالأمثلة التالية :

---

(١) المظفر : المنطق ج١/٣٧ .

(٢) المظفر : المنطق ج١/٣٨ .

المثال الأول :

لو أخذنا نصاً «كآية التطهير» يدل على عصمة أهل البيت ، فإننا نستطيع أن نعتمده دليلاً من أدلة الإمامة ، من خلال تطبيق الصيغة الإستدلالية التالية :

أ ـ آية التطهير نص يدل على عصمة أهل البيت «كما سنبرهن على ذلك إن شاء الله» .

ب ـ والعصمة من الخصائص اللازمة للإمامة .

ج ـ فآية التطهير نص يدل على إمامة أهل البيت .

المثال الثاني :

آية أولي الأمر :

أ ـ النص يدل على وجوب طاعة الأئمة من أهل البيت .

ب ـ ووجوب الطاعة من الخصائص اللازمة للإمامة .

ج ـ فالنص يدل على إمامة الأئمة من أهل البيت .

ملاحظة :

لو تعاملنا مع «آية أولي الأمر» من خلال «وجوب الطاعة» فإننا نضعها ضمن نصوص المنظومة الثانية ، وأمّا إذا تعاملنا معها من خلال مفردة «أولي الأمر» الوارد تفسيرها في الأئمة من أهل البيت فإننا نضع الآية ضمن نصوص المنظومة الأولى .

فقوله تعالى من سورة النساء / الآية ٥٩ :

﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ يؤكد إمامة الأئمة من أهل البيت بشكل مباشر ، باعتبارهم هم المعنيون بقوله تعالى «وأولي الأمر منكم» كما أشارت إلى ذلك بعض مصادر مدرسة الخلفاء كما جاء في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي (ج ١/ ١٤٨ حديث ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤)[(١)]

وأمّا مصادر مدرسة أهل البيت فقد أجمعت على نزول الآية في «علي والأئمة من ذريته عليهم السلام» .

المثال الثالث :

النصوص التي اعتبرت الأئمة من أهل البيت هم «وسائل الأمان والنجاة للأمة» ، وهذه الخصيصة هي إحدى خصائص الإمامة ، وبالتالي تمثل هذه النصوص أدلة تعتمد لاثبات إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام .

(١) للإطلاع على بعض المصادر يراجع : حسين الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص ٥٠ .

الخلاصة :

إنّ كل نص يتضمن إحدى خصائص الإمامة ، يمكن إعتماده دليلاً لاثبات الإمامة ، من خلال تطبيق الصيغة الإستدلالية الآنفة .

نماذج من نصوص المنظومة الثانية :

النص الأول :

آية التطهير .

قوله تعالى في سورة (الأحزاب) الآية ٣٣ :

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾

النزول :

أكدّت مصادر الحديث والتفسير على نزول الآية في خمسة :

أ ـ رسول الله صلى الله عليه وآله

ب ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ج ـ فاطمة الزهراء عليه السّلام

د ـ الحسن والحسين عليهما السّلام .

(١) صحيح مسلم :

ج ٤/١٨٨٣ حديث ٢٤٢٤

كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل أهل بيت النبي (ص) «عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة :

خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ الأحزاب /٣٣» .

(٢) صحيح الترمذي :

ج ٥/٣٥١ حديث ٣٢٠٥ (كتاب تفسير القرآن) :

«عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي (ص)قال : لما نزلت هذه الآية على النبي (ص) : **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** في بيت ام سلمة ، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً ، وعلي خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال :

اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟

قال : «أنت على مكانك وأنت على خير»[1]

(٣) صحيح الترمذي :

ج ٣٥٢/٥ حديث ٣٢٠٦ (كتاب تفسير القرآن) :

«عن أنس بن مالك : أنّ رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل :

ج ٢٩٢/٦ «حديث أم سلمة» :

«عن أم سلمة أنّ النبي (ص) كان في بيتها فأتت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها ادعي زوجك وابنيك ، قالت : فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه فجسلوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري ، قالت : وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله عز وجل هذه الآية : **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت : فأدخلت رأسي البيت فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟

قال : إنك إلى خير إنك إلى خير» .

وقد أخرج الإمام أحمد حديث الكساء وآية التطهير في عدة مواضيع من مسنده :

أ ـ الجزء الأول ص ٣٣١ «حديث ابن عباس»

ب ـ الجزء الثالث ص ٢٥٩ ، ٢٨٥ «حديث أنس بن مالك» .

ج ـ الجزء الرابع ص ١٠٧ «حديث واثلة بن الأسقع» .

د ـ الجزء السادس ص ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ «حديث أم سلمة» .

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري :

الجزء الثالث : كتاب معرفة الصحابة ص ١٤٦ ، ١٤٧

(أ) عن أم سلمة قالت : في بيتي نزلت **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾** . قالت : فأرسل رسول الله (ص) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهل بيتي .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

---

(١) أخرج الترمذي الحديث نفسه في «كتاب المناقب ـ باب مناقب أهل البيت النبي (ص)» ج ٦٦٣/٥ حديث ٣٧٨٧ .

(ب) عن واثلة بن الاسقع قال : أتيت علياً فلم أجده فقالت لي فاطمة انطلق إلى رسول الله (ص) يدعوه فجاء مع رسول الله (ص) فدخلا ودخلت معهما فدعا رسول الله (ص) (الحسن والحسين فأقعد كل واحد منهما على فخذيه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوباً وقال : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ .

ثم قال : هؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(ج) عن عائشة قالت : خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلها معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معهما ، ثم جاء علي فأدخله معهم ، ثم قال : ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ .

مصادر أخرى :

للإطلاع على المزيد من المصادر يقرأ :

١ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزابادي
ج ١/ ٢٧٠ ـ ٢٨٩

٢ ـ سبيل النجاة في تتمة المراجعات للراضي
ص ٣٦ ـ ٤٣ رقم ٦٩

دلالة النص على عصمة أهل البيت عليهم السّلام :

يمكن أن نفهم دلالة النص على عصمة أهل البيت عليهم السلام من خلال النقاط التالية :

(١) النص صُدّر بأداة الحصر «إنّما» وهي من أقوى أدوات الحصر ، فإرادة التطهير في هذا النص تختص بأهل البيت فقط .

(٢) النص ضم مجموعة مفردات :

١ ـ الرجس : مطلق الذنوب والآثام والأدناس .

٢ ـ التطهير : التزكية والتنزيه من كل ألوان المعاصي والذنوب والأقذار والأدناس .

٣ ـ أهل البيت وهم :

ـ رسول الله صلى الله عليه وآله

ـ علي بن أبي طالب عليه السلام

ـ فاطمة الزهراء عليها السلام

ـ الحسن والحسين عليهما السلام

ـ الأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام .

٤ ـ الإرادة الإلهية :

يقسم علماء الأصول الإرادة إلى قسمين[١]

أ ـ إرادة تكوينية : إذا كان متعلقها الامور الواقعية من أفعال المكلفين وغيرها .

ب ـ إرادة تشريعية : إذا كان متعلقها الأمور المجعولة على أفعال المكلفين من قبل المشرع .

فما المراد من الإرادة في هذا النص القرآني ؟

لا يمكن تفسير الإرادة هنا بالإرادة التشريعية التي تعني أن الله تعالى شرع الأحكام لأهل البيت عليهم السلام لاذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم بها ، لأنه لا خصوصية لأهل البيت عليهم السلام في تشريع الأحكام لهم ، والغاية من تشريع الأحكام إذهاب الرجس عن جميع المكلفين لا عن خصوص أهل البيت عليهم السلام[٢]

فالحصر في الآية واهتمام الرسول صلى الله عليه وآله بتطبيقها على أهل البيت (ع) بالخصوص يلغي الحمل على الإرادة التشريعية .

وتفسير الإرادة بالإرادة التكوينية يواجه بإشكال الجبر حيث تكون الإرادة هي المتحكمة في جميع ما يصدر عن أهل البيت عليهم السلام من أفعال وتصرفات .

يعالج استاذنا الكبير السيد محمد تقي الحكيم هذه المشكلة في فهم مفاد الآية بقوله :

«إن الله عز وجل لما علم أن إرادتهم عليهم السلام تجري دائما على وفق ما شرعه لهم من أحكام ، بحكم ما زودوا به من إمكانات ذاتية ، ومواهب مكتسبة ، نتيجة تربيتهم على وفق مبادىء الإسلام تربية حولتهم في سلوكهم الى إسلام متجسد ، ثم بحكم ما كانت لديهم من القدرات على إعمال إرادتهم وفق أحكامه» التي استوعبوها علماً وحكمة ، فقد صح له الإخبار عن ذاته المقدسة بأنه لا يريد لهم بإرادته التكوينية إلا إذهاب الرجس عنهم ، لأنه لا يفيض الوجود إلا على هذاالنوع من أفعالهم ما داموا هم لا يريدون لأنفسهم إلا إذهاب الرجس والتطهير عنهم .

وبهذا يتضح معنى الإصطفاء والاختيار من قبله لبعض عبيده في أن يحملوا ثقل النهوض برسالته المقدسة كما هو الشأن في الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام .

على أن الشبهة لو تمت فهي جارية في الأنبياء جميعاً وثبوت العصمة لهم ـ ولو نسبياً ـ موضع اتفاق الجميع فما يجاب به هناك يجاب به هنا من دون فرق ، والشبهة لا يمكن أن

---

(١) السيد محمد تقي الحكيم : الاصول العامة للفقه المقارن ص ١٥٠

(٢) الحكيم : الأصول العامة ص ١٥٠ .

تحل إلا على مذهب أهل البيت عليهم السلام في نظرية الأمر بين الأمرين على جميع التقادير»[1] .

ويذهب بعض الباحثين من علمائنا إلى أن «المراد بالارادة في الآية ، ليس التكوينية ولا التشريعية ، بل ارادة التسديد والتوفيق ، اللذين يمد بهما سبحانه بعض عباده الذين يصطنعهم على عينه ، ويختارهم بعلمه ، ويراهم أهلاً لحمل مشعل دينه وهدايته ، ويؤيدهم بتسديده ، ولطفه ، بوسائل قد نعلمها وقد لا نعلمها ، ومن هنا قال تعالى : ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[2] .

(٣) العصمة من خصائص الإمامة :

استدل علماؤنا على ضرورة توافر الامام على العصمة بأدلة كثيرة ، منها «الدليل العقلي» الذي صور في كلماتهم بعدة صور .

الأولى : «إن الإمام حافظ للشرع كالنبي لأن حفظه من أظهر فوائد إمامته ، فتجب عصمته لذلك ، لأن المراد حفظه علماً وعملاً ، وبالضرورة لا يقدر على حفظه بتمامه إلا معصوم ، إذ لا أقل من خطأ غيره ، ولو اكتفينا بحفظ بعضه لكان البعض الآخر ملغى بنظر الشارع وهو خلاف الضرورة ، فإن النبي قد جاء لتعليم الأحكام كلها ، وعمل الناس بها على مرور الأيام» .

الثانية : «إن الحاجة الى الإمام في تلك الفوائد [إقامة الحدود ، وحفظ الفرائض وغيرها] يوجب عصمته وإلا لافتقر إلى امام آخر وتسلسل» .

الثالثة : «إن الإمام لو عصى لوجب الانكار عليه والايذاء له من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مفوت للغرض من نصبه ، ومضاد لوجوب طاعته وتعظيمه على الاطلاق المستفاد من قوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ .

الرابعة : «لو صدرت المعصية منه لسقط محله من القلوب فلا تنقاد لطاعته ، فتنتفي فائدة النصب» .

الخامسة : «إنه لو عصى لكان أدون حالاً من أقل آحاد الأمة ، لأن أصغر الصغائر من اعلى الامة واولاها بمعرفة مناقب الطاعات ومثالب المعاصي اقبح واعظم من اكبر الكبائر من ادنى الأمة»[3] .

وبناء على ما أثبتناه من ضرورة العصمة للإمامة ، يمكن أن نفهم دلالة آية التطهير على امامة أهل البيت عليهم السلام وذلك من خلال الصيغة الاستدلالية التالية :

---

(١) الحكيم : الأصول العامة ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) الشيخ عبدالله نعمة : روح التشيع ص ٤٢٤

(٣) الحكيم : الأصول العامة ص ١٨٧ ، ١٨٨ نقلا عن : «دلائل الصدق» ج ٢/ ١٠ .

أ ـ آية التطهير تدل على عصمة أهل البيت .
ب ـ العصمة من الخصائص اللازمة للامامة .
ج ـ فآية التطهير تدل على امامة اهل البيت .

النص الثاني

آية المودة :

قوله تعالى في سورة الشورى / الآية ٢٣ :

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ .

النزول :

أكدت أغلب كتب التفسير وكثير من مصادر الحديث ، والسيرة والتاريخ أن هذه الآية نزلت في قربى الرسول صلى الله عليه وآله : علي والزهراء والحسن والحسين وذريتهم الطاهرين .

(١) السيوطي في الدر المنثور :

في تفسير الآية قال :

«أخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

قال : «علي وفاطمة وولداهما»[١]

(٢) الزمخشري في الكشاف :

في تفسير قوله تعالى : **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** الآية ٢٣ من سورة الشورى :

قال : «روى أنها لما نزلت قيل : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

قال : «علي وفاطمة وابناهما[٢]

(٣) الهيثمي في مجمع الزوائد :

في قوله تعالى :

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾

«عن ابن عباس قال : لما نزلت **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾** قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

(١) السيوطي : الدر المنثور ج ٣٤٨/٧ ، ٣٤٩ .
(٢) الزمخشري : الكشاف ج ٤٠٢/٣ .

قال : علي وفاطمة وابناهما»[1]

(قال الهيثمي)رواه الطبراني

(٤) الحاكم في المستدرك :

عن علي بن الحسين قال : خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

ـ وذكر خطبة الإمام الحسن إلى أن قال ـ :

«وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله : **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾** فاقترف الحسنة مودتنا أهل البيت»[2]

(٥) السيوطي في إحياء الميت :

قال : «أخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**

قال : قربى رسول الله (ص) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ومن يقترف حسنة﴾ قال : المودة لآل محمد»[3]

(٦) ابن حجر في الصواعق المحرقة :

قال : «أخرج محمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس أن هذه الآية**﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾** لما نزلت قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

قال : علي وفاطمة وابناهما»

وقال : «روى أبو الشيخ عن علي : فينا آل حم أية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ، ثم قرأ : **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**»

وقال : «أخرج أحمد عن ابن عباس في **﴿ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾** قال : المودة لآل محمد»[4] .

(٧) الطبري في ذخائر العقبى :

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ١٠٦/٧ .

(٢) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ج ١٧٢/٣ .

(٣) السيوطي : إحياء الميت ص ٢٣ ـ ٢٧ حديث ١ ، ٣ .

(٤) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ الباب ١١ فصل ١ آية ١٤ .

عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾
قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟
قال : علي وفاطمة وابناهما .
(قال الطبري) : أخرجه أحمد في المناقب[1] .
(٨) السيوطي في إحياء الميت :
قال :
«أخرج أحمد ، والترمذي صححه ، والنسائي ، والحاكم ، عن المطلب بن ربيعة
قال : قال رسول الله (ص) :
(لا يدخل قلب امرىء مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي)[2] .

ملاحظة :

للاطلاع على المزيد من المصادر يقرأ :

أ ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج ١/٣٠٦-٣١١

ب ـ الأميني : الغدير ج ٢/ ٣٠٧- ٣١٠

ج ـ الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص ٤٣ رقم ٧٠

دلالة النص :

في الفصل المخصص لدراسة «مبدأ الولاء» من هذا الكتاب ، سوف نتناول الدلالات الكبيرة لهذا المبدأ ، ومضامينه الحقيقية التي تتجاوز الحالة الشعورية العاطفية العادية لتؤكد المسار القيادي لخط الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

فإن حالة التوازي بين «الأجر المحدد لاتعاب الرسالة» و «المودة لأهل البيت» تبرز الخصوصية التي تميز آل محمد على سائر الأمة . . وهذه الخصوصية لا تنطلق من مجرد القرابة وإن كان للقرابة اعتبارها الكبير ، وإنما تنطلق من طبيعة الموقع القيادي الذي يجسده أهل البيت في حركة الدعوة ، وما يفرضه هذا الموقع من ضرورة تأصيل الحالة الولائية والانتمائية .

وإذا فرغنا نصوص «الولاء والحب» من هذا المضمون ، فإننا لا يمكن أن نفهم هذا اللون من التأكيد الذي تجاوز الحالة العادية المألوفة . .

وكل التبريرات التي طرحت لتفسير هذا التأكيد الولائي لأهل البيت عليهم السلام ، إذا ألغينا البعد القيادي ، فإنها تبريرات غير مقبولة ، ولا تقوى على إعطاء النصوص دلالاتها المقنعة .

---

(١) الطبري : ذخائر العقبى ص ٢٥ .

(٢) السيوطي : إحياء الميت ص ٢٧ ، الحديث الرابع .

إن هذا الكم الكبير من النصوص التي فرضت «الولاء والحب لأهل البيت» تحمل دلالتين خطيرتين :

الدلالة الأولى :

تأصيل المبدأ القيادي المتجسد في خط الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، بما يتوافر عليه هذا المبدأ من عناصر ضرورية لنجاحه في مسيرة الأمة .

الدلالة الثانية :

التأكيد على رفض الصيغ البديلة المحتملة بل المعلومة من خلال الرؤية الغيبية التي يملكها الرسول صلى الله عليه وآله . وبهذا تعتبر تلك الصيغ فاقدة لشرعيتها وأصالتها .

النص الثالث :

آية المباهلة :

قوله تعالى في سورة ﴿آل عمران﴾ الآية ٦١ :

﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ .

النزول :

أجمعت كتب التفسير على أن الآية نزلت في : النبي صلى الله عليه وآله ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وفاطمة الزهراء عليها السلام ، والحسن والحسين عليهما السلام .

(١) مسلم في صحيحه :
قال :

«ولما نزلت هذه الآية : **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾** دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة حسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي»[١] .

(٢) الترمذي في صحيحه :
عن سعد بن أبي وقاص قال :

---

(١) صحيح مسلم ج ١٨٧١/٤ .
كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل علي بن أبي طالب .

«لما أنزل الله هذه الآية : ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي»[1] .

(٣) أحمد بن حنبل في مسنده :

عن سعد بن أبي وقاص قال :

«ولّما نزلت هذه الآية : ﴿ندع أبناءنا وأبناؤكم﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحنسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي»[2] .

(٤) الحكم في المستدرك :

عن سعد بن أبي وقاص قال :

«لّما نزلت هذه الآية : ﴿ندع أبناءنا وأبناؤكم﴾ دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي[3]» .

وأخرجه الذهبي في التلخيص مقراً بصحته[4] .

(٥) الزمخشري في الكشاف :

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل﴾ .

«فأتى رسول الله (ص) وقد غدا محتضناً الحسين ، آخذاً بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي خلفها ، وهو يقول : إذا أنا دعوت فأمّنوا . فقال اسقف نجران : يا معشر النصارى إن لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصاري إلى القيامة . . .»[5] .

(٦) الرازي في التفسير الكبير :

قال عند تفسيره آية المباهلة :

«وكان رسول الله (ص) خرج وعليه مرط من شعر أسود ، وكان احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي خلفها ، وهو يقول : إذا دعوت فأمّنوا ، ـ وساق الحديث إلى آخره ـ» .

---

(١) صحيح الترمذي ج٥/٢٢٥ حديث ٢٩٩٩ .
كتاب «تفسير القرآن» وقد صححه . .
وأخرج حديثاً آخر في الجزء نفسه ص٦٣٨ رقم ٣٧٢٤ وصححه .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج١/١٨٥ .
«حديث سعد بن أبي وقاص .

(٣) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ج٣ج١٥٠ وقد صححه .

(٤) الذهبي : التلخيص (بذيل المستدرك) ج٣/١٥٠ .

(٥) الزمخشري : الكشاف ج١/١٩٣ .

وعقب الرازي على الرواية بقوله : «واعلم أنّ هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث»[1] .

ملاحظة :

للاطلاع على المزيد من المصادر يقرأ :

أ ـ الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص ٤٤ ـ ٤٧ رقم ٧١ .

ب ـ السبيتي : المباهلة .

دلالة النص :

النص يحمل عدة دلالات هامة :

الدلالة الأولى :

إنّ تعيين شُخصيات المباهلة ليس حالة عفوية مرتجلة ، وإنّما هو اختيار إلّهي هادف .. وقد أجاب الرسول صلى الله عليه وآله حينما سئل عن هذا الاختيار بقوله :

«لو علم الله تعالى أنّ في الأرض عباداً أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني أن اباهل بهم ، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء فغلبت بهم النصاري»[2] .

الدلالة الثانية :

إنّ ظاهرة الاقتران الدائم بين الرسول (ص) وأهل بيته (ع) تعبّر عن مضمون رسالي كبير يحمل دلالات فكرية ، روحية ، سياسية خطيرة ، فالمسألة ليست تكريساً للمفهوم القبلي الذي ألفته الذهنية العربية ، بل هو الإعداد الرباني الهادف لصياغة الوجود الامتدادي في حركة الرسالة ، هذا الوجود الذي يمثله أهل البيت عليهم السلام بما يملكونه من إمكانات تؤهلهم لذلك .

الدلالة الثالثة :

لو حاولنا أن نستوعب مضمون المفردة القرآنية التي جاءت في هذا النص وهي قوله تعالى : ﴿أنفسنا﴾ ، لاستطعنا أن ندرك قيمة هذا النص في منظومة الأدلة المعتمدة لإثبات الإمامة .

---

(١) الرازي : التفسير الكبير ج٨/ ٨٠.
المسألة الثانية .

(٢) السبيتي : المباهلة ص٦٦ .

إنّ هذه المفردة القرآنية تعتبر علياً عليه السلام الحالة التجسيدية الكاملة لشخصية الرسول صلى الله عليه وآله ، نستثني النبوة التي تمنح رسول الله صلى الله عليه وآله خصوصية لا يشاركه فيها أحد مهما كان موقعه .

فعلي عليه السلام بما يملكه من هذه المصداقية الكاملة هو المؤهل الوحيد لتمثيل الرسول صلى الله عليه وآله في حياته وبعد مماته .

النص الرابع :

حديث المنزلة :

قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السّلام :

«أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبي بعدي» .

المصادر :

حديث المنزلة من الأحاديث المتواترة ، وقد توافرت على تدوينه أهم مصادر الحديث :

(١) صحيح البخاري :

«حدثنا شعبة عن سعد قال : سمعت ابراهيم بن سعد عن أبيه قال : قال النبي (ص) لعلي : أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى[١]» .

وأخرج البخاري في موضع آخر :

«عن مصعب بن سعد عن أبيه أنَّ رسول الله (ص) خرج إلى تبوك واستخلف علياً ، فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء؟

قال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبي بعدي»[٢] .

(٢) صحيح مسلم :

«عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال :

قال رسول الله (ص) لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نبي بعدي» .

وأخرجه بصيغ أخرى ومن عدة طرق[٣] .

(٣) صحيح الترمذي :

عن جابر بن عبدالله أنّ النبي (ص) قال لعلي :

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي»

---

(١) صحيح البخاري ج٥/٨١ حديث ٢٢٥ (كتاب فضائل أصحاب النبي(ص) ـ باب مناقب علي بن أبي طالب) .

(٢) صحيح البخاري ج٦/٣٠٩ حديث ٨٥٧ (باب غزوة تبوك) .

(٣) صحيح مسلم ج٤/١٨٧٠ ، ١٨٧١ حديث ٢٤٠٤ كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب .

وروى عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص :
أنّ النبي (ص) قال لعلي :
«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»[1] .
(٤) سنن ابن ماجة :
عن سعد بن ابراهيم قال : سمعت ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص يحدث عن أبيه عن النبي (ص) أنّه قال لعلي :
«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[2] .
(٥) مسند أحمد بن حنبل :
آ ـ عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) لعلي : **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي»**[3] .
ب ـ عن أسماء بنت عميس أنّ رسول الله (ص) قال لعلي :
«أنت بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي»[4] .
ج ـ عن ابن عباس قال : قال النبي (ص) لعلي :
«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنك لست بنبي ، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي»[5] .
الموارد التي أخرج فيها أحمد حديث المنزلة :
آ ـ الجزء الأول ص ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، «مسند سعد بن أبي وقاص» .
ب ـ الحزء الأول ص ٣٣١ «مسند عبدالله بن العباس» .
ج ـ الجزء الثالث ص ٣٢ «مسند أبي سعيد الخدري» .
د ـ الجزء السادس ص ٣٦٩ ـ ٤٦٨ «حديث أسماء بنت عميس» .

دلالة النص :

لو تأمل الباحث المنصف تأملاً متأنياً في مفردات هذا النص ، ومدلولاته اللغوية لاستطاع أن يعتبره دليلاً صريحاً على إمامة علي بن أبي طالب ، وإذا لم يمكن بمنطوقه المطابقي ، فبمدلوله الإلتزامي . .

---

(١) صحيح الترمذي ج٥/٦٤٠ ، ٦٤١ حديث ٣٧٣٠ ، ٣٧٣١ كتاب المناقب ـ باب مناقب علي بن أبي طالب .
(٢) سنن ابن ماجة ج١/٤٢ ، ٤٣ حديث ١١٥ ، المقدمة ـ فضل علي بن أبي طالب .
(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٣/٣٢ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ج٦/٣٦٩ ، ٤٣٨ .
(٥) مسند أحمد بن حنبل ج١/٣٣١ .

ويمكن أن نتبين دلالة هذا النص على الإمامة من خلال النقاط التالية :

النقطة الأولى :

منزلة هارون من موسى كانت «منزلة الخلافة النبوية» وقد منحت هذه المنزلة لعلي بن أبي طالب باستثناء النبوة ، فيبقى «موقع الخلافة» من صلاحيات علي عليه السلام إنّ في حياة النبي صلى الله عليه وآله أو بعد وفاته (ص) ، ولعل الصيغة التي أوردها أحمد في مسنده لحديث المنزلة تلقي ضوءاً على هذا المعنى ، حيث قال الرسول (ص) لعلي (ع) :

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّك لست بنبي ، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي» .

النقطة الثانية :

الفهم العرفي واللغوي يؤكد عموم المنزلة في هذا الحديث ، فلا يصح إعطاءه مضموناً محدوداً في مصاديقه ، ودلالاته ، ومساحاته المكانية والزمانية ، فالاستعمالات العربية واللغوية تأبى التخصيص في هذا اللون من الصيغ والتعبيرات .

النقطة الثالثة :

وقد تواجه الاستدلال بهذا النص إشكالية «خصوصية المورد» حيث جاء الحديث في «غزوة تبوك» ، فالخلافة الواردة في هذا النص خاصة محدودة موقتة . . .

والجواب عن هذه الإشكالية نتوافر عليه من عدة وجوه :

١ ـ النص في أغلب صيغه مطلق وليس محدداً بمورد خاص ، كما هو واضح من مراجعة صيغ الحديث المدونة في أغلب كتب الحديث .

٢ ـ حديث المنزلة ورد في عدة موارد :

آ ـ في يوم المؤاخاة .

ب ـ في يوم بدر .

ج ـ في يوم فتح خيبر .

د ـ في غزوة تبوك .

هـ ـ في يوم المباهلة .

و ـ في حجة الوداع .

ز ـ في يوم غدير خم[1] .

---

(١) للاطلاع على المصادر التي نصت على ورود الحديث في الموارد المتعددة يقرأ حسين الراضي : سبيل النجاة ص١٢٠ ـ ١٢٣ .

٣ ـ لو سلمنا بخصوصية المورد ، فإنّ ذلك لا يلغي عمومية النص ، لأنّ المورد لا يخصص الوارد كما هو ثابت ومتفق عليه ، وإلّا لجمدنا أكثر النصوص في مواردها الخاصة وهذا ما لا يقبله أحد من علماء المسلمين ، بل ترفضه قواعد اللغة ، ومرتكزات العرف .

٤ ـ إنّ الإستثناء الوارد في النص وهو قوله صلى الله عليه وآله : **«إلّا أنّه لا نبي بعدي»** أو **«إلّا أنّك لست بنبي»** يشير بشكل واضح إلى مرحلة مستقبلية بعد الرسول (ص) يمارس فيها علي (ع) دوره في خلافة الرسول صلى الله عليه آله .

النص الخامس :

حديث السفينة :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

المصادر :

حديث السفينة من الأحاديث المتواترة عند المسلمين وقد ورد بألفاظ وصيغ متعددة ، ودونته الكثير من مصادر الحديث .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم :

عن أبي إسحاق عن حنش الكناني قال : سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة : أيّها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكر فأنا أبو ذر سمعت رسول الله (ص) يقول :

«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق» .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[١] .

(٢) المعجم الصغير والأوسط للطبراني :

عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي (ص) يقول :

«إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له»[٢] .

---

(١) الحاكم : المستدرك ج٢/٣٤٣ ، ج٣/١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) نقل ذلك عن الطبراني :

أ ـ الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩/١٧١ .

ب ـ السيوطي في إحياء الميت ص٤٨ حديث ٢٧ .

ج ـ شرف الدين في المراجعات ص٧٦ .

(٣) إحياء الميت للسيوطي :

أخرج البزار عن ابن عباس قال :

قال رسول الله (ص) :

«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق» .

وأخرج الطبراني عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله (ص) : «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قوم نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك ، ومثل باب حطة في بني اسرائيل»[1] .

(٤) الصواعق المحرقة لابن حجر :

أخرج الحاكم عن أبي ذر أنّ رسول الله (ص) قال :

«إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» .

وفي رواية البزار عن ابن عباس ، وعن ابن الزبير ، وللحاكم عن أبي ذر أيضاً :

«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق»[2] .

(٥) ذخائر العقبى للطبري :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :

«مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تعلق بها فاز ، ومن تخلف عنها غرق» .

(قال الطبري) : أخرجه الملا في سيرته .

وعن علي قال : قال رسول الله (ص) :

«مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تعلق بها فاز ، ومن تخلف عنها زج في النار» .

(قال الطبري) : أخرجه ابن السري[3] .

(٦) منتخب كنز العمال للمتقي :

قال رسول الله (ص) :

«مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق» .

(قال المتقي) : البزار عن ابن عباس وابن الزبير .

والحاكم عن أبي ذر[4] .

---

(١) السيوطي :. إحياء الميت ص٤٦ ، ٤٧ حديث ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص٢٨٢ الباب ١١ الفصل ٢ ، الحديث ٢ .

(٣) الطبري : ذخائر العقبى ص٢٠ .

(٤) المتقي : منتخب كنز العمال «بهامش مسند أحمد» ج٥/٩٢ .

ملاحظة :

للإطلاع على المزيد من مصادر «حديث السفينة» يقرأ :

أ ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢/٦٤ .

ب ـ الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص٢٣ ، ٣٤ رقم ٣٩ ، ٤٠ .

النص السادس :

حديث «علي مني وأنا من علي» .

وردد هذا الحديث بصيغ متعددة :

(١) صحيح البخاري :

قال النبي (ص) لعلي :

«أنت مني وأنا منك»[1] .

(٢) صحيح الترمذي :

في حديث عمران بن حصين أنَّ النبي (ص) قال :

«إنَّ علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي»[2] .

(٣) سنن ابن ماجة :

عن حبشي بن جنادة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلّا علي»[3] .

(٤) مسند أحمد بن حنبل :

في حديث بريدة الأسلمي قال له النبي (ص) :

«لا تقع في عليّ فإنّه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي وإنَّه منى وأنا منه وهو وليكم بعدي»[4] .

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم :

في حديث عمران بن حصين أنّ النبي (ص) قال :

«إنّ علياً مني وأنا منه وولي كل مؤمن»[5] .

---

(١) صحيح البخاري : ج٤/٣٦٤ حديث ٩٠٤ «كتاب الصلح» وج٥/٧٩ كتاب فضائل أصحاب النبي (ص) باب مناقب علي بن أبي طالب .

(٢) صحيح الترمذي ج٥/٦٣٢ حديث ٣٧١٢ كتاب المناقب ـ باب مناقب علي بن أبي طالب

(٣) سنن ابن ماجة ج١/٤٤ حديث ١١٩ «المقدمة» .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ج٥/٣٥٦ «حديث بريدة الأسلمي» .

(٥) الحاكم : المستدرك ج٣/١١٠ ، ١١١ «كتاب معرفة الصحابة» .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٦) التلخيص للذهبي :

أورد الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه ولم يشكك في صحته[1] .

(٧) مجمع الزوائد للهيثمي :

في حديث بريدة الأسلمي قال له النبي :

«لا تقع في عليّ فإنّه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي» .

(قال الهيثمي) : رواه الترمذي باختصار ورواه أحمد والبزار باختصار[2] .

(٨) مسند أحمد بن حنبل :

عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة السلوي وكان قد شهد حجة الوداع قال : قال رسول الله (ص) :

«علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي»[3] .

وقد أخرجه أحمد من حديث حبشي بن جنادة بطرق متعددة كلها صحيحة ، وقد رواه عن يحيى بن آدم عن اسرائيل بن يونس عن جده أبي اسحاق عن حبشي وكل هؤلاء حجج عند الشيخين وقد ورد احتجابهم في الصحيحين»[4] .

(٩) المجمع الأوسط للطبراني :

في حديث بريدة أنّ النبي (ص) قال :

«من فارق علياً فقد فارقني إنّ علياً مني وأنا منه»[5] .

(١٠) الصواعق المحرقة لابن حجر :

أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن حبشي بن جنادة قال : قال رسول الله (ص) :

«علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي»[6] .

النص السابع :

حديث الأمان :

ورد بصيغ متعددة :

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم :

---

(١) الذهبي : التلخيص «بذيل المستدرك» ج٣/١١٠ ، ١١١ .
(٢) الهيثمي : مجمع الزوائد ج٩/١٣١ .
(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٤/١٦٥ .
(٤) شرف الدين : المراجعات ص٢٤٤ .
(٥) نقل ذلك عن الطبراني : الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩/١٣١ .
(٦) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص١٨٨ الباب ٩ فصل ٢ حديث ٦ .

عن جابر قال : قال رسول الله (ص) :

«النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت أتاها ما يوعدون ، وأنا أمان لأصحابي ما كنت فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون ، وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون» .

(قال الحاكم) : صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1] .

(٢) إحياء الميت للسيوطي :

اخرج ابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وأبو يعلى ، والطبراني ، عن سلمة بن الأكوع قال : قال رسول الله (ص) :

«النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي»[2] .

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس»[3] .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤) الصواعق المحرقة لابن حجر :

أخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع أنّ النبي (ص) قال : **«النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي»**[4] .

(٥) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي :

أخرج أحمد في المناقب عن علي قال : قال رسول الله (ص) : **«النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»**[5] .

مصادر أخرى :

١ ـ منتخب كنز العمال للمتقي (بهامش مسند أحمد) ج٥/٩٣ .

٢ ـ ذخائر العقبى للطبري ص١٧ .

٣ ـ الجامع الصغير للسيوطي ج٢/١٦١ .

---

(١) الحاكم : المستدرك ج٢/٤٤٨ .

(٢) السيوطي : إحياء الميت ص٤٢ ، ٤٣ الحديث ٢١ .

(٣) الحاكم : المستدرك ج٣/١٤٩ .

(٤) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص٢٨٣ الباب ١١ فصل ٢ حديث ١٢ .

(٥) القندوزي الحنفي : ينابيع المودة الباب الثالث ج١/١٩ .

٤ - الفتح الكبير للنبهاني ج٣/٢٦٧ .
٥ - نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢٣٤ .
٦ - فرائد السمطين للحمويني الشافعي ج٢/٢٤١ ح٥١٥[1]

النص الثامن

حديث المؤاخاة :

(١) صحيح الترمذي :

عن ابن عمر قال : «آخى رسول الله (ص) بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال : يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ، فقال رسول الله (ص) : «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»[2] .

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم :

عن ابن عمر قال : إنّ رسول الله (ص) آخى بين أصحابه . فآخى بين أبي بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، فقال علي : يا رسول الله إنّك قد آخيت بين أصحابك فمن أخي ؟ قال رسول الله (ص) : «**أما ترضى يا علي أن أكون أخاك**»فقال علي : بلى يا رسول الله .
فقال رسول الله (ص) : «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»[3] .

(٣) مسند أحمد بن حنبل :

عن علي في حديث الإنذار قال : قال رسول الله (ص) : «**فأيّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ؟**» قال : فلم يقم اليه أحد ، فقمت اليه وكنت أصغر القوم ، فقال : اجلس ، قال ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم اليه ، فيقول لي : اجلس ، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي»[4] .

(٤) سنن ابن ماجة :

عن عباد بن عبد الله قال : قال علي :
«**أنا عبد الله ، وأخو رسوله (ص) ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلّا كذاب ، صليت قبل الناس لسبع سنين**»[5] .

---

(١) راجع : حسين الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص٢٥ ، ٢٦ ، رقم ٤١ .
(٢) صحيح الترمذي ج٥/٦٣٦ حديث ٣٧٢٠ كتاب المناقب - باب مناقب علي بن أبي طالب .
(٣) الحاكم : المستدرك ج٣/١٤ «كتاب الهجرة» .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ج١/١٥٩ «مسند علي بن أبي طالب» .
(٥) سنن ابن ماجة ج١/٤٤ حديث ١٢٠ «المقدمة» .

(٥) المستدرك للحاكم :

عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي قال :

«إنّي عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلاّ كذاب ، صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة»(١) .

(٦) مجمع الزوائد للهيثمي :

عن علي قال : «والله إنّي لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح(٢) .

ملاحظة :

للإطلاع على المزيد من المصادر يقرأ :

١ ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج١/٣٦٥ .

٢ ـ الميلاني : قادتنا ج١/٤٤١ .

٣ ـ الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص١٢٣ ـ ١٢٩ .

النص التاسع

حب علي وأهل البيت عليهم السلام :

في هذا المضمون وردت أحاديث كثيرة جداً ، يأتي ذكر طائفة منها في أحد الفصول القادمة ـ إن شاء الله ـ واكتفي هناك باختيار بعض النماذج :

(١) صحيح مسلم :

عن علي قال : «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي (ص) إليَّ : أن لا يحبني إلاّ مؤمن ، ولا يبغضني إلاّ منافق»(٣) .

(٢) سنن ابن ماجه :

عن علي قال :

«عهد إليَّ النبي الأمي (ص) أنّه لا يحبني إلاّ مؤمن ، ولا يبغضني إلاّ منافق»(٤) .

(٣) المستدرك للحاكم :

عن عوف بن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال : سمعت رسول الله (ص) يقول ؛ «من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني»

---

(١) الحاكم : المستدرك ج٣/١١١ ، ١١٢ .

(٢) الهيثمي : مجمع الزوائد ج٩/١٣٧ .

(٣) صحيح مسلم ج١/٨٦ حديث ١٣١ كتاب الإيمان .

(٤) سنن ابن ماجة ج١/٤٢ حديث ١١٤ .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[1] .

(٤) إحياء الميت للسيوطي :

أخرج الطبراني في الأوسط عن الحسن بن علي : أنّ رسول الله (ص) قال : «الزموا مودتنا أهل البيت فإنّه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقنا»[2] .

(٥) صحيح الترمذي :

عن أم سلمة قالت : كان رسول الله (ص) يقول :

«لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن»[3] .

(٦) صحيح الترمذي :

عن أبي سعيد الخدري قال : إنّا كنّا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب»[4] .

(٧) مسند أحمد بن حنبل :

عن علي قال :

«عهد إليّ النبي (ص) أنّه لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق»[5] .

(٨) صحيح الترمذي :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :

«احبوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[6] .

ملاحظة :

للإطلاع على المزيد من المصادر يقرأ :

١ ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢/٢٢٣ .

٢ ـ الميلاني : قادتنا ج١/١٨٤ .

٣ ـ الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص١٥٢ ـ ١٥٤ رقم ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

---

(١) الحاكم المستدرك ج٣/١٣٠ .

(٢) السيوطي : إحياء الميت ص٣٩ الحديث ١٨ .

(٣) صحيح الترمذي ج/٥/٦٣٥ حديث ٣٧١٧ «كتاب المناقب» .

(٤) صحيح الترمذي ج٥/٦٣٥ حديث ٣٧١٧ «كتاب المناقب» .

(٥) مسند أحمد بن حنبل ج١/٩٥ «مسند علي بن أبي طالب» .

(٦) صحيح الترمذي ج٥/٦٦٤ حديث ٣٧٨٩ .

النص العاشر

حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها»

ورد الحديث بصيغ متعددة :

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم :

عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :

«أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب» .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[١] .

(٢) صحيح الترمذي :

عن علي قال : قال رسول الله (ص) :

«أنا دار الحكمة وعلي بابها»[٢] .

(٣) ميزان الإعتدال للذهبي :

عن علي قال : قال رسول الله (ص) :

«أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأت باب المدينة»[٣] .

(٤) منتخب كنز العمال للمتقي :

عن ابن عباس عن رسول الله (ص) قال :

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» .

نقله عن : العقيلي ، وأبي عدي في الكامل ، والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك .

روى الحديث عن جابر ، ناقلاً ذلك عن أبي عدي في الكامل ، والحاكم في المستدرك[٤] .

(٥) ذخائر العقبى للطبري :

عن علي قال : قال رسول الله (ص) :

«أنا دار العلم وعلي بابها» .

أخرجه البغوي في المصابيح في الحسان .

وخرجه أبو عمر وقال : «أنا مدينة العلم» وزاد «فمن أراد العلم فليأته من بابه»[٥] .

(٦) الصواعق المحرقة لابن حجر :

أخرج البزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله ، والطبراني والحاكم والعقيلي وابن عدي عن ابن عمر ، والترمذي والحاكم عن علي قال :

---

(١) الحاكم : المستدرك ج٣/١٢٦ .

(٢) صحيح الترمذي ج٥/٦٣٧ حديث ٣٧٢٣ .

(٣) الذهبي : ميزان الإعتدال ج٢/٢٥١ .

(٤) المتقي : منتخب الكنز «بهامش مسند أحمد» ج٥/٣٠ .

(٥) الطبري : ذخائر العقبى ص٧٧ .

قال الرسول الله (ص) : «أنا مدينة العلم وعلي بابها»وفي روية : «فمن أراد العلم فليأت الباب» .
وفي آخرى عند الترمذي عن علي ؛ «أنا دار الحكمة وعلي بابها» .
وفي آخرى عند ابن عدي : «علي باب علمي»[1] .

مصادر اخرى :

هذا الحديث من الأحاديث التي توافرت على تدوينها عشرات المصادر ، حتى أفرد الإمام أحمد بن محمد بن الصديق المغربي لتصحيح هذا الحديث كتاباً سماه : «فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي» وقد طبع سنة ١٣٥٤هـ بالمطبعة الإسلامية بمصر[2] .

ونضع بين يدي القارىء طائفة من المصادر التي دونت هذا الحديث :
١ ـ شواهد التنزيل للحسكاني ج١/٣٣٤ ح٤٥٩ .
٢ ـ مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص٨٠ .
٣ ـ تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص٤٧ ، ٤٨ .
٤ ـ فيض القدير للشوكاني ج٣/٤٦ .
٥ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٧/٢١٩ .
٦ ـ الفتح الكبير للنبهاني ج١/٢٧٦ .
٧ ـ الجامع الصغير للسيوطي ج١/٩٣ .
٨ ـ الرياض النضرة للطبري ج٢/٢٥٥ .
٩ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم ج١/٦٣ .
١٠ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج٢/٤٦٤ .
١١ ـ كنوز الحقائق للمناوي ص٤٦ .
١٢ ـ مصابيح السنة للبغوي ج٢/٢٧٥ .
١٣ ـ أسد الغابة لابن الاثير الجزري ج٤/٢٢ .
١٤ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٢٢٠ ، ٢٢١ .
١٥ ـ المناقب للخوارزمي الحنفي ص٤٠[3] .

---

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص١٨٨ ، ١٨٩ الباب التاسع ، الفصل الثاني ، الحديث التاسع .
(٢) المرجعات ص٢٤٢ هامش (٣) .
(٣) راجع : حسين الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص١٤٤ ـ ١٤٦ رقم ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، .

النص الحادي عشر

حديث «علي مع القران» و «علي مع الحق» .

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم :

في حديث أبي ثابت مولى أبي ذر عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح الإسناد[١] .

(٢) التلخيص الذهبي :

أورد الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك مسلماً بصحته[٢] .

(٣) صحيح الترمذي :

في حديث أبي حيان التيمي عن أبيه عن علي أنّ رسول الله (ص) قال :

«رحم الله علياً ، اللهم أدر الحق معه حيث دار»[٣] .

(٤) المستدرك للحاكم :

عن أبي حيان التيمي عن أبيه عن علي قال :

قال رسول الله (ص) :

«رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار» .

(قال الحاكم) :

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[٤] .

(٥) الصواعق المحرقة لابن حجر :

أخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : **«علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»**[٥] .

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي :

عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال : دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً عليه السلام وقالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»[٦] .

---

(١) الحاكم : المستدرك ج٣/١٢٤ .

(٢) الذهبي : التلخيص : (بذيل المستدرك)ج٣/١٢٤ .

(٣) صحيح الترمذي ج٥/٦٣٣ حديث ٣٧١٤ «كتاب المناقب» .

(٤) الحاكم : المستدرك ج٣/١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص١٩١ الباب ٩ الفصل ٢ حديث ٢١ .

(٦) الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج٢/١٢٣ . نقلاً عن «تاريخ بغداد» ج١٤/٣٢١ .

(٧) مجمع الزوائد للهيثمي :

عن أبي سعيد الخدري قال : كنا عند بيت النبي (ص) في نفر من المهاجرين والأنصار . . . .

ـ قال ـ ومر علي بن أبي طالب فقال (ص) :

«الحق مع ذا ، الحق مع ذا» .

(قال الهيثمي) : رواه أبو يعلي ورجاله ثقات[١] .

(٨) مجمع الزوائد للهيثمي :

في حديث سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«علي مع الحق والحق مع علي حيث كان» .

قاله في بيت أم سلمة . فأرسل أحد إلى أم سلمة فسألها ، فقالت قد قاله رسول الله (ص) في بيتي» .

(قال الهيثمي) : رواه البزار وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح[٢] .

قال الأميني صاحب الغدير في تعقيبه على كلام الحافظ الهيثمي :

«الرجل الذي لم يعرفه الهيثمي هو سعيد بن شعيب الحضرمي قد خفي عليه لمكان التصحيف ، ترجمة غير واحد بما قاله شمس الدين ابراهيم الجوزجاني : إنه كان شيخاً صالحاً صدوقاً كما في خلاصة الكمال ١١٨ وتهذيب التهذيب ٤٨/٤»[٣] .

ملاحظة

للإطلاع على المزيد من المصادر يقرأ :

١ ـ التستري : إحقاق الحق ج٥/ ٦٤٠ .

٢ ـ الأميني : الغدير ج٣/١٧٧ ـ ١٨٠ .

٣ ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة ج٢/١٢٢ ـ ١٢٧ .

٤ ـ الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص١٦٩ ـ ١٧١ رقم ٦١١ .

النص الثاني عشر

الصلاة على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) صحيح البخاري :

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ج٧/٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٢) الهيثمي : مجمع الزوائد ج٧/٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) الأميني : الغدير ج٣/١٧٧ .

في قوله تعالى : ﴿إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيُّها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

قيل : يا رسول الله أما السّلام عليك فقد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟

قال : «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم إنّك حميد مجيد ، اللهّم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنّك حميد مجيد»[1] .

(٢) صحيح مسلم :

عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله (ص) ونحن في مجلس سعد بن عباده ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله (ص) حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله (ص) .

«قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، والسلام كما قد علمتم»[2] .

(٣) صحيح الترمذي :

عن كعب بن عجره قال : قلنا يا رسول الله ، هذا السلام عليك قد علمنا ، فكيف الصلاة عليك ؟

قال : «قولوا : اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[3] .

(٤) سنن ابن ماجه :

عن كعب بن عجرة قال :خرج علينا رسول الله (ص) فقلنا : قد عرفنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟

قال :«قولوا :اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ،اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[4] .

(٥) مسند أحمد بن حنبل :

عن بريدة الخزاعي قال :قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟

---

(١) صحيح البخاري ج٦/٤٨٩ كتاب التفسير ـ باب ٥٢، وج٨/٤٣٤ كتاب الدعوات ـ باب الصلاة على النبي (ص) .

(٢) صحيح مسلم ج ١/٣٠٥ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة على النبي (ص) .

(٣) صحيح الترمذي ج ٢/٣٥٢ ، ٣٥٣ حديث ٤٨٣ .

(٤) سنن ابن ماجه ج ١/٢٩٣ حديث ٩٠٤ .

قال : «قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد»[1] .

(٦) الصواعق المحرقة لابن حجر :

قال : ويروى [عن النبي (ص)أنه قال] :

«لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء»

قالوا : وما الصلاة البتراء ؟

قال : «تقولون : اللهم صل على محمد وتمسكون ، بل قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[2] .

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي :

في تفسير الآية ٥٦ من سورة الأحزاب قال :

«المسألة الثالثة : سئل النبي عليه السلام كيف نصلي عليك يا رسول الله ؟

فقال : «قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[3] .

ملاحظة :

هدف البحث هنا إعطاء نماذج وعينات تعبر عن هذه المنظومة من منظومات النصوص ،وما طرحناه من أمثلة محدودة يكفي في تصورنا لإعطاء صورة للصيغة الإستدلالية التي اعتمدت الدلالة الإلتزامية لإثبات مسألة الإمامة . .

وملاحظة أخرى لا تفوتنا الأشارة إليها وهي أننا إكتفينا في أمثلة المنظومة الثانية باختيار نماذج مدوّنة في مصادر مدرسة الخلفاء ، ولم نعرض لما دوّنته مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، لأننا وإن كنا نعتمد ما ثبت عن إئمتنا من أهل البيت في تحديد كل الرؤى العقائدية والفكرية والفقهية التي نتبناها وفقاً لما توافر لدينا من أدلة قطعية ، غير أننا في مقام محاسبة الأفكار والأراء والتصورات على الصعيد العام لايسعنا إلاّ إعتماد الأدلة القادرة على إلزام الأخرين ما دمنا في طريق تأصيل منهج الأئمة من أهل البيت عليهم السلام . .

وهذا لا يعني إقرار «إشكالية الدور» التي يثيرها بعض الباحثين حول إعتماد أحاديث أئمة البيت عليهم السلام لإثبات الإمامة ، فهذه الإشكالية غير واردة لأنّ إعتماد الأئمة هنا

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٣٥٣/٥ .

(٢) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٢٢٥ الباب ١١ ، الفصل الأول ، الآية الثانية .

(٣) الرازي : التفسير الكبير ج ٢٢٧/٢٥ ، ٢٢٨ .

باعتبارهم وسائط أمينة ومتفق على صدقهم ونزاهتهم لايشك في ذلك أحد من المسلمين ، فرواياتهم في مقام التعارض هي أصدق الروايات ، وأحاديثهم هي أصدق الأحاديث .

نعم ربما يشكل على هذا المنحى بعدم ثبوت هذه الأحاديث عن الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام ، إلاّ أننا نجيب عن ذلك بأنّ المسألة ترجع إلى دراسة القنوات المعتمدة في نقل الرواية والحديث ، وقد عالجت هذا الجانب الدراسات المتخصصة في علم الرجال والدراية والحديث ، وأشبعته بحثاً وتحقيقاً مما أنتج رؤية واضحة حول رجال الحديث وقنواته حسب المقاييس والموازين الصحيحة لتقويم الرواة وأدوات الرواية .

المنظومة الثالثة

المؤشرات العامة

هذه المنظومة تضم النصوص التي تعطي لأهل البيت عليهم السّلام من المواصفات والفضائل المتميزة ما يؤشر بوضوح إلى مواقعهم القيادية في حركة الدعوة ومسيرة الأمة .

فالكثافة الكبيرة من نصوص المناقب والفضائل الخاصة بأهل البيت عليهم السّلام تمثل مؤشرات صريحة على الخصوصية التي تميّز أهل البيت دون سائر الأمة .

وتوافر هذه الخصوصية لأهل البيت عليهم السّلام ليس بملاك الحالة القرابية النسبية ، وإنّ كان لهذه الحالة إعتبارها في مقام التقويم والتعظيم ، وإنّما بملاك المواقع القيادية التي يحملون صلاحياتها ومؤهلاتها وإستعدادتها .

ومن المسلمات الثابتة تفرد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأهل البيت عليهم بفضائل ومناقب وخصائص لا يشاركهم فيها أحد من هذه الأمة . .

قال ابن العباس :

«ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي»[1]

وقال الإمام بن حنبل :

«ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله (ص) من الفضائل ما جاء لعلي(ع)»[2] .

وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري :

«لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي»[3] .

وهنا نضع هذا التساؤل الكبير :

لماذا هذا التأكيد على علي وأهل بيته ؟

(١) شرف الدين : المراجعات ص ٢٥٥ نقلاً عن ابن عساكر .

(٢) الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ج ١٠٧/٣ .

(٣) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ١٨٦ الباب التاسع ، الفصل الثاني .

الإحتمالات الممكنة في الأجابة على هذا التساؤل ثلاثة :

الإحتمال الأول :

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله ينطلق . في هذا التأكيد والإهتمام بأهل بيته من بواعث ذاتية عاطفية .

وهذا الإحتمال ساقط قطعاً ، فلا نظن أنّ مسلماً يؤمن بالله ورسوله يساور ذهنه هذا اللون من التفكير .

الإحتمال الثاني :

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله من خلال رؤيته الغيبية ، وما سوف يلاقيه أهل بيته من إبتلاءات وإضطهادات ومحن قاسية أراد صلى الله عليه وآله من خلال هذا الكم الكبير من النصوص التأكيد على وجوب الحفاظ على أهل بيته ورعايتهم وتعظيمهم وحرمة إيذائهم وإهانتهم وظلمهم .

هذا الأحتمال يمكن أن يكون مقبولاً بالنسبة لطائفة من النصوص تحمل دلالة واضحة في هذا الاتجاه . .

كقوله صلى الله عليه وآله :

«من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله»

وقوله صلى الله عليه وآله :

«من آذاني في عترتي فقد آذى الله»

وقوله صلى الله عليه وآله :

«إنّ الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم»

وقوله صلى الله عليه وآله :

«من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله اكبه الله على منخزيه في النار» .

وقوله صلى الله عليه وآله :

«من آذى علياً فقد آذاني»

وغيرها من النصوص التي تنحى هذا المنحى في التأكيد على هذا الجانب .

ولكن بين أيدينا ـ كما يبدو ذلك واضحاًمن خلال القراءة المتأنيه ـ نسبة كبيرة من النصوص تحمل صيغة تؤصّل منهجاً ومساراً وخطاً للأمة ، فلا يمكن أن تفهم مجرد وسائل إجرائية وقائية لحماية الجانب الشخصي في حياة أهل البيت عليهم السّلام . . . نعم يمكن أن تكون وسائل إجرائية لحماية الجانب الرسالي في حياة الأئمة ، وهذا ينسجم مع الفهم الذي يعطي للنصوص دلالتها القيادية .

الإحتمال الثالث :

وهو الإحتمال الذي يملك القدره على إعطاء التفسير المقبول لهذه الظاهرة المتميزة في مسار الرسالة . . فالإهتمام الواضح بأهل البيت والذي تجاوز الحد المألوف وشكّل صفة بارزة في خطابات الرسول صلى الله عليه وآله يعبّر بدرجة لا تقبل الشك عن إتجاه الرسالة في تحديد الصيغة القيادية للأمة . . . .

ونحن هنا ـ ضمن الحديث عن المنظومة الثالثة ـ لا نريد التعامل مع المفردات التي تطرح مسألة الإمامة من خلال الدلالات المطابقية أو الدلالات الإلتزامية ، فذلك ما توافرت عليه المنظومتان الأولى والثانية ، وإنّما نريد التعامل مع الإتجاه العام الذي تتحرك من خلاله النصوص والأحاديث .

فإذا كانت المنظومة الأولى تعالج قضية الإمامة بصيغ مباشرة ، وإذا كانت المنظومة الثانية تعالج القضية من خلال اللوازم ، فإنّ المنحى في المنظومة الثالثة يحاول أن يرصد النصوص في مجموعها لا في مفرداتها ليكتشف الخط العام الذي تؤصلة هذه النصوص ، بما يحمله هذا الخط من منطلقات وأهداف وخصائص ومعالم بارزة .

وتواجه الباحث وهو يتعامل مع النصوص من خلال هذا المنحى عدة ظواهر جديرة بالدراسة والتأمل ، ومن أبرز هذه الظواهر :

(١) التأكيد على حالة الإقتران بين القرآن وأهل البيت عليهم السّلام ، كما يعبّر عن ذلك «حديث الثقلين» المسلّم بصحته عند المسلمين ، وأحاديث أخرى كثيرة .

(٢) التأكيد على حالة الإقتران بين الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام ، ومن الشواهد المتفق عليها بين المسلمين :

أ ـ مسألة الصلاة على محمد وآل محمد .

ب ـ قصة المباهلة .

ج ـ حديث الكساء . .

(٣) التأكيد على لزوم التمسك بأهل البيت عليهم السلام كما هو واضح من خلال «حديث الثقلين» و«حديث السفينة» وأحاديث أخرى متظافرة .

(٤) التأكيد على الموقع المتميّز لأهل البيت عليهم السلام ، ونجد ذلك صريحاً في «آية التطهير» و«حديث المنزله» ونصوص كثيرة مدوّنة في المصادر المعتمدة .

(٥) التأكيد على الولاء والحب لأهل البيت عليهم السّلام كما تفرض ذلك «آية المودة» وأحاديث مشتهرة عند المسلمين .

(٦) التأكيد على توافر خصائص في أهل البيت عليهم السّلام لا يشاركهم فيها أحد من الأمة ، فهم سفن النجاة ، وأمان الأمة ، والعروة الوثقى ، وأزمة الحق ، وأعلام

الدين ، ودعائم الإسلام ، وأبواب العلم ، وألسنة الصدق . . . . . إلى آخر الصفات التي تصرح بها الأحاديث والروايات . . . .

ونؤكد مرة أخرى أنّنا في تناولنا لهذه المنظومة لن نمارس المنهج الذي نهجناه في تناول المنظومتين الأولى والثانية ، والذي تعاملنا من خلاله مع نماذج من النصوص ، وإنّما نحاول أن نضع بين يدي القارىء عينات من المؤلفات التي عنيت بتدوين مناقب وفضائل أهل البيت عليهم السلام ، وبعض النماذج من الدراسات والبحوث التي عالجت مسألة الإمامة . عبر مراحل تاريخية متعددة .

والسبب في هذا العدول عن ذلك المنهج هو أنّ الهدف من تناول المنظومة ليس التعاطي مع المفردات ، وإنّما هو محاولة لإبراز الإتجاه العام الذي مارسته الرسالة في التأكيد على القيمة الخاصة لأهل البيت عليهم السّلام ، ولا نتوافر على هذا الهدف إلاّ من خلال التعاطي مع أكبر قدر ممكن من النصوص والأحاديث .

نماذج من مؤلفات المسلمين التي عنيت بتدوين فضائل أهل البيت (ع)

(١) المناقب .
المؤلف : الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) .
(٢) خصائص أمير المؤمنين .
المؤلف : النسائي الشافعي (ت ٣٠٣ هـ) .
(٣) شواهد التنزيل في الآيات النازلة في أهل البيت (ع) .
المؤلف : الحاكم الحسكاني الحنفي (ت ٤٩٠ هـ) .
(٤) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب .
المؤلف : الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨ هـ) .
(٥) فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين .
المؤلف : الحمويني الشافعي (٧٣٢ هـ) .
(٦) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق .
المؤلف : إبن عساكر الشافعي .
(٧) الفصول المهمة في معرفة الأئمة .
المؤلف : ابن الصباغ المالكي (٨٥٥ هـ) .
(٨) أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب .
المؤلف : شمس الدين الجزري الشافعي (ت ٨٣٣ هـ) .
(٩) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول .
المؤلف : محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٣ هـ) .
(١٠) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى .
المؤلف : محب الدين الطبري (ت ٦٩٤ هـ) .
(١١) إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين
المؤلف : محمد الصبّان الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ) .
(١٢) ينابيع المودة .
المؤلف : القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٣ هـ) .
(١٣) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار .
المؤلف : الشبلنجي المصري .

ملاحظة :

هذه نماذج من مؤلفات مدرسة الخلفاء عنيت بتدوين فضائل أهل البيت عليهم السّلام ، ويمكن قراءة الأبواب المخصصة لمناقب الإمام أمير المؤمنين ومناقب أهل البيت الطاهرين في الصحاح الستة (البخاري ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجه ، وأبي داود ، والنسائي) وغيرها من الكتب المعتمدة لدى مدرسة الخلفاء . .

وأمّا مدرسة أهل البيت عليهم السّلام فقد توافرت على عدد كبير من المؤلفات التي اهتمت بتدوين فضائل العترة الطاهرة نشير إلى نماذج محدودة منها :

(١٤) كتاب المناقب .
المؤلف : محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠ هـ) .

(١٥) منتخب الأنوار في تاريخ الأئمة الأطهار .
المؤلف : محمد بن همام الإسكافي (ت ٣٣٦ هـ) .

(١٦) الإرشاد .
المؤلف : الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) .

(١٧) المناقب .
المؤلف : ابن شهراشوب المازندراني (٥٨٣ هـ) .

(١٨) كشف الغمة في معرفة الأئمة .
المؤلف : علي بن عيسى الأربلي (ت ٦٩٢ هـ) .

(١٩) كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين .
المؤلف : العلّامة الحلي (ت ١٠٩١ هـ) .

(٢٠) مناقب أمير المؤمنين .
المؤلف : الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) .

(٢١) مناقب أمير المؤمنين .
المؤلف : السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ) .

(٢٢) بحار الأنوار .
المؤلف : العلامة المجلسي (ت ١١١٠ هـ) .

(٢٣) عوالم العلوم والمعارف .
المؤلف : الشيخ عبدالله البحراني (من معاصري العلّامة المجلسي) .

(٢٤) الأنوار البهية في تاريخ الحجج الإلهية .
المؤلف : الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ) .

(٢٥) سيرة الأئمة .
المؤلف : السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ) .

(٢٦) سيرة الأئمة الإثني عشر .

المؤلف : السيد هاشم معروف الحسيني .

(٢٧) فضائل الخمسة من الصحاح الستة .

المؤلف : السيد مرتضى الفيروزابادي .

(٢٨) قادتنا كيف نعرفهم .

المؤلف السيد محمد هادي الميلاني .

نماذج من الدراسات والبحوث حول إمامة أهل البيت عليهم السلام :

لقد عالج علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام مسألة الإمامة معالجة مستوعبة وشاملة ، معتمدين في ذلك صيغ أساسية :

الصيغة الأولى :

الصيغة التي تعتمد الروايات والأحاديث ، وتتناول هذه الصيغة تدوين النصوص والروايات الدالة على إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، وقد سلكت هذه الصيغة منحيين ؛

الأول : اعتماد الروايات الصادرة عن طريق مدرسة الخلفاء .

الثاني : اعتماد الروايات الصادرة عن طريق الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

الصيغة الثانية :

الصيغة التي تعتمد «الاستدلال العقلي» ، وتتناول هذه الصيغة معالجة مسألة الإمامة على ضوء ما تفرضه الرؤية العقلية بما تملكه من أوّليات ومرتكزات ومسلّمات . وما تثيره الصيغة الأولى من اشكالات حول صحة النصوص ودلالاتها لا يرد على هذه الصيغة .

الصيغة الثالثة :

الصيغة التي تعتمد «التحليل التاريخي» ، وتتعامل هذه الصيغة مع المفردات التاريخية ، في منطلقاتها ومضامينها ، وتفاعلاتها ، ودلالاتها ، مستخدمة النص ومقولات التاريخ الثابتة .

هذه الصيغ الثلاث هي أهم الصيغ التي إعتمدتها الدراسات والبحوث التي تناولت مسألة الإمامة ، وغالباً ما تمتزج الصيغ الثلاث ضمن الدراسة الواحدة ، وقد تنفرد بعض الدراسات بصيغة واحدة . .

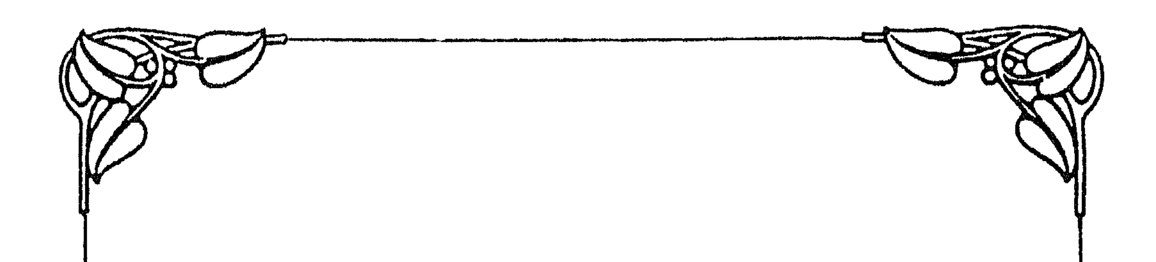
وقد حاولنا أن نختار من الدراسات والبحوث المتنوعة في صيغها وأساليبها ، مراعين المراحل التاريخية المتعددة بدءاً بعصر الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام وإنتهاءاً بآخر الدراسات المعاصرة .

(١) «كتاب الإمامة» .
المؤلف : أبو جعفر محمد بن علي الكوفي الملقب بـ«مؤمن الطاق» وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام .
(٢) «كتاب الإمامة» .
المؤلف : الخليل بن أحمد العروضي (ت ١٦٠ أو ١٧٠ هـ) . وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام .
(٣) «كتاب الإمامة» .
المؤلف : هشام بن الحكم الكوفي (ت ١٧٩ هـ) .
وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام .
(٤) «كتاب الإمامة» .
المؤلف : أبو جعفر السكاك (تلميذ هشام بن الحكم) .

(٥) «كتاب الإمامة»
المؤلف : أبو محمد عبد الله بن مسكان من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام .
(٦) «كتاب الإمامة» .
المؤلف : أبو يوسف يعقوب بن نعيم الكاتب .
من أصحاب الإمام الرضا عليه السّلام .
(٧) «كتاب الإمامة» .
المؤلف : الفضل بن شاذان النيسابوري المتوفى سنة ٢٦٠ هـ .
(٨) الإمامة والتبصرة من الحيرة .
المؤلف : ابن بابويه القمي
المتوفي سنة ٣٢٩ هـ .
(٩) كمال الدين وتمام النعمة .
المؤلف : الشيخ الصدوق .
المتوفى سنة ٣٨١ هـ .
(١٠) كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر .
المؤلف : أبو القاسم علي بن محمد الخزاز القمي .
(من تلامذة الشيخ الصدوق) .
(١١) إمامة أمير المؤمنين من القرآن .
المؤلف : الشيخ المفيد .
المتوفى سنة ٤١٣ هـ .

(١٢) «كتاب الشافي» .
المؤلف : علم الهدى السيد المرتضى .
المتوفى سنة ٤٣٦ هـ .
(١٣) تلخيص الشافي .
المؤلف شيخ الطائفة الطوسي .
المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .
(١٤) الإحتجاج .
المؤلف : أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي .
(من علماء القرن السادس الهجري) .
(١٥) اليقين في إمرة أمير المؤمنين .
المؤلف : السيد ابن طاووس .
المتوفى سنة ٦٤٤ هـ .
(١٦) «كتاب الإمامة» .
المؤلف : كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني .
المتوفى سنة ٦٧٩ هـ .
(١٧) (كتاب الألفين) .
المؤلف : العلامة الحلي .
المتوفى سنة ٧٣٦ هـ .
(١٨) المناظرات في الإمامة .
المؤلف : المحقق الكركي .
المتوفى سنة ٩٩٣ هـ .
(١٩) إحقاق الحق .
المؤلف : القاضي نور الله الحسيني التستري .
المتوفى سنة ١٠١٩ هـ .
(٢٠) إثبات الهداة .
المؤلف : الحر العاملي .
المتوفى سنة ١١٠٤ هـ .
(٢١) غاية المرام وحجّة الخصام .
المؤلف : السيد هاشم البحراني .
المتوفى سنة ١١٠٧ هـ .
(٢٢) عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار .

المؤلف : السيد حامد حسين الكهنوي .
المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ .
(٢٣) منار الهدى .
المؤلف : الشيخ علي بن عبدالله البحراني .
المتوفى سنة ١٣١٩ هـ .
(٢٤) المراجعات .
المؤلف : السيد عبد الحسين شرف الدين .
المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ .
(٢٥) الغدير في الكتاب والسنة و الأدب .
المؤلف : الشيخ عبد الحسين الأميني .
المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ .
(٢٦) بحث حول الولاية .
المؤلف : الشهيد السيد محمد باقر الصدر .
المتوفى سنة ١٤٠٠ هـ .
(٢٧) معالم المدرستين .
المؤلف : السيد مرتضى العسكري (معاصر) .
(٢٨) الإمامة في التشريع الإسلامي .
المؤلف : الشيخ محمد مهدي الأصفي (معاصر) .
(٢٩) المدخل إلى الإمامة .
المؤلف : الشيخ محمد مهدي الأصفى .
(٣٠) الإمامة والولاية في الإسلام .
المؤلف : السيد علي خامنه أي .



المبحث الثاني

كيف عالجت مدرسة الخلفاء نصوص الإمامة

- التشكيك في صحة النصوص .
- التشكيك في دلالة النصوص .

إعتمدت مدرسة الخلفاء[1] في معالجتها لنصوص الإمامة محاولتين :

ـ التشكيك في صحة النصوص .

ـ التشكيك في دلالة النصوص .

المحاولة الأولى :

التشكيك في صحة النصوص :

تتجه مدرسة الخلفاء إلى التشكيك في صحة الكثير من النصوص التي تعتمدها مدرسة أهل البيت عليهم السلام لإثبات الإمامة ، وهذا التشكيك يرتكز على عدة أمور :

أ ـ توهين أغلب النصوص من الناحية السندية .

ب ـ إتهام الإتجاه الشيعي بوضع تلك النصوص .

ج ـ غياب تلك النصوص من أهم مصدرين في الحديث وهما صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وهذا يخلق إهتزاز في الثقة بتلك النصوص .

ملاحظات حول المحاولة الأولى :

الملاحظة الأولى :

النصوص التي تعتمدها مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لإثبات الإمامة تتمثل في طائفتين :

---

(١) «مدرسة الخلفاء» مصطلح يقابل «مدرسة أهل البيت» التي تتبنى «مبدأ النص» في مسألة الإمامة (يقرأ : معالم المدرستين) .

الطائفة الأولى :

نصوص قرآنية ، وقد توافرنا على تدوين نسبة منها ، وعلى المصادر المعتمدة في إثبات نزولها في أهل البيت عليهم السّلام . . .

الطائفة الثانية :

أحاديث نبوية ، وقد ضمت نسبة كبيرة من النصوص الصحيحة ، كما صرح بدلك الكثير من أعلام الحديث .

ونشير إلى بعض الأمثلة :

المثال الأول :

حديث الغدير :

١ ـ توافرات على تدوين حديث الغدير اكثر مصادر الحديث ، والتفسير ، والتاريخ ، كما أوضحنا ذلك ، وللإطلاع على المصادر التي دوّنت هذا الحديث يقرأ :
أ ـ الغدير في الكتاب والسنّة والأدب للشيخ الأميني
ب ـ إحقاق الحق للقاضي التستري
ج ـ غاية المرام للسيد هاشم البحراني
د ـ عبقات الأنوار للسيد حامد حسين الكهنوي
هـ ـ سبيل النجاة في تتمة المراجعات للشيخ حسين الراضي .

٢ ـ وقد اعترف بتواتر حديث الغدير عدد من علماء السنة منهم :
أ ـ جلال الدين السيوطي الشافعي في «الفوائد المتكاثرة في الأحاديث المتواترة»
ب ـ ابن كثير الدمشقي في تاريخه (في ترجمة محمد بن جرير الطبري)
ج ـ الملا علي القاري الحنفي في (المرقاة شرح المشكاة)
د ـ المناوي الشافعي في كتابه التيسير
هـ ـ شمس الدين الجزري الشافعي في كتابه «اسنى المطالب»
و ـ شمس الدين الذهبي الشافعي في كتاب «حديث الغدير»[1]

---

(١) راجع : أ ـ الأميني : الغدير ج ١/٢٩٤ ـ ٣١٣ .
ب ـ الراضي : سبيل النجاة ١٨٣ رقم ٦٢٣ .

٣ ـ وقد تعددت طرق هذا الحديث في كتب مدرسة الخلفاء[1] .
أ ـ رواه أحمد بن حنبل من (٤٠ طريقاً)
ب ـ رواه ابن جرير الطبري من (٧٢ طريقاً)
ج ـ رواه ابن عقدة من (١٠٥ طرق)
د ـ رواه ابو سعيد السجستاني من (١٢٠ طريقاً)
هـ ـ رواه أبو بكر الجعابي من (١٢٥ طريقاً)
و ـ رواه أبو العلاء العطار من (٢٥٠ طريقاً)

٤ ـ وألّف في حديث الغدير عدد من علماء السنة منهم :
ـ أ ـ أبو العباس أحمد بن عقدة (المتوفي سنة ٣٣٣ هـ)
له كتاب «الولاية في طرق حديث الغدير»
ـ ب ـ محمد بن جرير الطبري (المتوفي سنة ٣١٠ هـ)
له كتاب «الولاية في طريق حديث الغدير»
ـ ج ـ أبو بكر الجعابي (المتوفي سنة ٣٥٥ هـ)
له كتاب «من روى حديث غدير خم»
د ـ الدار قطني (المتوفي سنة ٣٨٥ هـ)
له جزء في «طرق حديث الغدير»
ـ هـ ـ أبو سعيد السجستاني (المتوفي سنة ٤٧٧ هـ)
له كتاب «الدراية في حديث الولاية»
ـ و ـ الحسكاني الحنفي (المتوفي سنة ٤٩٠ هـ)
له كتاب «دعاة الهداة إلى أداء حق الولاة»
ـ ز ـ شمس الدين الذهبي (المتوفي سنة ٧٤٨ هـ)
له كتاب «طريق حديث الولاية»
ـ ح ـ شمس الدين الجزري الشافعي (المتوفي سنة ٨٣٣ هـ)
له كتاب «اسنى المطالب» ذكر فيه حديث الغدير[2] .

٥ ـ روى حديث الغدير من الصحابة (١١٠ صحابياً) ومن التابعين (٨٤ تابعياً) .

---

(١) الأميني : الغدير ج ١٤/١ ، ١٥٨ .
(٢) راجع : أ ـ الأميني : الغدير ج ١٥٢/١ ـ ١٥٨ .
ب ـ الراضي : سبيل النجاة ص١٩٣ ، ١٩٤ رقم ٦٤١ .

«للتعرف على أسماء الصحابة والتابعين الذين رووا حديث الغدير ، ورواياتهم ، وتراجمهم يقرأ كتاب :

(الغدير) للأميني ، الجزء الأول من الصفحة ١٤ حتى الصفحة ٧٢»

٦ ـ وقد أخرج حديث الغدير عدد كبير من علماء السنّة في كتبهم ومصنفاتهم ، أحصى الشيخ الأميني في كتابه «الغدير» (٣٦٠ عالماً) منهم ، ودون أسماءهم وتراجمهم[1] .

المثال الثاني :

حديث الثقلين :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .

١ ـ حديث الثقلين دونته عشرات المصادر السنية من كتب الحديث والتفسير والتاريخ واللغة[2] .

٢ ـ روى حديث الثقلين خمسة وثلاثون صحابياً منهم :

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)
(٣) سلمان الفارسي
(٤) أبو ذر الغفاري
(٥) عبد الله بن عباس
(٦) أبو سعيد الخدري
(٧) جابر بن عبد الله الأنصاري
(٨) أبو الهيثم بن التيهان
(٩) أبو رافع
(١٠) حذيفة بن اليمان
(١١) خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين
(١٢) زيد بن أرقم
(١٣) أبو أيوب الأنصاري

---

(١) الأميني : الغدير ج ٧٣/١ ـ ١٥١ .

(٢) تقرأ رسالة «حديث الثقلين» التي أصدرتها «دار التقريب» في القاهرة .

(١٤) أبو هريرة
(١٥) أنس بن مالك[1]

المثال الثالث :

حديث المنزلة :

قول الرسول صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :
«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي»

١ـ حديث المنزلة دوّنته اكثر كتب الحديث والتفسير والتاريخ منها :
(١) صحيح البخاري ج ٥/ ٨١ حديث ٢٢٥
وج ٦/ ٣٠٩ حديث ٨٥٧
(٢) صحيح مسلم ج ٤/ ١٨٧٠ حديث ٢٤٠٤
(٣) صحيح الترمذي ج ٥/ ٦٤٠ ، ٦٤١
(٤) سنن ابن ماجه ج ١/ ٤٢ ، ٤٣
(٥) مسند أحمد بن حنبل ج ٣/ ٣٢ ، وج ٦/ ٣٦٩ ، ٤٣٨
وفي مواضع أخرى متعددة من مسنده .

٢ ـ حديث المنزلة صدر عن الرسول صلّى الله عليه وآله في عدة مناسبات مرت الإشارة إليها .

٣ ـ روى حديث المنزلة عدد كبير من الصحابة منهم :
(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
(٢) جابر بن عبد الله الأنصاري
(٣) عمر بن الخطاب
(٤) عبد الله بن عباس
(٥) أبو سعيد الخدري
(٦) عبد الله بن مسعود
(٧) أبو أيوب الأنصاري
(٨) أبو هريرة

---

(١) الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص ١٧ ـ ١٩ .
نقلاً عن : «عبقات الأنوار» الجزئين الأول والثاني حيث دونت رواياتهم ومصادرها .

(٩) زيد بن أرقم
(١٠) أنس بن مالك
(١١) البراء بن عازب
(١٢) جابر بن سمرة[1]

الملاحظة الثانية :

في ضوء الأمثلة التي طرحناها من خلال الملاحظة الأولى يتضح خطأ المقولتين السابقتين اللتين أثارتها المحاولة الأولى وهما :

١ ـ المقولة التي تعتبر نصوص الإمامة ساقطة سندا .

٢ ـ والمقولة التي تتهم الاتجاه الشيعي بوضع تلك النصوص . .

وللتوافر على المزيد من الأمثلة ، يستطيع القارىء أن يعود الى «المبحث الأول» من هذا الفصل ، الذي تناول منظومات النصوص والأحاديث ، ليتضح له مدى الخلل في هذا اللون من المقولات المرتجلة ، والتي لاتعتمد المقاييس العلمية والأسس الموضوعية .

الملاحظة الثالثة :

وأما الإشكالية الثالثة التي تثيرها المحاولة الأولى ، وهي غياب نصوص الإمامة من أهم مصدرين في الحديث وهما : صحيح البخاري وصحيح مسلم ، فيمكن أن نجيب عنها من خلال النقاط التالية :

النقطة الأولى :

إنّ الصحيحين لم يستوعبا كل الأحاديث الصحيحة ، وهذا ما أكده البخاري ومسلم وكثير من أعلام الحديث :

١ ـ قال البخاري :

ما أدخلت في كتاب الجامع إلاّ ما صح ، وتركت من الصحاح لحال الطول»[2] .

٢ ـ قال مسلم :

«ليس كل صحيح وضعته هنا ، إنّما وضعت هنا ما أجمعوا عليه»[3] .

٣ ـ قال الحاكم النيسابوري :

---

(١) الراضي : سبيل النجاة ص ١١٧ ، ١١٨ رقم ٤٧٥ .

(٢) (٣) الأميني : الغدير ج ٣١٨/١ .

«ولم يحكما [البخاري ومسلم] ولا واحد منهما أنّه لم يصح من الحديث غير ما أحرجه»[1] .

وقال :

«وقد سألني جماعة من أعيان أهل العلم بهذه المدينة وغيرها أن أجمع كتاباً يشتمل على الأحاديث المروية باسانيد يحتج محمد بن اسماعيل [البخاري] ومسلم بن الحجاج بمثلها إذ لا سبيل الى اخراج ما لا علّة له فإنّهما رحمهما الله لم يدعيا ذلك لأنفسهما»[2] .

٤ ـ قال النووي في شرح مسلم :

«استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلا بشرطيهما فيها ، ونزلت على درجة ما التزماه ، وقد ألّف الإمام الدارقطني في بيان ذلك كتابه المسمّى (بالاستدراكات والتتبع) ، ولأبي مسعود الدمشقي (صاحب الأطراف) استدراكات عليهما ، وكذا لأبي علي الغساني في كتابه (تقييد المهمل) . . .»[3] .

٥ ـ قال الشيخاني القادري المدني في (الصراط السوي)

«وكم حديث، صحيح ما أخرجه الشيخان»[4] .

٦ ـ قال الحافظ العراقي في (فتح المغيث) ص ١٩ :

«إنّ البخاري ومسلم لم يستوعبا إخراج الصحيح»[5] .

٧ ـ قال الإمام كمال الدين بن الهمام في شرح الهداية :

«وقول من قال : أصحّ الأحاديث ما في الصحيحين ، ثم ما انفرد به البخاري ، ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما اشتمل على شروطهما ، ثم ما اشتمل على شرط أحدهما تحكم لا يجوز التقليد فيه ، إذ الأصحية ليست إلا لاشتمال رواتها على الشروط التي إعتبراها ، فإنّ فرض وجود تلك الشروط في رواة حديث في غير الكتابين ، أفلا يكون الحكم بأصحية ما في الكتابين عين التحكم»[6] .

٨ ـ قال السيد رشيد رضا في (مجلة المنار) ج ٢٩/ ١٠٤ :

«وممّا لا شك فيه أيضاً أن يوجد في غيرهما [البخاري ومسلم] من دواوين السنة أحاديث أصحّ من بعض ما فيهما»[7] .

---

(١) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ج ٢/١ «خطبة الكتاب» .

(٢) الحاكم : المستدرك ج ٢/١ ، ٣ «خطبة الكتاب» .

(٣) أبو ريه : أضواء على السنة المحمدية ص ٢١٣ .

(٤) الأميني : الغدير ج ٣٠٤/١ .

(٥) الأميني : الغدير ج ٣١٩/١ .

(٦) أضواء على السنة المحمدية ص ٣١٢ .

(٧) أضواء على السنّة المحمدية ص ٣٠٤ .

النقطة الثانية :

نحاول من خلال هذه النقطة أن نعطي أمثلة لنصوص توافرت على شروط الشيخين (البخاري ومسلم) ولم يخرجاها :

المثال الأول :

حديث الغدير برواية زيد بن أرقم «راجع الصيغة الثانية من صيغ حديث الغدير» .
أورد الحديث الحاكم النيسابوري في المستدرك (ج ٣/ ١٠٩) وقال بعد ذكر الحديث :
«هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»
وأورد الحديث الذهبي في التلخيص (بذيل المستدرك) مسلماً بصحته (ج ٣/ ١٠٩)

المثال الثاني :

حديث الولاية :
قول الرسول صلى الله عليه وآله :
«من كنت مولاه فهذا علي مولاه»

أخرج الحديث ، الحاكم في المستدرك (ج ٣/ ١١٠) وصححه على شرط الشيخين ، وذكره الذهبي في التلخيص مسلماً بصحته ، وأخرجه الترمذي في صحيحة (ج ٥/ ٦٣٣ حديث ٣٧١٣) معترفاً بصحته ، ورواه ابن ماجه في سننه (ج ١/ ٤٥)

المثال الثالث :

حديث الولاية بصيغة اخرى :
قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :
«أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنه»
أ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (ج ٣/ ١٣٤) وعقّب عليه بقوله :
«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة .
ب ـ وأورده الذهبي في التلخيص (بذيل المستدرك) مسلّماً بصحته .
ج ـ وأخرجه الترمذي في صحيحه (ج ٥/ ٦٣٢ حديث ٣٧١٢) بسند صحيح .
د ـ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج ٤/ ٤٣٨)

المثال الرابع :

قول الرسول صلى الله عليه وآله في حجة الوداع :

«علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي»

أ ـ أخرج هذا الحديث الإمام أحمد في مسنده (ج ٤/ ١٦٥) بطرق متعددة كلها صحيحة ، وقد رواه عن يحيى بن آدم عن اسرائيل بن يونس عن جدة عن أبي اسحاق عن حبشي ، وكل هؤلاء احتج بهم البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] .

ب ـ وأخرجه ابن ماجة في سننه (ج ١/ ٤٤ حديث ١١٩) عن حبشي بن جناده .

المثال الخامس :

قول الرسول صلى الله عليه وآله .

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب» .

أ ـ قال الحاكم النيسابوري بعد أن أخرج هذا الحديث في مستدركه (ج ٣/ ١٢٦) :

«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

ب ـ وقد ألف الإمام أحمد بن الصديق المغربي كتاباً سمّاه «فتح الملك العلي بصحته حديث باب مدينة العلم علي» .

المثال السادس :

قول الرسول صلّى الله عليه وآله .

«من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصى علياً فقد عصاني» .

أ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج ٣/ ١٢١) وعقب عليه بقوله :

«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

ب ـ وأورده الذهبي في التلخيص (بذيل المستدرك) مسلّماً بصحته .

---

(١) شرف الدين : المراجعات ص ٢٤٤ .

المثال السابع :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :
«من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني» .
أ ـ أخرجه في المستدرك (ج ٣/١٣٠) وعقب عليه بقوله :
«هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» .
ب ـ وأخرجه الذهبي في التلخيص «بذيل المستدرك» مسلّماً بصحته .

المثال الثامن :

قول الرسول صلى الله عليه وآله .
«إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، ـ فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر ، قال أبو بكر أنا هو ، قال : لا ، قال عمر : أنا هو ، قال : لا ولكن خاصف النعل ، يعني علياً» .
أ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (ج ٣/١٢٢ ، ١٢٣) وعقب عليه بقوله :
«هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» .
ب ـ وأخرجه الذهبي في التلخيص «بذيل المستدرك» مسلّماً بصحته .

المثال التاسع :

حديث سد الأبواب إلاّ باب علي :
عن زيد ابن أرقم قال : كانت لنفر من أصحاب رسول الله (ص) أبواب شارعة في المسجد فقال يوماً :

«سدوا هذه الأبواب إلاّ باب علي» .
قال : فتكلم في ذلك ناس ، فقام رسول الله (ص) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«أما بعد فإنّي أمرت بسد هذه الأبواب ، غير باب علي فقال فيه قائلكم ، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته» .

أ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (ج ٣/١٢٥) وعقّب عليه بقوله :
«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .
ب ـ وأخرج الحديث الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (الجزء الرابع صفحة ٣٦٩) .

ج - وروي الحديث بصيغة اخرى عن ابن عباس ، أخرج ذلك الحاكم في المستدرك (ج ٣/ ١٣٤) وقال عنه : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة» ، وأورده الذهبي في التلخيص معترفاً بصحته .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (الجزء الأول صفحة ٣٣١) بسند صحيح .

المثال العاشر :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«علي مع القرآن ، والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .

أ - أخرجه الحاكم في المستدرك (ج ٣/ ١٢٤) .

وعقّب عليه بقوله :

«هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

ب - وذكره الذهبي في التلخيص (بذيل المستدرك) مسلّماً بصحته .

النقطة الثالثة :

ولو تجاوزنا ما أوردناه في النقطتين الأولى والثانية ، وأردنا أن نعتمد على ما جاء في الصحيحين بالفعل ، فالمسألة ليست عسيرة ، فإنّ الصحيحين (البخاري ومسلم) - أو أحدهما - قد توافرا على نسبة من النصوص صالحة بدلالتها المطابقية أو الالتزامية أو باعتبارها مؤشرات عامة ، لأن تعتمد أدلة لإثبات الإمامة . .

ونستعين بنماذج من هذه النصوص :

النص الأول :

آية التطهير :

الآية ٣٣ من سورة الأحزاب :

قوله تعالى :

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ .

أورد مسلم في صحيحه (الجزء الرابع صفحة ١٨٨٣ حديث ٢٤٢٤) عن عائشة قالت : «خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾** .

النص الثاني :

آية المباهلة :

الآية ٦١ من سورة آل عمران :

قوله تعالى :

﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاء من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ .

قال مسلم في صحيحه (الجزء الرابع صفحة ١٨٧١) .

«ولمّا نزلت هذه الآية : **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾** .

دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي» .

النص الثالث :

الآية ٥٦ من سورة الأحزاب :

قوله تعالى :

﴿إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً﴾ .

لمّا نزل هذا النص فرض الرسول (ص) على المسلمين أن يقرنوا بينه وبين آله في الصلاة فقال لهم :

«قول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» .

١ ـ أخرج ذلك البخاري في صحيحه (الجزء السادس صفحة ٤٨٩ كتاب التفسير ، والجزء الثامن ص ٤٣٤ كتاب الدعوات) .

٢ ـ وأخرجه مسلم في صحيحه (الجزء الأول صفحة ٣٠٥) .

النص الرابع :

حديث الثقلين :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي» .

أخرجه مسلم في صحيحه (الجزء الرابع صفحة ١٨٧٣ ، حديث ٢٤٠٨) بسنده عن زيد بن أرقم في حديث الرسول (ص) بغدير خم

النص الخامس :

حديث المنزله :

قول الرسول (ص) لعلي (ع) :

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي» .

١ ـ أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه .

الجزء الخامس : ص ٨١ حديث ٢٢٥ «باب مناقب علي بن أبي طالب» .

الجزء السادس : ص ٣٠٩ حديث ٨٥٧ «كتاب المغازي ـ غزوة تبوك» .

٢ ـ وأخرجه مسلم في صحيحه :

الجزء الرابع : ص ١٨٧٠ حديث ٢٤٠٤ .

كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل علي بن أبي طالب .

النص السادس :

قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :

«أنت مني وأنا منك» .

ذكر هذا الحديث البخاري في صحيحه :

الجزء الرابع : ص ٣٦٤ حديث ٩٠٤ . «كتاب الصلح»

الجزء الخامس : ص ٧٩ .

«كتاب فضائل أصحاب النبي (ص) ـ باب مناقب علي بن أبي طالب» .

النص السابع :

قول الإمام علي عليه السلام :

«والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي صلى الله عليه وآله : لا يحبني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق» .

أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه :

الجزء الأول : ص ٨٦ حديث ٧٨ .

كتاب الإيمان باب ٣٣»

النص الثامن :

حديث «الخلفاء الإثني عشر»

١ ـ أخرجه البخاري في صحيحه :

الجزء التاسع : ص ٧٢٩ حديث ٢٠٣٤ .

كتاب الأحكام ـ باب ١١٤٨ .

٢ ـ وأخرجه مسلم في صحيحه :

الجزء الثالث : ص ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ .

حديث ١٨٢١ ، ١٨٢٢ .

المحاولة الثانية :
التشكيك في دلالة النصوص :

قلنا أن مدرسة الخلفاء في معالجتها لنصوص الإمامة اعتمدت محاولتين :
الأولى : التشكيك في صحة النصوص .
الثانية : التشكيك في دلالة النصوص .

وقد ثبت من خلال البحث عجز المحاولة الأولى عن إلغاء نسبة كبيرة من النصوص بعد أن توافرت على تدوينها مصادر الحديث والتفسير والتاريخ .

وهنا يتناول البحث المحاولة الثانية لمعرفة مدى قدرتها على إسقاط دلالة النصوص في مضامينها ومعانيها .

اهم الإتجاهات التفسيرية :

أهم الإتجاهات التي جسّدت المحاولة الثانية هي :
١ ـ الإتجاه المنقبي .
٢ ـ الإتجاه الترشيحي .
٣ ـ الإتجاه التجزيئي .
٤ ـ الإتجاه المآلي .

الاتجاه الاول :
الاتجاه المنقبي :

هذا الإتجاه يحاول أن يعطي للنصوص طابعاً لا يتجاوز «الحالة المنقبية» ، فالسنن والأحاديث الواردة في أهل البيت ليست نصوصاً في الإمامة ، وإنّما هي «مناقب وفضائل» لا غير .

وهذا الاتجاه في فهم النصوص هو الإتجاه العام الذي تتبناه مدرسة الخلفاء .

مناقشة هذا الإتجاه :

ولنا عدة ملاحظات حول هذا الإتجاه .

الملاحظة الأولى :

هذا الإتجاه لا ينسجم مع نسبة كبيرة من النصوص التي تؤكد من خلال مفرداتها مضامين قيادية وسياسية ، ومن هذه المفردات :
(١) مفردات الولاية .

أ ـ ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .

ب ـ «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» .

ج ـ «أنت ولي كل مؤمن بعدي» .

د ـ «علي وليكم بعدي»[1] .

(٢) مفردات الخلافة :

أ ـ «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم» .

ب ـ «إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي» .

ج ـ «الخلفاء من بعدي إثنا عشر»[2] .

(٣) مفردات الإمامة :

أ ـ «هو إمام كل مسلم» .

ب ـ «الأئمة من ولدي» .

ج ـ «ليقتد بالأئمة من بعدي»[3] .

ومفردات أخرى كثيرة تعبر عن دلالات كبيرة تتجاوز الحالة المناقبية العادية لتؤكد المضمون القيادي الخطير في حركة الدعوة .

الملاحظة الثانية :

إنّ الصيغ التي توافرت عليها كثير من النصوص تعبّر عن وضع «منهج» للأمة تتحرك من خلاله :

ا ـ «إن تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي» .

ب ـ «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

ج ـ «أهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف» .

د ـ «علي مع القرآن ، والقرآن مع علي» .

هـ ـ «علي مع الحق ، والحق مع علي» .

و ـ «أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب» .

---

(١) راجع المبحث الأول من هذا الفصل : المجموعة الأولى .
(٢) راجع المبحث الأول من هذا الفصل : المجموعة الثانية .
(٣) راجع المبحث الأول من هذا الفصل : المجموعة الثالثة .

الملاحظة الثالثة :

إنّ التأكيد الكبير على حالة التعاطي والإلتفاف حول علي عليه السلام والأئمة من أهل البيت يعطي دلالة صريحة على «الخصوصية القيادية» التي تريد النصوص تأصيلها في داخل الأمة لعلي وأهل بيته :

أ ـ «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى» .

ب ـ «من أحب علياً فقد أحبني . . .» .

ج ـ «من أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصى علياً فقد عصاني» .

د ـ «من فارق علياً فقد فارقني . . .» .

الملاحظة الرابعة :

لقد قلنا في موضع سابق من مواضع هذا البحث أن الكثافة الكبيرة من نصوص الفضائل والمناقب الخاصة بأهل البيت عليهم السلام ، وحالة الاهتمام الواضح التي برزت في خطابات الرسول صلى الله عليه وآله تعبر بدرجة لا تقبل الشك عن إتجاه الرسالة في تحديد الصيغة القيادية للأمة . . وإنّ أيّ تفسير آخر لهذه الظاهرة المتميزة لا يمكن أن يعطي تبريراً مقنعاً مقبولا لمن يريد أن يفهم النصوص فهماً علمياً مدروسا ، ويتعامل مع الأحاديث تعاملاً موضوعياً منهجياً .

الاتجاه الثاني :

الاتجاه الترشيحي :

هذا الاتجاه يحاول أن يعطي للنصوص طابعاً لا يتجاوز «الحالة التأهيلية الترشيحية» ، فالسنن الأحاديث الواردة في علي بن أبي طالب هي لون من «التأهيل والترشيح للخلافة» وليست نصوصاً صريحة في «العهد والتعيين» .

ونجد إشارة إلى هذا الاتجاه في كلام العلامة البشري المصري شيخ الجامع الأزهر في إحدى مكاتباته مع الإمام شرف الدين حيث قال :

«وهذا مما لا كلام فيه ، وإنما الكلام في عهد الرسول (ص) اليه بالخلافة عنه ، وهذه السنن ليست من النصوص الجلية ، في ذلك ، وإنما هي من خصائص الإمام وفضائله لا تسعها الأرقام ونحن نؤمن بأنه كرم الله وجهه أهل لها ولما فوقها ، ولقد فاتكم منها أضعاف أضعاف ما ذكرتموه ، وقد لا تخلو من ترشيحه للإمامة ، لكن ترشيحه لها غير العهد بها إليه كما تعلمون»[1] .

(١) المراجعات ص ٢٥٦ مراجعه ٤٩

ملاحظات حول الاتجاه الثاني :

الملاحظة الأولى :

ما أوردنا من مناقشة للاتجاه الأول يرد هنا تماماً ، فإنّ نظرة متأنية في النصوص تضع الباحث أمام فهم لا ينسجم مع هذا الاتجاه ، لأنّ الصيغ التعبيرية التي تحملها نسبة كبيرة من النصوص والأحاديث لا تساعد على هذا المنحى في التفسير .

ولو حاولنا أن نعيد قراءة بعض تلك النصوص قراءة متجردة من كل الخلفيات الفكرية والنفسية ، لاستطعنا أن نتعامل مع دلالاتها الواقعية ، وحتى نوفر على القارىء شيئاً من الجهد والوقت نضع بين يديه هذه الصيغ ليعيد التأمل فيها :

١ - ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .

٢ - «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» .

٣ - «وهو وليكم بعدي» .

٤ - «وهو أولى بكم بعدي» .

٥ - «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم» .

٦ - «إني تارك فيكم الثقلين [أو خليفتين] . . . » .

٧ - «الخلفاء (أو الأئمة أو الأمراء) بعدي إثنا عشر» .

٨ - «وهو إمام كل مسلم . . . » .

٩ - «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» .

١٠ - «من أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني» .

١١ - «يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك يا علي فقد فارقني» .

١٢ - «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي» .

١٣ - «أهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف» .

١٤ - «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق» .

١٥ - «علي مع القرآن ، والقرآن مع علي» .

١٦ - «علي مع الحق ، والحق مع علي» .

١٧ - «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» .

١٨ - «علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به» .

١٩ - «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب» .

٢٠ - «يا عمار إذا رأيت علياً قد سلك وادياً ، وسلك الناس وادياً غيره ، فاسلك مع علي ودع الناس ، فإنّه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من هدى» .

ملاحظة :

هذه الصيغ من النصوص ، أشرنا إلى مصادرها في مواضع أخرى من هذا الكتاب ، وما لم نتوافر على مصادره فنحيل القارىء إلى :

ا ـ الفيروزابادي : فضائل الخمسة من الصحاح الستة .

ب ـ الميلاني : قادتنا كيف نعرفهم .

ج ـ الراضي : سبيل النجاة في تتمة المراجعات .

الملاحظة الثانية :

إنّه لمن المفارقات التي لا يمكن أن يستوعبها الباحث ، أن تكون هذه النسبة الكبيرة جداً من النصوص والسنن والأحاديث لا تحمل دلالة صريحة على الإمامة والخلافة ، في حين تكفي جملة واحدة عن الخليفة أبي بكر في تعيين من يخلفه في السلطة والحكم . . فقرار التعيين الصادر عن الخليفة الأول قد تضمن الصيغة التالية : «أما بعد ، فإني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا»[1] .

الملاحظة الثالثة :

إن تبني صيغة الترشيخ يختزن في داخله الإعتراف بدلالة النصوص على الإمامة ، فإن اللجوء إلى إعطاء الأحاديث هذا المضمون يعبر عن عمق الدلالة التي تحملها المفردات في ايحاءاتها القيادية .

فالنصوص لا تعبّر عن الجنبة الموضوعية المجردة ، من خلال ابراز «الصلاحيات والمؤهلات» وإنما تحاول أن تعطي المصداق الوحيد الصالح للإمامة ، وبالتالي تحمل الصيغة الترشيحية قوة الصيغة التعينية تماماً وتعطي نفس نتائجها ودلالاتها .

الملاحظة الرابعة :

إن الترشيح لو صدر من الرسول صلى الله عليه وآله ، فيجب أن يحمل صفة «النص والتعيين» لأنّه صلى الله عليه وآله لا يصدر في كل تصرفاته عن هوى أو عاطفة ، إنما هو الوحي يملي عليه المواقف ويحدد له الرأي ، وإنما هي مصلحة الرسالة تضع أمامه الخيار ، فإذا كان الرسول (ص) قد رشّح علياً فهو «الإختيار الإلهي» . . .

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا﴾ .

ـ سورة الأحزاب / الآية ٣٦ .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ١٣٧/٢

الاتجاه الثالث :

الاتجاه التجزيئي :

هذا الإتجاه يعطي للإمامة بعدين منفصلين :

الأول : البعد الفقهي

الثاني : البعد السياسي .

فما ورد من نصوص تتحدث عن إمامة أهل البيت عليهم السلام فهي تعني بذلك الإمامة الفقهية لا الإمامة السياسية .

ونجد هذا الاتجاه واضحاً عند الأستاذ أبي زهرة في كتابه «الإمام الصادق» عندما تناول «حديث الثقلين» وقد ناقشه استاذنا الكبير العلامة السيد محمد تقي الحكّيم في كتابه (الأصول العامة للفقه المقارن) ، وجاء في هذه المناقشة :

«أما الدعوة الثالثة وهي دلالته [حديث الثقلين] على إمامة الفقه لا السياسه ، فهي مالا أعرف لها وجها يمكن الركون إليه ، لافتراضها فصل السلطتين الدينية والزمنية عن بعضها مع أنّ الإسلام لا يعترف بذلك ، لما فيها من تجاهل لوظائف الإمامة وهي امتداد لوظائف النبي ، إلا فيما يتصل بعالم الاتصال بالسماء وبخاصة فيما يتصل في الشؤون التطبيقية .

لأن الفكرة ـ أي فكرة ـ لايكفي في تحقيق نفسها أن تشرع وتعيش على صعيد من الورق ، بل لابد أن تضمن لها تطبيقاً تتلاءم فيه الوسائل والأهداف ، وإلاّ لما صح نسبة النجاح لتجربتها في حال من الأحوال»[1]

وقال حفظه الله :

«ومالنا نبعد بالأستاذ أبي زهرة ، وطبيعة النص الذي تحدث حوله تقتضيه ، وهل وراء التعبير بلفظ مخلف ولفظ خليفتين ما يؤدي هذا المعنى .

على أنّ الأخ أبا زهرة حاول أن يقتطع النص من أجوائه التي تسلط الأضواء على تحديد مفاهيمه ، ويدرسه بعيداً عنها فوقع فيما وقع فيه .

---

(١) الحكيم : الأصول العامة ص١٨٤

وهل نسي حضرته مجيئه في معرض التمهيد لحديث النص في يوم الغدير ومما جاء فيه: ﴿ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ وصفة الأولية لاتكون إلاّ لمن له الولاية العامة على الأمة ليستطيع التصرف بما يقتضيه مصلحتها، ثم تعقيبها بإعطاء الولاية له بقوله: ﴿من كنت وليه فهذا علي وليه﴾ ولحوقها بالدعاء الذي لا يناسب إلاّ الولاية العامة: ﴿اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره﴾.

ثم ورودها بعد ذلك في معرض تأكيد النص قبيل وفاته كما سبق التحدث في ذلك مما يوجب القطع بشمولها الجانب السياسي اذا لوحظت بمجموع ما لابسها من قرائن وأجواء»[1].

وقال المفكر الإسلامي الكبير الشهيد الصدر في «بحث حول الولاية»؛

«وإمامة أهل البيت والإمام علي، التي تمثلها تلك الظاهرة الطبيعية تعبر عن مرجعيتين: إحداهما المرجعية الفكرية، والأخرى المرجعية في العمل القيادي والاجتماعي، وكلتا المرجعيتين كانتا تتمثلان في شخص النبي صلى الله عليه وآله، وكان لابد ـ على ضوء ما درسنا من ظروف ـ أن يصمم الرسول الأعظم (ص) الإمتداد الصالح له لتحمل كلتا المرجعيتين، لكي تقوم المرجعية الفكرية بملأ الفراغات التي قد تواجهها ذهنية المسلمين، وتقديم المفهوم المناسب، ووجهة النظر الإسلامية، فيما يستجد من قضايا الفكر والحياة، وتفسير كل مايشكل ويغمض من معطيات الكتاب الكريم، الذي يشكل المصدر الأول للمرجعية الفكرية في الإسلام، ولكي تقوم المرجعية القيادية الاجتماعية بمواصلة المسيرة وقيادة التجربة الإسلامية في خطها الاجتماعي.

وقد جمعت كلتا المرجعيتين لأهل البيت عليهم السلام بحكم الظروف التي درسناها، وجاءت النصوص النبوية الشريفة تؤكد ذلك باستمرار»[2].

الاتجاه الرابع:

الاتجاه المآلي:

هذا الإتجاه يعترف بدلالة النصوص على الإمامة، إلا أنه يرفض دلالتها على الإمامة المباشرة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ويرى أنّها تدل على (الإمامة المآلية) أي أنّ علياً له حق الإمامة حينما تؤول إليه الخلافة وتنعقد له البيعة ولو بعد فترة من الزمن..

---

(١) الأصول العامة ص١٨٦

(٢) بحث حول الولاية ص٨٢، ٨٣

قال ابن حجر في صواعقه في سياق مناقشته لحديث الغدير :

«رابعها : سلمنا أنه أولى بالإمامة ، فالمراد المآل ، وإلا كان هو الإمام مع وجوده صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا تعرض فيه لوقت المآل ، فكان المراد حين يوجد عقد البيعة له فلا يتنافى حينئذ تقديم الأئمة الثلاثة عليه»[1] .

وحاول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته «الرد على الرافضه» تفسير النصوص التي تضمنت «الولاية لعلي» بعد الرسول (ص) من قبيل «علي وليكم بعدي» بأنّ المراد منها«البعدية المطلقة» وليس «البعدية المباشرة» فتصدق على ولايته بعد عثمان[2] .

ملاحظات حول الإتجاه الرابع :

هذا الاتجاه يعد في تصورنا أوهن الإتجاهات ، فهو غير جدير بالوقوف الطويل ، ومع ذلك نحاول أن نضع حوله هذه الملاحظات :

الملاحظة الأولى :

إنّ الفهم العرفي واللغوي لخطابات التعيين والإستخلاف ينصرف إلى المرحلة المباشرة عادة وغير وارد في هذا الفهم ، هذا اللون من الاستخلافات المآلية المنفصله زمناً عن الاتصال بزمن المستخلف . .

الملاحظة الثانية :

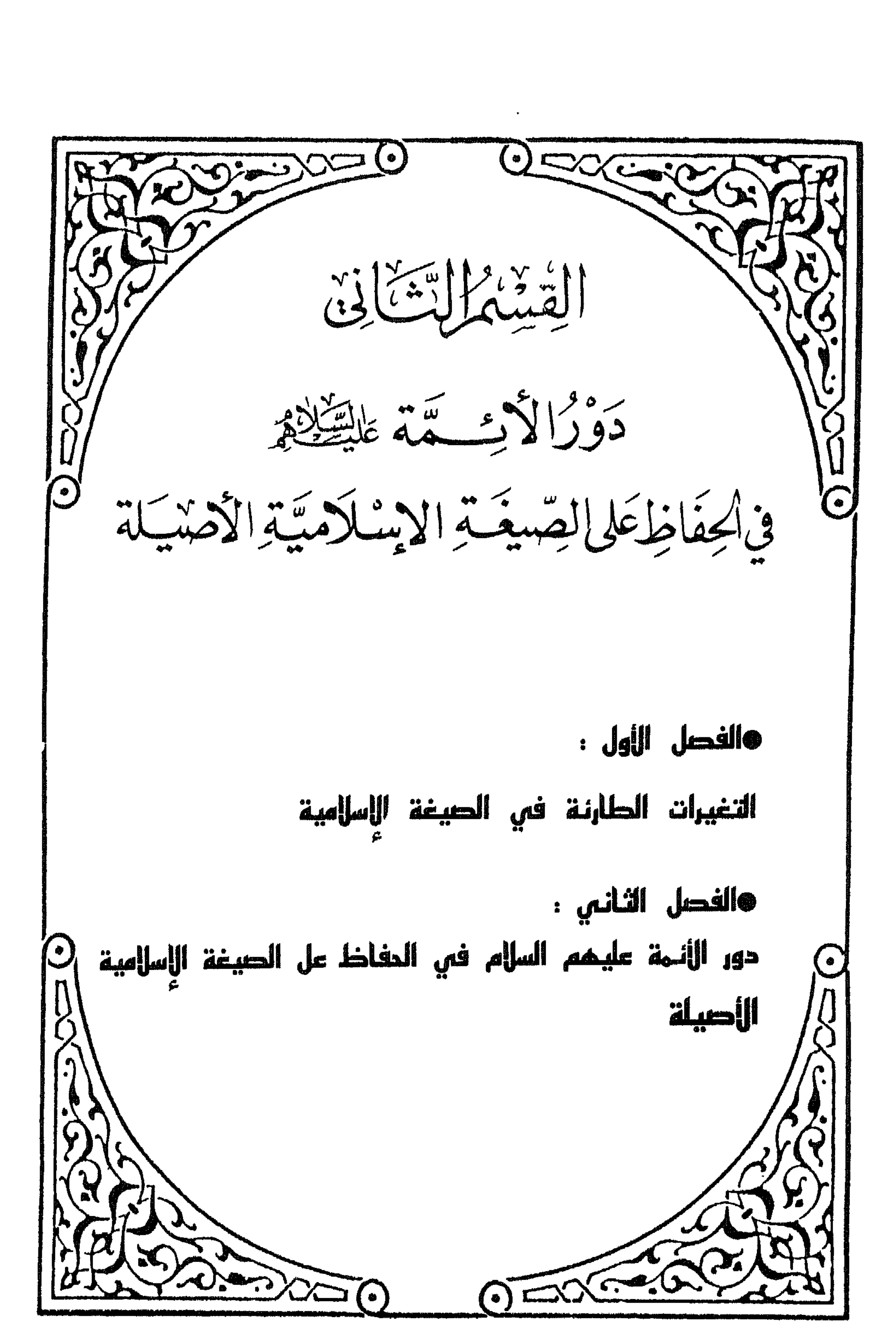
لو صح هذا اللون من الاستخلاف فهو يحتاج إلى قرائن لفظية واضحة ، والنصوص خالية من هذه القرائن . . . والإطلاق يقتضي البعدية المباشرة .

الملاحظة الثالثة :

لو تأملنا نصوص الولاية من قبيل قوله تعالى :
«إنما وليكم الله . . .» وقوله صلى الله عليه وآله «من كنت وليه فهذا علي ووليه» وقوله (ص) «أنت ولي كل مؤمن بعدي» فهي صريحة في دلالتها على عموم الولاية واستغراقها لكل المؤمنين بعد رسول الله (ص) وهذا يعني جعل الولاية لعلي (ع) على جميع الأمة ومنهم الخلفاء الثلاثة الذين تولوا قبله[3] .

---

(١) الصواعق المحرقة ص٦٧
(٢) روح التشيع ص٢٠٩
(٣) روح التشيع ص٢١٠



القسم الثاني

دور الأئمة عليهم السلام في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة

● الفصل الأول :

التغيرات الطارئة في الصيغة الإسلامية

● الفصل الثاني :

دور الأئمة عليهم السلام في الحفاظ عل الصيغة الإسلامية الأصيلة

القِسم الثاني

الفصل الأوّل

التغيّراتُ الطارئة في الصّيغةِ الإسلاميَّة

إنّ المنهج الإسلامي شهد في مرحلة مبكرة من تاريخ الأمة ، وفي زمن ليس بعيداً من عصر الرسالة ، تغيرات طارئة نأت به كثيراً عن مضموناته الأصيلة ، وأفقدته شيئاً كبيراً من نقائه وصفائه ، وشوشت بعض خصائصه ومعالمه .

وكان لإقصاء الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عن مواقع القيادة الفكرية والسياسية دوره الكبير في إحداث متغيرات خطيرة في حركة الدعوة ومسيرة الأمة .

ومن أهم تلك المتغيرات ؛

(١) الفراغ التشريعي :

نتيجة لاقصاء الأئمة عليهم السلام حدث فراغ تشريعي كبير مما اضطر مدرسة الخلفاء إلى إستحداث مصادر تشريعية بديلة لتلبية حاجات التشريع المتجدده كالقياس والرأي والإستحسان .

(٢) إنحسار جانب كبير من الإسلام في واقع الأمة الثقافي والأخلاقي والإجتماعي والسياسي ، فمع بدايات حكم الأمويين أخذ هذا الإنحسار يرسّخ جذوره في عمق الواقع الحياتي للأمة ، وامتدت تأثيراته في مساحات كبيرة من مجتمع المسلمين ، وعادت كثير من قيم الجاهلية ، وبدأ المسخ الحضاري لهوية الأمة .

(٣) إحداث كثير من المتغيرات في مضامين الرسالة وأفكارها وتصوراتها وأحداثها ،

مما سبب تشويشاً في الصيغة الأصيلة وخلق إرباكاً في الرؤية والصورة ، وقد تجسّد هذا التغيير في عدة مجالات نتناول جانباً منها . .

المجال الأول : العقيدة
المجال الثاني : التفسير القرآني
المجال الثالث : السنة النبوية
المجال الرابع : التاريخ .

المجال الأول : العقيدة :

فالعقيدة الاسلامية الصافية المستقاة من المنابع الأصيلة ، والروافد النقية ، قد داخلها الكثير من التشويشات ، وشابتها ألوان من التلوثات والإنحرافات ، مما أفقدها صفاءها ونقاءها وأصالتها ، ومن أبرز الأفكار التي لوثت صفاء العقيدة الإسلامية وشوشت أصالتها وحرفت مسارها :

(١) فكرة التجسيم والتشبيه :

القائلة بأنّ الله تعالى جسم ، له وجه ويد وعين ، وأنّه تعالى يجلس على العرش ، وينزل إلى السماء الدنيا في كل جمعة وأنّه يظهر لأهل الجنة كالقمر ، وأنّ المؤمنين يصافحونه تعالى ويعانقونه. . . الى غير ذلك من الأفكار الخاطئة حول الذات الإلهية المقدسة المنزهة المتصفة بالكمال والجلال .[١]

(٢) فكرة الحلول والإتحاد :

التي تبناها بعض الصوفية ، حيث شط بهم الفكر إلى الإعتقاد بأنّ الله تعالى يحل في أبدان العارفين ، أو يتحد معها ، وأنّ الأبدال (من مراتب الصوفية) بواسطة تعريهم من قيود المادية ، ودفع حجب ظلمتها يتشكلون بأشكال مختلفة ، وأنهم واصلون بالحق ومن روحانيات المحض[٢] .

---

(١) للإطلاع على بعض المصادر التي تناولت الأفكار التجسيمية يقرأ : العلامة الحلي : نهج الحق وكشف الصدق ص ٥٥(الهامش)

(٢) يقرأ : أ- ابن الفارض : الديوان (القصيدة التائية واليائية) .
ب- الأفلاكي : مناقب العارفين .
ج- روزبهان : الأنوار في كشف الأسرار .
(راجع : نهج الحق ص٥٧ ، ٥٨ - الحاشية) .

(٣) فكرة الجبر :

فقد ذهب قوم يعرفون «بالمجبرة» إلى القول بأنّ الإنسان مسلوب الإرادة ، وأنّ الله تعالى هو الفاعل لأفعال المخلوقين ، فأفعال العباد في الحقيقة هي أفعاله تعالى ، وإنّما تنسب إليهم على سبيل التجوز لأنهم محلها ، وهناك المنحى الكسبي الذي هو تكييف آخر لنظرية الجبر يقول بأنّ الله تعالى يوجد الأفعال ، وأنّ الانسان يكتسبها[١] .

(٤) فكرة التفويض :

وتتجه بشكل معاكس لنظرية الجبر ، حيث ترى أن الله تعالى فوض الأفعال إلى المخلوقين ، ورفع قدرته ، وقضاءه وتقديره عنها ، باعتبار أن نسبة الأفعال إليه تعالى تستلزم نسبة النقص إليه ، وأنّ للموجودات أسبابها الخاصة ، وإن إنتهت كلها إلى مسبب الأسباب والسبب الأول[٢] .

(٥) فكرة الإرجاء :

التي إعتبرت الإيمان عملاً قلبياً خالصاً لا يحتاج إلى التعبير عنه بفعل من الأفعال ، فيكفي الإنسان أن يكون مؤمناً بقلبه ليعصمه الإسلام ويحرم الإعتداء عليه[٣] .

وقال المرجئة : «لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة»[٤] .

وقالوا : «إنّ الإيمان الإعتقاد بالقلب ، وإن أعلن الكفر بلسانه ، وعبد الأوثان ، ولزم اليهودية والنصرانيه في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ، من أهل الجنة»[٥] .

(٦) فكرة الغلو :

وهي تحمل أحد المعاني التالية :

١ ـ إعتقاد الربوبية لأحد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام

٢ ـ إعتقاد حلول الله تعالى في الأئمة من أهل البيت (ع)

---

(١) يقرأ : أ ـ الحلي : نهج الحق ص ١٠١ .
ب ـ الحلي : كشف المراد ص ٣٠٨ .
ج ـ المظفر : عقائد الإمامية ص ٧٧ .

(٢) المظفر : عقائد الإمامية ص ٧٨ .

(٣) شمس الدين : ثورة الحسين ص ١١٥ .

(٤) ثورة الحسين ص ١١٦ .

(٥) ثورة الحسين ص ١١٦ نقلاً عن :
ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج٤/٢٠٤ .

٣ ـ تجاوز الحد في صفات الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، مثل الإعتقاد بأنّهم خالقون ، أو رازقون أو نحو ذلك من الصفات الخاص بالله تعالى[١] .

(٧) البغض والعداء لآل محمد (ص) :

برزت على صعيد العقيدة في أهل البيت عليهم السّلام فكرتان متناقضتان تشكلان حالة منحرفة عن روح العقيدة الإيمانية الأصيلة ، وتتنافيان مع مضمون الولاء والحب لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم :

الفكرة الأولى : الغلو في أهل البيت عليهم السلام ، وقد حددنا معنى الغلو قبل قليل .

الفكرة الثانية : البغض والعداء لآل محمد صلى الله عليه وآله حيث ظهرت فئة بين المسلمين سميت «بالنواصب» لأنهم نصبوا العداوة لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله ، وأنكروا فضلهم ومنزلتهم ، وأعلنوا البغض لهم .

(٨) عقيدة التناسخ :

وفي الاجواءالفكرية عند المسلمين بدأت تتحرك مفاهيم دخيلة تتناقض مع عقيدة التوحيد ، من تلك المفاهيم فكرة التناسخ التي تنكر الجنة والنار ، والبعث والنشور «والقيامة ع ىدهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر ، فإن كان محسناً في القالب الأول إعيا. في قالب أفضل منه حسناً في أعلى درجة ىن الدنيا ، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبه في الدنيا ، أو ىوام مشوهة الخلقة . . . . . .»[٢] .

(٩) تيار الإلحاد والزندقه :

نشط هذا التيار في بدايات القرن الثاني الهجري ، وأخذ أقطاب هذا التيار من أمثال ابن أبي العوجاء ، وأبي شاكر الديصاني ، يطرحون أفكارهم ذات الصبغة التشكيكية في التوحيد والنبوة ، والقرآن ، والقيامة والحساب ، وأحكام الإسلام ومفاهيمه وأخلاق الدين وقيمة . وسوف نتناول دور الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام في مواجهة هذه الأفكار التي تشكل خطراً على الرسالة ، وذلك في فصل قادم إن شاء الله تعالى .

---

(١) السيد الحكيم : مستمسك العروة الوثقى ج١/٣٨٦ .
(٢) الطبرسي : الإحتجاج ج٢/٨٩ .

المجال الثاني : التفسير القرآني :

نتناول هنا بعض الحالات التي تشكّل صيغاً منحرفة في التعامل مع النص القرآني :

الحالة الأولى :

توظيف النص القرآني لخدمة الأهداف السّياسية :

ونحاول أن نعطي مثالاً واحداً لهذه الحالة نختارة من أمثلة كثيرة يزخر بها تاريخ الأمة السّياسي ، والمثال الذي نضعه بين يدي القارىء هو «دور معاوية بن أبي سفيان» في توظيف النصوص القرآنية لخدمة أهدافه السياسية . . .

كان معاوية يؤمن تماماً أنّ سلطانه لا يملك مبرراته الشرعية ، ويؤمن أيضاً أن الشعور العام في داخل الأمة لا يرتاح للحكم الأموي ، فبدأ يضع خططه لمواجهة هذا الحالة التي تقلقه كثيراً ، وتهدد نظامه وسلطانه .

ومن أهم الوسائل التي إعتمدها معاوية إستخدام «سلاح الدين» ومن خلاله حاول أن يحقق الأهداف التالية :

١ ـ إعطاء الشرعية لحكمه وسلطانه .
٢ ـ تخدير الجماهير وشل روح الثورة في داخلها .
٣ ـ إسقاط القوى المعارضة الرافضة لنظامه . . .

وابرز القوى التي وجدها تشكل خطراً على سلطانه ، هم (أهل البيت عليهم السلام) فسعى لتحطيم «مواقعهم الروحية» في ذهنية الأمة .

تتحدث مصادر التاريخ :

«أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السّلام تقتضي الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، منهم : أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير»[1]

وتتحدث مصادر التاريخ أيضاً ـ وهذا مثال من أمثلة توظيف النص القرآني لخدمة الأهداف السياسية ـ أنّ :

---

(١) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة ج٤/٦٣ .

«معاوية بذل للصحابي سمره بن جندب أربعمائة ألف درهم على أن يروي أنّ هذه الآية :

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام ، وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ قد نزلت في علي بن أبي طالب .

وأنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى :

﴿ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاه الله﴾ فروى ذلك»[1]

الحالة الثانية :

توظيف النص القرآني لتأييد الإتجاهات المذهبية والكلامية والفلسفية :

حاولت بعض المذاهب والفرق والإتجاهات أن تلوي أعناق النصوص القرآنية لتأييد أفكارها وعقائدها ومتبنياتها بلا شاهد من أثر صحيح ، أو ظهور لفظي سليم ، أو فهم عقلي مصيب .

وهذا المنحى في التعامل مع النص القرآني لون من ألوان التحريف لمعاني القرآن ، وشكل من أشكال التفسير الخاطىء لآيات الكتاب . . .

وقد ينشأ هذا المنحى نتيجة خلل في استخدام الأدوات المعتمدة في فهم القرآن وتفسير آياته ، وربما يكون بدوافع تحريفية مقصودة ، فكثير من أصحاب المذاهب والنظريات أولّوا القرآن لخدمة أرائهم وأهوائهم . . . .

ومن أمثلة هذا اللون من التعامل مع النص القرآني :

١ ـ حاول أصحاب «نظرية الشورى» في إنتخاب الخليفة بعد رسول الله (ص) اعتماد قوله تعالى في سورة (الشورى الاية ٣٨) :

﴿وأمرهم شورى﴾ في تأييد هذه النظرية .

٢ ـ حاول أصحاب «نظرية الجبر» إعتماد بعض النصوص القرآنية لتأييد هذه النظرية ، ومن تلك النصوص قوله تعالى في سورة (الصافات/ الآية ٩٦) :

﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ .

٣ ـ نجد بعض الفلاسفة الاسلاميين يحاولون توجيه وتفسير نصوص قرآنية على ضوء متبنياتهم وأرائهم

---

(١) المصدر نفسه ج٤/٧٣ .

فالفارابي وضع بعض الآيات والحقائق الدينية بتعبير فلسفي محض»[1]

ويكتب أخوان الصفا في رسائلهم وهم يتحدثون عن (الجنة والنار) :
أنّ «الجنة هي عبارة عن عالم الأفلاك ، والنار عبارة عن العالم الموضوع تحت فلك القمر ، يعني عالم الدنيا»[2]

ويقول ابن سينا في تفسير قوله تعالى :
﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ : «القصد من العرش الفلك التاسع الذي يسمى فلك الأفلاك ، والملائكة الثمانية ـ الذين يحملون عرش الاله ـ يعني الأفلاك الثمانية التي تقع تحت الفلك التاسع»[3] .

إلى غير ذلك من المحاولات التي تخضع النصوص لمبتنياتها بدلاً من أن تكوّن رؤاها وأفكارها من خلال النصوص ، وتستوحي نظرياتها في ضوء المعطيات التي يحملها النص ودلالاته اللغوية والعرفية والعقلية .

الحالة الثالثة :

الجمود في التعامل مع المعاني الحرفية للألفاظ القرآنية :

وهذا الاتجاه في فهم القرآن يلغي دور العقل ، ويجمدّ حالة التأمل والتدبر في الدلالات القرآنية بما تحمله من مضامين قد تتجاوز المعاني الحرفية للألفاظ ، ثم إنّ هذا الإتجاه يتغافل الصيغ التعبيرية البلاغية المجازية في لغة القرآن .

وعلى ضوء هذا اللون من التعامل مع نصوص القرآن ، تكونت مجموعة تصورات ومعتقدات خاطئة أنتجتها حالة الجمود في فهم الألفاظ القرآنية :

(١) عقيدة التجسيم والتشبيه :
أفرزتها الرؤية الجامدة في فهم بعض النصوص القرآنية مثل :
أ ـ قوله تعالى في سورة الفتح/ الآية ١٠ :
﴿يد الله فوق أيديهم﴾
ب ـ وقوله تعالى في سورة الرحمن/ الآية ٢٧ :
﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾

---

(١) (٢) الدكتور حجتي : مجلة الثقافة الاسلامية ص ١٤٨ العدد ١٤٠٧/١١ .
(٣) حجتي : مجلة الثقافة الاسلامية ص ١٤٨ العدد ١٤٠٧/١١ هـ .

ج ـ وقوله تعالى في سورة طه/ الآية ٥ :
﴿الرحمن على العرش استوى﴾

(٢) عقيدة الرؤية :
القائلة بإمكان رؤية الله عياناً ، وقد اعتمدت هذه العقيدة ظواهر بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى في سورة القيامة/ الآية ٢٣ :
﴿وجوه يومئذ ناضره إلى ربّها ناظره﴾

(٣) الإعتقاد بصدور المعاصي والذنوب من الأنبياء (ع) : إعتماداً على التعامل الحرفي مع الألفاظ القرآنية في بعض النصوص والآيات :
ـ مثل قوله تعالى في سورة طه/ الآية ١٢١ :
﴿وعصى آدم ربّه فغوى﴾
ـ وقوله تعالى في سورة الضحى/ الآية ٧ :
﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾
ـ وقوله تعالى في سورة يوسف/ الآية ٢٤ :
﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾

وقد عالج هذه الآيات القرآنية ونظائرها ، علماء وباحثون في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، وأعطوها دلالاتها المقبوله بما يتناسب مع موقع النبوة ، وقداسة الأنبياء عليهم السّلام . معتمدين في ذلك :
أ ـ الأحاديث الصحيحة الثابتة . . .
ب ـ القرائن اللفظية الواضحة . .
ج ـ المعاني اللغوية للمفردات .
د ـ المباني العقلية المسلّمة . . . .
يمكن أن يقرأ :
كتاب «تنزيه الأنبياء والأئمة» للسيد المرتضى .

الحالة الرابعة :

التأويلات الباطنية الفاسدة :
توجد صيغتان للتأويل القرآني :
(الأولى) الصيغة التي تعتمد الأدوات الصحيحة في تأويل النص القرآني . وذلك من خلال الرجوع إلى الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته عليهم السّلام ، باعتبارهم العارفين بتأويل القرآن . .

قال الإمام الباقر عليه السّلام :

«أفضل الراسخين في العلم رسول الله صلى الله عليه وآله ، قد علم جميع ما أنزل الله في القرآن من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله»[1]

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

«إنّ الله علم نبيه التنزيل والتأويل ، فعلم رسول الله (ص) علياً عليه السلام وعلمنا والله»

وقال عليه السلام :

«نحن الراسخون في العلم ، فنحن نعلم تأويله»[2]

(الثانية) الصيغة التي لا تعتمد الأدوات الصحيحة في تأويل النص القرآني ، كما نجد ذلك عند جماعة من المتصوفة حيث توغلوا في التأويلات الباطنية بلا حجة ولا دليل ، ومن تأويلاتهم الفاسدة :

(١) تأويلهم لقوله تعالى في سورة (الصّافات) الآية ١٠٢ :

﴿فلمّا بلغ معه السعي قال يا بني إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾

حيث قالوا : أنّ إبراهيم هو العقل ، وإنّ اسماعيل هو النفس وإنّ العقل هنا كان ينوي قتل النفس[3]

(٢) تأويل محي الدين بن عربي لقوله تعالى في سورة (النساء) الآية ٥٦ :

﴿إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إنّ الله كان عزيزاً حكيماً﴾

- ﴿الذين كفروا بآياتنا﴾

يعني الناس الذين بقوا محجوبين عن صفات الجلال والأفعال [أفعال الله]

- ﴿سوف نصليهم ناراً﴾

يعني نصليهم في نار بلاء حب المال لأنّ غرائزهم تقتضي هذا الأمر بحسب إستعدادهم .

---

(١) (٢) محمد هادي معرفه : التمهيد ج٣/٤٨ .

(٣) مطهري : معرفة القرآن ص٤٣ .

«ترجمة جعفر صادق الخليلي» .

- ﴿كلّما نضجت جلودهم﴾
يعني كلّما تساقطت عنهم الأحجبة وجلودهم الجسمانية بدّلناهم جلوداً غيرها
- ﴿ليذوقوا العذاب﴾
يعني ليذوقوا عذاب الحرمان منا والفراق عنا[1]

الحالة الخامسة :

تفسير القرآن بالرأي :

وهو الذي لا يعتمد أحد المرتكزات التالي

(١) الأحاديث والروايات الصحيحة الصادرة عن النبي صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

(٢) الأحكام العقلية الفطرية الأولية .

(٣) الظهور اللفظي الثابت في لغة العرب الفصحى[2] .

فإذا لم يعتمد التفسير واحداً من هذه المرتكزات فهو من التفسير بالرأي المنهي عنه ، كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وآله :

«من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله :

«فأما من قال في القرآن برأيه ، فإنّ اتفق له مصادفة صواب ، فقد جهل في أخذه عن غير أهله ، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأمقعده من النار»[3] .

وما أوردناه من الحالات السابقة هي من ألوان التفسير بالرأي المنهي عنه ، لأنها لا تعتمد الأدوات الصالحة في فهم النص القرآني المنزل من الله عز وجل .

الحالة السادسة :

اعتماد الروايات الإسرائيلية في تفسير القرآن :

في مجتمع المدينة المنورة كان يعيش عدد كبير من اليهود ، وقد اعتنق البعض من هؤلاء اليهود الرسالة الجديدة ودخلوا الإسلام بدوافع متعددة منها :

---

(١) حجتي : مجلة الثقافة الإسلامية ص ١٤٩ العدد ١٤٠٧/١١ هـ .
(٢) السيد الخوئي : البيان في تفسير القرآن ص ٥٠٥ .
(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٩/١٨ .
كتاب القضاء ـ أبواب صفات القاضي ، باب ٥ .

١ ـ الكيد للرسالة من داخلها .
٢ ـ الحفاظ على المصالح المادية والاجتماعية في ظل الوضع الجديد .
٣ ـ الخوف الذي ضغط على البعض والجأهم الى إظهار الإنتماء إلى الإسلام .
٤ ـ وربما يكون البعض صادقاً في إسلامه .

فنجد ضمن الدوافع محاولة التحرك من الداخل لمواجهة الرسالة ، واجهاض الدعوة ، وفي اتجاه تحقيق هذا الهدف ، مارسوا أساليب الدس والتشويه وارباك الرؤية الإسلامية سواء على مستوى العقيدة أو الأخلاق أو الأحكام الفقهية أو الآراء التفسيرية .

وهكذا تسربت بعض الرؤى اليهودية ، والخرافات الاسرائيلية إلى بعض التفاسير القرآنية من خلال عدة قنوات :

أ ـ الدس المباشر من قبل شخصيات يهودية أظهرت انتماءها للإسلام ، وحظيت بمكانة كبيرة عند المسلمين خاصة في أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، وأيام الخليفة عثمان بن عفان . . . .

ب ـ توظيف عناصر مشبوهة في داخل الساحة الإسلامية ، وبذلك التأمت وتوافقت أهداف اليهود وجهود المنافقين والحاقدين على الرسالة الذين يشكلون نسبة ليست عادية في داخل الأمّة . . . ولعلنا من خلال الآيات القرآنية التي تناولت ظاهرة النفاق والمنافقين ، نستطيع أن نتبيّن حجم هذا الوجود المشبوه في مجتمع المسلمين .

وقد استفادت العناصر اليهودية المتسللة من ذلك الوجود المشبوه المعادي للرسالة ووظفته لصالح أهدافها الفاسدة .

ج ـ التأثر غير الواعي من قبل بعض العناصر الإسلامية التي أحسنت الظن في عدد من اليهود والنصارى الذين أظهروا تفاعلهم مع الإسلام ، وأبدوا نسبة كبيرة من الحماس تجاه العقيدة الجديدة ، وأخذوا يدافعون ظاهراً عن الرسالة وأهدافها ، مما هيأ لهم أجواء ملائمة للتحرك ، والنفوذ إلى نفسية الأمة ، وقد وفر لهم ذلك إمكانية الاستفادة من بعض الوجودات الإسلامية التي لم تستوعب هذا الدور وأهدافه .

تاثر التفاسير بالمنقولات اليهودية :

يعلل بعض الباحثين السبب في رواج المنقولات المستقاة من أهل الكُتاب في تفاسير المسلمين ، أنّ العرب الذين غلبت عليهم الأميَّة ، كانوا إذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما يتصل بأسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود لجأوا إلى أهل الكتاب يسألونهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى مثل ؛ كعب الأحبار ووهب بن منبه . وعبد الله بن سلام وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم ، وساهم

المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، المأخوذة من التوراة والمصنوعة من افتراءات اليهود وأتباعهم[1]

وهكذا دخلت الثقافة الاسرائيلية في فكر المسلمين وصبغته في جانب منه بلونها ، ومن هنا انتشر بمدرسة الخلفاء الاعتقاد بأنّ الله جسم ، وأنّ الأنبياء تصدر منهم المعاصي ، والنظرة إلى المبدأ والمعاد إلى غيرها من أفكار اسرائيلية[2] .

ونحاول هنا أن نعطي صورة موجزة للتعريف ببعض الكوادر من أهل الكتاب الذين برزوا في تاريخ المسلمين :

(١) كعب الأحبار :

كان من أحبار اليهود ، أظهر الإسلام على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وطلب منه عمر البقاء في المدينة ، ولما ظهرت بوادر الثورة على عثمان ارتحل إلى الشام ، فاستصفاه معاوية وجعله من مستشاريه ، ومات بحمص سنة ٣٢ أو ٣٤ أو ٣٨ للهجرة . .

وبواسطة كعب وأمثاله تسربت إلى الحديث طائفة من أقاصيص التلمود ـ الإسرائيليات ـ التي أصبحت جزءاً من الأخبار الدينية والتاريخية .

كان بعض الصحابة يسألونه عن مبدأ الخلق ، وقضايا المعاد ، وتفسير القرآن . وروى عنه عدة من الصحابة والتابعين أمثال : أنس بن مالك ، وأبي هريرة ، ومعاوية ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وأسلم مولى عمر ، وعطاء بن يسار وغيرهم ، وقد روى له الترمذي وأبو داود والنسائي في صحاحهم وسننهم[3] .

(٢) تميم بن أوس الدارمي :

كان راهباً نصرانياً ، قدم المدينة بعد غزوة تبوك ، وأظهر الإسلام ، وفي عصر الخليفة عمر قرّ به وألحقه بأهل بدر في العطاء ، وخصص له ساعة في كل اسبوع يتحدث فيها قبل صلاة الجمعة بمسجد الرسول (ص) ، وجعلها عثمان على عهده ساعتين في يومين . وقد بلغ من ثقة الخليفة عمر به أن عينه إماماً يصلي بالناس صلاة التراويح . وبقي تميم الدارمي في المدينة إلى أن قتل عثمان ، فانتقل إلى الشام وعاش في كنف معاوية ، ومات سنة أربعين للهجرة ، روى عنه جماعة من الصحابة أمثال : أنس بن مالك ، وأبي هريرة ومعاوية[4] .

---

(١) محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٦ نقلاً عن : «مقدمة ابن خلدون» ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٢) العسكري : معالم المدرستين ج٢/٥٠ .

(٣) يقرأ : أ ـ العسكري : معالم المدرستين ج٢/٤٨ ، ٤٩ .

ب ـ أبو ريه : أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .

(٤) العسكري : معالم المدرستين ج٢/٤٨ ، ٤٩ .

(٣) وهب بن منبه :

كان فارسي الأصل ، هاجر جده إلى اليمن ، وهناك أخذ آباؤه آداب اليهود وتقاليدهم ، وقيل إنّ والده منبهاً قد أسلم في اليمن ، وأنّ ابنه وهباً كان يختلف من بعده إلى بلاده بعد فتحها .

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ : إنّه عالم أهل اليمن ولد سنة ٣٤ هـ وتوفي بصنعاء سنة ١١٠ هـ وقيل سنة سنة ١١٦ هـ . .

أدرك بعض الصحابة وروى عنهم ، كما روى عنه كثير من الصحابة منهم : أبو هريرة ، وعبد الله بن عمر .

ومن أقواله : إني قرأت من كتب الله ٧٢ كتاباً[١] .

أمثلة من المنقولات الإسرائيلية في تفاسير المسلمين :

(١) ذكر القرطبي في تفسير سورة غافر عن خالد بن معدان عن كعب أنّه قال : لمّا خلق الله العرش قال : لم يخلق الله خلقاً أعظم مني واهتز تعاظماً ، فطوقه الله تعالى بحيه لها سبعون ألف جناح ، في كل جناح سبعون ألف ريشة ، في كل ريشة سبعون ألف وجه ، في كل وجه سبعون ألف فم ، في كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر ، وعدد ورق الشجر ، وعدد الحصى والثرى ، وعدد أيام الدنيا ، وعدد الملائكة أجمعين ، والتوت الحية على العرش ، فالعرش إلى نصف الحية وهي ملتوية عليه ، فتواضع عند ذلك[٢] .

(٢) قال معاوية لكعب : أنت تقول إنّ ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟ فقال كعب : إن قلت ذلك فإنّ الله قال : «وآتيناه من كل شيء سبباً»[٣] .

(٣) وقال كعب : الأرضون السبع على صخرة ، والصخرة في كف ملك ، والملك على جناح الحوت ، والحوت في الماء ، والماء على الريح ، والريح على الهواء ، ريح عقيم لا تلقح ، وإنّ قرونها معلقة في العرش[٤] .

(٤) عن وهب بن منبه قال : أربعة أملاك يحملون العرش على أكتافهم ، لكل واحد منهم أربعة وجوه : وجه ثور ، ووجه أسد ، ووجه نسر ، ووجه إنسان ، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة ، أمّا جناحان فعلى وجهه ليحفظاه من أن ينظر إلى العرش فيصعق فيهفو بهما . . .[٥] .

---

(١) يقرأ : أبو ريه : أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٢) أبو رية : أضواء على السنة المحمدية ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ .
(٣) (٤) أبو رية : أضواء على السنة المحمدية ص ١٥٨ ص ١٥٩ .
(٥) أضواء على السنة المحمدية ص ١٥٩ .

المجال الثالث : السنة النبوية :

في وقت مبكر من تاريخ المسلمين برزت ظاهرة «الوضع في الحديث» بفعل مجموعة عوامل نأتي على ذكرها ـ إن شاء الله ـ وكان لهذه الظاهرة نتائجها الخطيرة على كل المستويات الفكرية والنفسية والسّياسية والإجتماعية ، ولسنا هنا بصدد التحدث عن هذه النتائج والآثار ، وتناول مردوداتها السيئة التي شوشت جانباً من معالم المسيرة ، والذي يهمنا هو الحديث عن الأسباب والدوافع التي تقف وراء هذه الظاهرة .

وقد عالج العلماء والباحثون الإسلاميون هذه المسألة في دراساتهم حول «السنة النبوية» ، وأثاروا أهم المشكلات التي أفرزتها حالة الوضع والتزوير التي مني بها الحديث النبوي في وقت ليس بعيداً عن عصر الرسالة .

أهم الدوافع والأسباب لوضع الحديث :

أولا : الدوافع السياسية :

وقد لعبت دوراً بارزاً في تنشيط حركة الوضع ، مما سبب في إنتاج كم كبير من الأحاديث المكذوبة لتأييد الأوضاع السياسية القائمة ودعم الكيانات والأنظمة الحاكمة .

وفي عصر معاوية بن أبي سفيان طغى هذا اللون من «الوضع السياسي» بفعل الإغراءات الكبيرة التي استطاعت أن تستقطب الكثير من كوادر الوضع والتحريف ممن خبا في داخلهم وازع الدين والإيمان .

وإنّ جميع الروايات التي دونتها كتب الحديث والتاريخ مما يتصل بفضائل معاوية ، يصب في هذا الإتجاه ، ويخدم هذا الهدف .

والشواهد على هذا التوظيف السياسي للحديث النبوي الموضوع كثيرة جدا زخرت بها مصادر الحديث ، نضع بين يدي القارىء أمثلة قليلة منها :

(١) جاء في صحيح الترمذي عن عبد الرحمن بن أبي عميرة عن النبي (ص) أنّه قال لمعاوية : «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به» .

وجاء في حديث آخر ذكره الترمذي أيضاً عن عمير بن سعيد قال : لا تذكروا معاوية إلّا بخير فإني سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم اهد به[١] .

---

(١) صحيح الترمذي ج ٦٨٧/٥ باب مناقب معاوية بن أبي سفيان .

(٢) روى الطبري في رياضه عن النبي (ص) قال :
«وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان»[١] .

(٣) روى أبو بكر بن أبي شيبه بسنده إلى معاوية قال : ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال رسول الله (ص) : إذا ملكت فأحسن»[٢] .

(٤) روى أحمد بن حنبل بسنده عن معاوية عن النبي (ص) قال : يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل . (قال) : فما زلت أظن أني سأُلي الخلافة حتى وليت»[٣]

(٥) روى الطبراني أنّ النبي (ص) قال :
«أول هذا الأمر نبوة ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ، ثم يكون ملكاً ورحمة ، ثم يكون إمارة ورحمة ، ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير»[٤] .

(٦) روى البزار وأحمد الطبراني أنّ النبي (ص) دعا لمعاوية فقال :
«اللهم علمه الكتاب والحساب ومكّن له في البلاد ، وقه سوء العذاب»[٥]

(٧) روى أحمد وأبو داود والبغوي والطبراني وغيرهم أنّ النبي (ص) قال :
«عليكم بالشام فإنّها خيرة الله من أرضه ، يجتبى إليها خيرته من عباده ، إنّ الله قد توكل بالشام وأهله»[٦] .

(٨) وعن كعب الأحبار أنّ النبي (ص) قال :
«أهل الشام سيف من سيوف الله ، ينتقم الله بهم ممن عصاه»[٧] .

(٩) روى البزار عن أبي هريرة أنّ الرسول (ص) قال للعباس : «فيكم النبوة والمملكة»[٨] .

(١٠) روى الترمذي عن ابن عباس أنّ رسول الله (ص) دعا للعباس بدعاء قال فيه : «واجعل الخلافة باقية في عقبة»[٩] .

(١١) ـ روى الطبراني ، قال رسول الله (ص) :
«الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها إلى المسيح»[١٠] .

---

(١) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ص ١٧ .
(٢) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ص ١٨ ، ١٩ .
(٣) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان ص ١٨ ، ١٩ .
(٤) (٥) المصدر نفسه ص ٢٠ .
(٦) (٧) ابو رية : أضواء على السنة المحمدية ص١٢٩ .
(٨) المصدر نفسه ص١٣٥ .
(٩) المصدر نفسه ص١٣٥ .
(١٠) المصدر نفسه ص ١٣٥ .

ثانيا : الدوافع المذهبية :

وتعد هذه الدوافع من أكثر العوامل فاعلية في إنتشار «صنعة الوضع» ، حيث كانت الخلافات المذهبية الضارية تغذي هذا الإتجاه وتنمي هذا المنحى .

فمن أجل إثبات أحقية هذا المذهب أو ذاك ، سوّغ بعض أتباع المذاهب لأنفسهم أن ينتحلوا الأحاديث المزورة ، ويضعوا الروايات المكذوبة في سبيل الإنتصار على الآخرين .

ولم يقتصر وضع الأحاديث على نصرة المذاهب والفرق والإنتماءات ، بل امتد إلى نصرة الأراء الفقهية التي تتباين فيها الإجتهادات والإستنباطات والأفهام .

نماذج من الأحاديث الموضوعة بدوافع مذهبية :

ونضع هذه النماذج ضمن مجموعتين :

المجموعة الاولى :

الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة :

ونشير إلى بعض النماذج منها :

(١) أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :

«ما في الجنة شجرة إلاّ مكتوب على كل ورقة منها : لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين» .

قال الطبراني عن الحديث أنّه : موضوع . .

وقال عنه الذهبي في ميزان الإعتدال (ج٢/١٨٤) في ترجمة عبد العزيز بن عمرو الخراساني : «الخبر باطل» .

وذكره ابن كثير في تاريخه (ج٧/٢٠٥) وقال عنه : إنّه حديث ضعيف [١] .

(٢) عن ابن عباس مرفوعاً : «اذا كان يوم القيامة نادى منادي تحت العرش ، هاتوا أصحاب محمد ، فيؤتى بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فيقال لأبي بكر : قف على باب الجنة فأدخل من شئت ورد من شئت ، ويقال لعمر : قف عند الميزان فثقل من شئت برحمة الله وخفف من شئت ، ويعطى عثمان غصن شجرة من الشجر التي غرسها الله بيده فيقال : ذد بهذا عن الحوض من شئت ، ويعطى علي حلتين فيقال له : خذهما فإني ادخرتهما لك يوم أنشأت خلق السموات والأرض» .

---

(١) راجع الأميني : الغدير ج٥/٢٩٧ ، ٢٩٨ .

ذكر هذا الحديث الذهبي في ميزان الاعتدال في موضعين : الأول : عند ذكر إبراهيم بن عبد الله المصيصي وهو أحد رواة الحديث ، وقال عنه : هذا رجل كذاب ، وقال الحاكم : أحاديثه ضعيفة .

الثاني : عند ذكر أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفي ، وهو من رواة الحديث أيضاً ، وقال عنه : قال الدارقطني وغيره : متروك ، وقال ابن حبان : كذاب [1] .

(٣) أخرج الحاكم في المستدرك أنّ رسول الله (ص) قال :

«يا أبا بكر أعطاك الله الرضوان الأكبر فقال له بعض القوم وما الرضوان الأكبر يا رسول الله ، قال : يتجلى الله لعباده في الآخرة عامة ، ويتجلى لأبي بكر خاصة»[2] .

روى هذا الحديث محمد بن خالد الختلي الذي قال عنه ابن الجوزي في الموضوعات : كذبوه ، روى عن كثير بن هشام حديث «يتجلى لأبي بكر خاصة» .

وقال ابن مندة : صاحب مناكير[3] .

(٤) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) :

«خلقني الله من نوره ، وخلق أبا بكر من نوري ، وخلق عمر من نور أبي بكر ، وخلق أمتي من نور عمر (وفي رواية وخلق عثمان من نور عمر) ، وعمر سراج أهل الجنة» .

أورد هذا الخبر ، الذهبي في ميزان الإعتدال عند ذكر أحمد بن يوسف المنبجي وقال عنه : لا يعرف ، وأتى بخبر كذب .

وقال أبو نعيم في أماليه بعد نقل الخبر : هذا باطل مخالف كتاب الله .

وفي سنده : أبو معشر ، وأبو شعيب ، والهيثم بن جميل ، وكلهم ضعفاء متروكون [4] .

(٥) أخرج الخطيب البغداي في تاريخه (ج٧/١١٨) من طريق بشار بن موسى الشيباني الخفاف أنّ النبي (ص) قال في حق أبي بكر وعمر : «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ممن خلا في الأمم الغابرين ومن يأتي إلاّ النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما يا علي» .

وفي شأن بشار بن موسى :

قال ابن معين : ليس بثقة إنّه من الدجالين .

---

(١) الذهبي : ميزان الإعتدال ج١/٤٠ ، ٤١ ، ٩٠ .

(٢) المستدرك ج٣/٧٨ .

(٣) ميزان الإعتدال ج٣/٥٣٤ .

(٤) الذهبي : ميزان الإعتدال ج١/١٦٦ .

وقال البخاري : منكر الحديث قد رأيته وكتبت عنه وتركت حديثه ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال أبو زرعه : ضعيف[1] .

المجموعة الثانية :

الأحاديث الموضوعة في فضائل أئمة المذاهب :

ونطرح بعض النماذج لهذه المجموعة :

(١) ما وضعه أتباع الإمام أبي حنيفه .

١ ـ أخرج الخطيب في تاريخه (ج٢/٢٨٩) أنّ النبي (ص) قال :

«سيأتي من بعدي رجل يقال له : النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة ليحيين دين الله وسنتي على يديه» .

قال الخطيب : موضوع باطل .

٢ ـ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه (ج١٣/٣٣٥) أنّ النبي (ص) قال :

«إنّ في أمتي رجلاً اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتي ، هو سراج أمتي هو سراج أمتي» .

قال الخطيب : حديث موضوع .

٣ ـ أخرج الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة (ج١/١٥) عن النبي (ص) قال :

«يجيء رجل فيحيي سنتي ، ويميت البدعة ، اسمه النعمان بن ثابت» .

(٢) ما وضعه أتباع الإمام مالك بن أنس :

رووا أنّ النبي(ص) قال في مالك :

«يوشك أن يضرب الرجل أكباد الإبل في طلب العلم ، فلا يجد عالماً أعلم من عالم المدينة» .

وفي رواية أخرى :

«يخرج الناس من المشرق إلى المغرب فلا يجدون أعلم من عالم أهل المدينة» .

وذكر أبو نعيم في حلية الأولياء (ج٦/٣١٧) عدة منامات لبعض المالكية ، رأوا من خلالها رسول الله(ص) وقد أثنى على مالك .

(٣) ما وضعه أتباع الإمام الشافعي :

١ ـ رووا أنّ النبي(ص) قال :

«عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً» .

وحملوه على محمد بن ادريس الشافعي (اسنى المطالب ص ١٤) .

---

(١) الأميني : الغدير ج٥/٣٢٣ .

٢ ـ وقال المزني : أنّه رأى رسول الله(ص) في المنام فسأله عن الشافعي فقال : «من أراد محبتي وسنتي فعليه بمحمد بن أدريس الشافعي المطلبي فإنّه مني وأنا منه» (تاريخ بغداد ج٢/٦٩) .

٣ ـ عن أحمد بن الحسن الترمذي قال : كنت في الروضة فأغفيت فإذا النبي(ص) قد أقبل فقمت إليه فقلت : يا رسول الله قد كثر الإختلاف في الدين ، فما تقول في رأي أبي حنيفة؟

فقال : أف ، ونقض يده ، قلت : فما تقول في رأي مالك؟فرفع يده وطأطأ وقال : أصاب وأخطأ .

قلت : فما تقول في رأي الشافعي؟

قال : بأبي ابن عمي أحيا سنتي . (تاريخ بغداد ج٦/٦٩) .

(٤) ما وضعه أتباع الإمام أحمد بن جنبل :

١ ـ أخرج ابن عساكر في تاريخه (ج٢/٤٦) عن أبي بكر بن أنزويه قال : رأيت رسول الله (ص) في المنام ومعه أحمد بن حنبل فقلت يا رسول الله من هذ؟ فقال : «هذا أحمد ولي الله وولي رسول الله على الحقيقة . . (ثم قال) : من يزوره غفر الله له ، ومن يبغض أحمد فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله» .

٢ ـ ورووا أنّ الله عز وجل يزور قبر أحمد بن حنبل في كل عام مرة . (روى ذلك ابن الجوزي في مناقب أحمد ص ٤٥٤) .

٣ ـ ورووا أنّ الشافعي رأى النبي (ص) في المنام فقال له : «اكتب إلى عبدالله أحمد بن حنبل ، واقرأ عليه مني السلام وقل : إنّك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن ، فلا تجيبهم ، يرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة» .

ملاحظة :

للإطلاع المزيد من الأحاديث الموضوعة في مناقب أئمة المذاهب يقرأ كتاب «الغدير في الكتاب والسنة والأدب» للبحاثة الكبير الشيخ الأميني ، الجزء الخامس ، الصفحات : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

ثالثاً : الدوافع الشخصية :

وهناك لون من الوضع تقف وراءه دوافع شخصية ، ونعني بالدوافع الشخصية :

ـ الرغبة في الحصول على مكاسب مادية . .

ـ الرغبة في التزلف إلى البلاطات الحاكمة . .

ومن خلال هذه النزعة عند كثير من الناس ، إستطاعت أنظمة الحكم في كل العصور أن تتوافر على كوادر مؤهلة لاختلاق الأحاديث وتزوير الأخبار تلبية لنزوات الحكام والسلاطين. .

ومن الشواهد التاريخية على هذا اللون من الوضع :

١ ـ جاء في تاريخ بغداد (ج١/١٩٣) : أنّ غياث بن ابراهيم دخل على المهدي ، وكان المهدي يحب الحمام ، فطلب منه المهدي أن يحدثه ، فروى حديثاً عن أبي هريرة أنّ رسول الله قال :

«لا سبق إلاّ في حافر أو نصل أو جناح» فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم ، فلما قام غياث قال المهدي : أشهد أنّه قفا كذاب على رسول الله (ص) ، ما قال رسول الله (ص) جناح ، ولكنه أراد أن يتقرب إليّ»[1] .

٢ ـ دخل أبو البختري وهب بن وهب قاضي بغداد على هارون الرشيد ، وهارون يطير في الحمام ، فقال : هل تحفظ في هذا شيء؟ فقال : نعم حدثني هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة : أنّ النبي (ص) كان يطير الحمام[2] .

٣ ـ وروى شاه بن بشر بن ماميان (كان معروفاً بالوضع في الدولة العباسية) عن جابر بن عبدالله مرفوعاً : «أتاني جبرئيل وعليه قباء أسود ، ومنطقة وخنجر ، فقلت : ما هذا؟ فقال : يأتي زمان يكون لباسهم كهذا قلت : يا جبرئيل من يكون رئيسهم؟ قال : من ولد العباس[3] .

٤ ـ ومن الوضاعين الذين استخدمتهم الدولة العباسية ، اسحاق المعروف بأبي حذيفة المتوفي سنة ٢٢٠هـ ، وأبو معشر السندي الذي صنف كتاب المغازي ، وقد قال عنه ابن حزره : أبو معشر أكذب من تحت السماء ، وكان يحظى برضا كثير من رجال البلاط العباسي[4] .

رابعاً : الدوافع الدينية :

من ألوان الوضع التي راجت في مرحلة من تاريخ السنة النبوية ما يسمى «بالوضع للترغيب والترهيب» ، وقد مارس هذا الوضع رجال عرفوا بالصلاح والزهد ، حسبة وتقرباً إلى الله تعالى ، فانتشرت نسبة كبيرة من الأحاديث الموضوعة في فضائل الأعمال ، ومناقب الأخلاق.

---

(١) أسد حيدر : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة في المجلد الأول ، الجزء الأول ص ٢٦٤ .

(٢) أسد حيدر : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة المجلد الأول ، الجزء الأول ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٣) (٤) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة م١ ج١/٢٦٥ .

وإنّه من الوهم أن يجنح بنا التفكير إلى الإعتقاد بسلامة هذا اللون من الوضع ما دام يتحرك في خدمة أهداف الدين ولا يشكل ضرراً على العقيدة .

هذا التفكير مرفوض إسلامياً ، فحالة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله تمثل ظاهرة غير مشروعة مهما كانت دوافعها ومبرراتها ، فهي تعبر عن إقتحام واضح لقدسية الكلمة الصادرة عن نبي الإسلام وتجرؤ صريح على مكانة السنة المطهرة ، ولا يعفي هذا اللون من العمل نظافة الأهداف والدوافع ، وصدق النوايا والمقاصد .

وهناك جنبه ثانية لا تقل خطورة عن الأولى تعطي لهذا اللون من الوضع صبغته غير الشرعية ، لأنّ إعطاء المفردات والمفاهيم والقيم مواقعها وأحجامها في البنية الإسلامية وفي حركة الإلتزام خاضع لمجموعة إعتبارات وملاكات غير معروفة إلّا للمشرع الحكيم ، فالإسلام في تركيبته العقائدية والتشريعية والروحية منظومة متناسقة متكاملة . ومن هنا فنحن نتأمل كثيراً في بعض المقولات الفقهية السائدة من قبيل : «التسامح في أدلة السنن» .

امثلة لهذا اللون من الوضع :

١ ـ قيل لأبي عصمة من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة ، فقال : إنّي رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة»[1] .

٢ ـ ذكر الحاكم وغيره من شيوخ الحديث : أنّ رجلاً من الزهاد انتدب في وضع أحاديث في فضل القرآن وسوره فقيل له : لم فعلت هذا؟ فقال : رأيت الناس قد زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه ، فقيل : فإنّ النبي (ص) قال : **«من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»** .

فقال : ما كذبت عليه ، إنّما كذبت له (القرطبي في التذكار ص ١٥٦)[2] .

٣ ـ قيل لميسرة بن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا ، قال : وضعته أرغّب الناس فيه ، وكان يقول : إن أحتسب في ذلك .

قال ابن حبان عنه : كان ممن يروي الموضوعات عن الإثبات ، ويضع الحديث ، وهو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل[3] .

---

(١) الأميني : الغدير ج٥/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) الغدير ج٥/ ٢٧٦ .

(٣) الذهبي : ميزان الإعتدال ج٤/ ٢٣٠ .

خامساً : الدوافع العدائية للإسلام :

ومارس هذا اللون من الوضع أولئك المندسون في صفوف المسلمين والذين أظهروا الإسلام كذباً ونفاقاً من أجل أن يواجهوا الرسالة بشكل متستر .

وتضم هذه العيّنة من الوضاعين عدة فئات :

- المنافقين .
- أهل الكتاب .
- الزنادقة .

تذكر كتب التاريخ أن ابن أبي العوجاء (أحد الزنادقة) لما أخذ لتضرب عنقه قال : «وضعت فيكم أربعة آلاف حديث ، أحرم فيها الحلال وأحلّ الحرام»[1] .

---

(١) أضواء على السنّة المحمدية ص ٢١ .

المجال الرابع : التاريخ الإسلامي :

المحتوى الأصيل لتاريخ الرسالة تعرض لمحاولات جادة إستهدفت تحريف الكثير من مفرداته وجزئياته ، مما خلق صورة مهزوزة مشوشة لا تلتئم مع الصورة الحقيقية لذلك التاريخ .

إنّ عملية المسخ التاريخي المقصود بفعل الدوافع السياسية والمذهبية ، قد أوجدت تعقيداً صعباً أمام الباحثين الذين يريدون أن يتعاملوا مع الحقائق التاريخية الأصيلة . وإن كانت المسألة ليست عسيرة حينما تتوافر النوايا الصادقة ، والتجرد من كل الخلفيات التي تشكل قيوداً ثقيلة تضغط على الباحث ، وتعطل طموحاته الجادة في الوصول إلى الحقيقة .

الوان من التحريف التاريخي :

(١) تشويش الصورة الأصيله لشخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم :

في المدونات التاريخية التي تناولت شخصية نبي الإسلام وسجلت حياته وصفاته ، نجد مجموعة من الروايات تحاول أن ترسم لنا صورة هزيلة لشخصية هذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله الذي يجسّد قمة الكمال البشري .

ومن جزئيات هذه الصورة ما تحدثنا به روايات موضوعة مثبتة في كثير من مصادر التاريخ والحديث والتفسير :

أ ـ أنّ النبي (ص) كان له شيطان يعتريه فأعانه الله على شيطانه فأسلم . .

ب ـ أنّ النبي (ص) كان يستمع إلى الجواري يغنين ويضربن الدفوف . .

ج ـ أنّ النبي (ص) كان يحمل زوجته عائشة على عاتقه لتنظر إلى لعب السودان ، وخده على خدها . .

د ـ أنّ النبي (ص) كان يسابق زوجته عائشة في الجري ، فتغلبه تارة ، ويغلبها أخرى . .

هـ ـ أنّ النبي (ص) قد عشق زوجة ابنه بالتبني بعد أن رآها بصورة مثيرة . .

إلى غير ذلك من المرويات والمقولات الزائفة[1] .

(٢) إختلاق أحداث ووقائع تاريخية لا أساس لها :

ومن أمثلة هذا اللون التحريفي للتاريخ ما اختلقه سيف بن عمر التميمي (توفي سنة ١٧٠ هـ) من أحداث ووقائع شهدتها «حروب الردة» بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه

---

(١) جعفر العاملي : الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) ج١/١٦ .

وآله ، وقد روى أخباراً تحمل الكثير من التهويلات والأكاذيب (يقرأ : السيد العسكري : معالم المدرستين ج١/٢٧١) .

(٣) اختلاق شخصيات تاريخية وهمية :

ومن أمثلة هذا اللون من التحريف ، ما اختلقه سيف بن عمر التميمي من رواة وأبطال وشخصيات أسطورية لا وجود لها في تاريخ المسلمين . .

ومن أبرز شخصياته الأسطورية الوهمية «شخصية عبدالله بن سبأ اليهودي» ، فقد اختلق سيف هذه الشخصية الخرافية ونسب لها أدواراً خطيرة في تاريخ المسلمين .

ولكي تكتشف الحجم الكبير لهذا اللون من التحريف التاريخي اقرأ الدراسات التالية للبحاثة الكبير السيد العسكري :

١ ـ خمسون ومائة صحابي مختلق .

٢ ـ عبدالله بن سبا .

٣ ـ معالم المدرستين . .

(٤) إلغاء وطمس بعض الوقائع التاريخية الثابتة :

تتجه محاولات التحريف التاريخي أحياناً إلى مصادرة بعض المفردات التاريخية الثابتة ، وشطبها من قاموس الرسالة ، ومسحها من ذاكرة المسلمين .

وإنّ إلغاء مفردات أساسية في تاريخ الرسالة ، يغيّر الصورة الأصيلة لمسار الأحداث ، ويشوش الرؤية الحقيقية لحركة الدعوة ، ويغيّب جانباً هاماً من معالم الرسالة .

والشواهد على هذا المنحى التحريفي كثيرة ، ولعل «حادثة الغدير» الشهيرة في تاريخ الرسالة من أبرز الأمثلة التي تعكس هذا الإتجاه ، حيث بذلت المحاولات التحريفية جهودا جادة لمصادرة هذه المفردة الخطيرة في تاريخ الإسلام ، وشطبها من الواقع التاريخي للرسالة والدعوة .

ولا شك أنّ هذه المفردة التاريخية تشكل تنافي صريح مع المسار السياسي الذي قدّر له تولي زعامة التجربة الإسلامية في تاريخ الأمة ، فمن الطبيعي جداً أن تبذل كل الجهود لإلغائها أو تحريف دلالاتها الأصيلة . .

ولا نجد أيّ غرابة حينما لا نعثر على هذه المفردة ولو إشارة في بعض مصادر الحديث الهامة ، وخاصة التي دونت في مرحلة تاريخية متشنجة ضد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

وبفعل الدوافع السياسية والمذهبية تمّ وضع نهاية «لاطروحة الغدير» على مستوى الواقع السياسي ، وعلى المستوى الفكري ، وإن بقيت هذه الأطروحة تملك وثائقها الإثباتية حتى في مصادر مدرسة الخلفاء نفسها كما برهنّا على ذلك في فصول سابقة .

(٥) التشويش والتغيير في نقل الأحداث التاريخية :
وهنا تتجه المحاولة التحريفية إلى التلاعب بالحدث التاريخي وتشويشه وإرباك صورته ، وتتم هذه المحاولة من خلال :
- تبديل وتغيير بعض المفردات التي يتضمنها الحدث التاريخي .
- إضافة أو إلغاء بعض المفردات أو الفقرات . .
ونستعين هنا بمثال واحد هو :
«حادثة الإنذار في بدء الدعوة» .
فكتب التاريخ والتفسير (كما سبقت الإشارة) تؤكد أنّ النبي صلى الله عليه وآله في بدء الدعوة لما نزل عليه قوله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ .
دعا عشيرته وقرابته من بني هاشم ، وطرح عليهم الإسلام ، وجاء في كلامه صلى الله عليه وآله معهم :
«إنّي جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم» .
فأحجم القوم جميعاً . .
فقام علي ، وكان أحدثهم سناً ، وقال :
«أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه» .
فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) براحته ، وقال :
«إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» .
فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب :
قد أمرك أن تسمع لإبنكِ وتطيع . .

بعض محاولات التحريف لهذا الحدث التاريخي :

(١) محاولة ابن خلدون في تاريخه (ج٢/٧) :
طرح هذا الحديث بالشكل التالي :
«فجمع بني عبد المطلب ، وهم يومئذ أربعون على طعام صنعه لهم علي بن أبي طالب بأمر رسول الله ، فدعاهم إلى الإسلام ورغبهم وحذرهم ، وسمعوا كلامه وافترقوا» .

ونلاحظ هنا حالة البتر الواضح لكلام الرسول صلى الله عليه وآله ، وإلغاء فقرات تطابقت مصادر التاريخ على إثباتها وتدوينها[1] .

---

(١) راجع : روح التشيع ص ١٦٤ .

(٢) محاولة ابن كثير الدمشقي في كتابه (البداية والنهاية ج٣/٣٩) طرح الحدث بالشكل التالي :

«قال رسول الله (ص) : **فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا** . .

قال : فأحجم القوم عنه جميعاً . .

قلت [يعني علياً] ، وأنا أحدثهم سناً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً : أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه . .

فأخذ برقبتي فقال :

إنّ هذا أخي وكذا وكذا . . فاسمعوا له وأطيعوا ، فقام القوم»[1] .

يلاحظ عند ابن كثير ، الإخفاء المقصود لبعض المفردات والاستعاضة عنها بكلمتي «كذا وكذا» المبهمتين . .

(٣) محاولة هيكل في كتابه «حياة محمد» :

الأستاذ هيكل دوّن هذا الحدث بصيغته الصحيحة في مقالاته التي نشرها في «ملحق جريدة السياسة المصرية» (العدد ٢٧٥١ الصادر في ١٢/١١/١٣٥٠ هـ والعدد ٢٧٨٥) .

وكذلك في كتابه «حياة محمد» ص ١٠٤ ، الطبعة الأولى الصادرة سنة ١٣٥٤ هـ .

ثم عاد الاستاذ هيكل في الطبعات الأخرى لكتابه ، فحذف الفقرة التالية :

«وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم» .

دون إشارة إلى المبرر الذي دفعه إلى هذا الحذف والإلغاء .

عوامل التحريف التاريخي :

تناول الأستاذ الكبير العلامة السيد محمد تقي الحكيم في محاضرته القيمة «مناهج البحث في التاريخ»[2] التي ألقيت في منتدى النشر ، أهم الأسباب والبواعث التي تقف وراء حالة التناقض والإضطراب في تدوين وتسجيل الأحداث التاريخية .

فيرى أنّ البواعث ذات شقين :

الأول : البواعث اللاشعورية :

---

(١) روح التشيع ص ١٩٥ .

(٢) محاضرة ألقيت في قاعة المجمع الثقافي لمنتدى النشر في موسمه لعام ١٦٧٧ ـ ١٩٥٨ وقد طبعت مع بحوث أخرى في كتاب بعنوان «قصة التقريب بين المذاهب وبحوث أخرى» من مطبوعات مكتبة النجاح ـ طهران .

وهي التي تدفع المؤرخين لا عن قصد واختيار إلى تشويه الحادثة التاريخية ، بفعل مجموعة عوامل :

١ ـ عامل النسيان .

٢ ـ عامل الكبر بما يصيب صاحبه من ضعف الذاكرة وكثرة السهو والغفلة .

٣ ـ الحالة النفسية والذهنية التي قد تلون لا شعوريا الحادثة باللون الذي تريده .

٤ ـ مستوى الفهم والتلقي عند الرواة ونقلة الأخبار . .

٥ ـ طبيعة ما يقتضيه عادة تنقل الأحاديث بين الرواة من الزيادة والنقيصة ، مما يسبب تغيراً لواقع الحادثة التاريخية .

الثاني : البواعث الشعورية :

التوجه المقصود عند المؤرخ أو الرواي ، لتغيير وتحريف الحادثة التاريخية أو خلقها ، إستجابة لبعض العوامل والأسباب ومن أهم هذه العوامل :

(١) العامل الإقتصادي :

ويراد بالعامل الإقتصادي :

«الباعث المادي الذي يبعث بصاحبه على المتاجرة بضميره في سبيل تحصيل ما يسد به حاجاته المعاشية» .

وموضوعات هذا العامل متعددة :

١ ـ السياسة :

وهي من أبرز عوامل التشويه والوضع في التاريخ قديماً وحديثاً .

ومن أبرز الأمثلة التي تجسد هذا المنحى السياسي الذي حرّف الكثير من أحداث التاريخ الإسلامي ، معاوية بن أبي سفيان ، فقد كانت له مساومات سياسية مع بعض باعة الضمائر في ذلك العصر ، من خلال عدة مراحل :

آ ـ حشد أكبر عدد ممكن من الروايات الموضوعة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله من قبيل :

ـ «إن الله ائتمن علي وحيه جبريل وأنا ومعاوية» .

ـ كاد معاوية أن يبعث نبياً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربي» .

ب ـ خلق كيان إسلامي لأسرته في مقابل الهاشميين . .

ج ـ وضع الأحاديث في مناقب الصحابة في مقابل المناقب الثابتة لعلي بن أبي طالب . فقد كتب لعماله كما يذكر «المدائني» في كتاب الأحداث :

«إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية . فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا جزءاً يرويه أحد من المسلمين في (أبي تراب) إلاّ وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة ، فإنّ هذا

أحبُّ إليّ وأقرُّ لعيني ، وأدحض لحجة شيعة أبي تراب . . » (مناهج البحث ص ١٠ ، ١١) .

٢ ـ الأدب :

وهو من أخصب المجالات للدس والتزوير والكذب ، فقد سار الكثير من الأدباء في ركاب السلطات المنحرفة ، وأصبحوا أبواقاً تمجد الأنظمة والحكام .

فهذا أبان بن عبد الحميد يتقرب إلى هارون الرشيد ، بشعره وأدبه ، فينال منه أموالاً طائلة مكافئة لأكاذيبه وافتراءاته .

وهذا غياث بن المهدي يضع أحاديث كاذبة لتبرير لهو المهدي العباسي فيحظى بالعطايا الكبيرة . (مناهج البحث ص ١٣ ، ١٤) .

(٢) العامل النفسي :

ويراد بالعامل النفسي :

«أن يندفع الإنسان إلى خلق الحادثة أو تحويرها ليستر جانباً من جوانب النقص فيه ، أو ليشبع إحدى دوافعه واستعداداته الفطرية بما ينشأ عنها من عواطف خاصة» (مناهج البحث ص ١٦) .

(٣) العامل العقيدي :

ويقصد به :

«أن يعمد الواضع إلى الوضع والتشويه خدمة لمبادئه التي يؤمن بها ، وهو يعتقد أنّ مبادئه تبرر له التجني والكذب على حساب التاريخ» (مناهج البحث ص ١٩) .

القسم الثاني

الفصل الثاني

دور الأئمة من أهل البيت في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة

التنوع في أدوار الإئمة عليهم السّلام :

نضع بين أيدينا مجموعة نقاط تشكل مدخلاً لإستيعاب دور الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة ، ومواجهة الحالات التغييرية الطارئة .

النقطة الأولى :

إنّ الأدوار والمواقف التي مارسها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في مختلف المراحل ، ليست حالات إرتجالية انفعالية استثارتها الظواهر التحريفية أو الإنحرافية بشكل آني موقت ، وإنّما هي أدوار ومواقف أنتجتها الرؤية المعصومة المستوعبة لكل الظروف الموضوعية المتحركة في داخل الساحة على كل المستويات الفكرية والنفسية والإجتماعية والسّياسية .

النقطة الثانية :

ظاهرة التنوع والتعدد في أساليب الأئمة عليهم السّلام :

يمكن أن نتبين هذه الظاهرة في حياة الأئمة عليهم السّلام من خلال نظرة تاريخية عاجلة لأساليب الأئمة عليهم السّلام :

١ ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

مارس في حياته دورين متمايزين :

الأول : دور المسالمة .

في مرحلة كانت مصلحة الرسالة تفرض ذلك .

الثاني : دور التصدي المسلح .

حينما تحركت عوامل جديدة في الساحة فرضت هذا اللون من التصدي والمواجهة . .

٢ ـ الإمام الحسن بن علي عليه السّلام :

مارس «دور المصالحة» في مرحلة كانت ظروفها الموضوعية تفرض هذا الموقف . .

٣ ـ الإمام الحسين عليه السّلام :

مارس «دور الثورة والشهادة» حينما لم يكن هناك خيار آخر لمواجهة حالة الخطر التي تهدد الرسالة .

٤ ـ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السّلام :

كان من أبرز وسائله في ترشيد الحالة الإسلامية «أسلوب الدعاء» حيث فرضت المرحلة بملابساتها الفكرية والأخلاقية والإجتماعية والسياسية إنتهاج هذا النمط الترشيدي .

٥ ـ الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السّلام :

كان لهما «دور علمي متميز» في مرحلة وفّرت ظروفها السياسية والإجتماعية لهذين الإمامين(ع) إمكانات التحرك العلمي والثقافي .

٦ ـ ومارس بقية الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام أدوارهم المتنوعة ضمن الخطة الواحدة المتكاملة المرسومة لتحقيق أهداف الرسالة .

النقطة الثالثة :

أسباب التنوّع في ‎-أدوار الأئمة عليهم السّلام .

إنّ حالة التنوع في الأدوار عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لا تشكل ظاهرة تناقضية في أساليب الحركة والعمل وإنّما تعبّر عن الواقعية التي تتميز بها الصيغة العملية في الدعوة إلى الله بما تفرضه من إستيعاب واعٍ للظروف الموضوعية الفاعلة في حركة الأمة .

وعلى ضوء هذه الرؤية يمكن أن نحدد أهم أسباب التنوع في أساليب الأئمة عليهم السّلام ضمن الأمور التالية :

أ ـ إختلاف الظروف الموضوعية التي تمر بها الرسالة . .

ب ـ إختلاف الظروف الموضوعية المتحركة حول الإمام نفسه . .

ج ـ إختلاف الحالة التي تعيشها الأمة . .

د ـ إختلاف الأهداف المحددة لكل مرحلة . .

ورغم تنوع الأدوار والأساليب في حياة الأئمة عليهم السّلام فإنّه ينتظمها هدف واحد هو «مصلحة الرسالة وحماية مسيرتها» ومن خلال هذا الهدف تتحرك الصيغ والأساليب ، والأدوار والفعاليات .

النقطة الرابعة :

إذا كانت خصوصيات المرحلة تحدد الصيغة العامة للحركة ، وتفرض حالة التنوع في الأدوار ، فإنّ نسبة كبيرة من مفردات العمل في حياة الأئمة عليهم السّلام متوافقة شكلاً ومضموناً وإن تغايرت الجزئيات التطبيقية في كل مرحلة ، وهذا ينتج لنا نمطين من الأدوار في حياة الأئمة عليهم السّلام :

النمط الأول :

الأدوار المشتركة :

وتتجسّد في الفعّاليات الرسالية ذات العناصر المشتركة التي تتحرك في كل المراحل ، ولا تتجمد ضمن مرحلة واحدة ، ومن أمثلة هذا المستوى من الأدوار :

١ ـ الترشيد الروحي . .

٢ ـ الإعداد الفكري . .

٣ ـ الحفاظ على المسار التشريعي . .

٤ ـ التصدي للتيارات الطارئة التي تشكل خطراً على الرسالة . .

النمط الثاني :

الأدوار المتنوعة :

وهنا يتميز كل موقف بخصوصياته المرحلية ، فلكل مرحلة عناصرها ، ومفرداتها الخاصة ، الأمر الذي يفرض أسلوباً عملياً متلائماً مع تلك الخصوصيات والمفردات ، وإلاّ فشلت الصيغة في إنجاز أهدافها العامة والمرحلية .

الأدوار المشتركة في الحفاظ على الصيغةالإسلامية الأصيلة :

قلنا إنّ الهدف العام الذي ينتظم أدوار الأئمة من أهل البيت (ع) في كل المراحل هو «مصلحة الرسالة وحماية مسيرتها والحفاظ على صيغتها الأصيلة» . .

وضمن هذا الهدف نحاول هنا تناول جانب من أدوار الأئمة عليهم السلام من خلال المستويات التالية :

١ ـ المستوى العقائدي .

٢ ـ المستوى الروحي .

٣ ـ المستوى السّياسي .

٤ ـ المستوى التشريعي .

(١) المستوى العقائدي :

ونتناول هنا موقف الأئمة عليهم السلام في مواجهة «التيارات الفكرية» التي كانت تشكل خطراً على العقيدة الإسلامية الأصيلة ، وهذه التيارات يمكن أن نضعها ضمن مسارين :

أ ـ المسار الإنحرافي .

ب ـ المسار التحريفي .

المسار الإنحرافي :

وينتظم التيارات الفكرية التي تتناقض مع العقيدة الإسلامية بشكل مباشر :

ـ تيار الالحاد والزندقة . .

ـ تيار الغلو . .

ـ فكرة التناسخ . .

الى غير ذلك من الأفكار والمفاهيم المتناقضة مع العقيدة الإسلامية .

المسار التحريفي :

وينتظم التيارات التي تشكل تحريفاً لمضمون العقيدة الإسلامية الأصيلة :

ـ التجسيم والتشبيه . .

ـ الجبر والتفويض . .

ـ عقيدة الإرجاء . .

ارقام وشواهد :

يمكن أن نتبين دور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في مواجهة التيارات الفكرية التي تشكل تناقضاً وتنافياً مع العقيدة الإسلامية ، من خلال الاستعانة بالأرقام والشواهد التالية :

١ ـ التصدي لتيارات الإلحاد والزندقة :

نستعين بالمثالين التاليين من حياة الإمام الصادق عليه السلام :

المثال الأول :

الإمام الصادق(ع) مع أبي شاكر الديصاني :

دخل أبو شاكر الديصاني ـ وهو أحد الزنادقة ـ على الإمام الصادق عليه السلام ، وقال : يا جعفر بن محمد دلّني على معبودي . .

فقال الإمام الصادق : اجلس .

فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها ، فقال له الإمام الصادق : ناولني يا غلام البيضة ، فناوله إياها . فقال الإمام الصادق :

يا ديصاني ، هذا حصن مكنون ، له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، تحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة ، وفضة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهي على حالها ، لا يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها ، ولا يدخل إليها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها ، لا يدرى للذكر خلقت أو للأنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس ، أترى لها مدبراً ؟

فأطرق الديصاني ملياً ثم قال :

أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه[1] .

المثال الثاني :

الإمام الصادق(ع) والزنديق المصري :

دار بين الامام الصادق(ع) وأحد الزنادقة من مصر الحوار التالي :

قال الإمام الصادق له : أتعلم أنّ للأرض تحتاً وفوقاً ؟

قال : نعم .

قال الإمام : فدخلت تحتها ؟

قال : لا .

قال الإمام : فهل تدري ما تحتها ؟

قال : لا أدري إلّا أنّي أظن أن ليس تحتها شيء .

فقال الإمام : فالظن عجز ما لم تستيقن .

ثم قال الإمام له : صعدت إلى السماء ؟

قال : لا .

---

(١) الطبرسي : الاحتجاج ج٢/٧١ ، ٧٢ .

قال الإمام : أفتدري ما فيها ؟
قال : لا .
قال الإمام : فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفها ؟
قال : لا .
قال الإمام : فالعجب لك ، لم تبلغ المشرق ، ولم تبلغ المغرب ، ولم تنزل تحت الأرض ، ولم تصعد إلى السماء ، ولم تخبر ما هنالك فتعرف ما خلفهن ، وأنت جاحد بما فيهن ، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟
قال المصري : ما كلمني بهذا غيرك . .
قال الإمام : فأنت في ذلك من شك فلعل هو ولعل ليس هو . .
قال : ولعل ذلك . .
فقال الإمام : أيُّها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ولا حجة للجاهل على العالم . .

يا أخا مصر : تفهم عني ، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان ولا يستبقان ، يذهبان ويرجعان ، قد اضطرا ليس لهما مكان إلاّ مكانهما ، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان ، وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً ، والنهار ليلاً ؟ اضطرا والله يا أخا مصر ، إنّ الذي تذهبون إليه وتظنون من الدهر ، فإن كان هو يذهبهم فلِمَ يردهم ؟ وإن كان يردهم فلِمَ يذهب بهم ؟

أما ترى السماء مرفوعة ، والأرض موضوعة لا تسقط السماء على الأرض ولا تنحدر الأرض فوق ما تحتها ، أمسكها والله خالقها ومدبرها ، فآمن المصري على يدي الإمام الصادق (راجع الإحتجاج ج٢/٧٣).

٢ ـ التصدي لظاهرة الغلو :

أ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا فينا ما شئتم ، ولن تبلغوا وإياكم والغلو كغلو النصارى ، فإني بريء من الغالين»[1] .

ب ـ قال الإمام الصادق عليه السلام لصالح بن سهل :

«يا صالح إنّا والله عبيد مخلوقون لنا ربّ نعبده ، وإن لم نعبده عذّبنا»[2] .

ج ـ وقال الإمام الصادق(ع) :

«أبرأ ممّن قال إنّا أنبياء»[3] .

---

(١) الاحتجاج ج٢/٢٣٣ .
(٢) (٣) روح التشيع ص٩٧ .

د ـ وقال الإمام الرضا عليه السلام :

«إنَّ من تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين»[1].

هـ ـ وقال عليه السلام :

«لعن الله الغلاة ، ألا كانوا يهوداً، ألا كانوا مجوساً، ألا كانوا نصارى ، ألا كانوا قدريه ، ألا كانوا مرجئة ، ألا كانوا حرورية .

ثم قال عليه السلام : «لا تقاعدوهم ، ولا تصادقوهم ، وأبرأوا منهم ، برأ الله منهم»[2].

و ـ قال عليه السلام في بعض أدعيته :

«اللهم إنَّ من زعم أنَّ لنا الخلق وعلينا الرزق ، فنحن إليك منه برئاء ، اللهم إنّا لم ندعهم إلى ما يزعمون ، فلا تؤاخذنا بما يقولون ، واغفر لنا ما يزعمون»[3] .

ح ـ وقال عليه السلام :

«الغلاة كفار ، والمفوضة مشركون ، من جالسهم أو خالطهم ، أو آكلهم أو شاربهم ، بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل ، وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت»[4].

ملاحظة :

في فصل قادم نتناول ـ إن شاء الله ـ فتاوى فقهاء الشيعة المنتمين إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتي أكّدوا من خلالها القول «بكفر الغلاة ونجاستهم» كما تصرح بذلك كتبهم ومؤلفاتهم . .

٣ ـ التوحيد الخالص وتنزيه الله عن التشبيه والتجسيم والرؤية :

قال أمير المؤمنين في الخطبة الأولى من خطب نهج البلاغة :

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود ، فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، ووتد بالصخور ميدان أرضه ، أول الدين معرفته ، وكمال معرفته

---

(١) الاحتجاج ٢/٢٣٣ .

(٢) روح التشيع ص٩٦ .

(٣) (٤) المصدر نفسه ص٩٧ ، ٩٨ .

التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده ، ومن قال «فيم» فقد ضمنه ، ومن قال «عَلَامَ ؟» فقد أخلى منه ، كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنه ، وغير كل شيء لا بمزايله ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ، ولا يستوحش لفقده» .

٤ ـ لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين :

إعتبر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، الجبر والتفويض فكرتين تتنافيان مع أصول العقيدة الإسلامية ، ويمكن أن نتبين موقف الأئمة من هاتين الفكرتين من خلال النصوص التالية :

أ ـ قول الإمام الصادق عليه السلام :

«لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»[١] .

ب ـ وقوله عليه السلام :

«إنَّ الناس في القدر على ثلاثة أوجه :

رجل يزعم أنَّ الله تعالى أجبر الناس على المعاصي ، فهذا قد ظلم الله في حكمه فهو كافر .

ورجل يزعم أنّ الأمر مفوض إليهم ، فهذا قد وهن الله في سلطانه فهو كافر .

ورجل يقول أنَّ الله كلّف العباد ما يطيقون ، ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، وإذا أحسن حمد الله ، وإذا أساء استغفر الله ، فهو مسلم بالغ»[٢] .

ج ـ وقول الإمام الرضا عليه السلام :

«من زعم أنَّ الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال (بالجبر) ، ومن زعم أنَّ الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حجة قال (بالتفويض) ، والقائل بالجبر كافر ، والقائل بالتفويض مشرك»[٣] .

د ـ وقوله عليه السلام في نفي الجبر والتفويض :

---

(١) (٢) حق اليقين ج١/٧٤ .

(٣) الاحتجاج ج٢/١٩٨ .

«إنَّ الله تعالى لم يطع بإكراه ، ولم يعص بغلبه ، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن إئتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صاداً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه»[1] .

---

(١) الإحتجاج ج ٢/١٩٨ .

(٢) المستوى الروحي :

القيمومة الروحية :

من خلال الصيغة التحريفية التي فرضت على الواقع الحياتي والاجتماعي للأمة خصوصاً في المرحلة التي بدأت بسيطرة الأمويين على السلطة في تاريخ المسلمين ، فقد أصاب القيم الإسلامية اهتزاز كبير ، وتعرضت روحية الأمة الى هبوط واضح ، ووجدت قيم الجاهلية أجواء منفتحة تحركت من خلالها ، وامتدت في حياة المسلمين . .

إنَّ عملية المسخ الحضاري لهوية الأمة لم تكن حالة عفوية أفرزتها نزوة عابرة لحاكم طائش أو سلطان جائر أو ملك مستبد ، وإنّما هي حالة محسوبة ضمن خطة هادفة لتغيير معالم الرسالة ، وليس هذا افتراضاً مجرداً ، فثمة نصوص تاريخية صريحة تؤكد هذا الاتجاه :

أ ـ قال معاوية للمغيرة ـ بعد أن ذكر ملك أبي بكر وعمر وعثمان ـ «وإنَّ أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات : أشهد أن محمداً رسول الله ، فأي عمل يبقى مع هذا ، لا أم لك ، لا والله إلّا دفناً دفناً»[١] .

ب ـ وروى أحمد بن أبي طاهر في كتاب (أخبار الملوك) : أنَّ معاوية سمع المؤذن يقول أشهد أنَّ محمداً رسول الله فقال : لله أبوك يا ابن عبد الله ، لقد كنت عالي الهمة ، ما رضيت لنفسك إلَّا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين»[٢] .

ج ـ حدث أبو بكر بن عياش قال : سمعت الأعمش يقول : والله لقد سمعت الحجاج بن يوسف يقول : يا عجباً من عبد هزيل «يعني عبد الله بن مسعود» يزعم أنَّه يقرأ قرآناً من عند الله ، والله ما هو إلّا رجز من رجز الأعراب ، والله لو أدركت عبد هزيل لضربت عنقه»[٣] .

---

(١) جعفر مرتضى : الصحيح من سيرة النبي الأعظم(ص) ج١/١٩ نقلاً عن :
أ ـ الموفقيات ص٥٧٧ .
ب ـ شرح النهج للمعتزلي ج٥/١٢٩ ، ١٣٠ .
ج ـ مروج الذهب ج٣/٤٥٤ .
د ـ قاموس الرجال ج٩/٢٠ .
(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم(ص) ج١/٢٠ ، ٢١ نقلا عن : شرح النهج للمعتزلي ج١٠/١٠١
(٣) الحاكم : المستدرك على الصحيحين ج٣/٥٥٦ .
الذهبي : التلخيص «بذيل المستدرك» .

د ـ خطب خالد القسري (والي الأمويين) بمكة فقال : «والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها ، والله لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه»[1] .

من هذه المفردات وغيرها مما حفلت به مصادر التاريخ نكتشف أبعاد الخطة الأموية المرسومة لهدم معالم الرسالة الاسلامية ، وتغيير هوية الأمة ، وتمكين القيم الجاهلية من العودة الى واقع الحياة ، وإلغاء أخلاق الدين وأحكام الشرعية . .

وفي ظل هذا الواقع التحريفي لقيم الأمة ، وانتزاع هويتها الاسلامية ، ومصادرة روحيتها الايمانية ، وجد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أنفسهم أمام مسؤولياتهم الرسالية الكبيرة في الحفاظ على الصيغة الاسلامية الأصيلة على كل المستويات الفكرية والعقائدية والروحية والسياسية والتشريعية . .

وفي الصفحات المتقدمة تناولنا جانباً موجزاً من دور الأئمة عليهم السلام في صيانة المستوى العقائدي للأمة ، من خلال التصدي لكل التيارات الفكرية الطارئة التي تشكل خطراً على الصيغة العقيدية الأصيلة . .

وهنا نحاول إبراز جانب آخر من دور الأئمة عليهم السلام يتمثل في الحفاظ على المستوى الروحي والأخلاقي في حركة الأمة ومواجهة خطط التمييع والتذويب من خلال تأصيل المضامين الروحية وإعادة فاعليتها في واقع الحياة . .

وإيماناً من الأئمة عليهم السلام بأنّهم يمثلون «القيمومة» التي ترشّد الحالة الاسلامية فكرياً وروحياً وسياسياً ، فقد مارسوا دورهم الترشيدي على كل الأصعدة ، ومنها الصعيد الأخلاقي التربوي .

وسائل الترشيد الروحي (الأخلاقي التربوي) :

اعتمد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في مجال الترشيد الروحي عدة وسائل ، هي نفسها الوسائل التي اعتمدتها الرسالة ، كما تجسّد ذلك الصيغة القرآنية والتجربة النبوية . .

فالأئمة عليهم السلام يهدفون من خلال ممارساتهم الترشيدية انجاز مهمتين :

الأولى : تأصيل المضامين والأفكار والقيم . .

الثانية : تأصيل الوسائل والمناهج والأدوات المشروعة . .

---

(١) الصحيح من سيرة الأعظم(ص) ج١/٢٢ نقلاً عن : «الأغاني» ج١٩/٦٠ .

إنّ أهم الوسائل التي اعتمدها الأئمة عليهم السلام في مجال الترشيد الروحي هي :
١ ـ الأدعية .
٢ ـ الوصايا والمواعظ والتوجيهات .
٣ ـ القدوة .

الوسيلة الأولى :

الأدعية :

الدعاء يمثل اسلوباً تربوياً فاعلاً ، ومنهجاً تثقيفياً أصيلاً ، ونمطاً عبادياً واعياً .
وقد جاءت تأكيدات القرآن والسنّة على ذلك :
قال تعالى :
«ادعوني أستجب لكم» ـ غافر/٦٠ ـ
وقال الرسول صلى الله عليه وآله :
«الدعاء مخ العبادة» ـ إرشاد القلوب ج١/١٤٨ ـ
وقال أمير المؤمنين عليه السلام :
«الدعاء يرد القضاء المبرم» ـ إرشاد القلوب ١/١٤٩ ـ
وقد مارس الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، الدعاء كحالة عبادية جسّدوا من خلالها قمة الذوبان والانقطاع والتوجه الى الله عز وجل ، كما مارسوه اسلوباً تربوياً طرحوا من خلاله مفاهيم الاسلام ، وقيم الرسالة ، وأهداف الدعوة . .

وتتميز أدعية الرسول (ص) وأهل بيته(ع) بعدة خصائص :
أ ـ الأصالة .
ب ـ الواقعية والصدق .
ج ـ الإبداع .
د ـ النورانية والروحانية والشفافية .
هـ ـ الفاعلية والتأثير .
و ـ الهادفية الرسالية .
ز ـ الاستيعاب .
ح ـ العمق .
ط ـ الوضوح والسهولة .

مقاطع من أدعية الأئمة عليهم السلام :

١ ـ من دعاء كميل لأمير المؤمنين عليه السلام :
اللهمَّ اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم . .
اللهمَّ اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم . .
اللهمَّ اغفر لي الذنوب التي تغير النعم . .
اللهمَّ اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء . .
اللهمَّ اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء . .
اللهمَّ اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء . .
٢ ـ من دعاء كميل لأمير المؤمنين :
«وليت شعري يا سيدي والهي ومولاي . .
أتسلط النار على وجوه خرّت لعظمتك ساجدة . .
وعلى ألسن نقطت بتوحيدك صادقة ، وبشكرك مادحة
وعلى قلوب اعترفت بإلهيتك محققة
وعلى ضمائر حوت من العلم بك حتى صارت خاشعة
وعلى جوارح سعت الى أوطان تعبدك طائعة ، وأشارت باستغفارك مذعنة
ما هكذا الظن بك ، ولا أخبرنا بفضلك عنك يا كريم . .» .
٣ ـ من دعاء كميل لأمير المؤمنين :
«يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ
أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي في الليل والنهار بذكرك معمورة ، وبخدمتك موصولة وأعمالي عندك مقبولة ، حتى تكون أعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً وحالي في خدمتك سرمدا
يا سيدي يا من عليه معولي ، يا من إليه شكوت أحوالي
يا رب يا رب يا رب
قوِّ على خدمتك جوارحي ، واشدد على العزيمة جوانحي
وهب لي الجد في خشيتك
والدوام في الإتصال بخدمتك
حتى أسرع إليك في ميادين السابقين
وأسرع إليك في المبادرين
وأشتاق إلى قربك في المشتاقين
وأدنو منك دنو المخلصين

وأخافك مخافة الموقنين
واجتمع في جوارك مع المؤمنين . . .»
٤ ـ من دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة :
«يا من أذاق أحبّاءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين
ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بين يدين مستغفرين
أنت الذاكر قبل الذاكرين
وأنت البادي بالإحسان قبل توجه العابدين
وأنت الجواد بالعطاء قبل الطالبين
وأنت الوهّاب ثم لما وهبت لنا من المستقرضين
الهي اطلبني برحمتك حتى أصل اليك
واجذبني بمنك حتى أقبل عليك
إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك
كما أنّ خوفي لا يزايلني وإن أطعتك . .».
٥ ـ من دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام زين العابدين عليه السلام :
«إلهي لو قرنتني بالأصفاد
ومنعتني سيبك من بين الأشهاد
ودللت على فضائحي عيون العباد
وأمرت بي الى النار
وحلت بيني وبين الأبرار
ما قطعت رجائي منك
ولا صرفت وجه تأميلي للعفو عنك
ولا خرج حبك عن قلبي» .
٦ ـ من مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام المسماة «بمناجاة التائبين» :
«إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتي
وجللني التباعد منك لباس مسكنتي
وأمات قلبي عظيم جنايتي
فأحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي ، ويا سؤلي ومنيتي
فوعزتك ما أجد لذنوبي سواك غافرا
ولا أرى لكسري غيرك جابرا
وقد خضعتُ بالإنابة إليك
وعنوت بالإستكانة لديك

فإن طردتني من بابك فبمن ألوذ
وإن رددتني عن جنابك فبمن أعوذ
فوا أسفاه من خجلتي وافتضاحي
وواهفاه من سوء عملي واجتراحي ،
أسألك يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظيم الكسير
أن تهب لي موبقات الجرائر ، وتستر عليّ فاضحات السرائر
ولا تخلني في مشهد القيامة من برد عفوك وغفرك
ولا تعرني من جميل صفحك وسترك إلهي ظلل على ذنوبي غمام رحمتك
وأرسل على عيوبي سحاب رأفتك
إلهي هل يرجع العبد الآبق إلاّ الى مولاه
أم هل يجيره من سخطه أحد سواه
إلهي إن كان الندم على الذنب توبة فإني وعزتك من النادمين
وإن كان الاستغفار من الخطيئة حطة فإني لك من المستغفرين لك العتبى حتى ترضى
إلهي بقدرتك عليَّ تب عليَّ ، وبحلمك عني اعف عني وبعلمك بي ارفق بي . .
إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً الى عفوك سميته التوبة فقلت توبوا الى الله توبة نصوحاً ، فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه . . إلهي إن كان قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك . . إلهي ما أنا بأول من عصاك فتبت عليه ، وتعرض لمعروفك فجدت عليه . . يا مجيب المضطر يا كاشف الضر ، يا عظيم البر ، يا علياً بما في السر ، يا جميل الستر
استشفعت بجودك وكرمك إليك
وتوسلت بجنابك وترحمك لديك
فاستجب دعائي
ولا تخيّب فيك رجائي
وتقبل توبتي
وكفّر خطيئتي
بمنك ورحمتك يا أرحم الراحمين» .

الوسيلة الثانية :

الوصايا والمواعظ والتوجيهات الروحية والتربوية :

في مجال الترشيد الروحي صاغ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مجموعة كبيرة من الوصايا والمواعظ والتوجيهات التربوية أدت دوراً ملحوظاً في تحصين الأمة ضد حالات التميع والذوبان والضمور .

ورغم الاهتزاز الكبير الذي أصاب قيم الأمة وأخلاقياتها ، بفعل سياسة التحريف التي مارسها الأمويون والعباسيون والتي خلقت أجواء ملائمة لطغيان النزعة المادية الجامحة ، فإنّ دور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في الترشيد الروحي وفي الحد من حالات الانفلات الأخلاقي ، وفي الحفاظ على مستوى القيم عند الأمة قد حقق معطيات جيدة ومكاسب واضحة .

إنَّ دور الأئمة(ع) في مجال الترشيد الروحي ، كما في المجالات الأخرى قد اتخذ مسارين :

ــ ترشيد الكتلة الخاصة المنتمية الى المدرسة الإسلامية التي يمثلها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

ــ الترشيد العام على مستوى الأمة .

ومن الطبيعي أن تكون هناك نسبة من الفوارق بين المسارين من حيث خصوصيات الحالة الترشيدية وآفاقها ومجالاتها ، وذلك ناتج من عدة اعتبارات منها :

أ ـ حركة الأئمة(ع) على المستوى العام كانت تواجهها صعوبات خلقتها حالات الحصار الفكري والسياسي والاجتماعي المفروضة من قبل أنظمة الحكم المتسلطة .

ب ـ الهدف الترشيدي على المستوى الأول يتجه الى إعداد الجماعة المؤهلة لأداء الدور التغييري في داخل الأمة . أو ما يسمى اليوم بالكوادر الطليعية ، بينما يتجه الهدف الترشيدي على مستوى الأمة الى خلق القاعدة العامة الصالحة .

وهذا التمايز في الهدف الترشيدي أنتج تمايزاً في الثقافة الفكرية والروحية والسياسية المطروحة على المستويين الخاص والعام .

فمثلاً : مبدأ التقية الذي أكّده أئمة أهل البيت(ع) بما يحمله من دلالات وخصوصيات ، هو لون من التثقيف الخاص ، وإن كانت التقية مبدءاً إسلامياً عاماً يملك مشروعيته بحسب النصوص الثابتة في القرآن والسنة ، إلاّ أنَّ الأجواء الفكرية والسياسية التي سادت في داخل الأمة شكلت تناقضاً مع الصيغة الإسلامية التي تبناها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، مما أنتج حالة من الضرورة في تطبيق هذا المبدأ الاسلامي «التقية» لحماية «الصيغة الأصيلة» من ناحية ، «وبناء الجماعة الخاصة المؤهلة لأداء مسؤوليات التغيير» من ناحية اخرى . .

فوصايا وتوجيهات تصدر عن الأئمة عليهم السلام من قبيل :

ــ «كونوا لنا دعاة صامتين» .

ـ «التقية ديني ودين آبائي» .
ـ «يا معلى اكتم أمرنا ولا تذعه» .
ـ «رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً ، كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ، ومجهود طاقتهم ، ليس كمن يذيع أسرارنا» .
ـ «المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا ، رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدمه» .
ـ «إنَّ التقية جنة المؤمن ، ولولا التقية ما عبد الله» .
ـ «إنَّ المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزراً ، بل هو أعظم وزراً ، بل هو أعظم وزراً»(1) .

وصايا وتوجيهات من هذا القبيل تدخل ضمن «الترشيد الخاص» الذي حاول الأئمة عليهم السلام من خلاله إعداد «الكتلة المنتمية» إعداداً فكرياً وروحياً وسياسياً يؤهّلها لأداء مهماتها التغييرية الكبيرة حينما تتوافر الظروف الموضوعية الصالحة لذلك .

وأمّا على مستوى الترشيد الروحي العام ، فالأئمة عليهم السلام وظّفوا كل الامكانات الفكرية والعملية للحفاظ على الحالة الأخلاقية عند الأمة ، رغم الصعوبات التي واجهتهم في الحركة والعطاء ، من خلال الضغوطات القاسية التي فرضتها سياسات الجور والتسلط ، وإن كان دور الأئمة(ع) هنا هو «الترشيد الروحي والأخلاقي» وليس «الممارسات السياسية المثيرة» إلّا أنَّ الأنظمة الحاكمة ترى أنَّ البناء الروحي والأخلاقي يشكل جزءاً من الصيغة التغييرية التي تستهدف الكيانات السياسية القائمة ، خاصة وأنَّ الطرح الأخلاقي الذي مارسه أئمة أهل البيت عليهم السلام ليس من صيغة الطروحات الصوفية الخاوية من كل المضامين الاسلامية الفاعلة والمغيرة .

إنَّ الصيغة الوعظية عند الأئمة عليهم السلام ليست حالة تخديرية تجمّد حركة الانسان في الحياة ، وتجعله مشدوداً الى القبر والموت والآخرة ، وتلغي في داخله كل الطموحات الدنيوية الملحّة ، وإنّما هي بناء ايماني أصيل ، وترشيد واعي للحركة وإعداد رسالي هادف ، تتوافق من خلاله طموحات الدنيا وأشواق الآخرة ، وتتفاعل حركة الحياة مع أحاسيس الموت ، وتتواصل منجزات الأرض مع آفاق القبر . .

ويمكن أن نعطي بعض خصائص «الصيغة الوعظية» عند الأئمة عليهم السلام من خلال النقاط التالية :

---

(1) يقرأ : عادل الأديب : الأئمة الاثنا عشر ص١٧٧ ، ١٧٨ .

١ ـ المصداقية الحقيقية :

وهي تعبير صادق عن حالة التوافق بين «الكلمة الواعظة» و«الواقع المتجسّد» في حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، فالعلاقة بين البعدين لا تمثل تنافياً ولا تقاطعاً وإنما تمثل تطابقاً تاماً ، وهذا ما تعبر عنه لغة النصوص «الواعظ المتعظ» .

٢ ـ الصبغة القرآنية :

تتسم مواعظ الأئمة عليهم السلام بصبغه قرآنية متميزة إن في مفرداتها وصيغها التعبيرية أو في أفكارها ومضامينها ومحتوياتها ، وليس ذلك بدعاً فالأئمة(ع) نتاج المدرسة القرآنية ، وحملة أفكارها .

٣ ـ الشمولية والاستيعاب :

من خلال رؤية معصومة واعية ، وفهم واقعي أصيل للرسالة بكل محتوياتها الفكرية والروحية والعملية ، وللمسيرة الحياتية بكل حاجاتها وضرورياتها ، جاءت مواعظ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام تحمل طابعاً شمولياً مستوعباً ، تناول كل الجنبات والامتدادات والمسارات في حركة الحياة ومسيرة الانسان .

٤ ـ الفاعلية الهادفة :

إنَّ المصداقية الحقيقية التي جسّدها الأئمة عليهم السلام أعطت لإرشاداتهم وتوجيهاتهم القدرة الفاعلة المؤثّرة الهادفة ، فلم تكن الكلمات الواعظة ممارسات استهلاكية راكدة ، وتنهدات انفعالية بلدية ، واستجابات آنية مرتجلة .

بل هي ممارسة تغييرية واعية تهدف الى ترشيد الحالة القائمة في حياة الأمة ، وإعادة الصيغة الاسلامية الأصيلة وبناء المضمون الايماني بكل محتوياته الفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية .

وهكذا تشكل «الوصايا والمواعظ» أحد أساليب البناء والتغيير في حركة الأئمة عليهم السلام بكل ما تحمله «عملية البناء والتغيير» من دلالات كبيرة على كل المستويات . .

وهذا ما يفسّر حالة القلق التي تنتاب أجهزة الحكم المتسلطة من مجرد كلمة تتحرك بكل هدوء لا تحمل سوى الوعظ والنصيحة ، وتأمر بالتقوى والهدى والصلاح .

نموذج من مواعظ الأئمة عليهم السلام

خطبة أمير المؤمنين في وصف المتقين :

(الخطبة ١٩٣ من نهج البلاغة):

روي أنَّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له (همّام) كان رجلاً عابداً فقال : يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأنّي أنظر اليهم. .
فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال :
«يا همّام اتّقِ الله وأحسن فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون».
فلم يقتنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله له ثم قال :
«أمّا بعد فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه ، ولا تنفعه طاعة من أطاعه ، فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم .
فالمتقون فيها هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نُزِّلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نُزِّلت في الرخاء ، ولولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب ، وخوفاً من العقاب .

عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ، قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياماً قصيرة ، أعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة يسّرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسَرَتْهم ففدوا أنفسهم منها .
أما الليل فصافّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن ، يرتلونها ترتيلاً ، يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون به دواء دائهم ، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً ، وظنوا أنها نصب أعينهم ، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم ، فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم ، وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم .

وأما النهار فحلماء علماء ، أبرار أتقياء ، قد براهم الخوف بري القداح ، ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ويقول لقد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم .

لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، إذا زكى أحد منهم خاف مما يقال له ، فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربي أعلم بي مني بنفسي ، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون .

فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصداً في غنى ، وخشوعاً في عبادة ، وتجملاً في فاقة ، وصبراً في شدة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرجاً عن طمع .

يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يبيت حذراً ، ويصبح فرحاً ، حذر لما حذّر من الغفلة ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة ، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريباً أمله ، قليلاً زلله ، خاشعاً قلبه ، قانعة نفسه ، منزوراً أكله سهلاً أمره ، حريزاً دينه ، ميتةً شهوته ، مكظوماً غيظه .

الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين ، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين ، يعفو عمّن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائباً منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره .

في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لا يضيع ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذكّر ، ولا ينابز بالألقاب ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل في الباطل ، ولا يخرج من الحق .

إن صمت لم يغمه صمته ، وإن ضحك لم يعل صوته ، وإن بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بعده عمّن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوّه ممّن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ولا دنوّه بمكر وخديعة» .

قال : فصعق همّام صعقة كانت نفسه فيها .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أمّا والله لقد كنت أخافها عليه . .» .

ثم قال عليه السلام :
«أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها . .» .
فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟
فقال عليه السلام : «ويحك إنَّ لكل أجل وقتاً لا يعدوه ، وسبباً لا يتجاوزه ، فمهلاً لا تعد لمثلها ، فإنّما نفث الشيطان على لسانك» .

الوسيلة الثالثة :
القدوة :

تناولنا وسيلتين من وسائل الترشيد الروحي عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هما : الدعاء والموعظة . . وهنا نتناول وسيلة ثالثة تأتي في مقدمة الوسائل الترشيدية ومن أقواها أثراً وفاعلية ، تلك هي «القدوة» .

والقدوة وسيلة ترشيدية لا توظف الكلمة الناطقة ، والحرف المسموع ، وإنّما أداتها الفعل المتحرك ، والسلوك الملتزم ، والقيمة المتجسّدة .

وإذا كانت الوسائل الأخرى تطرح «الأفكار والقيم» مضامين نظرية ، فإنَّ القدوة تعطي الحالة التجسيدية المتحركة لتلك المفاهيم والقيم ، فليس هناك فواصل بين النظرية والتطبيق ، وليس هناك مساحات بين المفهوم والمصداق . لأنَّ النظرية تحولت تطبيقياً ناجزاً ، والمفهوم مصداقاً شاخصاً .

وإنَّ الوسائل الاخرى قد تتجمد فاعليتها حينما تختفي هذه الوسيلة الأخيرة ، فمن خلالها تشع تلك الوسائل بعطاءاتها الفاعلة ، ومردوداتها المؤثّرة . . .

على ضوء هذا المفهوم لمدلول «القدوة» نحاول أن نتبين مدى دور هذه الوسيلة عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فمن المسلّمات الإيمانية الجازمة ، والحقائق الموضوعية الثابتة أنَّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قد جسّدوا في حياتهم مضامين الرسالة تجسيداً كاملاً ، وترجموا قيم الإسلام ترجمة صادقة ، وأعطوا الأفكار والمفاهيم واقعاً عملياً متحركاً . والمسألة من منظور «العصمة» الذي تتبناه المدرسة الإمامية . واضحة تماماً ، وهي كذلك من منظور المدارس الأخرى حيث ترى في أهل البيت عليهم السلام النماذج المثلى في الأمة وتعتبرهم قمماً سامقة في الصلاح والتقوى والفضائل . .

إنَّ الأئمة عليهم السلام من خلال «القدوة» و«الأسوة» و«المثل» أعطوا للحالة الترشيدية مصداقيتها ، وواقعيتها وأصالتها ، وفاعليتها ، وهادفيتها ، وأكّدوا المنحى الإسلامي الأصيل في الدعوة والتربية والتغيير .

معالم في طريق الترشيد الروحي :

السيرة المشعّة التي جسّدها أئمة أهل البيت عليهم السلام وكانوا من خلالها «المثل العليا» التي أعطت لقيم الرسالة مصداقيتها الأصيلة ، هذه السيرة النقية بكل إشعاعاتها هي المعالم الحية البارزة في حركة الترشيد والبناء والصياغة .

فلا بد لنا في هذا السياق ونحن نحاول تبيّن الدور الترشيدي لأئمة أهل البيت عليهم السلام أن نضع بين أيدينا بعض القبسات التي تبرز جانباً محدوداً من ملامح السيرة المباركة لأئمة العترة الطاهرة عليهم السلام ، هذه الملامح المتحركة التي تعد معالم بارزة في طريق الترشيد الروحي الذي مارسه الأئمة الأطهار عليهم السلام .

من سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

روى المسعودي في (مروج الذهب) أنّ (ضرار بن ضمرة) ـ وكان من خواص علي(ع) ـ دخل على معاوية فقال له : صف لي عليّاً ، فاعتذر ضرار ، فألحَّ عليه ، فقال :

«أمّا إذا كان لا بد من ذلك فإنّه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يعجبه من الطعام ما خشن ، ومن اللباس ما قصر .

كان والله يجيبنا إذا دعوناه ، ويعطينا إذا سألناه ، وكنا والله ـ على تقريبه لنا وقربه منا ـ لا نكلّمه هيبة له ، ولا نبتدئه لعظمه في نفوسنا ، يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ويكسو العريان ، وينصر اللهفان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته، وكأنّي به وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وهو في محرابه قابض على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غري غيري ، أليَ تعرضتِ أم إليَّ تشوقت ؟ هيهات ! هيهات ! لا حان حينك ، قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، عمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق[1] .

من سيرة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام :

روى الصدوق باسناده عن المفضل بن عمر قال : قال الإمام الصادق(ع) : حدثني أبي(ع) عن أبيه(ع) :

«أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب(ع) كان أعبد الناس في زمانه ، وأزهدهم ، وأفضلهم ، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً ، وربما مشى حافياً ، وكان إذا ذكر الموت بكى ، وإذا

---

(١) (يقرأ : الميلاني : قادتنا ج٤/١٨٩ نقلاً عن مروج الذهب ٢/٤٣٣) .

ذكر القبر بكى ، وإذا ذكر البعث والنشور بكى ، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى ، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها ، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عز وجل ، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم ، ويسأل الله الجنة ، ويعوذ به من النار ، وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عز وجل (يا أيُّها الذين آمنوا) إلاّ قال: لبيك اللهم لبيك ،ولم ير في شيء من أحواله إلاّ ذاكراً الله سبحانه ، وكان أصدق الناس لهجة ، وأفصحهم منطقاً»[1].

من سيرة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام :

جاء في زيارة الناحية الواردة عن الإمام الحجة عليه السلام قوله وهو يخاطب جده الإمام الحسين عليه السلام :

«أشهد أنّك قد أقمت الصلاة ، وأتيت الزكاة ، وأمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر والعدوان ، وأطعت الله وما عصيته ، وتمسكت به وبحبله ، فأرضيته وخشيته وراقبته واستحييته وسننت السنن ، وأطفأت الفتن ، ودعوت الى الرشاد ، وأوضحت سبل السداد ، وجاهدت في الله حق الجهاد ، وكنت لله طائعاً ، ولجدك محمد صلى الله وآله تابعاً ، ولقول أبيك سامعاً ، والى وصيه أخيك مسارعاً ، ولعماد الدين رافعاً ، وللطغيان قامعاً ، وللطغاة مقارعاً ، وللأمة ناصحاً ، وفي غمرات الموت سابحاً ، وللفساق مكافحاً ، وبحجج الله قائماً ، وللاسلام والمسلمين راحماً ، وللحق ناصراً ، وعند البلاء صابراً ، وللدين كالئاً ، وعن حوزته مرامياً ، تحوط الهدى وتنصره ، وتبسط العدل وتنشره ، وتنصر الدين وتظهره ، وتكف العابث وتزجره ، وتأخذ للدني من الشريف ، وتساوي في الحكم بين القوي والضعيف ، كنت ربيع الأيتام ، وعصمة الأنام ، وعز الإسلام ، ومعدن الأحكام ، وحليف الأنعام ، سالكاً طرائق جدك وأبيك ، مشبهاً في الوصية لأخيك ، وفي الذمم ، رضي الشيم ، ظاهر الكرم ، متهجداً في الظلم ، قويم الطرائق ، كريم الخلائق ، عظيم السوابق ، شريف النسب ، منيف الحسب ، رفيع الرتب ، كثير المناقب ، محمود الضرائب ، جزيل المواهب ، حليم رشيد منيب جواد عليم ، شديد ، إمام شهيد ، أواه منيب ، حبيب مهيب ، كنت للرسول(ص) ولداً ، وللقرآن سنداً ، وللأمة عضداً ، وفي الطاعة مجتهداً ، حافظاً للعهد والميثاق ، ناكباً عن سبل الفسّاق ، باذلاً للمجهود ، طويل الركوع والسجود ، زاهداً في الدنيا زهد الراحل عنها ، ناظراً اليها بعين المستوحشين منها ، آمالك عنها مكفوفة ، وهمتك عن زينتها مصروفة ، وألحاظك عن بهجتها مطروفة ، ورغبتك في الآخرة معروفة . . .».

---

(١) (يقرأ : قادتنا ج٥/٢٤٥ نقلاً عن أمالي الصدوق ص١٧٨) .

من سيرة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام :

قال الإمام الصادق عليه السلام :

«ولقد دخل أبو جعفر [الباقر] عليه السلام على أبيه [الإمام زين العابدين] عليه السلام ، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغ أحد ، وقد أصفرّ لونه من السهر ، ورمضت عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته من السجود ، وورمت قدماه من القيام في الصلاة . .

قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : فلم أملك حين رأيته بتلك الحال من البكاء فبكيت رحمة له ، وإذا هو يفكر ، فالتفت إليَّ بعد هنيئة من دخولي فقال : يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي عليه السلام ، فأعطيته ، فقرأ فيها يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال : من يقوىٰ علىٰ عبادة علي بن أبي طالب»[1].

الأئمة عليهم السلام كلهم من مشكاة واحدة :

الأئمة الاثنا عشر جميعاً يمثلون منظومة واحدة ونسقاً واحداً في التقوى والعبادة والمثل ، فهم عليهم السلام من مشكاة واحدة **﴿فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نارٌ ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾** . ـ سورة النور/٣٥ ـ .

وهم البيوت التي قال الله تعالى عنها :

﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ . ـ النور/٣٦ ـ ٣٨ ـ .

روى الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل) باسناده عن أبي برزة قال : قرأ رسول الله(ص) : **﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾** وقال : **(هي بيوت النبي)** .

قيل : يا رسول الله أبيت علي وفاطمة منها ؟

قال : من أفضلها[2] .

---

(١) قادتنا ج٦/١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ج٣/٢٢٦ نقلاً عن شواهد التنزيل ج١ج٤١٠ .

(٣) المستوى السياسي :

قلنا أنَّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مارسوا دورهم في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة على كل المستويات العقائدية والروحية والسياسية والتشريعية ، وقد تناولنا جانبين من هذه المستويات : الجانب العقائدي ، والجانب الروحي .

ونحاول هنا تناول الجانب السياسي بما يحمله هذا الجانب من تعقيدات فرضتها طبيعة الظروف الموضوعية التي أفرزتها الصيغة السياسية لنظام الحكم في تاريخ المسلمين ، هذه الصيغة التي قدّر لها أن تجمد «أطروحة الإمامة» المتمثلة في زعامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في مرحلة مبكرة من حياة الأمة .

إنَّ هذا التجميد المبكر لاطروحة الإمامة خلق أمام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حالة صعبة في التعاطي مع الصيغة الجديدة التي لا تحمل الصبغة الشرعية في نظرهم ، ثم ما تفرضه عليهم مسؤولياتهم الرسالية من ضرورة العمل من أجل إعادة الصيغة الأصيلة الى واقع الحياة .

ولكي نتبين دور الأئمة عليهم السلام على صعيد الحالة السياسية نتناول البعدين التالية :

١ ـ الحفاظ على المفهوم الأصيل للقيادة السياسية .
٢ ـ العمل من أجل إعادة الصيغة السياسية الأصيلة الى واقع الحياة الإسلامية .

البعد الأول :

الحفاظ على المفهوم الأصيل للقيادة السياسية :

في ظل حالة التجميد لاطروحة الإمامة ، حاول الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الاحتفاظ بهذه الأطروحة في ذهنية الأمة ولو على المستوى النظري ، لأن غيابها من ذاكرة الأمة تأكيد لحالة المصادرة وإلغاء للصيغة في داخل منظومة الأفكار والمفاهيم المتحركة في واقع التصورات الإسلامية . .

إنَّ الاتجاه السياسي البديل الذي مارس دور السلطة في حياة الأمة ، كان يحاول عبر مختلف الوسائل الممكنة مسح «مفهوم الإمامة» من وعي الأمة ، وتأكيد المفاهيم الأخرى التي تشكّل النقيض المطروح على صعيد المنظور القيادي في حركة الأمة . .

ورغم أنَّ دور الأئمة عليهم السلام في ترسيخ «مبدأ الإمامة» كانت تواجهه تعقيدات حادة ، ومخاطرات صعبة ، وظروف خانقة ، وملابسات شاقة ، بعفل الواقع الفكري

والسياسي المضاد ، إلاّ أنّهم عليهم السلام قد مارسوا دوراً كبيراً فاعلاً في الحفاظ على هذا المبدأ ، باعتباره يعبّر عن الصيغة الأصيلة لمفهوم القيادة السياسية في الإسلام .

ويمكن أن نعطي بعض المفردات التي تمثل شواهد فكرية وتاريخية تعبر عن دور الأئمة عليهم السلام في الحفاظ على المفهوم الأصيل للقيادة السياسية.

١ ـ الغدير.. الحدث السياسي البارز :

إنَّ قضية الغدير تمثل الوثيقة السياسية الهامة التي تحمل (النص والدلالة) على تأصيل مبدأ الإمامة والخلافة في فكر الرسالة وحركة الدعوة وواقع الأمة .

وهذا ما يفسّر حالة الاهتمام الكبير الذي جسّده الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في كل المراحل والأدوار حول «مسألة الغدير» .

وفي سياق البرهنه الفكرية والتاريخية على هذه الحقيقة نضع بين أيدينا الشواهد التالية :

١ ـ أمير المؤمنين(ع) وتأكيداته على قضية الغدير :

تدوّن مصادر التاريخ والحديث مجموعة مواقف لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حاول من خلالها أن يعيد لذاكرة الأمة «قضية الغدير» .

وأبرز تلك المواقف :

أ ـ يوم الشورىٰ :

حيث أكّد أمير المؤمنين من خلال مناشدته التي أثبتتها عدة مصادر ، أنَّ مشاركته(ع) في الشورىٰ لا تلغي حقه الأصيل في الخلافة المنصوص عليه في يوم الغدير .

جاء في المناشدة هذا المقطع من حديث علي عليه السلام :

«فانشدكم بالله ، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره ليبلغ الشاهد الغائب غيري ؟

قالوا : «اللهم لا»[1] .

ب ـ في مسجد الرسول(ص) أيام خلافة عثمان :

أوردت بعض المصادر التاريخية أن عليّاً عليه السلام تحدث يوماً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان أمام حشد من الصحابة فيهم : أبو ذر ، والمقداد ، وابن

---

(١) الميلاني : قادتنا ج٤/٢٢١ نقلاً عن لسان الميزان لابن حجر ج٢/١٥٦ ، الصواعق المحرقة ص٧٥، ٩٣ . شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢/٦١ .

عباس ، وسعد بن إبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وزيد بن أرقم . .

وجاء في حديث علي عليه السلام :

«فأمر الله عز وجل نبيّه صلى الله عليه وآله أن يعلمهم ولاة أمرهم ، وأن يفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم ، وزكاتهم وحجهم فينصبني للناس بغدير خم . . .

ثم خطب فقال : أيُّها الناس أتعلمون أنّ الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : قم يا علي ، فقمت فقال :

من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه . .»[1] .

ج - في الرحبة :

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي ليلى قال :

شهدت عليّاً في الرحبة ينشد الناس :

انشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، لما قام فشهد (قال عبد الرحمن) : فقام إثنا عشر بدرياً كأنّي أنظر إلى أحدهم فقالوا : نشهد أنّا سمعنا رسول الله(ص) يقول يوم غدير خم : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟

فقلنا : بلى يا رسول الله .

قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[2] .

٢ ـ الزهراء بنت رسول الله(ص) تؤكد حديث الغدير :

قالت في بعض احتجاجاتها

«أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه»[3] .

---

(١) قادتنا ج٤/٢١٣ .
(٢) مسند احمد بن حنبل ج١/١١٩ .
(٣) الغدير ج١/١٩٦ .

٣ ـ الإمام الحسن بن علي(ع) يؤكد قضية الغدير :

قال في إحدى خطبه :

«وقد رأوه [يعني رسول الله(ص)] وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خم وقال لهم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب»[1] .

٤ ـ الإمام الحسين يؤكد قضية الغدير :

ذكرت المصادر التاريخية أنَّ الحسين بن علي(ع) جمع الناس في (منىٰ) وفيهم مائتا رجل من أصحاب النبي(ص) ، وعدد كبير من التابعين ، وخطبهم إلى أن قال :

«أنشدكم الله أتعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه [يعني عليّاً] يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال : ليبلغ الشاهد الغائب ؟ قالوا : اللهم نعم»[2].

٥ ـ الإمام الصادق(ع) يؤكد مسألة الغدير :

قال عليه السلام وهو يتحدث عن أمير المؤمنين(ع) :

«المدعو له بالولاية ، المثبت له الإمامة يوم غدير خم ، بقول الرسول(ص) عن الله عز وجل :

ألست أولى بكم من أنفسكم ؟

قالوا : بلى .

قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله ، وأعن من أعانه»[3] .

من خلال هذه المفردات التي أوردناها كأمثلة يمكن استنتاج توجه واضح عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يهدف الى تأكيد (حقيقة الغدير) . وتثبيت مضمونه في ذهنية الأجيال المتعاقبة في مواجهة الحالة المتحركة لإلغاء الغدير حدثاً ، وحديثاً ، وقضية ، ومضموناً . .

ويبدو واضحاً من خلال (الصيغة والممارسة) ذات الطابع الجماعي أنَّ الأئمة(ع) يتجهون الى إثارة المسألة على المستوى الجماهيري العام في أغلب الحالات :

ــ فالإمام أمير المؤمنين يوظِّف «يوم الشورى» الحدث المثير لطرح مسألة الغدير . .

---

(١) (٢) الغدير ج١/١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣) العوالم ج١٥/٣ ص٢٧٠ ، ٢٧١ .

ـ ويستفيد من تجمع حشد كبير من الصحابة الكبار في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله لإثارة موضوع الغدير . .

ـ وفي الرحبة ضمن حديث جماهيري عام يناشد الصحابة وكبار الشخصيات الاسلامية حول قضية الغدير . .

ـ ونجد الإمام الحسين(ع) يحاول من خلال الجو العام في موسم الحج حيث الحضور الكبير للمسلمين ، أن يثير هذه المسألة . .

ويستمر الأئمة(ع) في إثارة «مسألة الغدير» على كل الأصعدة والمستويات ، وبصيغ متعددة ، حسب الظروف الموضوعية المتحركة في داخل الساحة الاسلامية . .

وليست هذه الإثارات المتعاقبة ، في المراحل التاريخية المتعددة تعبّر عن مفردات متناثرة . بقدر ما تجسّد صيغة متناسقة ذات وحدات منتظمة محسوبة ، تعطي للقضية حضورها الدائم في حركة الأمة الفكرية والاجتماعية والسياسية .

وفي ضوء هذه الرؤية يمكن أن نوجز أهم الدلالات التي تعبّر عنها الصيغة التي مارسها الأئمة(ع) في إثارة «مسألة الغدير» :

آ ـ الخطة المتكاملة في حركة الأئمة عليهم السلام .

ب ـ قضية الغدير تشكل مرتكزاً أساسياً في فهم الصيغة القيادية الأصيلة في الإسلام .

ج ـ ضرورة الاحتفاظ بالمفاهيم الاسلامية الأصيلة في ذاكرة الأجيال المتعاقبة ، لمواجهة حالات الإلغاء والمصادرة والتحريف . .

د ـ توظيف الصيغ الفاعلة ، والأساليب المنتجة ، والامكانات القادرة في كل الممارسات الرساليه الهادفة .

٢ ـ الإمامة الحقيقة الاسلامية الكبيرة :

وفي سياق الحفاظ على المفهوم الأصيل للقيادة الإسلامية مارس الأئمة(ع) دوراً كبيراً في ترسيخ مفهوم «الإمامة» في وعي الأمة .

وقد تناول البحث في أحد فصوله المتقدمة ، هذا الجانب من خلال الحديث عن دور الأئمة(ع) في أيضاح المعالم التفصيلية لأفكار مدرسة أهل البيت(ع) . .

ورغم أنّ منهجية البحث فرضت هذا التكرار بَيْدَ أنّنا لن نستعيد ما دوّناه سابقاً من نصوص، بل نضيف نصاً واحداً جديداً صادراً عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام) .

وهذا النص أكّد مجموعة حقائق حول الإمامة منها :

١ ـ إنَّ الإمامة تمثل مَعْلَماً أساسياً من معالم الاسلام ، التي بيّنها رسول الله صلى الله عليه وآله للأمة وأوضحها للناس ، إكمالاً للدين وإتماماً للحجة .

٢ ـ تحتل الإمامة موقعاً متميزاً في البُنية الاسلامية ، فهي زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين وبها تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير الفيء والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف . . الى آخره .

٣ ـ الإمام يجب أن يتوافر على مجموعة خصائص ومؤهلات لا توجد في غيره من الناس ، فهو مطهر من الذنوب ، مبرأ من العيوب ، مخصوص بالعلم ، واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل . . الى آخر ه . .

٤ ـ الإمامة اختيار إلهي ، فهيهات هيهات تملك العقول البشرية قدرة الاختيار والتعيين ، وإذا رامت ذلك فقد ارتقت مرتقاً صعباً ، تزل فيه الأقدام ، وتحار الألباب ، وتتيه الأفهام . .

مقاطع من حديث الإمام الرضا عليه السلام :

الحديث طويل يستطيع من يريد التوافر على قراءته الرجوع الي كتاب «أصول الكافي الجزء الأول كتاب الحجة» ونقتصر هنا على تدوين مقاطع من هذا النص ، نتبين من خلالها أبرز الأفكار التي تناولها النص :

١ ـ قال عليه السلام :

«إنّ الله عز وجل لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين ، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء ، بيّن فيه الحلال والحرام ، والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج اليه الناس كملاً ، فقال عز وجل : **﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾**.

وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** .

وأمر الإمامة من تمام الدين ، ولم يمض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بيّن لأمته معالم دينهم ، وأوضح لهم سبيلهم ، وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً وإماماً ، ما ترك لهم شيئاً يحتاج اليه الأمة إلاّ بيّنه ، فمن زعم أنّ الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ومن رد كتاب الله فهو كافر به» .

٢ ـ وقال عليه السلام :

«هل يعرفون قدر الإمامة ، ومحلها من الأمة ، فيجوز فيها اختيارهم؟!

إنّ الإمامة أجلّ قدراً ، وأعظم شأناً ، وأعلا مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم».

٣ ـ وقال عليه السلام :

«إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وارث الأوصياء . . إنّ الإمامة خلافة الله ، وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام ، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام .

إنّ الإمامة زين الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين .

إنّ الإمامة أس الإسلام النامي ، وفرعه السامي . . بالإمام تمام الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، وتوفير الفيء ، والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف .

الإمام يحل حلال الله ، ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ، ويدعو الى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة».

٤ ـ وقال عليه السلام :

«الإمام أمين الله في خلقه ، وحجته على عباده ، وخليفته في بلاده ، الداعي الى الله ، والذاب عن حرم الله . . .

الإمام المطهر من الذنوب ، والمبرأ من العيوب ، والمخصوص بالعلم ، الموسوم بالحلم ، نظام الدين ، وعز المسلمين ، وغيظ المنافقين ، وبوار الكافرين . .

الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثيل ولا نظير . . » .

٥ ـ وقال عليه السلام :

«فمن الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره ؟!

هيهات هيهات ، ضلت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخسئت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيرت الحكماء ، وتقاصرت الحلماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الألباء ، وكلت الشعراء ، وعجزت الأدباء . .

فأين الاختيار من هذا ، وأين العقول عن هذا ، وأين يوجد مثل هذا ؟!

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول صلى الله عليه وآله ، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة ، بائرة ناقصة ، ولقد راموا صعباً . . ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة .

رغبوا عن اختيار الله ، واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الى اختيارهم ، والقرآن يناديهم :

﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾

وقال عز وجل :

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾

فكيف لهم باختيار الإمام ؟!

والإمام عامل لا يجهل ، ووراع لا ينكل ، معدن القدس ، والطهارة ، والنسك والزهادة ، والعلم والعبادة ، مخصوص بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله ، ونسل المطهرة البتول ، لا مغمز فيه نسب ، ولا يدانيه ذو حسب ، في البيت من قريش ، والذروة من هاشم ، والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله ، والرضا من الله عز وجل ، شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع بالإمامة ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله عز وجل ، ناصح لعباد الله ، حافظ لدين الله . . » .

البعد الثاني :

إعادة الصيغة القيادية الأصيلة إلى واقع الحياة الإسلامية :

على هذا المستوى لم يتمكن أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ نتيجة عوامل معروفة في تاريخ المسلمين ـ من تحريك الصيغة المطروحة إلى مواقع القيادة السياسية داخل الأمة .

نستثني المرحلة التي توافرت فيها ظروف التجسيد في أيام الخلافة التي مارس فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام دور الزعامة السياسية وأمّا بقية الأئمة (ع) من أهل البيت فلم تتوافر لهم ظروف الممارسة السياسية على مستوى السلطة والحكم لأسباب تاريخية واضحة .

هل تحرك الأئمة عليهم السلام في اتجاه تسلم السلطة السياسية ؟

نضع الجواب عن هذا التساؤل ضمن النقاط التالية :

النقطة الأولى :

رؤية الأئمة عليهم السلام لمسألة السّلطة السّياسية :

تتمثل هذه الرؤية في ثلاثة أسس رئيسية :

١ ـ القيادة السياسية حق مشروع للأئمة من أهل البيت عليهم السّلام ، وفق النصوص الإسلامية الثابتة والتي تحمل دلالات صريحة ـ حسب فهم مدرسة أهل البيت

عليهم السّلام ـ على إعطاء صلاحية الإمامة والقيادة الفكرية والإجتماعية والسّياسية للأئمة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، وقد تناولنا هذا الجانب في عدة مواقع تقدمت ضمن أبحاث هذا الكتاب .

٢ ـ الكيانات السّياسية التي تعاقبت في تاريخ المسلمين ، لا تمثل من وجهة النظر الإسلامية التي يجسّدها أئمة أهل البيت عليهم السلام ، الصيغة القيادية الأصيلة ، فإنطلاقاً من الإيمان باطروحة الإمامة بكل صلاحياتها وإمتداداتها ودلالاتها ، تتشكل الرؤية حول أنماط السلطة المتعددة التي تتنافى مع هذه الاطروحة ، باعتبارها صيغاً بديلة جمّدت الصيغة الأصيلة ، وهذا لا يلغي أنّ بعض تلك الصيغ ، رغم تنافيها مع الصيغة التي يؤمن بها أئمة أهل البيت عليهم السّلام ، حاولت أن تتمثل قيم الرسالة في السلطة والحكم ، وإن تخلل ذلك بعض المفارقات الناتجة من غياب القيادة المعصومة .

٣ ـ ضرورة العمل لإيجاد الكيان السّياسي الإسلامي ، وتجسيد الصيغة القيادية الأصيلة المتمثلة في أطروحة الإمامة . . . هذا الأساس يشكل بعداً هاماً في القناعة الإيمانية التي تحملها مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام في مجال التحرك السّياسي الهادف .

وإنّ أي فهم يحاول أن يلغي هذا الأساس في دور الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام ، لا يملك رؤية أصيلة واعية لمسؤوليات الإمامة ، وللواقع التاريخي الموضوعي في حركة الأئمة عليهم السّلام . . .

النقطة الثانية :

الشروط الأساسية لتحقيق الهدف السّياسي :

يؤمن أئمة أهل البيت عليهم السّلام بضرورة توافر عدة شروط لنجاح الممارسة السّياسية الهادفة إلى إعادة الصيغة القيادية الأصيلة ، وما لم تتوافر هذه الشروط فإنّ الممارسة السّياسية لن يكتب لها النجاح في تحقيق أهدافها ، بل هي محكومة بالفشل والإجهاض منذ أشواطها الأولى .

ورغم أنّ الأئمة عليهم السّلام يملكون الرؤية المعصومة في تقويم الممارسات والنتائج ، إلاّ أنّهم يتعاطون من الناحية الواقعية مع الأسباب والشروط الموضوعية التي يحددون من خلالها النجاح والفشل لأيّ ممارسة اجتماعية وسياسية تتحرك لتحقيق الأهداف الرسالية .

وفي ضوء هذه الأسباب والشروط الموضوعية نرى الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام يعالجون التساؤلات التي تستثيرها طموحات جامحة غير محسوبة لاستعجال التحرك السّياسي في اتجاه تسلّم السلطة والحكم . . .!

فالرؤية المعصومة من ناحية ، والفهم الواعي للواقع الموضوعي من ناحية ثانية ، والإدراك البصير للسنن التاريخية الفاعلة في الأحداث من ناحية ثالثة ، أمور أعطت لمواقف الأئمة (ع) الأصالة ، والواقعية ، والصوابية .

فما هي الشروط الأساسية التي تمثل العناصر الموضوعية لنجاح الممارسة السياسية الهادفة إلى إعادة الصيغة القيادية الأصيلة ؟

يمكن أن نوجز أهم تلك الشروط على النحو التالي :

الشرط الأول :

المستويات العقائدية المؤهلة :

أو ما يسمى في مصطلح التنظيمات المعاصرة «الكوادر المؤهلة» ، فالإتجاهات الفكرية والسّياسية لا يمكن أن تحقق أهدافها على مستوى الدولة والحكم إذا لم تتوافر على عدد كاف من الكوادر التي تحمل أفكارها وقيمها وأهدافها ، مهما كان لون هذه الإتجاهات وصبغتها .

قد تفرض بعض الإتجاهات وجودها وسيطرتها بالعنف والإرهاب ، إلّا أنّ هذا لا يلغي إضطرارها إلى امتلاك الكوادر التي تتبنى أفكارها وأهدافها أو تتعايش معها على أقل التقادير ، فهي وإن اعتمدت القوة غير أنها في حاجة الى عناصر تحمل ثقافتها في كل المواقع الفكرية والإعلامية والإجتماعية والسّياسية .

ومن خلال هذا الشرط الموضوعي فإنّ الإتجاه الإسلامي الهادف إلى إعادة الصيغة السياسية الأصيلة إلى واقع الحياة والامة ، يؤكّد ضرورة إعداد نسبة كافية من المستويات الإسلامية المؤهلة عقائدياً وفكرياً وروحياً وسياسياً ، بدرجات عالية من التأهيل ، لملء كل الفراغات في بُنية النظام السّياسي ، ومؤسسات السلطة والدولة ، وإلّا تعرضت التجربة لمخاطر الإبتزاز والتشويه ، والنفي ، والإسقاط ، والمصادرة .

وإذا فهمنا أنّ السلطة ـ في المنظور الإسلامي الأصيل ـ ليست إلّا وسيلة لتجسيد حكم الله في الأرض ، وترشيد المسيرة الإجتماعية في ظل مفاهيم الرسالة وقيم القرآنّ ، فإنّ وجود الكوادر الإيمانية المؤهلة ضرورة واقعية لأداء المهام والوظائف والمسؤوليات الرسالية التي تشكّل المبررات الأساسية لوجود السلطة ،

الشرط الثاني ·

القوة الضاربة المؤهلة عقائدياً وروحياً وجهادياً :

من أجل إعادة الصيغة السّياسية الأصيلة والإحتفاظ ببقائها وإستمراريتها وإنجاز أهدافها لا بد من توافر قوة ضاربة قادرة تملك إستعدادات عقائدية وروحية وجهادية تؤهلها لأداء مهماتها الرسالية الكبيرة .

إنّ عملية التصدي للواقع السّياسي المرفوض ، تعتمد فيما تعتمد وبالدرجة الأولى على إمتلاك القوة القادرة على التغيير ، وهو ما يعبر عنه الأئمة عليهم السلام في أغلب جواباتهم بالأنصار أو الشيعة . . .

ويمكن أن نلمس هذا واضحاً في الحوار التالي بين الإمام الصادق عليه السلام وأحد أصحابه وهو سدير الصيرفي :

- قال سدير للإمام الصادق : والله ما يسعك القعود . . .
- قال الإمام الصادق : ولم يا سدير ؟
- سدير : لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك .
- الإمام : وكم عسى أن يكونوا ؟
- سدير : مائة ألف . .
- الإمام : ومائة ألف ؟ !
- سدير : نعم ومائتي ألف ؟ . .
- الإمام : مائتي ألف ؟ !
- سدير : نعم ونصف الدنيا . .

قال سدير فسكت عني ، وذهبا معاً إلى ينبع فقال له الإمام عليه السّلام وهو ينظر إلى قطيع من الجداء :

«والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذا الجداء ما وسعني القعود» قال سدير : فعددتها فإذا هي سبعة عشر[1]

إنّ القوة الضاربة تمثل شرطاً أساسياً تحتاجه الحركة التغييرية إن في مرحلة التصدي لإسقاط الكيان السّياسي المرفوض ، أو في مرحلة الإنتصار لحماية التجربة السياسية الأصيلة في مواجه قوى التحرك المضاد، والحفاظ على ديمومة الصيغة الجديدة .

---

(١) أصول الكافي ج ٢/ ٢٤٢ باب قلة عدد المؤمنين حديث ٤

الشرط الثالث :

الكتلة المؤمنة المتماسكة :

إذا كانت الحركة السياسية التغييرية تشترط التوافر على «المستويات الفكرية المؤهلة» لملء كل الفراغات في بُنية النظام السّياسي ، ومؤسسات السلطة والدولة ، واذا كانت هذه الحركة ، تعتمد فيما تعتمد على «القوة الضاربة» لإلغاء الكيانات السّياسية القائمة ، وحماية المسيرة الأصيلة . . فإنّها تشترط وتعتمد كذلك على وجود «كتلة مؤمنة متماسكة» تمثل ما يسمى بـ «القاعدة» التي تلتف حول التجربة ، وتصون أهدافها ، وتجسّد طروحاتها ، وتصلّب مواقعها ، وتنّمي إمتداداتها وتعمّق جذورها ، وتشكّل أرضيتها الصلبة ، وتربتها الصالحة .

واذا كانت «الكوادر الفكرية» و«القوى الضاربة» تشكلان مساحات محدودة ، فإنّ «الكتلة ـ القاعدة» يجب أن تملك إمتداداً أكثر اتساعاً ، وأكبر مساحة ، ولا نعني بذلك الإمتداد على مستوى الأمة ، فذلك ما تهدف إليه الحركة التغييرية من خلال ممارسات فاعلة وأشواط طويلة ، وجهود مضنية ، وفعاليات مكثفة ، وإنّما نعني وجود أرضية توفر للصيغة الجديدة أجواء فاعلة ، تعبّر من خلالها عن معطياتها التغييرية في المراحل الأولى من حركتها وإنتصارها. وتعمّق جذورها ، وتشكّل أرضيتها الصلبة ، وتربتها الصالحة .

الشرط الرابع :

الظروف الموضوعية الملائمة :

ويختزن هذا الشرط مجموعة مفردات منها :

ـ الحالة الإنحرافية التي يجسّدها النظام السّياسي القائم ، ومدى وضوح هذه الحالة في ذهنية الأمة «الجمهور الإسلامي الكبير» .

ـ الوعي السّياسي العام في داخل الأمة ، بما يحمله من رؤى حول الواقع السياسي المتسلط ، وما تفرضه المسؤولية الإسلامية من وجوب تغيير هذا الواقع الفاسد . .

ـ درجة الرفض المتفاعلة في نفسية نسبة مقبولة من جماهير الأمة ، بنحو تشكل حالة منفتحة على الصيغة الجديدة مع بدايات التحرك والإنطلاق .

ـ مدى تفاعل الأمة قبولاً أو رفضاً مع أهداف الحركة التغييرية الجديدة ، ومع رموزها وقيادتها المتصدية .

ولاشك أنّ توافر هذه الظروف الموضوعية يصنع أجواء صالحة لنجاح الحركة التغييرية ، وتحقيق الأهداف السّياسية ،

وإنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بما يملكون من رؤية معصومة ، ونظرة قيادية بصيرة ، كانوا هم الأقدر على استيعاب تلك الظروف ، وتقويم معطياتها .

ثم إنّ الأئمة عليهم السلام قبل كل شيء ينطلقون من مصلحة الرسالة لاختيار الأسلوب الأصلح ، والشكل الأمثل للحركة والعمل ، كذلك تحديد المرحلة الأنسب للحركة والإنطلاق .

وقد عبّر الأئمة عليهم السّلام عن هذا المنحى في الحركة والعمل من خلال الجوابات التي كانوا يواجهون بها حالات الاستنهاض السّياسي العسكري ذات الطابع العفوي الساذج أو المشبوه أحيانا ونجد في المثالين التاليين ما يلقي ضوءاً على ذلك :

المثال الأول :

ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ج ١/١٣٧) أنّ أبا مسلم الخراساني كتب إلى الإمام الصادق عليه السّلام كتاباً جاء فيه :

«إنّي أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أمية إلى موالاة أهل البيت فإن رغبت فلا مزيد عليك» .

فأجابه الإمام الصادق عليه السلام بكتاب قال فيه :

«ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني»

المثال الثاني :

ذكر المسعودي في مروج الذهب (ج ٣/٢٥٤)

أنّ أبا سلمة الخلال بعث رسولاً إلى الإمام الصادق عليه السّلام ، ومعه كتاب يذكر فيه استعداده للدعوة والتخلي عن بني العباس .

فكان جواب الإمام الصادق عليه السّلام :

«ما أنا وأبو سلمة ، وأبو سلمة شيعة لغيري»

قال رسول أبي سلمة : إني رسول فتقرأ الكتاب وتجيبه .

فدعا أبو عبد الله عليه السلام بسراج ، ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى إحترق ، وقال للرسول :

«عرّف صاحبك بما رأيت»[1]

---

(١) عادل الأديب : الأئمة الاثنا عشر ص١٨٣

النقطة الثالثة :

الصيغة والأسلوب :

على ضوء تلكم الشروط فقد اتجه الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام بعد ثورة الإمام الحسين عليه السّلام إلى تبني صيغة للعمل تحمل الأهداف التالية :

الهدف الأول :

بناء الكتلة الخاصة المنتمية إلىٰ مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام :

فالأئمة عليهم السلام في حركتهم التاريخية مروا بثلاث مراحل :

١ ـ مرحلة تفادي صدمة الإنحراف في داخل الأمة . .
٢ ـ مرحلة بناء الكتلة الخاصة التي تجسّد مفاهيم مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتي هي التعبير الأصيل عن مفاهيم الرسالة . .
٣ ـ مرحلة التهيؤ لتسلّم زمام السّلطة السّياسية .

ففي المرحلة الثانية والتي بدأت مؤشراتها منذ زمن الإمام علي بن الحسين زين العابدين ـ الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ واجه قادة أهل البيت عليهم السلام المهمة الجديدة ، مهمة بناء الجماعة الصالحة من مجموع هذه الأمة ، التي حصنت بالحد الأدنى من التحصين في المرحلة الأولى ،ولابد من انتخاب مجموعة من هذه الأمة ،فيحصنون بأعلى درجة من التحصين ،ويوّعون بأعلى درجة ممكنة من التوعية ،حتى تكون هذه الجماعة هي الرائد والقائد والحامي للوعي الإسلامي الأصيل[1]

وقد مارس الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مستويات عالية من الترشيدات الفكرية والروحية والفقهية والإجتماعية والسّياسية لهذه الجماعة لاعدادها لتحمل مهماتها الرسالية الكبيرة بما يتوافق مع الأهداف المرحلية في الحركة التاريخية للأئمة عليهم السّلام . . ومرّ الحديث بشكل أكثر تفصيلاً في أحد الفصول المتقدمة ، عندما تناول البحث أهداف المرحلة الثالثة من مراحل التشيع .

---

(١) الشهيد الصدر : أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف ص ١١٦ .

الهدف الثاني :

ملء الفراغات الفكرية والتشريعية في حركة الأمة :

هذه الفراغات التي أنتجتها تحولات وإنعطافات خطيرة في تاريخ المسلمين ،خلقت إرباكاً واضحاً في المفاهيم والأفكار والقيم والأحكام .

فبعد أن حرمت الأمة من التجربة الصحيحة الكاملة للحياة الإسلامية ، حيث انحسرت الصيغة القيادية والسياسية الأصيلة ،فلابد من وجود عملية ترشيدية لحركة الأمة في المجالات الروحية والفكرية والإجتماعية والسياسية وفي كل المجالات العملية . .

ومارس الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام هذا الدور ،في ظل أجواء مشحونة بكثير من التعقيدات والمضايقات الصعبة ،من قبل أجهزة الحكم المتسلطة التي كانت ترى في أيّ ممارسة للأئمة من أهل البيت عليهم السلام ،مهما كان لونها ،تشكّل حالة من حالات التصدي والمواجهة ، الأمر الذي جعل تلك الأجهزة تعيش القلق والريبة تجاه الممارسات الترشيدية عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

ورغم التعقيدات الصعبة فإنّ قادة أهل البيت عليهم السّلام ، قاموا بأدوار كبيرة فاعلة على كل المستويات من أجل تعميق الرسالة فكرياً وسياسياً في حركة الأمة ،وواقع المسيرة ،والحفاظ على الخط التشريعي الأصيل .

الهدف الثالث :

التصدي لكل المؤثرات الإنحرافية والتحريفية التي تشكّل خطراً على الرسالة :

إنّ مسؤولية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على الحالة الإسلامية الأصيلة ،كانت تفرض الرصد الدائم لكل المؤثرات المتحركة في داخل الأمة بما تحمله من مردودات إيجابية وسلبية على واقع المسيرة الرسالية . .

إنّ التغيرات الطارئة في الصيغة الإسلامية بما أفرزته من حالات إنحرافية وتحريفية ،كانت تشكلّ هماً كبيراً عند الأئمة عليهم السّلام باعتبارهم القيّمين على مسار الرسالة وحركة الدعوة ،فكانت مواقعهم القيادية ومسؤولياتهم الرسالية تفرض عليهم التحرك الجاد لمواجهة كل المؤثرات الإنحرافية والتحريفية التي تشكل خطراً على الرسالة . .

وقد تناول البحث في أحد فصوله المتقدمة دور الأئمة عليهم السلام في مواجهة «التيارات الفكرية» ذات الصبغة الإنحرافية والتحريفية ،فمن خلال قراءة ما أوردناه في

ذلك الفصل يمكن التعرف على بعض الشواهد التي تؤكد هذا الدور الكبير في حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام .

الهدف الرابع :

الإعداد الفكري والسّياسي للحركة الثورية :

إنّ الحركة الثورية الهادفة إلى إعادة الصيغة القيادية الأصيلة تعتمد مجموعة إعدادات فكرية ونفسية وسياسية تمكّنها من النجاح في أداء مهماتها التغييرية الكبيرة . .
وأهم الإعدادات اللازمة للحركة الثورية الإسلامية هي :

١ ـ صياغة الحس الجهادي الثوري . .
٢ ـ تأصيل الروح الإستشهادية . .
٣ ـ البناء الإيماني والروحي والثقافي . .
٤ ـ التوعية السّياسية الهادفة . .

ما هو دور الأئمة (ع) في هذا الإعداد ؟

البعد الأول :

الصياغة الجهادية وتاصيل الروح الإستشهادية :

هذان العنصران أمكن التوافر عليهما من خلال «الثورة الحسينية» في كربلاء ،حيث أعادت إلى المسيرة مستواها الثوري ،وأرجعت إلى الأمة منطلقاتها الجهادية ،واحتفظت لحركة الدعوة بحرارتها الرسالية .

إلّا أنّ هذا المستوى الثوري الجهادي والرسالي الذي بعثته الثورة الحسينية في أجواء المسيرة ،يحتاج إلى صياغة عملية توظّفه وتدفعه إلى مواقع الفعل والحركة .

فالمخزون الثوري الجهادي الذي فجرته ثورة الإمام الحسين لا يمكن أن يتحول إلى ممارسة فاعلة هادفة في حركة الأمة إلّا إذا توفر له عاملان :

العامل الأول :
تأصيل هذا المخزون الثوري الجهادي في العمق الوجداني للأمة ،لينتج حالة ثورية جهادية متحركة .

العامل الثاني :

ترشيد الحالة الثورية الجهادية للحفاظ على منطلقاتها ومساراتها وأهدافها الأصيلة .

وعلى ضوء هذين العاملين يمكن أن نفهم جانباً من مهمة قادة أهل البيت عليهم السّلام في المرحلة التي أعقبت ثورة الإمام الحسين عليه السّلام ،حيث مارسوا دورين واضحين :

أ ـ دور التأصيل والتجذير للحالة الثورية الجهادية . .

ب ـ دور الترشيد والتوظيف . .

وكان الأئمة عليهم السلام من خلال أدوارهم التأصلية والترشيدية للحالة الثورية الجهادية يرون أنّ مرحلة الفعل الثوري ، والحركة التغييرية لم تنضج بعد ،وإنّ التبكير في الممارسة الثورية إجهاض لطموحاتها وأهدافها . . .

ترسيخ الثورة الحسينية في وعي الأمة وفي وجدانها :

وقد بذل الأئمة عليهم السّلام جهوداً كبيرة في ربط الأمة فكرياً وعاطفياً بالثورة الحسينية وبأهدافها ومنطلقاتها ،ومن خلال هذا الترسيخ للثورة وأهدافها في وعي الأمة وفي وجدانها كان الأئمة عليم السّلام يهدفون إلى تأصيل الحالة الثورية الجهادية والروح الإستشهادية في حركة الأمة ،كما يهدفون إلى ترشيد هذه الحالة بشدها وربطها بالأهداف والمنطلقات الواضحة لثورة الإمام الحسين عليه السّلام .

وقد اعتمد الأئمة (ع) في ذلك مجموعة وسائل :

الوسيلة الأولى :

زيارة الإمام الحسين عليه السّلام :

فمن خلال التأكيدات الكثيرة الصادرة عن أئمة أهل البيت (ع) في إستحباب زيارة الإمام الحسين (ع)ترسخت الحالة التفاعلية مع الثورة الحسينية ، ضمن صيغة واعية هادفة استطاعت أن تصنع حضوراً فاعلاً لأهداف الثورة في عمق الواقع الفكري والنفسي للأمة المؤمنة بخط الثورة وأهدافها . . .

وقد أنتج هذا الحضور الفاعل لأهداف الثورة ، إنطلاقه ثورية جهادية في داخل المنظومة الفكرية والعاطفية التي تعيشها جماهير الخط الولائي المتعاطي مع مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام . . . . .

إنّ الزيارة حالة حركية هادفة في صيغتها العملية الفاعلة ، وهي مضامين ترشيدية بنائية في محتوياتها وأفكارها ومعانيها المختزنة في ألفاظها ومفرداتها .

وليس الحديث بصدد النظرة التقويمية «للدور الزيارة» في الحركة الترشيدية العامة التي مارسها الأئمة عليهم السّلام لإعادة المضمون الرسالي الأصيل ، وإنّما أردنا أن نتبين «دور الزيارة»في تأكيد الحالة الإنتمائية للثورة الحسينية ،بما تؤصله هذه الحالة من تجذير للحس الجهادي الثوري ،وتعميق للروح التضحوية الإستشهادية .

من اقوال الأئمة (ع) في استحباب الزيارة :

أ ـ قول الإمام الباقر عليه السّلام :

«مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام ،فإنّ إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين (ع)بالإمامة من الله عز وجل»[1]

ب ـ وقول الإمام الصادق عليه السّلام :

«من سرّه يكون على موائد النور يوم القيامة فليكن من زوار الحسين بن علي عليه السّلام» .[2]

ج ـ وقول الإمام الكاظم عليه السّلام :

«ادنى ما يثاب به زائر الحسين (ع)بشط الفرات اذا عرف حقه وحرمته وولايته أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[3]

الوسيلة الثانية :

رثاء الإمام الحسين عايه السّلام :

ومن أجل إبقاء قضية الحسين (ع) حيةً في وجدان الأمة وفي مشاعرها ، حث الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام شيعتهم على إنشاد الشعر في رثاء الإمام الحسين عليه السّلام .

وقد ساهم هذا اللون من التعاطي مع «مأساة الحسين»في تأجيج حالة التعاطف مع ثورة الحسين (ع)من خلال الإثارة الدائمة لصور المذبحة الفجيعة التي شهدتها ظهيرة عاشوراء في السنة الحادية والستين من الهجرة .

---

(١) (٢)ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ص ٦٥ ،٦٦ نقلاً عن كامل الزيارات باب ٤٣ ، ٥٠

(٣)المصدر نفسه نقلاً عن كامل الزيارات باب ٥٤

وهكذا أبقى «الأسلوب الرثائي»الذي أنتشر في الأدبيات الشيعية ،درجة الحرارة في التفاعل مع ثورة كربلاء في أعلى مستوياتها عبر المراحل التاريخية المتعاقبة ،ولذلك لم نجد فتوراً عاطفياً في داخل الوجدان الشيعي في التعامل مع القضية الحسينية في أي عصر من أعصر التاريخ ،حتى في أقسى الظروف وأشدها وطأة على الحالة الشيعية . . .

إنّ الرثاء الذي طبعت به «أدبيات الطف»لم يكن أسلوباً سلبياًيتجمد عند «الإثارات الإنفعالية»فحسب ، بل كان «صيغة إيجابية فاعلة» استطاعت أن تحرك مشاعر الجماهير المؤمنة في إتجاه الرفض لأنظمة الحكم الجائرة في تاريخ الأمة ،وأن تنمِّي حالات التحدي وقيم الإستشهاد في داخل المسيرة الشعبية الجماهرية الملتحمة مع أهداف الثورة الحسينية .

وهذا لا يلغي وجود حالات من التعاطي اللاواعي مع البعد المأساوي في قضية كربلاء مما ساهم في خلق مجموعة مفاهيم سلبية كرّست قيم الإنهزام والإنقهار والتراجع والهروب ،وصاغت بعض المعطيات السّاذجة في حركة الإنسان الشيعي . إلا أنّ الحركية والفاعلية والهادفية التي تختزنها قيم الثورة الحسينية لم تعط لتلك المفاهيم السلبية قدرة كبيرة على احتواء الحالة الشيعية ،ولذلك ظلت الصبغة العامة لهذه الحالة تتسم بالطابع الثوري الجهادي الإستشهادي .

وهكذا مارس الرثاء كأسلوب من أساليب التحريك العاطفي دوره في تصعيد الحالة الثورية وترسيخ الروح الجهادية في داخل الوجدان الشعبي للأمة . .

وقد أكد الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام على هذا اللون من ألوان التواصل مع الثورة الحسينية من خلال الأحاديث الكثيرة التي حثت على رثاء الإمام الحسين عليه السلام ، ويمكن أنّ نتبين ذلك على ضوء قراءة النص التالي الصادر عن الإمام الصادق عليه السّلام . . . . .

جاء في كامل الزيارات (الباب ٣٣)أنّ الإمام الصادق (ع)قال لأبي هارون المكفوف : يا أباهارون أنشدني في الحسين (ع)

قال : فأنشدته فبكى . . . . .

فقال (ع) : أنشدني كما تنشدون ،يعني بالرقة .

قال : فأنشدته :

أمرر على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكية

قال : فبكى ثم قال : زدني .

قال : فأنشدته القصيدة الأخرى .

قال : فبكى وسمعت البكاء من خلف الستار .

قال : فلما فرغت قال لي :

«يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السّلام شعراًفبكى وأبكى عشرة كتبت له الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنة ، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت له الجنة»[1]

الوسيلة الثالثة :

إحياء الذكرى الحسينية :

إنّ قضية كربلاء بما تحمله من مضامين وقيم وأحداث مأساوية أليمة كانت تعيش في ذاكرة التاريخ رغم المحاولات الجادة من قبل أنظمة الحكم المتسلطة لمسح هذه القضية من الذاكرة التاريخية للأمة . .

وقد مارست تلك الأنظمة أساليب متعددة لتجميد حالة التعاطي مع قضية كربلاء ولعل من أبرز تلك الأساليب :

أ ـ تنشيط الحركة الإعلامية المضادة لتعتيم الرؤية ، وتشويش التصورات ، وإثارة الإشكالات ، والتشكيك في المنطلقات ، ومصادرة الأهداف .

ب ـ الممارسات الإرهابية القمعية الدموية التي تصدت لكل حالات التفاعل والتواصل مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام والتعاطي مع أهدافها ومفاهيمها وقيمها . .

وفي مواجهة أساليب التجميد والمصادرة والتطويق مارس الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام صيغاً متعددة لتحريك الحالة التفاعلية مع قضية الحسين عليه السلام في كل منطلقاتها ومضامينها الفكرية والروحية والإجتماعية والسّياسية .

وفي سياق تلك الصيغ تنتظم المسائل التالية :

ـ الزيارة

ـ الرثاء

ـ إحياء ذكرى الحسين . .

ـ البكاء . . .

وقد مارس الأئمة عليهم السلام من خلال هذه الوسائل دوراً فاعلاً في تجذير حالة الإنشداد إلى قضية الحسين عليه السّلام ، وتأصيل عملية التفاعل مع ثورة كربلاء ، والتعاطي مع أهدافها .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٧

وضمن هذا الإتجاه الهادف إلى التجذير والتأصيل تتحرك مسألة التأكيد على إحياء الذكرى الحسينية ، كما عبّرت عن ذلك مجموعة من النصوص الصادرة عن أهل البيت عليهم السّلام .

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال للفضيل : يا فضيل أتجلسون وتتحدثون ؟

قال : نعم سيدي . . .

قال : يا فضيل هذه المجالس أحبها ، أحيوا أمرنا رحم الله أمرءاً أحيا أمرنا[1] .

الوسيلة الرابعة :

البكاء على الإمام الحسين عليه السلام :

إنّ ظاهرة البكاء على الحسين (ع) التي برزت في الواقع الشيعي منذ مرحلة تاريخية مبكرة بعد واقعة كربلاء لا تعبّر عن حالة إنفعالية ساذجة ، وتعاطي سلبي بليد ، وإنّما هي صيغة واعية تتحرك من خلالها عدة معطيات إيجابية هادفة :

أ ـ الأنصهار والذوبان في جو الذكرى بما يحمله من أحداث مأساوية أليمة ، مما يخلق حالة من التلاحم العاطفي والنفسي والروحي مع قضية الإمام الحسين عليه السّلام . .

ب ـ الإنفتاح الذهني والفكري على معطيات الذكرى من خلال الإستعدادات النفسية والعاطفية والروحية التي تهيء الجو الملائم للتعاطي مع الأفكار والمفاهيم والقيم .

ج ـ العاطفة تمنح الفكرة الحرارة والحيوية والفاعلية والحركية ، وحينما تخبو الوقدة العاطفية في داخل الفكرة تصاب بحالة من الركود والخمود والجمود وتفقد قدرتها على الحركة والفعل .

د ـ إنّ البكاء بما يحمله من تعبير عن حالة التأثر والإنفعال بأحداث المأساة ، يختزن في داخله مشاعر الرفض والتحدي والغضب تجاه القوى الظالمة التي صنعت مجزرة كربلاء ، ومن التصعيد الدائم لمشاعر الرفض والتحدي والغضب تنمو الحالة الجهادية الثورية ، وتتأصل الروح الإستشهادية والتضحوية ، وبهذا يساهم «الأسلوب البكائي» في تحريك المخزونات الثورية في داخل النفس والوجدان ، ويشد الحالة الإنتمائية إلى منطلقاتها الجهادية ، وأهدافها الرسالية .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٨ .

ومن هنا يمكن أن نفهم جانباً من دلالة النصوص الصادرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي أكّدت مسألة البكاء على الإمام الحسين (ع) .

فقد جاء عن الإمام زين العابدين (ع) أنّه قال :

«أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين (ع) دمعة حتى تسيل على خده بوّأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً»[1]

وجاء عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال :

«إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد عن كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي (ع) فإنّه فيه مأجور»[2]

وجاء عن الإمام الرضا عليه السّلام :

«من تذكر مصيبتنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة ، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون ، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[3]

البعد الثاني :

ـ البناء الإيماني والروحي والثقافي :

إنّ الحركة الثورية التغييرية الطموحة إلى صياغة الواقع السياسي والإجتماعي على أساس من مفاهيم الإسلام ، تحتاج إلى درجات عالية جداً من :

- العقائدية الإسلامية .
- والروحية الإسلامية .
- والبصيرة الإسلامية .

فهذه العناصر الثلاثة تشكل مرتكزات أساسية في الممارسة الثورية الإسلامية الهادفة إلى تغيير الواقع السياسي والإجتماعي الفاسد وإستبداله بواقع إسلامي نظيف .

وكلّما ترسخت هذه العناصر في داخل الفعل الثوري التغييري فإنّه يتوافر على العناصر التالية :

- الأصالة .
- الفاعلية .
- الحركية .
- الهادفية .

---

(١) (٢) (٣) المصدر نفسه ص ٢٣٥ ، ٣١٩ ، ٢٤٣ .

وقد تجلّى دور الأئمة من أهل البيت (ع) واضحاً في صياغة المحتويات العقائدية والروحية والثقافية الفاعلة في داخل الأمة ، ورغم المعوّقات الصعبة التي واجهت فعاليات الأئمة (ع) في مجالات الإعداد الإيماني والروحي والفكري ، فإنّ الإنجازات التي حققوها تشكّل إنجازات كبيرة ومتقدمة في طريق التهيئة للممارسة الثورية المتصدية للواقع السّياسي المنحرف . .

إنّ المساهمات الجادة التي حققها أئمة أهل البيت (ع) في هذا الإتجاه لم تصل إلى أشواطها الأخيرة لإنجاز المشروع الثوري الإسلامي بفعل عوامل معقّدة وصعبة كانت تحكم الواقع الفكري والسياسي في حياة الأمة .

وهذا لا يعني أن الأئمة (ع) قد فشلوا في ممارساتهم الهادفة إلى إنجاز هذا المشروع ، لأنّ الأئمة (ع) لا يهدفون من خلال مشروعهم الثوري إحداث تغييرات فوقية طافحة ، وتلميعات شكلية باهتة ، وإنّما يهدفون الإمتداد الى الأعماق المتجذرة في داخل الحالة الفكرية والأخلاقية والإجتماعية والسياسية ، ومن هنا يتميز المشروع الإسلامي الأصيل عن بقية المشروعات الترقيعية الأخرى .

البعد الثالث :

ـ التوعية السياسية الهادفة :

ونجد في حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام أمثلة كثيرة تعبر عن هذا اللون من الممارسة نشير الى ثلاثة منها :

ـ تأكيد حالة الإنتماء السياسي .
ـ التثقيف السّياسي .
ـ تحديد الموقف السياسي من الكيانات المنحرفة .

المثال الأول :

تأكيد حالة الإنتماء السّياسي :

أكّد الأئمة عليهم السلام من خلال تصريحاتهم ومواقفهم مبدأ الإنتماء السّياسي والفكري الى القيادة الشرعية التي يمثلها الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام ، ويمكن أن نتبين ذلك من خلال الفّعاليات التالية :

١ ـ كان الأئمة من أهل البيت (ع) يطرحون أنفسهم في السّاحة بصفتهم القيادة الشرعية للأمة ، وتاريخهم (ع) حافل بشواهد كثيرة تؤكد ذلك ، ولعل المواقف المتشنجة

التي مارستها الأنظمة المتسلطة تجاه الأئمة (ع) في كل المراحل تعبّر عن هذا الوعي والإحساس لدى السلطات الحاكمة في فهم مواقع الأئمة في حياة الأمة .

٢ ـ الصياغة العملية للحالة الإنتمائية بما أصلّته وجذّرته هذه الصياغة من تكريس وترسيخ للمضمون القيادي الذي جسّده الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام ، مما خلق واقعاً عملياً محدوداً يعيش الإنتماء السّياسي والفكري لخط أهل البيت عليهم السّلام .

٣ ـ الاسلوب التنظيمي الدقيق الذي مارسه الأئمة عليهم السّلام في الإشراف على الحالة الانتمائية التي أوجدوها في داخل الساحة ، ومن معالم هذا الاسلوب التنظيمي .

آ ـ السرية في العمل «مبدأ التقيه» .

ب ـ نظام الوكلاء الذي اعتمده الأئمة في إدارة شؤون الحالة الإنتمائية . .

ج ـ تصنيف الفعاليات والاختصاصات :

ـ فعاليات الفقه والحديث ومن أبرز عناصرها :

زرارة بن أعين ، وأبان بن تغلب ، وبريد العجلي ، وجميل بن درّاج ، وأبو بصير الأسدي ، ويونس بن عبد الرحمن .

ـ فعاليات الكلام والمناظرة ومن أبرز عناصرها :

مؤمن الطاق ، وهشام بن الحكم ، وهشام بن سالم ، وحمران بن أعين . .

ـ فعاليات سياسية كعلي بن يقطين الذي أبقاه الأئمة (ع) في داخل جهاز السلطة ليمارس دوره في خدمة الحالة الإنتمائية .

المثال الثاني :

التثقيف السياسي :

مارس الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام تثقيفاً سياسياً على مستويين :

المستوى الأول :

التثقيف السّياسي العام الذي حرّكه الأئمة عليهم السلام في الدائرة الاسلامية الواسعة من أجل ترشيد المسار السّياسي العام في حياة الأمة . .

المستوى الثاني :

التثقيف السّياسي الخاص الذي مارسه الأئمة عليهم السّلام في داخل الدائرة الإنتمائية الخاصة ، ويتميز هذا المستوى بالخصوصية ، والتركيز ، والوضوح .

وفي حياة الأئمة عليهم السّلام شواهد كثيرة تعبر عن دورهم الكبير في تصعيد الوعي السياسي على كلا المستويين . .

ومن تلك الشواهد :

(آ) دور الإمام زين العابدين عليهم السّلام في إيقاظ حالة الحس السّياسي في داخل

الأمة ، وذلك من خلال إلهاب حالة الشعور بالاثم في نفسية الأمة بعد مأساة كربلاء ، وقد ساهم هذا التأجيج في خلق الرفض السّياسي ، والموقف الثوري .

إنّ خطب الإمام زين العابدين (ع) وخطب الحوراء زينب (ع) في الكوفة والشام تمثل لوناً بارزاً من ألوان التثقيف السّياسي بما تضمنته من :

- تعريف بالثورة الحسينية والدفاع عن هويتها وأهدافها . .
- تعرية لمواقف السلطة والتصدي لإعلامها المضاد . .
- تأجيج لحالة الشعور بالأثم في وجدان الأمة . .
- تحريك الحس الثوري من خلال إستثارة مشاعر الغضب والرفض والإنتقام .
- تعميق التلاحم والتفاعل مع قضية الإمام الحسين (ع) والتعاطي مع أفكارها وقيمها ومعطياتها .

ويمكن أن نضع «اسلوب البكاء» الذي مارسه الإمام زين العابدين بشكل مثير وملفت ، ضمن الصيغ السياسية التي حرّكها أئمة أهل البيت عليهم السلام لتواجه أنظمة الحكم المنحرفة ، فالبكاء على الحسين (ع) ليس حالة سلبية تكرّس روح الخنوع والإستسلام ، وإنّما هو ممارسته إيجابية واعية تؤصّل مفاهيم الثورة وتجذّر مواقف الرفض .

(ب) - مارس الأئمة من أهل البيت (ع) اسلوب «الترشيد السياسي» لحركة الحالة الإنتمائية من خلال الوصايا والتوجيهات التي يصدرونها إلى شيعتهم وأتباعهم . . .

ومن أبرز الأمثلة على هذه الممارسة الترشيدية على المستوى السّياسي والإجتماعي ، تأكيد «مبدأ التقية» لحماية الحالة الإنتمائية وإعطائها قدرة الحركة والامتداد بعيداً عن أجواء الملاحقة والمتابعة والمصادرة . . .

جاء في وصية الإمام الصادق عليه السلام لمحمد بن النعمان الأحول :

«المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا ، رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه . . .

يا ابن النعمان : إني لأحدث الرجل منكم بحديث ، فيتحدث به عني ، فاستحل بذلك لعنته والبراءة منه ، فإنّ أبي كان يقول : وأيّ شيء أقر للعين من التقية ، إنّ التقية جُنة المؤمن ، ولولا التقية ما عبد الله . . .

يا ابن النعمان : إنّ المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزراً ، بل هو أعظم وزراً ، بل هو أعظم وزراً . .

يا ابن النعمان : . . . فلا تعجلوا فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فأذعتموه فأخره الله ، والله ما لكم سر إلّا وعدوكم أعلم به منكم . . .

يا ابن النعمان : لا يكون العبد مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث سنن : سنة من الله ، وسنة من رسوله ، وسنة من الإمام ، فأمّا السنة من الله عز وجل أن يكون كتوماً للأسرار» [1] .

هذا النص يعالج مسألة سياسية خطيرة ، ويطرح مفهوماً ناضجاً من مفاهيم العمل التنظيمي وهو «مبدأ السرية» حيث أنّ الممارسة التغييرية في مرحلة من مراحل حركتها تحتاج إلى هذا اللون من الأسلوب لتحمي وجودها ، وتوفر لنفسها أجواء ملائمة للعمل ، ريثما تكتمل الظروف الموضوعية التي تسمح لها بالكشف عن هويتها وعن أهدافها .

(ج) كان الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام لا يتركون فرصةً سانحةً تمر دون أن يعبّروا فيها عن رؤيتهم السّياسية حول السلطة والحكم والقيادة .

ونطرح شاهداً تاريخياً من حياة الإمام الكاظم عليه السلام (الإمام السابع من أئمة أهل البيت (ع)) حينما سأله الخليفة العباسي هارون الرشيد عن (فدك) وحدودها لكي يرجعها إليه ، فأبى الإمام أن يأخذها إلا بحدودها .

فقال الرشيد : ما حدودها ؟

فقال الإمام :إن حددتها لم تردها .

فأصرَّ الرشيد عليه أن يبيّنها له .

فقال له الإمام :

أمّا الحد الأول فعدن ....

والحد الثاني سمرقند ...

والحد الثالث افريقيا ..

والحد الرابع فسيف البحر مما يلي الجزر وأرمينيه ...

فثار الرشيد قائلاً : لم يبق لنا شيء ..

فقال الإمام : قد علمت أنّك لا تردها [2] .

نلاحظ من خلال هذا الحوار أنّ الإمام عليه السلام يحاول أن يؤكّد الرؤية السّياسية التي تتبناها مدرسة أهل البيت حول «مفهوم الخلافة» ، وقد استثمر الإمام (ع) فرصةً وجدها ملائمة ليطرح هذه الرؤية التي حرص الأئمة (ع) باستمرار على تأصيلها في وعي الأمة وتثبيتها في ذاكرة الأجيال ، وإن كانت هذه المواقف قد كلّفت الأئمة عليهم السلام

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٧ - ٢٢٩ .

(٢) عادل الأديب : الأئمة الإثنا عشر ص ١٩٠ .

ثمناً باهظاً حيث واجهت أنظمة الحكم المتسلطة هذه الرؤى والمواقف بأساليب شرسة ووسائل قاسية .

المثال الثالث :

الموقف السّياسي من الكيانات المنحرفة :

ويمكن أن نتبين هذا الموقف من خلال البعدين التاليين :
- تحريم اللجوء إلى السلطات الجائرة في مقام الخصومات . .
- تحريم التعاون مع الأنظمة الظالمة . .

البعد الأول :

تحريم اللجوء إلى السّلطات الجائرة في مقام الخصومات :

من الصيغ السّياسية التي مارسها أئمة أهل البيت (ع) لتأكيد حالة الرفض تجاه الكيانات اللا شرعية ، توجيه الجماعات المنتمية التي تتعاطى مع أفكار مدرسة أهل البيت (ع) إلى تجنب اللجوء في مقام التنازع والخصومة إلى الأجهزة القضائية المعتمدة من قبل سلطات الجور .

ومن الشواهد التي تعبّر عن هذا الإتجاه :

١ ـ قول الإمام الصادق عليه السّلام :

«إيّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور ، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه»[1] .

٢ ـ وقوله عليه السلام :

«أيّما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاض أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الإثم»[2] .

٣ ـ وعن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليّه السّلام قال في رجل كان بينه وبين أخ له مماراة في حق فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه وبينه فأبى إلّا أن يرافعه إلى

---

(١) الوسائل ج ١٨/٤ .
(٢) المصدر نفسه ج ١٨/٢ .

هؤلاء : كان بمنزلة الذين قال الله عز وجل : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ [1] .

٤ ـ وعن عمر بن حنظلة قال : سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك ؟

فقال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنّما تحاكم إلى طاغوت وما يحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً ، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفر به ، قال الله تعالى : ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾[2] .

البعد الثاني :

تحريم التعاون مع الأنظمة الظالمة :

ومن التوجيهات الأساسية التي حاول الأئمة من أهل البيت (ع) تأصيلها في داخل الحالة الإنتمائية ، تحريم التعاون والتعاطف مع الأنظمة الحاكمة التي لا تملك الصفة الشرعية ، والتحذير من العمل ضمن أجهزتها ومؤسساتها ، ما دام هذا التعاون والعمل يصبان في دعم تلك الكيانات وتقويتها وتثبيتها والدفاع عنها . . .

والنصوص الصادرة عن أئمة أهل البيت (ع) في صيغتها الحدية الدالة على الرفض لمسألة التعاون مع السلطات اللاشرعية ، لا تنسى الحالات الإستثنائية التي تحتم ضرورة وجود بعض العناصر المؤمنة في داخل أجهزة السلطة لتوفير الحماية للمؤمنين ، وإنجاز بعض المهام التي تخدم أهداف الخط الأصيل . . .

ومن الشواهد الكثيرة الدالة على رفض الأئمة (ع) لحالات التسالم والتعايش مع الأنظمة الظالمة :

١ ـ قول الإمام الصادق عليه السلام :

«إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد» [3] .

٢ ـ قول الامام الباقر عليه السلام وقد سئل عن أعمال حكام الجور :

«لا ولا مدة قلم» [4] .

---

(١) المصدر نفسه ج ٣/١٨ .

(٢) المصدر نفسه ج ٤/١٨ .

(٣) (٤) المصدر نفسه ج ١٢٩/٦ .

٣ ـ وقول الإمام الصادق (ع) :

«لا تعنهم [حكام الجور] على بناء مسجد»[١] .

٤ ـ وقوله عليه السلام لبعض أصحابه :

«يا عذافر نبئت أنّك تعامل أبا أيوب والربيع فما حالك اذا نودي بك في أعوان الظلمة»[٢] .

٥ ـ وقول الإمام الكاظم (ع) لصفوان الجمال وكان يكري جمالاً لهارون الرشيد : يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً .

قلت : جعلت فداك أيّ شيء ؟

قال : إكراؤك جمالك من هذا الرجل ـ يعني هارون الرشيد ـ

قلت : والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ولكني أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكة ـ ولا أتولاه ولكن أبعث اليه غلماني . .

فقال لي : يا صفوان أيقع كراؤك عليهم ؟

قلت : نعم جعلت فداك . .

فقال لي : أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك ؟

قلت : نعم .

فمن أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم ورد النار .

فقال صفوان : فذهبت وبعت جمالي عن آخرها ، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني وقال : يا صفوان بلغني أنّك بعت جمالك ؟

قلت : نعم .

قال : لِمَ ؟

قلت : أنا شيخ كبير وأنّ الغلمان لا يفون بالأعمال .

فقال : هيهات إنّي لأعلم من أشار عليك بهذا ، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر .

فقلت : ما لي ولموسى بن جعفر فقال : دع عنك هذا فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك[٣] .

٦ ـ وقول الإمام الكاظم (ع) لزياد بن أبي سلمة :

يا زياد إنّك لتعمل عمل السلطان ؟

قال زياد : أنا رجل لي مروة وعليّ عيال وليس وراء ظهري شيء . .

---

(١) المصدر نفسه ج ١٣٠/٦ .

(٢) المصدر نفسه ج ١٢٨/٦ .

(٣) معجم رجال الحديث ج ١٢٢/٩ .

فقال الإمام : يا زياد لأن أسقط من حالق [المكان الشاهق] فأتقطع قطعة قطعة أحب إليّ من أن أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم إلاّ لماذا ؟
قال زياد : لا أدري جعلت فداك .
قال (ع) : إلاّ لتفريج كربة مؤمن أو فك أسره ، أو قضاء دينه . .
يا زياد إنّ أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق .
يا زياد فإن وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة والله من وراء ذلك [1] .

٧ ـ وقول الإمام الرضا (ع) لسليمان الجعفري وقد سأله عن أعمال السلطان : يا سليمان الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر [2] .

إسناد الأئمة (ع) وتأييدهم للثورات المخلصة :

ورغم أنّ الأئمة من أهل البيت (ع) لم يمارسوا أسلوب التصدي المباشر لأنظمة الحكم القائمة ، وجمّدوا صيغة المواجهة المسلحة لأسباب موضوعية سبقت الإشارة اليها ، إلاّ أنهم مارسوا دور الإسناد والتأييد لحركات ثورية مخلصة من خلال وسائلهم الخاصة .

فالأئمة عليهم السّلام كانوا يرون ضرورة التوافر على عملين :
«أحدهما : العمل من أجل بناء القواعد الشعبية الواعية التي تهيء أرضية صالحة لتسلم السلطة .
والآخر : تحريك ضمير الأمة الإسلامية وإرادتها ، والإحتفاظ بالضمير الاسلامي والإرادة الإسلامية ، بدرجة من الحياة والصلابة تحصّن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين .

والعمل الأول هو الذي مارسه الأئمة بأنفسهم ، والعمل الثاني هو الذي مارسه ثائرون علويون كانوا يحاولون بتضحياتهم الباسلة أن يحافظوا على الضمير الإسلامي ، والإرادة الإسلامية ، وكان الأئمة عليهم السلام يسندون المخلصين منهم [3] .

---

(١) الكافي ج ١٠٩/٥ ، ١١٠ .
(٢) الوسائل ج ١٣٨/٦ .
(٣) الشهيد الصدر : بحث حول الولاية ص ٩٥ .

ونضع بين أيدينا بعض الشواهد التاريخية التي تعبر عن تأييد الأئمة لبعض الثورات المخلصة :

الشاهد الأول :

موقف الإمام الصادق (ع) من ثورة زيد بن علي :

نستطيع أن نتبين من خلال بعض التصريحات التي صدرت عن الإمام الصادق (ع) موقفه الإيجابي من ثورة زيد بن علي بن الحسين الذي تحرك سنة (١٢٢ هـ) ضد الحكم الأموي .

ومن تلك التصريحات :

أ ـ قوله عليه السلام :

«ولا تقولوا خرج زيد ، فإنّ زيداً كان عالماً ، وكان صدوقاً ، ولم يدعكم إلى نفسه ، وإنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد (ص) ولو ظهر لوفى بما دعى اليه» . [1] .

ب ـ وقوله عليه السّلام لفضيل :

يا فضيل شهدت مع عمي قتال أهل الشام ؟

قال فضيل : نعم .

قال (ع) : فكم قتلت منهم ؟

قال فضيل : ستة .

قال الإمام : فلعلك شاك في دمائهم ؟

قال : لو كنت شاكاً فما قتلتهم .

قال عليه السلام : اشركني أشركني الله في تلك الدماء مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه . [2]

الشاهد الثاني :

موقف الإمام الرضا عليه السّلام من ثورة زيد بن علي :

في ضوء النص التالي الذي يدوّنه الحر العاملي في وسائله يمكن أن نفهم رؤية الامام الرضا عليه السلام حول ثورة زيد بن علي والتي تعبر عن رؤية الأئمة من أهل البيت (ع) جميعاً . . . .

---

(١) الوسائل ج ٣٦/١١ .

(٢) مجلة المنطلق العدد ١٤٠٩/٥٤ ص ٣٦ نقلاً عن بحار الانوار .

جاء في بعض كلمات الإمام الرضا (ع) وهو يتحدث عن زيد بن علي :
«أنّه كان من علماء آل محمد صلى الله عليه وآله ، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله ، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر (ع) أنّه سمع أباه جعفراً (ع) يقول :

رحم الله عمي زيداً ، إنّه دعا إلى الرضا من آل محمد (ص) ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ، إنّه قال : ادعوكم إلى الرضا من آل محمد (ص)» [1] .

الشاهد الثالث :

موقف الإمام الكاظم (ع) من ثورة الحسين ـ صاحب فخ ـ :

صدرت عن الإمام الكاظم عليه السّلام عدة تصريحات تؤكّد إسناده وتأييده لحركة الحسين بن علي بن الحسن ـ صاحب فخ ـ الذي ثار في المدينة المنورة في عهد الخليفة العباسي موسى الهادي وتوجه إلى مكة المكرمة سنة ٢٦٩ هـ واستشهد في «فخ» بالقرب من مكة . . .

ومن تلك التصريحات :

أ ـ قول عليه السلام للنحسين لما عزم الخروج والثورة :

«إنّك مقتول فأحّد الضراب ، فإنّ القوم فسّاق يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وعند الله أحتسبكم من عصبة» [2] .

ب ـ ولما سمع الإمام الكاظم (ع) بمقتل الحسين (رض) بكاه وأبّنه بهذه الكلمات :

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مضى والله مسلماً صالحاً ، صوّاماً قوّاماً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ما كان في أهل بيته مثله» [3] .

(٤) المستوى التشريعي :

في سياق الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة كان للأئمة من أهل البيت (ع) دور كبير في حماية مصادر التشريع ، والدفاع عن مساراتها النقية الخالية من كل ألوان التحريف والتغيير .

ويمكن أن نتبين دور الأئمة (ع) على هذا المستوى من خلال العملين المتوازيين التاليين :

١ ـ التصدي للمصادر التشريعية الدخيلة . .
٢ ـ تثبيت المصادر التشريعية الأصيلة . .

---

(١) الوسائل ج ٢٦/١١ .
(٢) (٣) الأئمة الاثنا عشر ص ١٩١ .

العمل الأول :

التصدّي للمصادر التشريعية الدخيلة :

واجه الأئمة (ع) في سياق الحفاظ على المسار التشريعي الأصيل ، عدة ألوان من الصيغ الإستنباطية التي تشكل حالات طارئة لا تنسجم مع المنحى الإستنباطي الأصيل ، وتعطي للرؤية الفقهية والتشريعية مساراً يعرّض الشريعة إلى كثير من التحريف والتغيير بما تحمله تلك الصيغ من توجهات خاطئة في الحركة الإستنباطية ، والفهم التشريعي . .
والأئمة عليهم السلام حينما تصدوا لتلك الصيغ الاستنباطية كانوا يدركون تماماً خطورة ذلك المنحى في فهم الاسلام وأحكامه وتعاليمه ، مما دفعهم إلى التشدد في مواجهة تلك الصيغ ايماناً منهم بضرورة حماية المضمون الاسلامي في كل محتوياته العقائدية والأخلاقية والفقهية .

إنّ تحريف المضمون الاسلامي من خلال اعتماد الصيغ الخاطئة في فهم الشريعة ، يشكّل الحالة الأخطر على الاسلام ، حيث تتم عملية المحق الداخلي للدين على حد تعبير الامام الصادق (ع) «يا أبان إنّ السنّة إذا قيست محق الدين» .

وفي ضوء هذه الرؤية كان موقف الأئمة (ع) واضحاً من :

- القياس .
- الاستحسان .
- تفسير القرآن بالرأي .

باعتبارها مصادر مرفوضة إسلامياً ، ولا تشكّل أدوات صالحة لفهم الشريعة وأحكامها ، بل تمثل وسائل تشوش الصيغة الاسلامية الاصيلة .

ويمكن أن نتبين موقف الائمة(ع) الرافض لتلك الصيغ من خلال النصوص التالية :

١ ـ عن أبي شيبة الخراساني قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

«إنّ أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم تزدهم المقائيس من الحق إلّا بعداً ، وإنّ دين الله لا يصاب بالمقائيس»(١).

٢ ـ عن يونس بن عبد الرحمن قال : قلت لأبي الحسن الأول [الإمام الكاظم] عليه السلام : بما أوحد الله ؟ فقال عليه السلام : يا يونس لا تكوننّ مبتدعاً ، من نظر برأيه

---

(١) أصول الكافي ج ١/٥٦ .

هلك ، ومن ترك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ضلّ ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه صلى الله عليه وآله كفر»[1].

٣ ـ عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال :

«إنّ السنة لا تقاس ، ألا ترى أنّ المرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها ، يا أبان : إنّ السنة إذا قيست محق الدين»[2] .

٤ ـ عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام قال : «من أفتى الناس برأيه فقد دان بما لا يعلم ، ومن دان بما لا يعلم فقد ضار الله حيث أحل وحرم فيما لا يعلم»[3] .

٥ ـ عن عيسى بن عبد الله القرشي قال : دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام ، فقال له : يا أبا حنيفة بلغني أنك تقيس ؟

قال : نعم .

قال : عليه السلام : «**لا تقس فإن أول من قاس إبليس حين قال : خلقتني من نار وخلقته من طين**»[4] .

٦ ـ قال الإمام الصادق(ع) في حديث له مع أبي حنيفة : «يا نعمان إيّاك والقياس ، فإنّ أبي حدثني عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس فإنّه أول من قاس حيث قال : خلقتني من نار وخلقته من طين . . . فدعوا الرأي والقياس فإنّ دين الله لم يوضع على القياس»[5] .

٧ ـ قال الإمام الصادق(ع) في حوار مع أبي حنيفة :

انظر في قياسك إن كنت مقيساً ، أيّما أعظم عند الله القتل أو الزنا ؟

قال أبو حنيفة : بل القتل .

قال عليه السلام : فكيف رضي في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا إلا بأربعة ؟

ثم قال له : الصلاة أفضل أم الصيام ؟

قال : بل الصلاة أفضل .

قال عليه السلام : فيجب على قياسك قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام ، وقد أوجب الله تعالى عليها قضاء الصوم دون الصلاة .

ثم قال له : البول أقذر أم المني ؟

قال : البول أقذر .

---

(١) (٢) (٣) أصول الكافي ج ١/٥٦ـ٥٨ .
(٤) أصول الكافي ج ١/٥٨ ح ٢٠ .
(٥) الاحتجاج ج ٢/١١٤ .

قال عليه السلام : يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني ، وقد أوجب الله تعالى الغسل من المني دون البول»(1)

٨ ـ وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام : «ما لكم والقياس ، إنّما هلك من هلك من قبلكم بالقياس»(2)

٩ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«ولا تقيسوا الدين ، فإنّ من الدين ما لا يقاس وسيأتي أقوام يقيسون، فهم أعداء الدين ، وأول من قاس إبليس»(3) .

١٠ ـ وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث قال:

«فأمّا من قال في القرآن برأيه فإن اتفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار»(4)

١١ ـ وقال الإمام الصادق(ع) :

«من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ فهوى بعد من السماء»(5)

العمل الثاني :

تثبيت المصادر التشريعية الأصيلة :

وفي عمل موازٍ آخر كان دور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يتجه إلى تثبيت المصادر التشريعية الأصيلة التي تمثل القنوات الموصلة إلى أحكام الله تعالى . . وبمقدار ما تتأصل هذه المصادر يتم التوافر على مضامين الإسلام وأفكاره وقيمه وأحكامه .

إنّ تحديد طبيعة الأدوات المعتمدة في العملية الإستنباطية، ليست مسألة شكلية تعيش ضمن الحالة الاجتهادية الصرفة ، وإنما هي مسألة مضمونية ترتبط بكل المحتويات الفكرية والعملية في الشريعة الاسلامية .

إنّ الحاجة إلى تثبيت المصادر الأصيلة تعبر عن قضية جوهرية في حركة الرسالة وفي كل امتدادتها العقائدية والروحية والاجتماعية والسياسية ، وفي كل تطبيقاتها العملية .

---

(١) الاحتجاج ج ١١٦/٢ .
(٢) (٣) (٤) الوسائل ج ٢٣/١٨ ، ٢٧ ، ١٩ .
(٥) الصافي ص ٢١ .

ومن خلال هذا الفهم لقيمة الأدوات الاستنباطية، والمصادر التشريعية ، حرص الأئمة من أهل البيت (ع) على الحفاظ على الصيغ الأصيلة لهذه الأدوات والمصادر ، ووظفوا كل الامكانات والقدرات في الدفاع عنها وحمايتها . .

ففي الوقت الذي مارس الأئمة (ع) دور الاسقاط لكل الصيغ التشريعية الطارئة والتي تشكل خطراً على مضامين الرسالة، فإنّهم جذّروا في واقع الأمة المسار الأصيل الذي يحتضن الصيغ التي تنفتح على كل المعطيات الحقيقية للرسالة ، وتتعاطى مع كل المضامين الواقعية في الشريعة الإسلامية .

وفي محاولة لاكتشاف جانب من دور الأئمة (ع) على هذا المستوى ، نتناول بعض الأمثلة التي تجسد تلك المساهمات الجادة في تحريك مصادر التشريع ضمن مساراتها الأصيلة الصحيحة .

ومن خلال هذه المحاولة نبرهن على مدى اهتمامات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بصيانة الصيغ التشريعية في منطلقاتها وأدواتها ومجالاتها .

وضمن هذا الهدف لهذه المحاولة نتناول النقاط التالية :

١ ـ إعتماد الأدوات الصحيحة في فهم القرآن وتفسير آياته .

٢ ـ إعتماد السنة النبوية الصحيحة .

٣ ـ إعتماد سنّة الأئمة من أهل البيت (ع) .

النقطة الأولى :

إعتماد الأدوات الصحيحة في فهم القرآن وتفسير اياته :

يتفق المسلمون على اعتبار القرآن مصدر التشريع الأول ، ولا نجد خلافاً حول هذه الحقيقة التشريعية ، إلا أنّ الأدوات المعتمدة في فهم القرآن وتفسير آياته كانت مثار جدل وخلاف ، مما انعكس على طبيعة الأفكار والمفاهيم والأحكام التي يحملها النص القرآني . .

ومن أجل صيانة المضمون القرآني ، وتجنيب النص كل الألوان التفسيرية المغلوطة ، أكد الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام على ضرورة اعتماد الأدوات الصحيحة في فهم القرآن وتفسير آياته . .

ومن أبرز الإجراءات التي تم تأصيلها في هذا المجال :

ـ النهي عن تفسير القرآن بالرأي وقد مرت الاشارة إلى ذلك .

ـ التمسك بالكتاب والعترة . . .

ـ الأئمة من أهل البيت (ع) هم العارفون بكتاب الله .

التمسك بالكتاب والعترة :

الرجوع إلى العترة الطاهرة من أهل البيت (ع) يمثل الضمانة الكبيرة لحماية الفهم القرآني من كل ألوان الزيغ والانحراف والارتباك ، ومن هنا يمكن أن ندرك عمق النصوص التي أكدت على ضرورة التمسك بالكتاب والعترة . .

ومن أبرز تلك النصوص حديث الثقلين المشهور بين المسلمين ، وقد دوّنته أهم مصادر الحديث والتفسير والتاريخ كما أثبتنا ذلك في فصل سابق . .

ونص الحديث كما جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله :

«إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» .

فهذا النص يطرح مضموناً تشريعياً هاماً يتجسد في اعتماد الأئمة من أهل البيت (ع) مرافد أصيله لفهم القرآن وتفسير آياته .

وإنّ أي محاولة للتعاطي مع النص القرآني بعيدا عن هذه المرافد ، لن تكون حصيلتها مأمونة من التشويش في المفهوم القرآني ، والارباك في مضامينه وأفكاره .

إنّ الممارسات التفسيرية التي تعاملت مع المضمون القرآني من خلال التعاطي المبتور الذي تغافل الأئمة من أهل البيت (ع) ، أنتجت لنا الكثير من الأفكار المغلوطة والمعاني المشوشة ، والمفاهيم المرتبكة ، والرؤى المنحرفة .

الأئمة من أهل البيت (ع) هم العارفون بكتاب الله :

وقد أكد الأئمة (ع) هذه الحقيقة في الكثير من أحاديثهم وكلماتهم :

١ ـ عن سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول :

«ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أقرأنيها وأملاها علي ، فكتبتها بخطي ، وعلّمني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، ودعا لي أن يعلمني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ فكتبته ، منذ دعا لي بما دعا»[1] .

٢ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً ، أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى ، ويستجلى

---

(١) الصافي ج ١١/١ .

العمى ، إنّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم»[1].

٣ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام :

«الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده»[2] .

٤ ـ وقال عليه السلام :

«نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله»[3] .

٥ ـ عن يزيد بن معاوية عن أحدهما [الباقر أو الصادق (ع)] في قول الله عز وجل :

﴿وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم﴾ :

«فرسول الله (ص) أفضل الراسخين في العلم قد علّمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله ، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله»[4].

٦ ـ جاء في تفسير النعماني عن علي عليه السلام أنّه قال في احتجاجه على الخوارج :

«يا معشر الخوارج : أنشدكم الله ألستم تعلمون أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ، ومحكماً ومتشابهاً وخاصاً وعاما؟

قالوا : اللهم نعم .

قال : أشهد عليهم .

ثم قال (ع) : أنشدكم الله هل تعلمون ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، وخاصه وعامه؟

قالوا : اللهم لا .

قال(ع) : أنشدكم الله هل تعلمون أنّي أعلم ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وخاصه وعامه؟

قالوا : اللهم نعم»[5] .

٧ ـ عن الوشاء قال : سألت الإمام الرضا عليه السلام فقلت له : جعلت فداك **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**.

فقال : «نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون»[6] .

---

(١) نهج البلاغة ج ٣١٨/٢ خ ١٤٤ .
(٢) (٣) (٤) أصول الكافي ج ٢١٣/١ .
(٥) البحار ج ١٥/٩٣ .
(٦) أصول الكافي ج٢١٠/١

٨ ـ وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾.
قال : هم الأئمة[١] .

النقطة الثانية :

إعتماد السنّة النبوية الصحيحة :

تمثل السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع المعتمدة عند المسلمين ، وقد أجمعت كلمتهم على ذلك ، كما تؤكد أقوالهم وممارساتهم الاستنباطية . .

إلّا أنّ الجانب الموضوعي في التوافر على السنة النبوية قد لابسته الكثير من التشويشات والإرباكات ، مما انتج لنا كماً كبيراً من المرويات اعتبرت سنّة نبوية معتمدة في فهم الشريعة وأحكامها .

وهذا التشويش والارباك في التعامل مع السنّة النبوية على المستوى الموضوعي كان نتيجة مجموعة عوامل تحدثنا عنها في أحد الفصول السابقة .

ونؤكد هنا على عاملين كان لهما الأثر الكبير في خلق حالة التشويش في السنة النبوية :

العامل الأول :

إعتماد عناصر غير مؤهلة لنقل السنة .

إنّ المقولة التي اعتمدتها مدرسة الخلفاء في توثيق كل الصحابة خلقت حالة من التسيب في اعتماد الوسائط والقنوات التي حملت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله ، فكثرت الرواية عن عناصر غير صالحة ومشكوك في نزاهتها وأمانتها ، وقد ضمت مصادر الحديث أسماء كثيرة تعبّر عن هذا النمط من الرواة المجروحين من أمثال :

ـ مروان بن الحكم .

ـ ومعاوية بن أبي سفيان . .

ـ وعمرو بن العاص . .

ـ وعمران بن حطان الخارجي الذي روى عنه البخاري وأبو داود والنسائي في صحاحهم[٢] .

ـ وعمر بن سعد (قاتل الإمام الحسين(ع)) الذي روى عنه النسائي في صحيحه[٣] .

---

(١) الصافي ج ١٢/١ .

(٢) (٣) العسكري : معالم المدرستين ج ٣٩/٢ .

العامل الثاني :

المنع من كتابة الحديث :

اتجهت مدرسة الخلفاء إلى منع كتابة الحديث النبوي ، معتمدة على بعض الأحاديث المشكوك في صحتها ، كما ورد في صحيح مسلم عن رسول الله (ص) أنّه قال : **«لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»**[1] .

من الشواهد التي تؤكد هذا الموقف الذي تبنته مدرسة الخلفاء :

١ ـ جاء في صحيح البخاري (كتاب العلم باب ٨٢):

«عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبي(ص) وجعه قال :

«ائتوني بكتاب ، اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده .»

قال عمر : إنّ النبي(ص) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا . . فاختلفوا وكثر اللغط ، قال(ص) : **«قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع»** .

فخرج ابن عباس يقول : إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه»[2] .

٢ ـ روى الذهبي في تذكرة الحفاظ (بترجمة أبي بكر) :

«أنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنّكم تحدثون عن رسول الله(ص) أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد إختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله(ص) شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»[3] .

٣ ـ جاء في المستدرك على الصحيحين عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله(ص) فنهتني قريش [يعني المهاجرين] وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله (ص) ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله(ص) فأومأ إلى فيه وقال : **اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا الحق»**[4] .

---

(١) صحيح مسلم ج ٢٢٩٨/٤ .

(٢)صحيح البخاري ج ١١٩/١ حديث ١١٢ .

(٣) معالم المدرستين ج ٤٤/٢ .

(٤) المستدرك ج ١٠٥/١ .

موقف مدرسة أهل البيت (ع) :

وفي اتجاه يهدف إلى الحفاظ على وضع السنة النبوية وحمايتها من كل ألوان التشويش والتحريف ، تحرك الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ليمارسوا دورهم الفاعل في تثبيت الصيغة الأصيلة التي تحتضن المضمون الواقعي لأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وكلماته .

وبمقدار ما نتوافر على هذا المضمون الواقعي ، نكون قد توافرنا على الصورة الأصدق للشريعة الإسلامية وأفكارها وقيمها وتعاليمها وأهدافها ، وحينما يصاب ذلك المضمون بأيّ شكل من أشكال التشويش والتحريف ، فإن الصورة تفقد أصالتها وإشراقها ورونقها وتهتز المعالم الحقيقية في داخلها ، ولعل الكثير من تلك المفارقات والتناقضات التي تحملها بعض المفاهيم والأفكار المطروحة على صعيد الفكر العقائدي والأخلاقي والفقهي ، هي نتيجة طبيعية لحالات التسيب والارتباك في التعاطي مع السنة النبوية . .

من هنا كان التصدي الواضح من قبل قادة أهل البيت عليهم السلام لإعطاء السنة النبوية صيغتها الأصيلة ، ومضمونها الواقعي ، وصورتها النقية ، من خلال مجموعة اجراءات وخطوات تمثل ضمانات كبيرة لحماية الصيغة والحفاظ على المضمون ، والابقاء على الصورة .

ورغم الصعوبات التي كانت تواجه حركة الأئمة(ع) بفعل العوامل السياسية والمذهبية ، إلاّ أنّ الأئمة(ع) استطاعوا أن يحتفظوا بالمعالم الحقيقية للصيغة الأصيلة في زحمة المسارات المتعددة المتباينة ، والرؤى المتناقضة . والصيغ المرتبكة .

ومن أبرز المفردات التي تضمنتها الخطة الهادفة التي وضعها الأئمة(ع) للاحتفاظ بالصيغة الأصيلة للسنة النبوية :

١ ـ التأكيد على الرجوع إلى أئمة أهل البيت باعتبارهم حملة السنة النبوية .

٢ ـ عرض الأحاديث على كتاب الله .

٣ ـ التأكيد على تدوين الحديث وكتابته .

(١) ائمة أهل البيت (ع) حملة السنة النبوية :

الرجوع إلى أئمة أهل البيت(ع) باعتبارهم حملة السنة النبوية يشكل ضمانة هامة في الاحتفاظ بالصيغة الأصيلة ، نظراً لما يتوافرون عليه من خصوصيات لا تتوافر في غيرهم ، وباعتبارهم الوسائط والقنوات الأكثر صدقاً وأمانة ونزاهة ، والأكثر فهماً ووعياً واستيعاباً .

ولتأكيد هذه الحقيقة نتناول النقاط التالية :

ـ المسألة على ضوء الأحاديث النبوية .
ـ المسألة على ضوء أحاديث الأئمة من أهل البيت .
ـ أئمة أهل البيت(ع) لا يفتون الناس بآرائهم .

المسألة على ضوء الأحاديث النبوية :

إنّ مسألة الرجوع إلى أئمة أهل البيت(ع) قضية أكدتها الكثير من النصوص والأحاديث الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وآله فهي تشكل مضموناً تشريعياً مفروضاً تعتمده الصيغة الأصيلة في التعاطي مع مفاهيم الرسالة وأحكامها .

ومن تلك النصوص :

١ ـ حديث الثقلين المشهور بين المسلمين .

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» .

٢ ـ قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»(١) .

٣ ـ قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«أنا دار الحكمة وعلي بابها»(٢) .

٤ ـ قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به»(٣) .

٥ ـ قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :

«أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي»(٤) .

٦ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :

اكتب ما أملي عليك . .

قال علي(ع) : يا نبي الله أتخاف عليّ النسيان؟

قال (ص) : **لست أخاف عليك النسيان ، وقد دعوت الله أن يحفظك ولا ينسيك ولكن اكتب لشركائك .**

---

(١) المستدرك ج ١٢٦/٣ ، ١٢٧ .
(٢) صحيح الترمذي ج ٦٣٧/٥ .
(٣) (٤) سبيل النجاة ص ١٤٦ نقلاً عن عدة مصادر

قال (ع) : ومن شركائي يا نبي الله؟

قال (ص) : الأئمة من ولدك ، بهم تسقى أمتي الغيث وبهم يستجاب دعاؤهم ، وبهم يصرف الله عنهم البلاء وبهم تنزل الرحمة من السماء ، وأومى إلى الحسن(ع) وقال : هذا أولهم ، وأومى إلى الحسين(ع) وقال : الأئمة من ولده»[1] .

المسألة على ضوء أحاديث الأئمة من أهل البيت :

وفي ضوء ما ورد عن أئمة أهل البيت (ع) نجد تأكيداً واضحاً على تلك الخصوصية ، كما تعبر عن ذلك الكثير من النصوص الصادرة عنهم عليهم السلام :

١ ـ فقد جاء عن أمير المؤمنين أنّه قال:

«كنت إذا سألت رسول الله (ص) أجابني ، وإن فنيت مسائلي ابتدأني ، فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ، ولا سماء ولا أرض ، ولا دنيا ولا آخره ، ولا جنة ولا نار ، ولا سهل ولا جبل ، ولا ضياء ولا ظلمة إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ ، وكتبتها بيدي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، وكيف نزلت وأين نزلت وفيمن نزلت إلى يوم القيامة دعا الله لي أن يعطيني فهماً وحفظاً فما نسيت آية من كتاب الله»[2] .

٢ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الله علم رسوله الحلال والحرام والتأويل وعلم رسول الله علمه كله علياً»[3] .

٣ ـ وعنه عليه السلام قال :

«إنّ الله تعالى علم رسول الله القرآن وعلمه شيئاً سوى ذلك ، فما علم الله رسوله فقد علم رسوله علياً»[4] .

٤ ـ وعنه الإمام الباقر (ع) قال :

«نحن خزان علم الله ، ونحن تراجمة وحي الله ، ونحن الحجة البالغة»[5] .

٥ ـ وعنه الإمام الصادق (ع) قال :

«فنحن حجج الله في عباده ، وخزانه على علمه والقائمون بذلك»[6] .

---

(١) أمالي الصدوق ص ٣٢٧ .

(٢) (٣) (٤) معالم المدرستين ج ٢/٣٠٣ـ ٣٠٤ .

(٥) (٦) أصول الكافي ج ١/١٩٢ ، ١٩٣ .

ائمة أهل البيت (ع) لا يفتون الناس بآرائهم :

وردت عن الأئمة من أهل البيت (ع) مجموعة كبيرة من النصوص تؤكد أنهم لا يعتمدون «الرأي» فيما يصدر عنهم من أحكام، وإنّما يستندون في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله .

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (ص) وحديث رسول الله (ص) قول الله عز وجل»[1] .

٢ ـ عن قتيبة قال : سأل رجل أبا عبدالله [الصادق] عن مسألة فأجابه فيها ، فقال الرجل : أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها»؟

فقال (ع) له : مه ، ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله (ص) ، لسنا من (أرأيت) في شيء»[2] .

٣ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام :

«لو أنّا حدثنا برأينا ضللنا ، كما ضلّ من كان قبلنا ولكنا حدثنا ببينةٍ من ربنا بيّنها لنبيه فبينها لنا»[3] .

٤ ـ وقال الامام الصادق عليه السلام :

«إنّا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنها آثار من رسول الله (ص) أصل علم نتوارثها كابر عن كابر، نكتنزها كما يكتنز الناس ذهبهم وفضتهم»[4].

٥ ـ عن سماعة عن أبي الحسن عليه السلام ، قال : قلت له كل شيء تقول به في كتاب الله وسنّة نبيه أو تقولون فيه برأيكم؟ قال : بل كل شيء نقوله في كتاب الله وسنّة نبيه»[5].

(٢) عرض الأحاديث على كتاب الله :

يشكّل هذا الاجراء ضابطاً علمياً لتمييز الحديث ، فمن خلاله يتم التقويم والرفض ، والقبول ، وقد حرص الأئمة من أهل البيت (ع) على تأصيل هذا الضابط ضمن الخطة المعتمدة للحفاظ على مسار السنّة النبوية، وحمايتها من كل ألوان التدليس والتزوير والتحريف .

---

(١) (٢) أصول الكافي ج ٥٣/١ ، ٥٨

(٣) (٤) (٥) معالم المدرستين ج ٣٠٢/٢ .

ويمكن التوافر على مجموعة من النصوص الصادرة عن أئمة أهل البيت (ع) تمثل أدلة صالحة لتأصيل هذه القاعدة في التعامل مع الأحاديث والروايات :

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»[1] .

٢ ـ وقال عليه السلام :

«إنّ على كل حق حقيقه ، وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه»[2].

٣ ـ وقال عليه السلام :

«كل شيء مردود إلى الكتاب والسنّة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[3].

٤ ـ وقال عليه السلام :

«خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال : أيّها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله»[4].

٥ ـ وقال عليه السلام :

« إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإلاّ فالذي جاءكم به أولى به»[5] .

٦ - وقال عليه السلام :

« إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فردوه»[6] .

٧ - وقال الإمام الباقر عليه السلام :

« انظروا أمرنا وما جاءكم عنا فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به ، وإن لم تجدوه موافقاً فردوه ، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده وردوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا»[7] .

٨ - وقال الإمام الرضا عليه السلام :

«ما جاءك عنا فقس على كتاب الله عز وجل وأحاديثنا ، فإن يشبهها فهو منا ، وإن لم يكن يشبهها فليس منا»[8] .

---

(١) الوسائل ج ٧٨/١٨ .

(٢) (٣) (٤) أصول الكافي ج ٦٩/١ .

(٥) أصول الكافي ج٦٩/١

(٦) (٧) (٨) الوسائل ج٨٤/١٨ ، ٨٦ ، ٨٧

(٣) التأكيد على تدوين الحديث وكتابته :

اتجهت مدرسة أهل البيت (ع) الى رفض الحالة التي تبنتها مدرسة الخلفاء في المنع من كتابة الحديث وتدوينه باعتبار أن هذه الحالة تشكل عاملاً خطيراً في تشويش النصوص والأحاديث ، فالذاكرة غير مؤتمنة دائماً في الاحتفاظ بسلامة النص . .

ويمكن أن نتبين موقف الأئمة من خلال النقاط التالية :
- الإمام أمير المؤمنين وتدوين الحديث . .
- أئمة أهل البيت يؤكدون على الكتابة . .
- الممارسة التدوينية عند أتباع مدرسة أهل البيت . .

الإمام أمير المؤمنين وتدوين الحديث :

لقد مارس الإمام أمير المؤمنين (ع) تدوين الحديث النبوي في عصر الرسالة ، وقد تقدمت الرواية التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « **اكتب ما أملي عليك** » فكتب علي (ع) وأملاه الرسول (ص) .
وتحتفظ مدرسة أهل البيت بكتاب اسمه «الجامعة» وهو بخط أمير المؤمنين (ع) وإملاء رسول الله (ص) وتعتبر « الجامعة» أول كتاب جمع فيه العلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .
ونجد في أحاديث الأئمة من أهل البيت عليهم السلام تنويهاً صريحاً بهذا الكتاب . .

أ - قال الامام الصادق عليه السلام :
« إنّ عندنا لصحيفة يقال لها الجامعة ما من حلال ولا حرام إلاّ هو فيها حتى أرش الخدش »[1] .

ب - وقال عليه السلام :
« إنّ عندنا لصحيفة سبعين ذراع إملاء رسول الله (ص) وخط علي بيده ، ما من حلال ولا حرام إلاّ وهو فيها حتى أرش الخدش »[2] .

ج - وقال عليه السلام يتحدث عن الجامعة :
« فيها كل ما يحتاج اليه الناس ، وليس قضية إلاّ وهي فيها حتى أرش الخدش »[3] .

---

(١) (٢) (٣) معالم المدرستين ج٢/٣١١

د - وقال عليه السلام :

« ضل علم ابن شبرمة عند الجامعة ، إملاء رسول الله (ص) وخط علي (ع) بيده ، إنّ الجامعة لم تدع لأحد كلاماً فيها علم الحلال والحرام ، إنّ أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلاّ بعداً ، إنّ دين الله لا يصاب بالقياس »[1] .

ائمة أهل البيت يؤكدون على الكتابة :

آ - قال الإمام الصادق عليه السلام :

«القلب يتكل على الكتابة »[2] .

ب - وقال عليه السلام :

« اكتبو فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا »[3] .

ج - وقال عليه السلام للمفضل بن عمر :

« اكتب وبث علمك في إخوانك ، فإن مت فأورث كتبك بنيك ، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلاّ بكتبهم »[4] .

الممارسة التدوينية عند أتباع مدرسة أهل البيت :

إنّ تنشيط الحركة التدوينية الذي مارسته مدرسة الأئمة من أهل البيت (ع) أنتج مبادرات جادة لدى أتباعهم في مجالات الكتابة والتدوين .

ولست هنا في مقام الرصد والاستقصاء لتلك المساهمات التدوينية الرائدة لاتباع مدرسة أهل البيت في شتى المجالات الإسلامية ، فذلك متروك للموسوعات التي تعنى بهذا الجانب ، وإنّما أحاول إعطاء أمثلة تؤكد الممارسة التدوينية التي تبنتها مدرسة أهل البيت في مقابل حركة التجميد للفعاليات التدوينية في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الأمة . .

اولاً : في مجال الحديث :

ويبرز في هذا المجال عدة من رجالات الشيعة وأتباع مدرسة أهل البيت ، ساهموا مساهمات واضحة في تدوين الحديث وترتيب أبوابه ، ومعالجة طرقه واسناده ، وتأصيل قواعده ومرتكزاته ، وكانوا روّاداً في هذا الباب .

---

(١) أصول الكافي ج١/٥٧

(٢) (٣) (٤) أصول الكافي ج١/٥٢

ومن الأمثلة التي يمكن أن نستشهد بها :

١ - أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله :

من المسلمين الأوائل ، أسلم في مكة وهاجر إلى المدينة ، وشهد مع النبي (ص) مواقفه ومشاهده ، ولزم من بعده أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان من خيرة أصحابه وأتباعه ، وشهد معه حروبه ، وكان صاحب بيت ماله في الكوفة .

ويعد أبو رافع أول من جمع الحديث ورتب أبوابه وكان له «كتاب السنن والأحكام والقضايا» كما ذكر النجاشي في كتاب «فهرس أسماء المصنفين من الشيعة»[١] . .

٢ - سليم بن قيس الهلالي :

وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وقد دوّن كتاباً ضمّ ما رواه عن رسول الله (ص) وعن أمير المؤمنين (ع) قال النعماني في كتاب الغيبة :

«إنّ كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم حملة حديث أهل البيت (ع) وأقدمها وإنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنّما هو عن رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله (ص) وأمير المؤمنين وسمع منهما»[٢] .

ثالثاً : في مجال الفقه :

إذا كانت مرحلة التدوين عند اتباع مدرسة الخلفاء قد بدأت على رأس المائة من الهجرة حينما أمر عمر بن عبد العزيز ، ابن شهاب الزهري ، أن يدوّن الحديث ، فإنّ الممارسة التدوينية لدى أتباع مدرسة أهل البيت قد سبقت ذلك بكثير ، وقد أخطأ السيوطي حينما اعتبر أبا حنيفة أول من صنف في الفقه ، حيث أنّ أمير المؤمنين وعدداً من أتباع مدرسة أهل البيت قد مارسوا التدوين في مجالات الحديث والفقه والتفسير في مرحلة مبكرة جداً .

إنّ أول من صنف في علم الفقه ورتب أبوابه هو « علي بن أبي رافع » وكان من خيار الشيعة وكاتباً لأمير المؤمنين(ع) ، جمع كتاباً في فنون الفقه : الوضوء والصلاة وسائر الأبواب[٣] . .

---

(١) الشيعة وفنون الإسلام ص٥٤

(٢) الخوئي : معجم رجال الحديث ج٨/٢١٩

(٣) الشيعة وفنون الإسلام ص٦٠

ثالثاً : في مجال التفسير وعلوم القرآن :

تعد النتاجات التفسيرية والقرآنية التي صدرت عن رجالات الشيعة ، هي المبادرات التدوينية الرائدة في هذا المجال ، حيث أنّ ممارسة أمير المؤمنين (ع) في تدوين العلوم التفسيرية والقرآنية قد حفّزت اتباع مدرسة الأئمة من أهل البيت على المساهمة الجادة في إبراز نتاجات علمية لها قيمتها الكبيرة في تاريخ الفكر القرآني .

ومن الشواهد على ذلك :

١ - مشاهير المفسرين وأئمة علم القرآن هم من أتباع مدرسة أهل البيت :

أ - عبد الله بن عباس حبر الأمة .

ب - جابر بن عبد الله الأنصاري .

ج - أبي بن كعب سيد القراء .

د - سعيد بن جبير أعلم التابعين بالتفسير .

هـ - جابر بن يزيد الجعفي كان إماماً في التفسير أخذه عن الإمام الباقر عليه السلام .

٢ - أول من وضع نقاط المصحف وأعربه وحفظه عن التحريف هو «أبو الأسود الدؤلي» وكان من أصحاب أمير المؤمنين (ع) [1] .

٣ - أول من صنف في «فضائل القرآن» أبي بن كعب الأنصاري [2] .

٤ - أول من صنف في «أحكام القرآن» محمد بن السائب الكلبي وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام [3] .

٥ - أول من دوّن علم القراءة أبان بن تغلب من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام [4] .

النقطة الثالثة :

ـ اعتماد سنة الأئمة من أهل البيت :

التأكيد على «سنة أهل البيت» لا يعني إعطاء مصدر متمايز عن «سنة الرسول (ص)» وإنّما هو تثبيت للحالة التجسيدية الأصيلة لحركة السنة النبوية ، وبمعنى آخر إنّ كل ما يصدر عن أئمة أهل البيت من أقوال وأفعال وتقريرات ، يجسد الحالة التطبيقية الأمينة للسنة

---

(١) (٢) (٣) (٤) يقرأ : الشيعة وفنون الإسلام ص٢٧ -٣٤

النبوية المباركة ، وفي ما عرضنا له من نصوص تحت عنوان « أئمة أهل البيت لا يفتون الناس بآرائهم » يؤكد هذا المضمون . . .

الأدلة على حجية سنة أهل البيت (ع) :

تناول الباحثون من علماء الشيعة هذه المسألة في دراساتهم الأصولية المقارنة ، وعالجوها معالجة علمية مستوفية من خلال ما عرضوا له من أدلة قرآنية ونبوية وعقلية ، بإمكان الدارسين الرجوع اليها في الكتب الإستدلالية المفصلة .

وأكتفي هنا بالإشارة الى نماذج من تلك الأدلة ، معتمدا اسلوب الايجاز والتبسيط بما ينسجم مع مستوى هذا البحث وأهدافه . .

الدليل الاول :

آية التطهير (الآية ٣٣ من سورة الأحزاب) :

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾

وتقريب الإستدلال بهذه الآية على حجية «سنة أهل البيت» يعتمد مقدمتين :

المقدمة الاولى:

تحديد المراد من « أهل البيت » :

ولعل الرجوع الى المصادر التي بينت أسباب نزول هذه الآية يكفينا مؤنة البحث في هذه المقدمة ، وقد مرت الإشارة في فصل سابق إلى أنّ الآية نزلت في خمسة :

- رسول الله صلى الله عليه وآله .
- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)
- فاطمة الزهراء (ع)
- الحسن والحسين (ع) .

يقرأ :

أ - صحيح مسلم ج٤/١٨٨٣ حديث ٢٤٢٤ .
كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أهل البيت .

ب - صحيح الترمذي ج٥/٣٥١ ، ٣٥٢ حديث ٣٢٠٥ ، ٣٢٠٦ .
كتاب تفسير القرآن .

ج - مسند أحمد بن حنبل :
ج١/٣٣١ «حديث ابن عباس»

ج٣/٢٥٩ ، ٢٨٥ «حديث أنس بن مالك»
ج٤/١٠٧ «حديث واثلة بن الاسقع»
ج٦/٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ «حديث أم سلمة»
د - المستدرك على الصحيحين : ج٣/١٤٦ ، ١٤٧ كتاب معرفة الصحابة .

المقدمة الثانية :

دلالة الآية على عصمة أهل البيت عليهم السلام : وقد عالجنا هذا الجانب في القسم الأول من هذا الكتاب ، الفصل الثالث ، المنظومة الثانية ، حيث تناولنا فهمنا للنص ودلالته الصريحة على عصمة أهل البيت عليهم السلام فيمكن للقارىء الرجوع الى ما أوضحناه هناك .

النتيجة :

إذا ثبتت «العصمة» لأهل البيت ، ثبتت «الحجية» لكل ما يصدر عنهم من قول أو فعل أو تقرير .

الدليل الثاني :

آية أولي الأمر (الآية ٥٩ من سورة النساء) :
﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ .
وتقريب الأستدلال بهذا النص على حجية «سنة أهل البيت» يتم من خلال النقاط التالية :

١ - المراد من «أولي الأمر» في هذا النص هم «علي والأئمة من ذريته» كما أكدت ذلك الكثير من المصادر التي تناولت أسباب النزول ، فراجع .

٢ - الآية تدل صراحة على وجوب الطاعة لله تعالى ، وللرسول صلى الله عليه وآله ولأولي الأمر .

٣ - وجوب الطاعة مساوق «للحجية» فكل ما يصدر عن الله تعالى ، والرسول (ص) والأئمة من أهل البيت (ع) فهو حجة وواجب الاتباع .

الدليل الثالث :

حديث الثقلين :
قول الرسول صلى الله عليه وآله :
« إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ».

وتقريب الاستدلال بهذا النص يتم من خلال النقاط التالية :

١ - الإقتران والتلازم بين القرآن والعترة :

أ - القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فالعترة من أهل البيت كذلك ، وإلاّ صدق الإفتراق المنفي في الحديث بدلالة «لن» التأبيدية ، وعبارة «حتى يردا عليّ الحوض» . ثم إنّ القول بتجويز الإفتراق بين الكتاب والعترة ، بمخالفتهم للكتاب ، وصدور الذنب منهم فيه تجويز الكذب على الرسول صلى الله عليه وآله الذي أخبر عن الله عز وجل بعدم وقوع الإفتراق[1] . .

ب - القرآن مصدر لأحكام الله تعالى ، فوجب أن تكون العترة كذلك ، بملاك التلازم والإقتران .

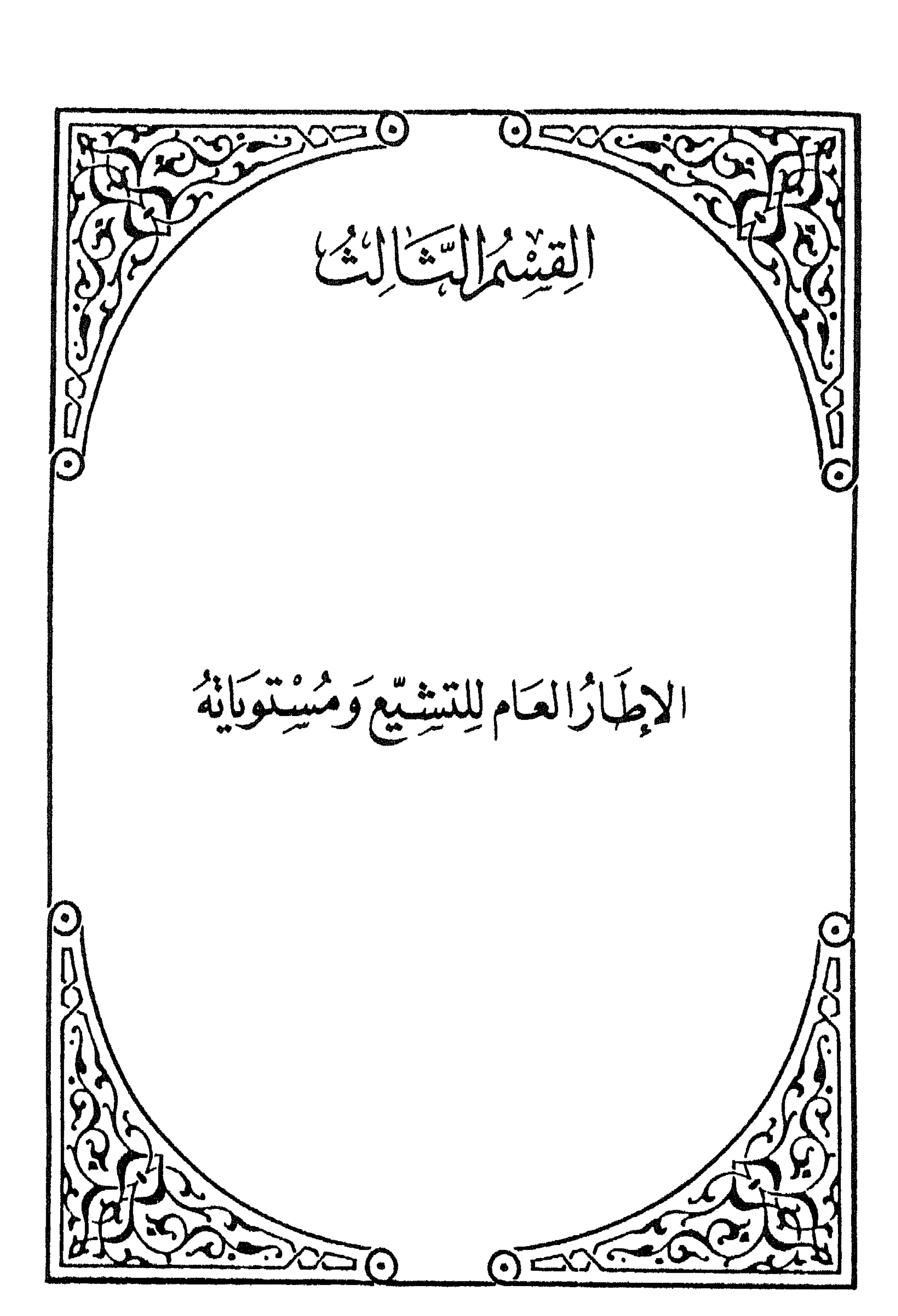
٢ - التمسك بالكتاب والعترة عاصم من الضلال .

أ - ولا يكون كذلك إلاّ من يكون حجة بين الخالق والعباد .

ب - التمسك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه ، فكذلك التمسك بالعترة من أهل البيت . . .

---

(١) محمد تقي الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ص١٦٧



القسم الثالث

الإطار العام للتشيّع ومستوياته



التشيع تجسيد للصيغة الأصيلة :

يمثل التشيع في إطاره العام الحالة التجسيدية للصيغة التى عمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على تأصيلها في واقع الأمة ، تلك الصيغة التي توافرت على كل المكونات الأساسية في المضمون الأسلامي الأصيل .

وقد تناولنا في القسم الثاني دور الأئمة من أهل البيت في الحفاظ على الصيغة الأصيلة لحركة الرسالة في أفكارها وقيمها وتشريعاتها من خلال الجهود الكبيرة التي بذلوها في مواجهة حالات التحريف والتغيير الطارئة .

وفي القسم الثالث نحاول تناول الحالة التجسيدية المتحركة في داخل الأمة في ظل التوجيهات الفكرية والعملية التي مارسها القادة من أهل البيت عليهم السّلام وأنتجوا من خلالها مساراً أصيلاً له مقوماته وخصوصياته ومعالمه وأهدافه .

والحالة التجسيدية التي صاغها الأئمة (ع) في داخل الأمة هي تعبير صادق للواقع الأصيل للحالة الأسلامية كما يفهمها ويعيشها الأئمة من أهل البيت (ع) ، فالإنتماء الى خط الأئمة (ع) هو تجسيد عملي لحالة الإنتماء للإسلام في منطلقاته ومساراته وغاياته الأصيلة .

وبمقدار ما نستوعب ونجسّد المضامين التي عمل الأئمة من أهل البيت(ع) على تأصيلها وتحريكها في واقع الحياة الإسلامية ، نكون قد استوعبنا وجسدنا مضامين الرسالة على كل المستويات العقائدية والروحية والسياسية والاجتماعية والتشريعية .

وقد أوضحنا في فهمنا للحالة الشيعية أنّها تجسيد لمبدأ الإمامة بكل ما يحمله من دلالات فكرية وعملية تعطي للحالة مصداقيتها المتميزة عقائدياً وروحياً وفقهياً . وهنا في هذا القسم نعالج أبرز المستويات التي تكوّن المقومات الأساسية للحالة الشيعية .

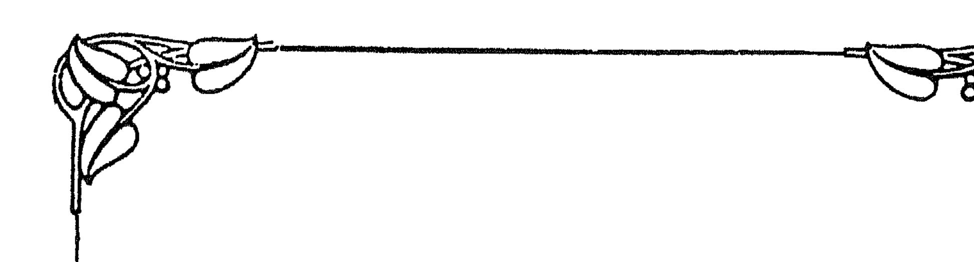
ونتناول ثلاثة مستويات رئيسية :

١ - المستوى العقائدي .

٢ - المستوى الروحي .

٣ - المستوى العملي .

ومن خلال هذه المستويات الثلاثة سوف نبرز مدى التجسيد للصيغة الأصيلة الذي تعبر عنه الحالة الشيعية في أفكارها وأخلاقياتها والتزاماتها . . .



المُستوياتُ العامّة

- الفصل الاول : المستوى العقائدي
- الفصل الثاني : المستوى الروحي .
- الفصل الثالث : المستوى العملي .







- المبحث الاول : المستوى العقائدي العام .
- المبحث الثاني : المستوى العقائدي الخاص .





المبحث الأول

المستوى العقائدي العام

« الأصول العقائدية العامة »

- الأصل الأول : التوحيد
- الأصل الثاني : النبوة
- الأصل الثالث : المعاد



الأصْلُ العَقَائِديّ الأوّل

التوحيد

تتكون العقيدة الإيمانية بالله تعالى من ثلاثة عناصر رئيسية :

- التوحيد الإلهي
- الكمال الإلهي
- العدل الإلهي

العنصر الاول:

التوحيد الالهي :

التوحيد هو «القاعدة الأولى» التي ترتسي عليها :

١ - الصيغة الإلهية التي تتناول كل مفاهيم الحياة وقيمها .
٢ - البُنية الإيمانية بكل محتوياتها العقائدية والفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية .
٣ - الحالة الإسلامية في كل منطلقاتها ومنابعها ومناهجها وأهدافها . .

فمن خلال «القاعدة التوحيدية» تتحدد كل المعالم الأصيلة للصيغة الأسلامية التي توجّه كل المسارات المتعددة لحركة الحياة والإنسان .

وليس من أهداف البحث هنا معالجة الجنبة الإثباتية الإستدلالية للمبدأ التوحيدي ، فذلك متروك للدراسات الفلسفية والكلامية ، وإنما أردنا الإشارة إلى أساسية هذا المبدأ في التكوينية الإيمانية والصيغة الإسلامية .

عقيدة الشيعة في التوحيد :

يمثل «التوحيد» الأصل الأول في المنظومة العقائدية الشيعية ، كما تؤكد ذلك كتب العقيدة المعتمدة عندهم ، ويمكن أن نستشهد ببعض النصوص المدونة في أهم مصادرهم :

(١) قال ابن بابويه القمي في كتابه (عقائد الشيعة) :

«إعتقادنا بالتوحيد : أنّ الله تعالى واحد ليس مثله شيء ، قديم لم يزل ولا يزال سميعاً بصيراً حكيماً حياً عزيزاً قدوساً عالماً قادراً لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ، خارج عن الحدين حد الإبطال وحد التشبيه»[1] .

(٢) وقال الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات) :

«إنّ الله واحد في الالهية والأزلية لا يشبهه شيء ولا يجوز أن يماثله شيء ، وإنّه فرد في المعبودية لا ثاني له فيها على الوجوه كلها والأسباب ، وعلى هذا إجماع أهل التوحيد إلاّ من شذ من أهل التشبيه»[2] .

(٣) وقال العلامة الحلي في كتابه (نهج الحق وكشف الصدق) :

«وقول الإمامية في التوحيد يضاهي قولهم في العدل فإنهم يقولون : إنّ الله عز وجل واحد لا قديم سواه ، ولا إله غيره ، ولا يشبه الأشياء ، ولا يجوز عليه ما يصح عليها من التحرك والسكون ، وأنّه لم يزل ولا يزال حياً قادراً عالماً مدركاً» . . .[3] .

(٤) وقال الشيخ المظفر في كتابه (عقائد الإمامية) :

«ونعتقد أنه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات : فكما يجب توحيده في الذات ونعتقد أنه واحد في ذاته ووجوب وجوده .

كذلك يجب ـ ثانيا ـ توحيده في الصفات ، وذلك بالإعتقاد بأنّ صفاته عين ذاته كما سيأتي بيان ذلك ، وبالاعتقاد بأنّه لا شبه له في صفاته الذاتية ، فهو في العلم والقدرة لا نظير له وفي الخلق والرزق لا شريك له ، وفي كل كمال لا ند له .

وكذلك يجب ـ ثالثاً ـ توحيده في العبادة فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه ، وكذلك إشراكه في العبادة في أي نوع من أنواع العبادة ، واجبة أو غير واجبة ، في الصلاة أو في غيرها من العبادات ، ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك كمن يرائي في عبادته ويتقرب إلى غير الله تعالى وحكمه حكم من يعبد الأصنام والأوثان لا فرق بينهما»[4] .

---

(١) يقرأ : الوائلي : هوية التشيع ص ١٢٥ .

(٢) المفيد : أوائل المقالات ص٥٦ .

(٣) نهج الحق ص٧٧ .

(٤) عقائد الإمامية ص٧١ .

زيارة القبور ظاهرة مشروعة :

تثار بعض الإشكالات حول الظاهرة التي يمارسها قسم كبير من المسلمين والمتمثلة في «زيارة قبور الأولياء والصالحين» باعتبارها حالة من حالات الشرك ولوناً من ألوان التقرب لغير الله تعالى ، وبالتالي فهي ظاهرة تتنافى مع «عقيدة التوحيد» .

ولنا حول هذه المقولة عدة ملاحظات :

الملاحظة الاولى :

النصوص الإسلامية تؤكّد مشروعية هذا اللون من الممارسة .

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«زوروا القبور فإنّها تذكركم الآخرة»[١] .

ب - وعن عائشة : أنّ رسول الله (ص) رخص في زيارة القبور[٢] .

ج - وعن أبي هريرة أنّ النبي (ص) قال :

«فزوروا القبور فإنّها تذكر الموت»[٣] .

د - وعن ابن بريده عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) :

«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»[٤] .

هـ - وعن بريدة قال : قال رسول الله (ص) :

«قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فقد اذن لمحمد في زيارة قبر أمه ، فزوروها فإنّها تذكّر الآخرة»[٥] .

الملاحظة الثانية :

السيرة العملية تؤكّد المشروعية :

ومن الشواهد على ذلك :

أ - زيارة الرسول (ص) لقبر أمه آمنة . . . .

ذكر ذلك :

- مسلم في صحيحه ج٢/٦٧١ كتاب الجنائز .
- الترمذي في صحيحه ج٣/٣٧٠ كتاب الجنائز .
- ابن ماجة في سننه ج١/٥٠١ كتاب الجنائز .

---

(١) سنن ابن ماجه ج١/٥٠٠ .
(٢) سنن ابن ماجه ج١/٥٠٠ .
(٣) (٤) صحيح مسلم ج٢/٦٧١ - ٦٧٢ .
(٥) صحيح الترمذي ج٣/٣٧٠ .

ب - زيارة الرسول (ص) لقبور البقيع :
ذكر ذلك :
- مسلم في صحيحه ج٢/٦٦٩ - ٦٧١
- الترمذي في صحيحه ج٣/٣٦٩

الملاحظة الثالثة :

المعطيات الكبيرة لزيارة القبور :
أولاً : المعطيات العقائدية :
- الإنشداد إلى الله تعالى . . .
- الإذعان إلى الإرادة الالهية القاهرة والتسليم بحتمية الموت . . .
- الإرتباط بعقيدة البعث واليوم الآخر .
- ترسيخ الحالة الإيمانية من خلال التعاطي مع خط الأولياء .
ثانياً : المعطيات التربوية :
- الموت خير واعظ . .
قال الرسول (ص) :
«أكثروا من ذكر هادم اللذات» .
وقال أمير المؤمنين (ص) :
«أوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه»
- زيارة القبور تذكّر بالآخرة وتزهد في الدنيا .
قال رسول الله (ص) :
«زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» .
وقال (ص) :
«زوروها فإنّها تزهد في الدنيا وتذكركم بالآخرة» .
- زيارة قبور الأنبياء والأوصياء والصلحاء تملأ وعي الإنسان ووجدانه ومشاعره بفيض من قيم الخير والفضيلة والهدى والصلاح .
ثالثا : المعطيات التاريخية :
من القبور ما يمثل مَعْلماً من معالم الرسالة وشاهداً من شواهد المسيرة ، ووثيقة من وثائق التاريخ .
فزيارة الرسول (ص) تفتح ذاكرة الإنسان المسلم على تاريخ الرسالة بكل ما يزخر به من مواقف ووقائع وأحداث .
وزيارة أئمة المسلمين (ع) تعود بوعي الأمة الى المنطلقات التاريخية الأصيلة في المسيرة الإسلامية .

وزيارة شخصيات الرسالة ورموز الدعوة وقمم العقيدة تعمق الأصالة التاريخية في حس الأمة .

فالمسألة ليست حالة من التعاطي الجامد مع كتل من الحجارة والتراب ، وإنّما هي صيغة واعية من صيغ التعامل مع العمق التاريخي في حركة الأمة .

رابعاً : المعطيات الجهادية والسياسية :

- استلهام المواقف الجهادية الفاعلة في تاريخ الرسالة .
- التعاطي مع القيم الرسالية المتحركة .
- الإدانة العملية للسّياسات الظالمة في تاريخ الأمة .
- الحفاظ على ديمومة العطاء الثوري لدماء الشهداء .
- تأصيل الولاء والحب لرموز المسيرة .

موقف الشيعة من ظاهرة الغلو :

تجسيداً للصيغة التوحيدية الأصيلة وانسجاماً مع موقف الأئمة من أهل البيت (ع) الرافض لظاهرة الغلو فقد عبر الشيعة من خلال فتاوى فقهائهم عن حالة البراءة والتكفير للغلاة .

ونضع بين يدي القارىء طائفة من تلك الفتاوى :

١ - قال الشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبري (من كبار فقهاء الشيعة) :

«والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام الى الالوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا ما تجاوزوا فيه الحد ، وخرجوا عن القصد ، وهم ضلّال كفار ، حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار وقضت الأئمة (ع) عليهم بالاكفار والخروج عن الإسلام»[1] .

٢ - وقال الشهيدان في اللمعة الدمشقية وشرحها :

«والمسلمون من صلى إلى القبلة إلّا الخوارج والغلاة فلا يدخلون في مفهوم الإسلام وإن صلوا إليها للحكم بكفرهم»[2] .

٣ - وقال السيد اليزدي في العروة الوثقى : (ج١/٦٨) :

لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب[3] .

---

(١) المفيد : تصحيح الاعتقاد ص٢٣٨ .
(٢) اللمعة الدمشقية ج٣/ ١٨٠ «كتاب الوقف» .
(٣) فصل النجاسات ج ١ /٦٨ .

٤ - وقال السيد الخوئي في منهاج الصالحين (ج١/١٠٩) :
«الكافر : وهو من لم ينتحل ديناً أو انتحل ديناً غير الإسلام ، أو انتحل الإسلام وجحد ما يعلم أنّه من الدين الإسلامي بحيث رجع جحده إلى إنكار الرسالة ، نعم إنكار المعاد يوجب الكفر مطلقاً ، ولا فرق بين المرتد والكافر الأصلي ، والحربي ، والذمي ، والخارجي ، والغالي ، والناصب» .
٥ - وقال السيد الخميني في تحرير الوسيلة (ج١/١١٨) :
«وأما الغالي فإنّ كان غلّوه مستلزماً لإنكار الألوهية أو التوحيد أو النبوة فهو كافر» .

مؤلفات الشيعة في الرد على الغلاة :

تصدى علماء الشيعة للرد على الغلاة ، وألّفوا الكتب والرسائل في دحض إفترائاتهم ، ومزاعمهم الباطلة وأقاويلهم الضالة :
وهذه نماذج من تلك المؤلفات كما أوردها الشيخ عبد الله نعمة في كتابه «روح التشيع ص١٠٠» :

١ - كتاب الرد على الغلاة ليونس بن عبد الرحمن (ت٢٠٨هـ) .
٢ - الرد على الغلاة لعلي بن مهزيار (كان حياً سنة ٢٢٩) .
٣ - الرد على الغالية للفضل بن شاذان (ت ٢٦٠هـ) .
٤ - الرد على الغلاة لمحمد بن الحسن الصغار (ت ٢٩٠ هـ) .
٥ - كتاب الرد على الغالية للحسن بن علي بن فضالّ (ت ٢٢٤ هـ) .
٦ - الرد على الغلاة لسعد بن عبيد الله الاشعري القمي (ت ٣٠١ هـ) .
٧ - كتاب الرد على الغلاة لاسماعيل بن علي النوبختي (ت ٣١١ هـ) .
٨ - كتاب الرد على الغلاة لاسحاق بن الحسن بن بكر (ت ٤١١ هـ) .
٩ - الرد على الغلاة لأبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي (ت ٤٤٩ هـ) .
١٠ - الرد على الغلاة لمحمد بن الحسن بن حمزه الجعفري (ت ٤٦٣ هـ) .

العنصر الثاني :

الكمال الإلهي :

من خلال النظرة التأملية في الكون تتجلى مظاهر الإبداع والإتقان ، والحكمة ، والتدبير ، والترابط والتناسق ، والقدرة والهيمنة ، والإرادة والإختيار .

وهذه المعطيات الكونية المبثوثة في كل ذرة من هذا الوجود تبرهن بوضوح على «الكمال المطلق لخالق الكون والحياة» .

- فما في نظام الكون من دقة وإبداع يكشف عن العلم والحكمة .
- وما في أعماقه من طاقات يدلل على القدرة والسيطرة .
- وما في أشكاله من ألوان الحياة ودرجات الأدراك العقلي والحسي يدل على ما يتمتع به الصانع من حياة وإدراك .
- ووحدة الخطة والبناء في تصميم هذا الكون ، والترابط الوثيق بين مختلف جوانبه تشير إلى وحدة الخالق ووحدة الخبرة التي انبثق عنها هذا الكون الكبير[1] .

الصفات الإلهية :

يقسم علماء الكلام صفات الله إلى قسمين[2] :

(القسم الأول) الصفات الثبوتية : وهي على نحوين :

(١) الصفات الثبوتية الحقيقية (صفات الكمال والجمال) :

مثل : العلم والقدرة ، والغنى ، والإرادة ، والحياة . . .

(٢) الصفات الثبوتية الإضافية :

مثل : الخالقية ، الرازقية ، العلية . . . .

(القسم الثاني) الصفات السلبية (صفات الجلال) :

مثل : سلب الجسمية ، سلب الصورة ، سلب الحركة ، سلب كل النواقص .

---

(١) الشهيد الصدر : المرسل الرسول الرسالة ص٥٩ .

(٢) يقرأ : المظفر : عقائد الإمامية ص٧٣-٧٤ .

العنصر الثالث :

العدل الإلهي :

يتضمن هذا العنصر عدة مفردات أساسية منها :

المفردة الأولى :

الأفعال الإلهية مطابقة للحكمة والصواب :

قال العلامة الحلي في كتابه (نهج الحق وكشف الصدق ص٧٣) :
«وقالت الإمامية ومتابعوهم من المعتزلة : إنّ جميع أفعال الله تعالى حكمة وصواب ، ليس فيها ظلم ولا جور ولا كذب ولا عبث ولا فاحشة ، والفواحش ، والقبائح والكذب والجهل من أفعال العباد والله تعالى منزه عنها وبريء منها» .

المفردة الثانية:

التكاليف الإلهية ليست خارجة عن حدود الطاقة البشرية ·

فما صدر عن الله تعالى من أحكام وتكاليف تقع ضمن دائرة القدرة البشرية ، لأنّ التكليف بما لا يطاق قبيح عقلاً فلا يصدر عن المشرع الحكيم العادل .
قال العلامة الحلي في (نهج الحق ص٧٥) :
«وقالت الإمامية : إنّ الله سبحانه لم يكلف أحداً فوق طاقته» .
وفي الحالات التي تنتفي القدرة التكوينية على الإمتثال يتجمد التكليف الشرعي ، كما في الأمثلة الفقهية التالية :
١ - في حال فقد القدرة على القيام في الصلاة ، يسقط التكليف المتمثل في وجوب القيام فتؤدى الصلاة من جلوس .
٢ - في حال فقد القدرة على الصيام يسقط التكليف الفعلي بأداء الصيام .
٣ - في حالة فقد القدرة على اجتناب «المنهي عنه شرعاً» يسقط هذا التكليف .
وقد نصّ الفقهاء على إعتبار «القدرة» شرطاً من شروط التكليف العامة . . .
ذكر الشهيد السيد محمد باقر الصدر في (الفتاوي الواضحة ص١٢٥ - ١٢٧) أنّ للتكليف شروطاً عامة هي :
«أولاً : البلوغ فلا يتجه التكليف إلى الإنسان ـ رجلاً كان أو إمرأة ـ إلاّ إذا بلغ . .

فغير البالغ ليس بمكلف ، ونعني بذلك أنّ جانب الإلزام والمسؤولية الأخروية ـ العقاب في الآخرة ـ من أحكام الله تعالى لا يثبت بشأن الإنسان غير البالغ . .

ثانياً : العقل ونقصد به أن يكون لديه من الرشد ما يمكن أن يعي به كونه مكلفاً ويحس بمسؤولية تجاه ذلك فلا تكليف للمجنون أو الأبله الذي لا يدرك الواضحات لبلاهته وقصور عقله .

ثالثاً : القدرة ، قال الله سبحانه وتعالى :

(لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها) البقرة ٣٨٤ .

فمن عجز عن الطاعة كان معذوراً وسقط عنه التكليف سواء كان التكليف أمراً وإلزاماً بشيء وقد عجز عنه كالمريض يعجز عن القيام في الصلاة ، أو نهياً وتحريماً وقد عجز عن إجتنابه وتركه كالغريق يعجز عن .إجتناب الخطر .

المفردة الثالثة :

الإنسان ليس مسلوب الإرادة فيما يصدر عنه من أفعال الطاعة و المعصية :

وعلى ضوء هذه المفردة يتجه الفكر الشيعي الى رفض «نظرية الجبر» التي تسلب الإرادة عن الإنسان في جميع ما يصدر عنه من طاعات أو معاصي ، وتنسب ذلك إلى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقي لتلك الأعمال ، في الوقت الذي يتحمل الإنسان مسؤوليتها بما يترتب على ذلك من ثواب **وعقاب**

وقد تواتر عن أئمة **أهل البيت** عليهم السلام قولهم :

«لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» .

مناقشة نظرية الجبر :

أهم الملاحظات التي تسجل حول هذه النظرية هي :

الملاحظة الأولى :

النظرية تتنافى مع الأحكام العقلية الضرورية :

نظرية الجبر تتصادم مع مجموعة ضرورات عقلية :

أ – فالعقل يفرق بالضرورة بين نوعين من الحركة :

- الحركة الإرادية الإختيارية . .
- والحركة اللاإرادية . . .

ب - العقل يحكم بالضرورة بقبح التكليف بما لا يطاق .
ج - العقل يحكم بالضرورة بعدالة الخالق وحكمته . .
في حين نظرية الجبر تفرز معطيات تتنافى مع هذه الضرورات العقلية[1]

الملاحظة الثانية :

النظرية تتنافى مع النصوص القرآنية :

١ - الآيات القرآنية تضيف الفعل الى العبد :
- **«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم» البقرة/٧٩ .**
- **«من يعمل سوءاً يجز به» النساء/١٢٢ .**
- **«كل أمرىء بما كسب رهين» الطور/٢١ .**

٢ - الآيات القرآنية تنص على التخيير في فعل الإنسان :
- **«فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الكهف/٢٩ .**
- **«لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر» المدير/٣٧ .**

٣ - الآيات القرآنية تمدح المؤمنين وتذم الكافرين :
- **«قد أفلح المؤمنون . . .» المؤمنون/١ .**
- **«والكافرون هم الظالمون» البقرة/٢٥٤[2] .**

الملاحظة الثالثة :

النظرية تتنافى مع مبدأ «الثواب والعقاب» :

وفي القرآن تأكيد واضح لهذا المبدأ :
- **«إنما تجزون ما كنتم تعملون» الطور/١٦ .**
- **«لتجزى كل نفس بما تسعى» طه/١٥ .**
- **«من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» الانعام/١٦٠ .**

الملاحظة الرابعة :

النظرية تتنافى مع حرية الإرادة البشرية :

فالإنسان يملك إرادة الفعل وإرادة الترك كما يبرهن على ذلك الواقع الموضوعي لكل حركاته وممارسته وفعّالياته .

---

(١) (٢) للتوسع يقرأ : نهج الحق ص١٠٢ -١١٢ .

الملاحظة الخامسة :

النظرية تتنافى مع «المبدأ الجزائي» الذي تؤمن به كل المجتمعات البشرية على اختلاف إنتماءاتها المبدئية والفكرية والعقائدية والسياسية .

الملاحظة السادسة :

النظرية تحمل صبغة سياسية :

فقد وظّفها الأمويون لخدمة أهدافهم ، فهي التي «تلائمهم في الميدان السياسي لأنها توحي للناس بأنّ وجود الأمويين وتصرفاتهم مهما كانت شاذة وظالمة ليست سوى قدر مرسوم من الله لا يمكن تغييره ولا تبديله ، فلا جدوى من الثورة عليه ، وها هو معاوية يتظاهر بالجبر والإرجاء كما قدمنا لأجل تبرير أفعاله أمام الملأ بأنّها مقدرة لا سبيل إلى تبديلها»[1] .

---

(١) شمس الدين : ثورة الحسين ص ١١٨ .

الأصـل العقـائدي الثاني

النبوّة

ظاهرة النبوة في المسيرة البشرية :

الوجود البشري ليس حالة تائهة في الحركة الكونية الهادفة فالصانع الحكيم قد أبدع هذا الكون ، وأفرغ فيه قوانينه الصارمة ، وأعطى كل جزئية من جزئياته مسارها المتناسق مع كل المسارات الأخرى في المنظومة الكونية .

والإنسان باعتباره مفردة من مفردات هذه المنظومة يجب أن تكون مسيرته متناغمة مع الحركة الكونية المشدودة إلى الخالق المتفرد .
والحركة الإنشدادية إلى الله تعالى في المنظومة الكونية تأخذ صيغتين مختلفين :

الصيغة الأولى :
الحركة التكوينية اللا إرادية :
وهنا تتحكم القوانين الإلهية الصارمة في إعطاء الحركة مساراتها الثابتة الدائمة ، فا شمس والقمر والكواكب والرياح والنباتات ، تتحرك ضمن قوانين إلهية مفروضة لا يمكن الإنفلات منها . .

الصيغة الثانية :
الحركة الإرادية الإختيارية (حركة الأنسان) :
وقد اقتضت حكمة الله أن تمنح الإنسان الإرادة في الحركة ، فلم تفرض عليه القوانين الصارمة التي فرضتها على الشمس والقمر والنبات ، باستثناء الجنبة التكوينية في بنية الإنسان فهي محكومة لقوانين خارجة عن إرادته .

ترشيد الحركة :

إذا كان الإنسان يملك إرادة حرة في الحركة فهو لا يملك القدرة على صياغة المنهج الذي يعطي لهذه الحركة مضمونها الأصيل في تجسيد الأهداف الإلهية التي تحدد دور الإنسان في المسيرة الكونية .

فحركة الإنسان في هذه الأرض تحتاج إلى ترشيد إلهي يحدد لها المنطلقات والمناهج والأهداف ، وما لم تتوافر الحركة البشرية على هذا الترشيد الإلهي ، فإنها تتيه وتنحرف عن مسيرة الكون المنشدّة إلى الله تعالى .

وقد تورطت المسيرة البشرية عبر مراحل طويلة في تاريخها بمحاولات فاشلة لإيجاد صيغ ومناهج لحركتها بعيداً عن ترشيد السماء ، فكان نصيبها مزيداً من العناء والشقاء والضياع والبؤس والعذاب والحرمان .

فالإنسان عاجز عن وضع «المنهج الصالح» وذلك لعدة أسباب :

١ ـ القصور في العقل البشري .

٢ ـ المحدودية الزمانية والمكانية لأفكار الإنسان ومعطياته .

٣ ـ المؤثرات الشعورية واللاشعورية التي تتحكم في الصيغ التي يفرزها العقل البشري . .

وفي ضوء هذه الإعتبارات تتأكد الحاجة إلى الترشيد الإلهي لإعطاء المسيرة البشرية مضمونها الأصيل وحركتها المنضبطة ، وإتجاهاتها الهادفة . .

الأنبياء رموز الترشيد الإلهي :

ومن أجل أن تتم عملية الترشيد الإلهي للمسيرة البشرية لا بد من وضع «المنهج الرباني» بين يدي الحركة الإنسانية .

وإيصال «المنهج الإلهي» إلى الساحة البشرية يحتاج إلى قنوات صالحة تختارها الإرادة الإلهية ، وهذه القنوات الصالحة لحمل تعاليم السماء تتمثل في «الأنبياء والرسل» .

فالأنبياء والرسل عليهم السلام هم الرموز البشرية المؤهلة لممارسة عمليات الترشيد للمسيرة البشرية من خلال المناهج الربانية .

وتتم العملية الترشيدية التي يمارسها الأنبياء والرسل عليهم السلام من خلال حركتين إتصاليتين :

ـ حركة الإتصال بالسماء لتسلم «التعاليم الإلهية» . . .

ـ وحركة الإتصال بالأرض لتبليغ «المناهج الإلهية» ودفعها في الساحة البشرية .

نبوة الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله :

العقيدة الإيمانية بالنبوة تتضمن بعدين :

البعد الأول :

الإيمان بجميع الأنبياء والرسل :

وقد أكّدت هذا البعد عدة نصوص قرآنية :

١ ـ قوله تعالى في سورة البقرة /الآية ١٧٧ :

﴿ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والغرب ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . . . .﴾ .

٢ ـ قوله تعالى في سورة البقرة /الآية ١٣٦ :

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ .

٣ ـ قوله تعالى في سورة النساء /الآية ١٥٢ :

﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً﴾ .

٤ ـ قوله تعالى في سورة آل عمران /الآية ٨٤ :

﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيّون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ .

البعد الثاني :

الإيمان بأن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله هو خاتم النبيين وسيد المرسلين :

لقد أكد النص القرآني في سورة الأحزاب /الآية ٤٠ ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ على أن نبوة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله هي (النبوة الخاتمة) .

«وفكرة النبوة الخاتمة لها مدلولان :

أحدهما : سلبي وهو المدلول الذي ينفي ظهور نبوة أخرى على المسرح .

والآخر: إيجابي وهو المدلول الذي يؤكد إستمرار النبوة الخاتمة وإمتدادها مع العصور»[1].

وهذا ما أثبته الواقع التاريخي حتى الآن، وسيبقى حقيقة ثابتة مهما أمتد الزمن، وسيبقى الإسلام هو الرسالة الوريثة لكل النبوات.

والإسلام يحمل من الخصائص ما يجعله قادراً على الاستمرار مع الزمن، ومواكبة كل المستجدات والمتغيرات في حركة المسيرة البشرية.

ومن أبرز هذه الخصائص:

- الأصالة والمرونة والواقعية.
- الشمولية والعالمية.
- التوازن والوسطية.
- التوافق مع كل الحقائق العقلية والعلمية.
- الإحتفاظ بوسيلة الإثبات الدائمة «القرآن».

الدليل على نبوة الرسول الأكرم محمد (ص):

تناول العلماء والباحثون الإسلاميون مسألة النبوة الخاتمة بأساليب مختلفة، وعالجوا أدلتها بطرق متعددة يمكن الإطلاع عليها في الكثير من المدوّنات الإسلامية.

ويلاحظ على قسم كبير من تلك الاستدلالات أنها غير صالحة لإلزام الآخرين الذين لا يؤمنون بالقرآن والإسلام.

وأختار هنا دليلاً واحداً يتوافر على الصيغة العلمية الصالحة للإلزام، هذا الدليل الذي طرحه المفكر الإسلامي الكبير آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر وأطلق عليه إسم «الدليل العلمي الإستقرائي».

ويتكون هذا الدليل من أربع خطوات:

الخطوة الأولى:

وتتمثل في النقاط التالية:

١ ـ الرسول محمد (ص) ينتسب إلى شبه الجزيرة العربية المتخلفة حضارياً وفكرياً وإجتماعياً وإقتصادياً وسياسياً.

---

(١) الشهيد الصدر: المرسل الرسول الرسالة ص ٨٨.

٢ ـ الرسول محمد (ص) قبل البعثة لم تبرز له أيّ مساهمات ثقافية في مجالات الخطابة والشعر مما كان سائداً آنذاك .
٣ ـ الرسول محمد (ص) لم يتلق أيّ تعليم منظم أو غير منظم ولم يتعاط مع مصادر الثقافة المسيحية أو اليهودية .

الخطوة الثانية :

إن الرسالة التي جاء بها النبي محمد (ص) تميزت بخصائص كثيرة منها :
١ ـ الثقافة التي طرحتها أكبر من الوضع الفكري للمجتمع الوثني وأكبر من كل الثقافات الدينية التي عرفها العالم يومئذ .
٢ ـ الرسالة المطروحة كانت تحمل قيماً وأحكاماً ، ومفاهيم وتشريعات تعتبر من أروع ما عرفه تاريخ الإنسان من قيم حضارية وتشريعات إجتماعية .
٣ ـ التحولات الكبيرة التي أحدثتها الرسالة الجديدة تمت في مدة قصيرة في حساب التحولات الإجتماعية .
٤ ـ إن الرسالة من خلال نصوصها تحدثت عن أحداث تاريخية تتصل بالأنبياء وأممهم في غاية من الدقة والتفصيل دون أن يتوافر لصاحب الرسالة أيّ وسيلة إعتيادية للإطلاع على تلك التفاصيل .
٥ ـ الإعجاز البياني والبلاغي للقرآن الذي تحدى مجتمع الفصاحة والبلاغة ، فلم يملك هذا المجتمع قدرة التصدي لذلك التحدي إيماناً منه بأن الأدب القرآني فوق قدراته اللغوية والفنية ، علماً بأن الذي جاء بهذا القرآن إنسان لم يبرز قبل البعثة على الساحة الأدبية .

الخطوة الثالثة :

إن الخصائص الكبيرة التي حملتها الرسالة الجديدة أكبر بدرجات هائلة من الظروف والعوامل المحسوسة في تلك المرحلة :
١ ـ المفاهيم والقيم التي جاءت بها الرسالة تمثل طفرة هائلة وتطوراً شاملاً ، وإنقلاباً جذرياً ، وليست مجرد خطوة إلى الأمام .
٢ ـ الحالة المفاجئة في التطور الشامل تعبر عن إنفصال تام عن كل المؤثرات والظروف المحسوسة وعن أي مراحل تمهيدية ، كما لا تشكل إمتداداً لتيار سابق .
٣ ـ وكان الرسول محمد (ص) بمستوى هذه النقلة المفاجئة فكرياً وعقائدياً وإجتماعياً ، علماً أن تاريخه الثقافي لا يحمل تلك المؤشرات ولا يثبت له أي ممارسات تمهيدية لهذا الدور القيادي الكبير .

الخطوة الرابعة :

وعلى ضوء ذلك كله ننتهي إلى التفسير الوحيد المعقول والمقبول وهو إفتراض عامل إضافي وراء الظروف والعوامل المحسوسة ، وهو «عامل الوحي وعامل النبوة» الذي يمثل تدخل السماء في توجيه الأرض[1] .

---

(١) للاطلاع على تفاصيل هذا الدليل العلمي الاستقرائي اقرأ : الصدر : المرسل الرسول الرسالة ص ٦٨ ـ ٨٠ .

الأصل العقائدي الثالث

المعـــاد

المرتكزات الأساسية للمعاد :

يعتمد هذا الأصل العقائدي في إثباته على عدة مرتكزات أساسية :

(المرتكز الاول) : الحكمة الإلهية :

ليس في أفعال الله تعالى أي لون من ألوان العبث ، فكل ما يصدر عنه تعالى في عالم التكوين و ي عالم التشريع يحكمه «مبدأ الحكمة والهادفية» .

فالمفردات التكوينية والتشريعة خاضعة في وجودها وحركتها وتكاملها وتفاعلها وتناسقها إلى مبدأ الحكمة الإلهية .

والمنظومة الكونية بكل جزئياتها تسير في حركة هادفة ، وتتجه نحو نهاية مرسومة .

إن الخالق الحكيم الذي أوجد الكون والحياة والإنسان قد حدّد البداية والنهاية ، وأعطى المسيرة الكونية والحياتية والإنسانية ، مضامينها الحكيمة وطموحاتها الرشيدة .

وقد أكدت نصوص القرآن على مبدأ الحكمة والهادفية في الصنعة الإلهية :

- ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ . (الأنبياء /١٦) .
- ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ . (المؤمنون /١١٥) .
- ﴿وما خلقنا الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾ . (الذاريات /٥٦) .

فمن خلال الحكمة والهادفية في حركة الكون والحياة والإنسان تنتج لدينا «حتمية المعاد» بما يجسده من تتويج للمسيرة التكاملية الهادفة في الحركة الكونية .

(المرتكز الثاني) : العدل الإلهي :

العقيدة الإيمانية بالعدل الإلهي تتنج عدة حقائق :

١ ـ الإيمان بالجزاء العادل الذي يوفر الثواب للمحسنين على إحسانهم والمطيعين على طاعتهم ، كما يوفر العقاب للمسيئين على إساءتهم والعاصين على عصيانهم .

٢ ـ الإنتصاف للمظلومين من الظالمين .

٣ ـ التعويض الإلهي للمحرومين والمعذبين في الأرض من عباد الله المؤمنين .

وعلى ضوء هذه المعطيات الإيمانية ، وعلى ضوء الإعتقاد بالقدرة الإلهية ، نستنتج ضرورة وجود «اليوم الآخر» لإنجاز تلك المهام الإلهية ، وتحقيق الوعد الرباني الصادق في الوفاء للأنبياء والأولياء والشهداء والأبرار من عباد الله الصالحين ، والإنتقام من الظالمين والجائرين والجبارين والمفسدين .

(المرتكز الثالث) : النص القرآني :

وقد تناول النص القرآني مسألة اليوم الآخر على عدة مستويات :

المستوى الأول :

التأكيد على وجود اليوم الآخر :

ونتبين ذلك من خلال النصوص التالية :

ـ ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ .

(القصص / ٨٣) .

ـ ﴿وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ .

(العنكبوت / ٦٤) .

ـ ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾ .

(غافر / ٣٩) .

ـ ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة . . .﴾ .

(فصلت / ٣١) .

ـ ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ .

(الأعلى / ١٧) .

المستوى الثاني :

البرهنة على إمكانية البعث والنشوء :

كما يعبر عن ذلك النصان التاليان :

ـ ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ .

(يس / ٧٩) .

ـ ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلىٰ إنّه على كل شيء قدير﴾ .

(الأحقاف / ٣٣) .

المستوى الثالث :

إعطاء الإيمان بالآخرة موقعة في البُنية العقائدية :

كما تؤكد ذلك النصوص التالية :

ـ ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾ .

(البقرة /٣ ، ٤) .

ـ ﴿والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة يوقنون﴾ .

(النمل /٣) .

ـ ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ .

(البقرة /١٧٧) .

المستوى الرابع :

التنديد بظاهرة الإنكار ليوم المعاد :

ـ ﴿وأنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ .

(الإسراء / ١٠) .

ـ ﴿إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ .

(النحل / ٢٢) .

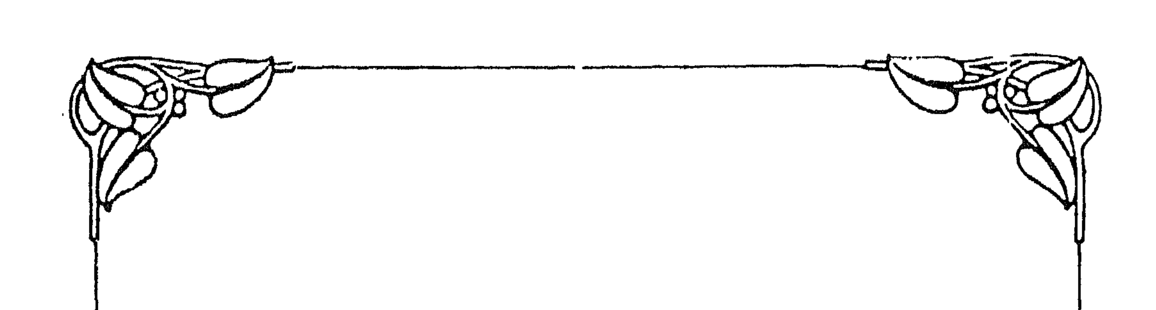
ـ ﴿وإنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ .

(المؤمنون / ٧٤) .

(المرتكز الرابع) الإيمان بالنبوة :

فمن خلال العقيدة الإيمانية بالنبوة تتأصل الحقيقة الآخروية التي أكد عليها الأنبياء والرسل وأعطوها موقعاً جذرياً في مضامينهم الرسالية .

والحقيقة الآخروية حالة غيبية نقتصر في الإيمان بها وبمحتوياتها على ما تناولته نصوص القرآن والآثار الثابتة الصادرة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الميامين من أهل بيته الطاهرين .



المبحث الثاني

● المستوى العقائدي الخاص «عقيدة الإمامة»





النص على عدد الأئمة :

تناولنا في الفصل الثالث من القسم الأول في هذا الكتاب مسألة الإمامة من خلال النصوص والأحاديث وعالجنا المسألة معالجة حاولت أن تستوعب كل المنظومات التي يمكن أن تشكل أدلة صالحة لإثبات إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

وفي الفصل ذاته تناولنا موقف مدرسة الخلفاء من نصوص الإمامة ، وعرضنا لأهم المحاولات التي إعتمدتها هذه المدرسة في تعاملها مع النصوص .

وفي هذا القسم نتناول مسألة «النص على عدد الأئمة» حيث تشكل هذه المسألة الصبغة العقائدية الخاصة التي تميز الحالة الشيعية الإمامية التي تتبنى عقيدة الإيمان بإمامة الأئمة الأثني عشر من أهل البيت عليهم السلام .

والنصوص التي تحدد عدد الأئمة متوافرة بدرجة كبيرة في أهم مصادر الحديث المعتمدة عند المسلمين . ندوّن هنا طائفة منها :

(١) صحيح البخاري :

ج /٩/٧٢٩ حديث ٢٠٣٤ كتاب الأحكام باب ١١٤٨ بسنده عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي (ص) يقول : «**يكون إثنا عشر أميراً**» .

فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي أنّه قال :

«**كلهم من قريش**»

(٢) صحيح مسلم :

ج٣/١٤٥٢ ، ١٤٥٣ حديث ١٨٢١ ، ١٨٢٢ .

كتاب الإمارة ـ باب الناس تبع لقريش .

١ ـ عن حصين عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبي على النبي(ص) فسمعته يقول :

«إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة».

قال : ثم تكلم بكلام خفي عليّ ، قال : فقلت لأبي : ما قال ؟

قال : قال : «كلهم من قريش» .

٢ ـ عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي (ص) يقول :

«لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً»

ثم تكلم النبي(ص) بكلمة خفيت عليّ ، فسألت أبي :

ماذا قال رسول الله(ص) ؟

فقال : «كلهم من قريش» .

٣ ـ عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة يقول : سمعت رسول الله(ص) يقول :

«لا يزال الإسلام عزيزاً الى إثني عشر خليفة» . ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت لأبي : ما قال ؟

فقال : «كلهم من قريش» .

٤ ـ عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال : قال النبي(ص) «لا يزال هذا الأمر عزيزاً الى إثني عشر خليفة» .

قال : ثم تكلم بشيء لم أفهمه ، فقلت لأبي : ما قال ؟

فقال : «كلهم من قريش» .

٥ ـ عن ابن عون عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال : انطلقت إلى رسول الله(ص) ومعي أبي فسمعته يقول :

«لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً الى إثني عشر خليفة» فقال كلمة صمينها الناس فقلت لأبي : ما قال ؟ قال : «كلهم من قريش» .

٦ ـ عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع : أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله(ص) قال : فكتب إليّ : سمعت رسول الله(ص) يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول :

«لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش» .

(٣) صحيح الترمذي :

ج٤/٥٠١ حديث ٢٢٢٣ :

عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله(ص) :

«يكون من بعدي إثنا عشر أميراً» .
قال : ثم تكلم بشيء لم أفهمه فسألت الذي يليني ، فقال : قال : «كلهم من قريش» .
(٤) مسند أحمد بن حنبل .
ج٥/٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ .
١ ـ عن عامر بن سعد بن أبي وقاص وقال : كتبت الى جابر بن سمرة مع غلامي : أخبرني بشيء سمعته من رسول الله(ص) . قال : فكتب إليّ : سمعت رسول الله(ص) يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول : «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش» .
٢ ـ عن عامر عن جابر بن سمرة السوائي ، قال : سمعت رسول الله(ص) يقول في حجة الوداع :
«لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي إثنا عشر أميراً كلهم من قريش» .
٣ ـ عن الأسود بن سعيد الهمداني عن جابر بن سمرة قال : أسمعت رسول الله(ص) أو قال : قال رسول الله(ص) :
«يكون بعدي إثنا عشر خليفة كلهم من قريش» .
(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري :
١ ـ ج٤/٥٠١ كتاب الفتن والملاحم .
بسنده عن مسروق قال : كنا جلوساً ليلة عند عبد الله [بن مسعود] يقرئنا القرآن فسأله رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن : هل سألتم رسول الله(ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة .
فقال عبد الله : ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك ، قال : سألناه فقال :
«إثنا عشر عدد نقباء بني اسرائيل» .
٢ ـ المستدرك ج٣/٦١٧ كتاب معرفة الصحابة : عن جابر بن سمرة قال : كنا عند رسول الله(ص) فسمعته يقول :
«لا يزال أمر هذه الأمة ظاهراً حتى يقوم إثنا عشر خليفة» .
٣ ـ المستدرك ج٣/٦١٨ :
عن أبي جحيفة عن أبيه قال : كنت مع عمي عند النبي(ص) فقال :
«لا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي إثنا عشر خليفة» ثم قال كلمة وخفض بها صوته فقلت لعمي وكان أمامي : ما قال يا عم ؟
قال : قال يا بني : «كلهم من قريش» .

(٦) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : (الباب ٧٧ ج٣/١٠٤)
١ ـ في المودة العاشرة من كتاب مودة القربى :
عن جابر بن سمرة قال : كنت مع أبي عند النبي(ص) فسمعته يقول :
«بعدي إثنا عشر خليفة» .
ثم أخفى صوته فقلت لأبي ما الذي أخفى صوته ؟
قال : قال : «كلهم من بني هاشم» .
٢ ـ وعن جابر قال : قال رسول الله(ص) :
«أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين وإنّ أوصيائي بعدي إثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم المهدي» .
(٧) كفاية الأثر لأبي القاسم لخزار بالاسناد الى عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله(ص) يقول : «الأئمة من بعدي إثنا عشر كلهم من قريش»[١]
(٨) كفاية الأثر بالإسناد إلى واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله(ص) :
«إنّ الأئمة من بعدي إثنا عشر فمن أحبهم واقتدى بهم فاز ونجى ، ومن تخلّف عنهم ضلّ وغوى»[٢]
(٩) كفاية الأثر بالإسناد الى أبي سعيد الخدري قال : صلى بنا رسول الله(ص) الصلاة الأولى ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال :
«معاشر أصحابي إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطة في بني إسرائيل فتمسكوا أهل بيتي بعدي والأئمة الراشدين من ذريتي فإنّكم لن تضلوا أبداً .
فقيل : يا رسول الله كم الأئمة بعدك ؟
قال : «إثنا عشر من أهل بيتي أو قال : من عترتي»[٣] .
(١٠) كفاية الأثر بالإسناد الى الحسن بن علي(ع)
قال : سألت جدي رسول الله(ص) عن الأئمة بعده فقال : «الأئمة بعدي عدد نقباء بني اسرائيل إثنا عشر أعطاهم الله علمي وفهمي وأنت منهم يا حسن»[٤] .
(١١) إعلام الورى لأبي علي الفضل بن الحسن :
بالإسناد الى ابن عباس قال : سألت رسول الله(ص) حين حضرته الوفاة فقلت : إذا كان ما نعوذ بالله منه فإلى من ؟ فأشار الى علي(ع) فقال : «إلى هذا فإنّه مع الحق والحق معه ثم يكون من بعده أحد عشر إماماً مفترضة طاعتهم كطاعتي»[٥] .

---

(١) (٢) (٣) منتخب الأثر ص١٣ ، ٢٨ ، ٢٥ ، ٢٦ .
(٤) (٥) منتخب الأثر ص٣٠ ، ٣٦ .

(١٢) كمال الدين للصدوق :
بالإسناد الى علي(ع) قال : قال رسول الله(ص) .
«إثنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وحكمتي وخلقهم من طينتي ، فويل للمتكبرين عليهم بعدي ، القاطعين فيهم صلتي ، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي»[١] .

تفسيرات مرتبكة لهذه النصوص :

واجهت مدرسة الخلفاء «إشكالية موضوعية ،صعبة» في تعاملها مع هذه النصوص ، فهي من الناحية السندية صحيحة ومدوّنة في أهم مصادر الحديث : البخاري ومسلم والترمذي ، وأبي داود ومسند أحمد وغيرها من أمهات المصادر المعتمدة .

وأما من الناحية الدلالية والمضمونية فالنصوص صريحة في تأكيد «المقولة الأثني عشرية» في الإمامة والخلافة ، وهنا تتجسّد «الإشكالية الموضوعية» فالأخذ بظواهر النصوص يتنافى مع المسلّمات المذهبية في مسألة الخلافة لدى هذه المدرسة ، ورفض النصوص لا تسمح به «القوة السندية» التي تملكها .

فلا بد من محاولات توفيقية تحتفظ بالمسلّمات المذهبية ، وتعطي للنصوص تفسيراً مقبولاً .

وقد جرت عدة محاولات جادة في هذا الاتجاه لمعالجة تلك الإشكالية الموضوعية وانجاز الصيغة التوفيقية .

والذي يبدو لنا من خلال القراءة الاستقرائية لكل المحاولات التي تحركت في هذا السياق أنها تعثرت في إنجاز أهدافها وأنتجت تفسيرات تختزن في داخلها الارتباك والتكلف والحيرة .

ونحاول أن نضع بين أيدينا أنضج المحاولات وأبرز التفسيرات :

المحاولة الأولى :

محاولة ابن العربي :
(شرح ابن العربي على صحيح الترمذي ج٩/٦٨)

قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي :
«فعددنا بعد رسول الله(ص) إثني عشر أمير فوجدنا : أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلياً ، الحسن ، معاوية ، يزيد ، معاوية بن يزيد ، مروان ، عبد الملك بن مروان ،

---

(١) منتخب الأثر ص ٣٢ .

الوليد ، سليمان ، عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، مروان بن محمد بن مروان ، السفاح . . .» .

ثم عدّ سبعاً وعشرين خليفة من العباسيين الى عصره ثم قال :

«وإذا عددنا منهم إثني عشر انتهى العدد بالصورة الى سليمان ، وإذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة : الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز ، ولم أعلم للحديث معنى»[1] .

المحاولة الثانية :

محاولة القاضي عياض :

(كما في شرح النووي على مسلم ج١٢/٢٠١)

«وقال القاضي عياض في جواب القول :

أنّه ولي أكثر من هذا العدد :

هذا اعتراض باطل لأنّه صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يقل : لا يلي إلاّ إثنا عشر ، وقد ولي هذا العدد ، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم»[2] .

المحاولة الثالثة :

محاولة جلال الدين السيوطي :

(تاريخ السيوطي ص١٢) :

قال السيوطي :

«وقد وجد من الإثني عشر : الخلفاء الأربعة ، والحسن ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، هؤلاء ثمانية ، ويحتمل أن يضم إليهم : المهدي العباسي لأنّه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين ، والظاهر العباسي أيضاً لما أوتيه من العدل ، ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنّه من أهل البيت»[3] .

المحاولة الرابعة :

محاولة ابن الجوزي :

نقل ابن الجوزي في (كشف المشكل) في الوجه الثاني من جوابه ما يلي :

«يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ، فقد وجدت في كتاب دانيال : إذا مات المهدي ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الأكبر ثم خمسة من ولد

---

(١) العسكري : معالم المدرستين ج١/٣٣٧ .

(٢) (٣) المصدر نفسه : ج١/٣٣٧ .

السبط الاصغر ، ثم يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر ثم يملك بعده ولده ، فيتم بذلك إثنا عشر ملكاً كل واحد منهم إمام مهدي»[1] .

المحاولة الخامسة :

ما ذكره ابن حجر في شرح البخاري :

«وقيل أنَّ المراد وجود إثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام الى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم ويؤيد هذا ما أخرجه مسدد في مسنده الكبير عن أبي الخلد أنّه قال : لا تهلك هذه الأمة حتى يكون إثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق ، منهم رجلان من أهل بيت محمد . .»[2] .

المحاولة السادسة :

ما ورد في (فتح الباري) ج١٦/٣٣٨ :

«يغلب على الظن أنّه عليه الصلاة والسلام أخبر بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتى يفترق الناس في وقت واحد على إثني عشر أميراً ، ولو أراد غير هذا لقال : يكون إثنا عشر أميراً يفعلون كذا ، فلمّا أعراهم عن الخبر عرفنا أنّه أراد أنّهم يكونون في زمن واحد»[3] .

المحاولة السابعة :

ما أشار إليه النووي في شرحه على صحيح مسلم (ج١٢/٢٠٢) حيث قال :

«المراد : أن يكون الإثنا عشر في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام وإستقامة أموره ، ممن يعز الإسلام في زمنه ويجتمع المسلمون عليه»[4] .

ونقل ابن كثير في تاريخه (ج٦/٢٤٩) عن البيهقي قوله :

«وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة ثم ظهر ملك العباسية ، وإنّما يزيدون على العدد المذكور إذا تركت الصفة المذكورة فيه أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور»[5] .

---

(١) المصدر نفسه ج١/٣٤٠ .
(٢) هامش منتخب الأثر ص٢١ ، ٢٢ .
(٣) معالم المدرستين : ج١/٣٤٠ .
(٤) (٥) المصدر نفسه ج١/٣٣٨ .

المحاولة الثامنة :

ما ذكره بعض المحشين على صحيح الترمذي حيث قال :

«إثنا عشر : إشارة إلى من بعد الصحابة من خلفاء بني أمية ، وليس على المدح بل على إستقامة السلطنة وهم : يزيد بن معاوية ، وابنه معاوية ، ولا يدخل ابن الزبير لأنه من الصحابة ، ولا مروان بن الحكم لكونه بويع بعد بيعة ابن الزبير فكان غاصباً ، ثم عبد الملك ، ثم الوليد الى مروان بن محمد»[1] .

حيثيات التفسير الواقعي لتلك النصوص :

من خلال قراءة متأنية لتلك النصوص التي تناولت عدد الخلفاء والأئمة ، نستطيع أن نتوافر على مجموعة «حيثيات» يمكن إعتمادها «ضوابط عملية» لفهم الأحاديث وتفسيرها تفسيراً واقعياً ينسجم مع دلالاتها الأصيلة .

وعلى ضوء هذه الحيثيات والضوابط تتحدد الرؤية التقويمية لكل المحاولات التي تعاملت مع النصوص والأحاديث ، ونضع هنا أهم تلك الحيثيات والضوابط :

١ ـ العدد :

إثنا عشر إماماً أو خليفة أو أميراً . .

كلهم من قريش أو من بني هاشم كما صرحت بعض النصوص . .

٢ ـ التناسق الفكري والروحي والعملي والتواصل الزمني الذي ينتظم مجموعة الأئمة أو الخلفاء . .

٣ ـ المؤهلات اللازمة للإمامة على كل المستويات الإيمانية والفكرية والنفسية والقيادية والعملية .

٤ ـ البقاء والامتداد ما بقي الدين . .

٥ ـ النص الذي يعطي للمجموعة صلاحية الإمامة والخلافة . .

التفسير الشيعي الإمامي يتوافر على هذه الحيثيات :

لو حاولنا أن نستوعب كل التفسيرات فإنّنا لن نجد فيها ما يتوافر على الحيثيات المذكورة ، نستثني من ذلك التفسير الشيعي الإمامي ، فهو وحده يمتلك تلك الحيثيات ، ونبرهن على ذلك من خلال الاستعراض التالي :

---

(١) هامش منتخب الأثر ص١٦ .

الحيثية الأولى :

عدد الأئمة عند الشيعة الإمامية إثنا عشر وهم :

(١) الإمام علي بن أبي طالب(ع) .
(٢) الإمام الحسن بن علي(ع) .
(٣) الإمام الحسين بن علي(ع) .
(٤) الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) .
(٥) الإمام محمد بن علي الباقر(ع) .
(٦) الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) .
(٧) الإمام موسى بن جعفر الكاظم(ع) .
(٨) الإمام علي بن موسى الرضا(ع) .
(٩) الإمام محمد بن علي الجواد(ع) .
(١٠) الإمام علي بن محمد الهادي(ع) .
(١١) الإمام الحسن بن علي العسكري(ع) .
(١٢) الإمام المهدي المنتظر(ع) .

الحيثية الثانية :

التناسق والتواصل الزمني :

من الملاحظ على التفسيرات السابقة التي طرحتها مدرسة الخلفاء أنَّه يطغى عليها حالات التشويش والتكلف ، فليس في داخل المجموعة المنتقاة أيّ لون من ألوان التناسق والتواصل فهي انتقاءات متناثرة ، واختيارات متنافرة وحالات متناقضة .

ومهما بذلت بعض المحاولات من جهد في التأكيد على سمات مشتركة ، فإنّها تظل عاجزة عن إلغاء الفجوات الواضحة التي تعبر عن حالات التنافي والتنافر والتباين .

في حين يأتي التفسير الإمامي يحمل عناصر التناسق والتجانس والترابط والتواصل ويختزن في داخله حالات الأصالة والعمق والنضج .

فالسلسلة الطاهرة من أئمة الهدى تمثل وحدات متلاحمة متكاملة ينتظمها نسق فكري روحي عملي واحد متواصل الحلقات ، متناسق الخطوات ، متجانس الأهداف متناغم الغايات .

وليس هناك حالات من التناقض والتباين ، والتشتت والتهافت والتساقط ، وإنّما هي الحالة التكاملية الواحدة بكل ما تحمله من عناصر الإلتئام والانتظام .

الحيثية الثالثة :

المؤهلات والخصائص :

منظومة الأئمة من أهل البيت(ع) منظومة متفردة في خصائصها ومميزاتها ومؤهلاتها على كل المستويات الإيمانية والروحية والنفسية والرسالية والقيادية والعملية .

وهذه الخصائص التي تحملها منظومة الأئمة من أهل البيت قد توافرنا على معرفتها من خلال :

أولاً :

النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة المدوّنة في أهم مصادر الحديث والتفسير والتاريخ عند المسلمين .

(يقرأ : الفيروزابادي : فضائل الخمسة من الصحاح الستة) .

ثانياً :

الواقع التاريخي للأئمة من أهل البيت(ع) :

فقد برهن هذا الواقع بكل وضوح وصدق على عمق التجسيد الرسالي في حياة الأئمة الأطهار(ع) وعلى عمق التمثل للإسلام في كل مضامينه الفكرية والروحية والعملية وفي كل قيمه وأهدافه .

فكل الدراسات التي عنيت بتدوين سيرة الأئمة(ع) والتأريخ لحياتهم تؤكد حقيقة «التميّز» في شخصياتهم ومؤهلاتهم العلمية والنفسية والقيادية وفي كل ما يملكون من خصائص وخصال .

ثالثاً :

التصريحات الصادرة عن رجال الفكر من علماء ومؤرخين وباحثين ممن عاصروا أئمة أهل البيت(ع) وممن لم يعاصروهم فقد أجمعت هذه الكلمات على الاعتراف لأهل البيت(ع) بالموقع المتفرد في العلم والورع والخلق والفضل والشرف والسمو والكمال والحسب والنسب .

ومن الشواهد على ذلك :

١ ـ قول الخليفة الأول أبي بكر وقد رأى علياً :

«من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة من رسول الله(ص) وأقربه قرابة وأفضله دالة وأعظمه عناء عن نبيه فلينظر الى هذا»[1] .

---

(١) قادتنا ج٥/٦٤ .

٢ ـ قول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب :
«كانت لأصحاب محمد(ص) ثماني عشرة سابقة ، فخص منها علي بثلاث عشرة ، وشركنا في الخمس»[١] .
٣ ـ قول ابن عباس :
«كانت لعلي ثماني عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة»[٢] .
٤ ـ قول الإمام أحمد بن حنبل :
«ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله(ص) من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب»[٣] .
٥ ـ قول الإمام مالك حول الإمام زين العابدين :
«سمي زين العابدين لكثرة عبادته»
وقال الزهري عنه عليه السلام .
«ما رأيت قرشياً أفضل منه»[٤] .
٦ ـ قول الإمام مالك بن أنس يصف الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) :
«ما رأت عين ، ولا سمعت أذن ، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً»[٥] .
٧ ـ قول الإمام أبي حنيفة
«ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد»
وقوله :
«لولا السنتان لهلك النعمان»[٦] .
٨ ـ قول الحسن بن علي الوشاء :
«أدركت في هذا المسجد [مسجد الكوفة] تسعمائة شيخ كل يقول : حدثني جعفر بن محمد»[٧] .
٩ ـ قول أبي زهرة في كتابه (الإمام الصادق ص٦٨) :
«ما أجمع علماء الإسلام على إختلاف طوائفهم في أمر كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه ، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا عنه ولذلك نطقت ألسنة العلماء جميعاً بفضله ، وبذلك استحق الإمامة العلمية في عصره كما استحقها أبوه وجده من قبله»[٨] .

---

(١) (٢) (٣) قادتنا ج ٦٦/٥ ، ٨٢ ، ١٢٥ .
(٤) (٥) المصدر نفسه ج١٥٠/٦ ، ٢٥٢ .
(٦) (٧) (٨) المصدر نفسه ج٢٥٢/٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ .

الحيثية الرابعة :

البقاء والإمتداد ما بقي الدين :

النصوص التي تحدثت عن «الأئمة الإثني عشر» أو الخلفاء أو الأمراء أكّدت على حقيقة «بقائهم ما بقي الدين أو الإسلام» .

وهذه الحقيقة واضحة التجسّد في حياة الأئمة من أهل البيت(ع) كما يثبت ذلك :

١ ـ مضمون حديث الثقلين :

«إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، وأنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» .

فالنفي التأبيدي للافتراق بين الكتاب والعترة يؤكّد الديمومة والبقاء للأئمة(ع) بديمومة القرآن وبقائه .

٢ ـ عقيدة الإمام المنتظر عليه السلام فهي تجسّد حقيقة البقاء والديمومة والاستمرار لخط الإمامة المتمثل في قادة أهل البيت عليهم السلام . .

٣ ـ ثم إنّ عزة الإسلام ومنعة الدين وبقاءالرسالة ونقاء العقيدة ، وأصالة القيادة تمثل معطيات كبيرة في حياة الأئمة الأطهار عليهم السلام . .

الحيثية الخامسة :

النص على إمامة الأئمة من أهل البيت(ع) :

وقد أخذ هذا النص ثلاث صيغ رئيسية :

الصيغة الأولى :

النص الخاص الذي تناول إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

وقد توافرت مصادر الحديث على نسبة كبيرة جداً من نصوص الإمامة الخاصة ، وما عرضناه من نماذج في فصول سابقة كاف للبرهنة على هذه الصيغة .

الصيغة الثانية :

النص العام الذي تناول الأئمة الاثني عشر على نحو الإجمال :

وأهم المفردات التي تضمنتها هذه الصيغة :

١ ـ «الأئمة» :

«الأئمة من بعدي إثنا عشر» ـ الحديث ـ

٢ ـ «الأوصياء»

«إنّ أوصيائي بعدي إثنا عشر» ـ الحديث ـ

٣ ـ «الخلفاء»

«الخلفاء بعدي إثنا عشر بعدد نقباء بني إسرائيل» ـ الحديث ـ

٤ ـ «العترة»

«إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ـ الحديث ـ

٥ ـ «أهل بيتي»

«مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق» ـ الحديث ـ

وسبقت الإشارة إلى نماذج كثيرة تعبر عن هذه الصيغة .

الصيغة الثالثة :

النص العام الذي تناول الأئمة الإثني عشر على نحو التفصيل :

وقد عبّرت عن هذه الصيغة مجموعة أحاديث تضمنت التصريح بأسماء الأئمة الإثني عشر من أهل البيت(ع) :

ونطرح هنا بعض النماذج التي تجسّد هذه الصيغة :

١ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي (الباب٩٤)

عن المناقب بسنده إلى جابر بن عبد الله قال :

قال رسول الله (ص) :

«يا جابر إنّ أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي محمد بن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبه لا يثبت على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان» .

٢ ـ فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحمويني الشافعي :

بالإسناد الى ابن عباس في حديث عن رسول الله(ص) : جاء فيه :

«إنّ وصيي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين» .

ثم قال صلى الله عليه وآله :

«فإذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى محمد فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه

محمد ، فإذا مضى محمد فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه الحسن ، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهؤلاء اثنا عشر»[1] .

٣ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : (الباب ٧٦)

عن المناقب بسنده عن جابر الأنصاري قال : دخل جندل بن جنادة على النبي(ص) وسأله عن مسائل ثم قال : أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك بعدك لا تمسك بهم .

قال(ص) : «أوصيائي الاثنا عشر» .

قال : «يا رسول الله سمهم لي» .

قال (ص) :

«أولهم سيد الأوصياء أبو الأئمة علي ، ثم إبناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغرنك جهل الجاهلين» .

قال جنادة : فمن بعد الحسين ؟

قال(ص) :

«إذا انقضت مدة الحسين فالإمام ابنه علي ويلقب بزين العابدين
فبعده إبنه محمد يلقب بالباقر
فبعده إبنه جعفر يدعى بالصادق
فبعده إبنه موسى يدعى بالكاظم
فبعده إبنه علي يدعى بالرضا
فبعده إبنه محمد يدعى بالتقي والزكي
فبعده إبنه علي يدعى بالنقي والهادي
فبعده إبنه الحسن يدعى بالعسكري
فبعده إبنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة» .

٤ ـ كفاية الأثر لأبي القاسم الخزار :

بالإسناد عن الحسين بن علي(ع) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليا السلام :

«أنا أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم . .
ثم أنت يا علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعدك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

---

(١) ينابيع المودة باب ٧٦ .

ثم بعده محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم
ثم بعده الحجة بن الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم
أئمة أبرار هم مع الحق والحق معهم»[1] .

تعريف موجز بالأئمة الاثني عشر(ع) :

الإمام الأول :

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) :

أبوه : أبو طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم .
أمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .
مولده : في مكة المكرمة (في بيت الله الحرام) يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة .
وفاته : استشهد في الكوفة في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة (٤٠هـ) ودفن في النجف الأشرف .
عمره الشريف : ٦٣ سنة وقيل ٦٥ سنة .

الإمام الثاني :

الإمام الحسن بن علي(ع) :

أبوه : الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) .
أمه : سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله(ص) .

---

(١) منتخب الأثر ص١١٤ .

ولادته : في المدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان السنة الثانية للهجرة وقيل السنة الثالثة .

وفاته : في المدينة المنورة في اليوم السابع من شهر صفر سنة (٥٠هـ) ودفن في البقيع .

عمره الشريف : ٤٦ أو ٤٧ أو ٤٨ سنة .

الإمام الثالث :

الإمام الحسين بن علي(ع) :

أبوه : الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) .

أمه : سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله(ص) .

ولادته : بالمدينة المنورة في الثالث من شهر شعبان السنة الثالثة للهجرة .

شهادته : في كربلاء في اليوم العاشر من شهر محرم سنة (٦١هـ) ودفن في كربلاء .

عمر الشريف : ٥٨ سنة .

الإمام الرابع :

الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) :

أبوه : الإمام الحسين بن علي(ع) .

أمه : شاه زنان بنت يزدجر وقيل إسمها شهر بانوية .

ولادته : بالمدينة المنورة في الخامس من شعبان سنة ٣٨ للهجرة .

وفاته : بالمدينة المنورة في الخامس والعشرين من شهر محرم سنة (٩٥هـ) ودفن في البقيع .

عمره الشريف ٥٧ سنة .

الإمام الخامس :

الإمام محمد بن علي الباقر(ع) :

أبوه : الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) .

أمه : فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي(ع) .

ولادته : بالمدينة المنورة في غرة رجب سنة ٥٧ للهجرة .

وفاته : بالمدينة المنورة في السابع من ذي الحجة سنة (١١٤هـ) ودفن في البقيع .

عمره الشريف : ٥٧ سنة .

الإمام السادس :

الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) :

أبوه : الإمام محمد بن علي الباقر(ع) .
أمه : فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر .
ولادته : بالمدينة المنورة في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٣ للهجرة .
وفاته : بالمدينة المنورة في الخامس والعشرين من شوال سنة (١٤٨هـ) ودفن في البقيع .
عمره الشريف : ٦٥ سنة .

الإمام السابع :

الإمام موسى بن جعفر الكاظم(ع) :

أبوه : الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) .
أمه : حميدة المصفّاة .
ولادته : بالابواء (موضع بين مكة والمدينة) في السابع من شهر صفر سنة ١٢٨ للهجرة .
وفاته : ببغداد في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة (١٨٣هـ) ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي من بغداد «مدينة الكاظمية» .
عمره الشريف : ٥٥ سنة .

الإمام الثامن :

الإمام علي بن موسى الرضا(ع) :

أبوه : الإمام موسى بن جعفر الكاظم(ع) .
أمه : أم البنين وتسمى تكتم وقيل نجمة .
ولادته : بالمدينة المنورة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٤٨ للهجرة .
وفاته : بطوس من أرض خراسان في السابع عشر من شهر صفر سنة (٢٠٣هـ) ودفن في طوس .
عمره الشريف : ٥٥ سنة .

الإمام التاسع :

الإمام محمد بن علي الجواد(ع) :

أبوه : الإمام علي بن موسى الرضا(ع) .
أمه : تدعى سبيكة من أهل بيت مارية القبطية .
ولادته : بالمدينة المنورة في العاشر من شهر رجب سنة ١٩٥ للهجرة .
وفاته : ببغداد في أول ذي القعدة وقيل في آخره وقيل في الخامس من ذي الحجة سنة (٢٢٠هـ) ودفن في مقابر قريش غربي بغداد «الكاظمية» .
عمره الشريف : ٢٥ سنة .

الإمام العاشر :

الإمام علي بن محمد الهادي(ع) :

أبوه : الإمام محمد بن علي الجواد(ع) .
أمه : سمانه المغربية وقيل جمانة .
ولادته : في «صريا» قريبة من نواحي المدينة المنورة في الأول أو الثاني من شهر رجب وقيل في النصف من ذي الحجة سنة ٢١٢ أو ٢١٤ للهجرة .
وفاته : بسر من رأى «سامراء» في الثالث من شهر رجب سنة (٢٥٤هـ) ودفن بداره في سامراء .
عمره الشريف : ٤٢ سنة .

الإمام الحادي عشر :

الإمام الحسن بن علي العسكري(ع) :

أبوه : الإمام علي بن محمد الهادي(ع) :
أمه : تسمى «سوسن» أو «حديثة» أو «سليل» .
ولادته : بالمدينة المنورة في الثامن أو العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ٢٣٢ للهجرة .
وفاته : بسامراء في الثامن من شهر ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ) ودفن بداره في سامراء .
عمره الشريف : ٢٨ سنة .

الإمام الثاني عشر :

الإمام المهدي المنتظر(ع) :

أبوه : الإمام الحسن بن علي العسكري(ع) .

أمه : تسمى «نرجس» .

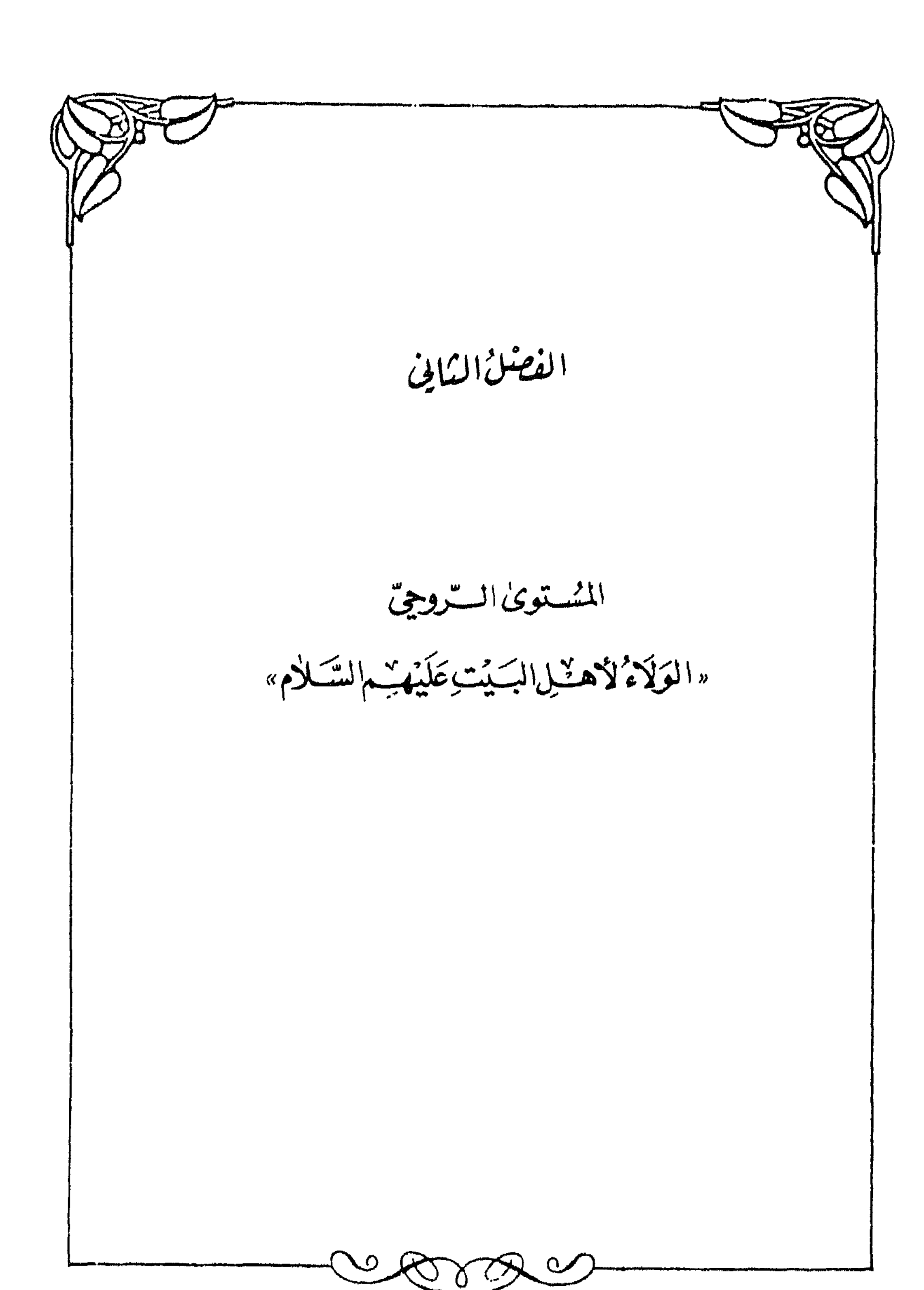
ولادته : بسامراء في النصف من شهر شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة .

غيبته : له غيبتان :

١ ـ الغيبة الصغرى : (٢٦٠ ـ ٣٢٩ للهجرة) .

٢ ـ الغيبة الكبرى : (٣٢٩ ـ . . . . .)



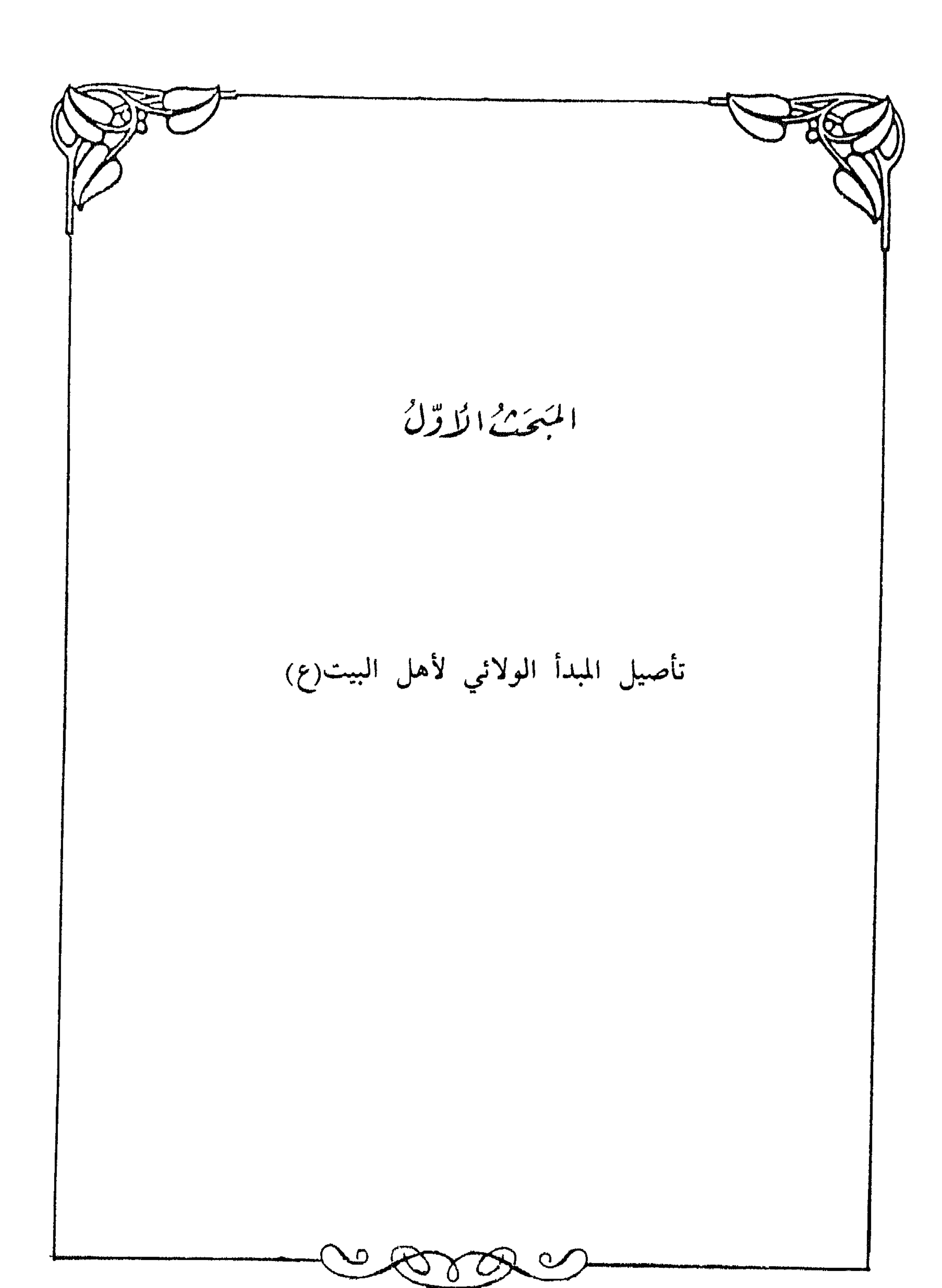


الفصل الثاني

المستوى الروحي

«الولاء لأهل البيت عليهم السلام»





المبحث الأول

تأصيل المبدأ الولائي لأهل البيت(ع)



مبدأ الولاء لأهل البيت عليهم السّلام عنصر أساس في مكّونات العقيدة ، ومقوّمات الإيمان ، ومرتكزات الرسالة ، فالتفريط به يحدث خللاً كبيراً في البُنية العقيدية والإيمانية والرسالية ، ويشكّل تفريغاً للمضمون الإسلامي من أساسية أصيلة من أساسياته ، ويعطي للإنتماء مساراً منحرفاً عن المنحى الطبيعي لحركة الدعوة وإتجاه الرسالة .

ولقد جاءت النصوص الإسلامية واضحة وصريحة في تأصيل هذا المبدأ الولائي وتعميق دلالاته ومعطياته في واقع الحالة الإنتمائية بكل مستوياتها الفكرية والنفسية والعملية .

ونضع بين أيدينا بعض الأمثلة من تلك النصوص :

(١) قوله تعالى في سورة الشورى / الآية ٢٣ :

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾

وقد تظافرت الروايات على نزول هذه الآية في قرابة الرسول صلى الله عليه وآله . .

قال السيوطي في (الدر المنثور) ج ٣٤٨/٧

في تفسير الآية :

«أخرج ابن المنذر وابن حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

لما نزلت هذه الآية ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾

قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

قال (ص) : علي وفاطمة وولداهما»

قال الزمخشري في (الكشاف) ج ٤٠٢/٣ في تفسير الآية المذكورة :

«روي أنّها لما نزلت قيل : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

قال : علي وفاطمة وأبناهما»

وروى الطبري في ذخائر العقبى (ص ٢٥) عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾ قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

قال : علي وفاطمة وأبناهما . . .

وعقّب الطبري على الحديث بقوله : أخرجه أحمد في المناقب وللإطلاع على مزيد من المصادر يرجع إلى فصل «النصوص القرآنية» التي تناولت إمامة الأئمة من أهل البيت (ع) .

(٢) جاء في الصواعق المحرقة لابن حجر المكي الباب ٩ فصل ٢ حديث ١٧ ص ١٩٠ :

«أخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمه عن رسول الله (ص) قال :

«من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله» .

والحديث مذكور في عدة مصادر منها :

- تذكرة الخواص للسبط الجوزي ص ٢٨ .
- نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٢
- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب ٥٩

يقرأ : سبيل النجاة في تتمة المراجعات ص ١٥٢

(٣) جاء في تفسير الكشاف للزمخشري (ج ٣/٤٠٣) عن النبي (ص) أنّه قال :

«من مات على حب آل محمد مات شهيداً . .

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له . . .

ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً . .

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان . .

ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير . . .

ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها . .

ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة . . .

ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة . .

ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة . . .

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله . . .

ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً . . .

ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»

وقد أورد الرازي في تفسيره الكبير (ج ٢٧/ ١٦٥ المسألة الثالثة) الحديث المذكور نقلاً عن صاحب الكشاف .

(٤) جاء في كتاب (إحياء الميت) للحافظ جلال الدين السيوطي :

«أخرج الطبراني عن ابن عباس قال :

قال رسول الله (ص) : **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه ، وعن محبتنا أهل البيت** »[١]

(٥) جاء في كتاب (ذخائر العقبى) للعلامة محب الدين الطبري :

أ ـ عن عمرو بن شاس الأسلمي قال : قال رسول الله (ص) :

«من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل»[٢]

ب ـ «وعن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) :

من أحبني وأحب هذين [الحسن والحسين] وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» أخرجه أحمد والترمذي[٣] .

ج ـ «وعن جابر بن عبد الله قال : ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم علياً» أخرجه أحمد ، وعند الترمذي معناه[٤] .

د ـ «وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك» أخرجه الحسن بن عرفه العبدي[٥] .

(٦) جاء في كتاب (إحياء الميت) للسيوطي :

أ ـ «أخرج أحمد ، والترمذي وصححه ، والنسائي والحاكم عن المطلب بن ربيعة قال : قال رسول الله (ص) : **«لا يدخل قلب أمرىء مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي»**[٦] .

---

(١) إحياء الميت ص ٥٨ ج ٤٤

(٢) ذخائر العقبى ص ٦٥

(٣) ذخائر العقبى ص ٩١/ ٩٢

(٤) ذخائر العقبى ص ٩١/ ٩٢

(٥) ذخائر العقبى ص ٩١/ ٩٢

(٦) احياء الميت ص ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤

ب ـ «أخرج الترمذي وحسنه ، والطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[1] .

ج ـ «أخرج الطبراني والحاكم قال : قال رسول الله (ص) : «فلو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار»[2] .

د ـ «أخرج ابن عدي في الاكليل عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) : «من أبغضنا أهل البيت فهو منافق»[3]

هـ ـ «أخرج الطبراني في الأوسط عن الحسن بن علي (ع) أنّ رسول الله (ص) قال : «الزموا مودتنا أهل البيت ، فإنّه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا»[4] .

(٧) أخرج الحمويني في فرائد السمطين عن المقداد بن الأسود قال : قال رسول الله (ص) :

«معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب» .

ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي باب ٣ ـ

(٨) منتخب كنز العمال للمتقي :

عن عمار بن ياسر عن رسول الله (ص) قال :

«أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب فمن تولاّه فقد تولاّني ومن تولاّني فقد تولّى الله ، ومن أحبّه فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبّ الله ، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله» .

رواه الطبراني في الكبير وابن عساكر في تاريخه[5] .

(٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري :

أ ـ عن ابن عباس قال : نظر النبي (ص) إلى علي فقال :

«يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي»

(قال الحاكم) : صحيح على شرط الشيخين[6] .

---

(١) احياء الميت ص٣٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٤ .
(٣) (٤) المصدر نفسه ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩
(٥) منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج ٥/ ٣٢
(٦) المستدرك ج ٣/ ١٢٨

ب ـ عن أبي ذر قال : ما كنا نعرف المنافقين الا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب .

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[1] .

ج ـ عن عوف بن أبي عثمان النهدي قال : قال رجل لسلمان ما أشد حبك لعلي ، قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :

«من أحبَّ علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني»

(قال الحاكم) :

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[2] .

د ـ عن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي :

«يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك»

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[3] .

هـ ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :

«فلو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار»

(قال الحاكم) : هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[4] .

و ـ عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) :

«والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار»

(قال الحاكم) : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[5]

(١٠) صحيح مسلم :

الجزء الأول صفحة ٨٦ حديث ٧٨ (كتاب الإيمان باب ٣٣) :

بالاسناد عن علي قال :

«والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي (ص) إليّ : أن لا يحبني إلاّ مؤمن ، ولا يبغضني إلاّ منافق»

وروى الحديث ابن ماجه في سننه (الجزء الأول ص ٤٢ ، ١١٤) .

(١١) صحيح الترمذي :

الجزء الخامس ـ كتاب المناقب :

أ ـ عن أبي سعيد الخدري قال :

«أنّا كنا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب»[6]

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) المستدرك ج ٣/ ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٦) صحيح الترمذي ج ٥/ ٦٣٥ .

ب ـ عن أم سلمة قالت : كان رسول الله (ص) يقول :
«لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن»[1] .
ج ـ عن علي بن أبي طالب أنّ رسول الله (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال :
«من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[2] .
د ـ عن أسامة بن زيد قال : قال النبي (ص) والحسن والحسين على وركيه :
هذان إبناي وإبنا ابنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»[3] .
هـ ـ عن يعلى بن مرة قال : قال رسول الله (ص) :
«حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحبَّ حسيناً ، حسين سبط من الأسباط»[4] .
و ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :
«أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»[5] .
(١٢) الصواعق المحرقة لابن حجر المكي :
أ ـ أخرج البيهقي وأبو الشيخ والديلمي أنه صلى الله عليه [وآله] وسلم قال :
«لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي احب اليه من نفسه وتكون أهلي أحب اليه من أهله وتكون ذاتي أحب اليه من ذاته»[6] .
ب ـ أخرج الديلمي أنّه (ص) قال :
«أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن»[7] .
ج ـ وفي رواية صحيحه أيضاً :
«ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم ، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني»[8] .
د ـ وصح عنه (ص) أنّه قال :
«والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار»[9] .

---

(١) (٢) صحيح الترمذي ج ٥/٦٣٥ ، ٦٤١ ، ٦٤٢
(٣) (٤) المصدر نفسه ج ٥/ ٦٥٦ ـ ٦٥٩
(٥) المصدر نفسه ج ٥/ ٦٦٤
(٦) (٧) (٨) (٩) الصواعق ص ٢٦٢ ، ٢٦٤



المبحث الثاني

الدلالات الكبيرة لمبدأ الولاء



ولكي نفهم موقع الولاء لأهل البيت عليهم السلام في البُنية الإيمانية نحاول أن نستوعب عدة دلالات :

الدلالة الأولى :

الولاء لأهل البيت (ع) يجسّد عمق الولاء للرسالة : إنّ قراءة متأملة في النصوص التي أصّلت «مبدأ الولاء» لأهل البيت (ع) تبرز لنا بوضوح عمق العلاقة بين هذا المبدأ والمضمون الإنتمائي للرسالة

- «من أحب علياً فقد أحبني . . .»
- «من تولّاه فقد تولّاني . . .»
- «حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله . . . .»
- «عدوك عدوي . . . . . .»

فالولاء لأهل البيت (ع) مرتكزٌ أساس لعمق الإنتماء للإسلام ، وأصالة الإرتباط بالعقيدة ، وقوة التفاعل مع الرسالة .

فمن خلال المستوى الولائي يتحدد مستوى «الإنتماء» وبمقدار ما يترسّخ في وعي الأمة ، وفي وجدانها وفي شعورها هذا الولاء يقوى المستوى الإنتمائي ، وبمقدار ما يضمر في وعيها ووجدانها وشعورها هذا الولاء يضعف في داخلها مستوى الإنتماء .

وعلى ضوء هذا الفهم للعلاقة الجدلية بين «المبدأ الولائي» و«المستوى الإنتمائي» يمكن أن نعتبر «الولاء لأهل البيت» من العناصر الأساسية التي تحدد «الهوية الإيمانية للأمة» وهذا ما تؤكده نصوص الولاء :

- «لا يحبنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقي ولا يبغضنا إلاّ منافق شقي»
- «من أبغض أهل البيت فهو منافق»

- «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب أمرىء الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني»
- «لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق»
- «كنّا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب»
- «لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن»
- «لا يحبني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق»

الدلالة الثانية :

الولاء لأهل البيت (ع) ضمانة لصون المسيرة من حالات الإنحراف الطارئة :

الأمة في مسيرتها الطويلة تعترضها هزّات خطيرة ومنعطفات صعبة ، وأوضاع قلقة ، فلا بد من ضمانة تحمي المسيرة ، وتصون الدعوة ، وتجنّب الأمة حالات التسيب والضياع والتيه والضلال والإنحراف .

وهذه الضمانة تمثلت في أمرين :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ العترة الطاهرة من أهل البيت (ع) باعتبارهم حفظة الكتاب العزيز ، والإمتداد الأصيل لسنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله .

وقد أكّدت هذه الحقيقة عدة نصوص منها :

(١) حديث الثقلين :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .

(٢) حديث السفينة :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .

(٣) حديث الأمان :

قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي» .

وقوله صلى الله عليه وآله :

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس» .

(٤) قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضّالين ، وإنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ألا وأنّ أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من تفدون» .

(٥) قول الرسول صلى الله عليه وآله :

«ألست أولى بكم من أنفسكم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : فإني سائلكم عن اثنين : القرآن وعترتي» .

(٦) قول الرسول صلى الله عليه وآله مشيراً إلى القرآن والعترة :

«فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا . .»

ملاحظة : لقد سبقت الإشارة إلى مصادر هذه النصوص .

الدلالة الثالثة :

الولاء لأهل البيت (ع) تجسيد لخط القيادة الأصيل في حركة الدعوة :

مارس الرسول صلى الله عليه وآله عملين أساسيين لحماية مستقبل الدعوة :

العمل الأول :

تحديد القيادة المستقبلية للأمة :

وقد تمّ ذلك من خلال النص الصريح على إمامة علي بن أبي طالب (ع) والأئمة من ذريته (ع) ، كما تناولنا ذلك بالتفصيل في فصول سابقة .

العمل الثاني :

الإجراءات والضمانات للحفاظ على المسار الأصيل لخط القيادة الشرعية :

ومن تلك الإجراءات والضمانات :

١ ـ التوعية الفكرية المكثفة .

وتمثلت أهم أهدافها في :

ـ ترسيخ المضمون القيادي الأصيل في ذهنية الأمة . . .

ـ إبراز المواقع المتميزة لأهل البيت (ع) في مسيرة الرسالة . . وحركة الدعوة . .

ـ فتح ذهنية الأمة على الآفاق الكبيرة في حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام . .

٢ ـ التأكيد على وجوب التمسك والإلتزام بنهج الأئمة من أهل البيت (ع) على كل المستويات الفكرية والروحية والفقهية والسياسية .

٣ ـ تحصين الأمة نفسياً وعاطفياً لضمان التفاعل والتلاحم مع خط القيادة التي يمثلها أئمة أهل البيت (ع) .

وقد برز هذا التحصين في ممارسات الرسول صلى الله عليه وآله من خلال :

أ ـ ترسيخ الولاء والحب لأهل البيت عليهم السّلام في نفسية الأمة ربّ وجدانها . .

ب ـ التحذير من العداء والبغض لأهل البيت (ع) كما هو واضح من قراءة النصوص السابقة .

الدلالة الرابعة :

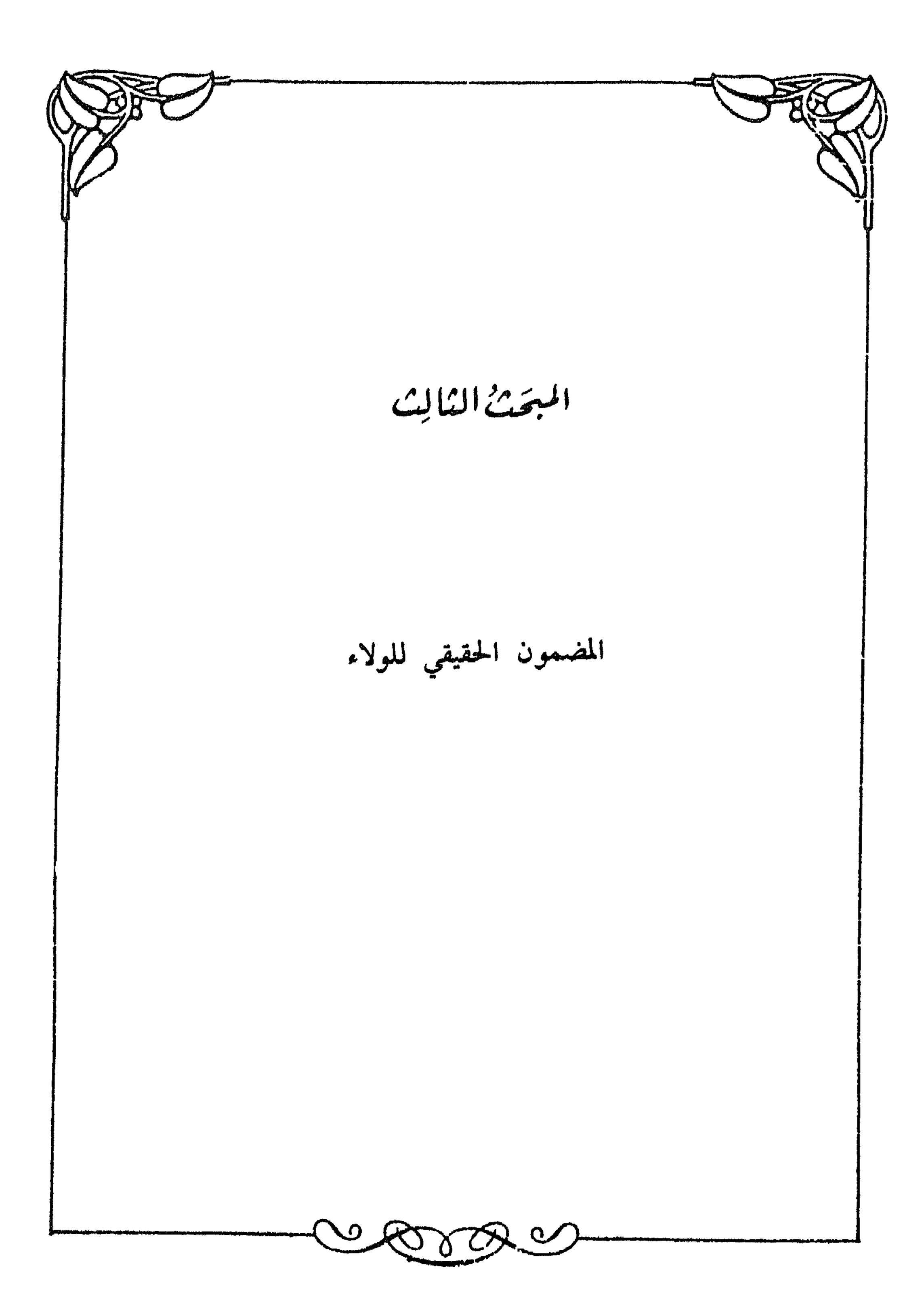
الولاء لأهل البيت (ع) يمثل رافداً كبيراً من روافد الجهاد والشهادة في حياة الأمة :

وقد برهنت حالة الإنتماء إلى خط أهل البيت عليهم السلام عبر المسيرة التاريخية على عمق هذا البعد الجهادي والتضحوي الذي أعطى للحركة الولائية طابعاً متميزاً .

فالولاء الكبير الذي جسّدته الحالة الإنتمائية لخط الأئمة من أهل البيت (ع) نمّى في داخلها :

ـ العمق الإيماني المتأصل . . .
ـ السّمو الروحي المتألق . . .
ـ الطموح الثوري المتأجج . . .
ـ الحركة الإبداعية الفاعلة . . .
ـ القوة الصمودية الراسخة . . .

وقد أنتجت هذه المعطيات الولائية في المسيرة الشيعية حوافز الجهاد والفداء والشهادة التي تحولت في حياتها إلى قيم أصيلة تفاعلت مع وجدانها ومشاعرها وهمومها ، وطموحاتها ، وصاغت منها واقعاً متحركاً تجسّدت فيه كل المضامين الجهادية والفدائية والتضحوية والإستشهادية .



المبحث الثالث

المضمون الحقيقي للولاء



ومن خلال الإستيعاب الواعي لكل الدلالات التي يحملها مبدأ الولاء لأهل البيت عليهم السّلام يمكن أن نستنتج أهم الأسس التي تجسّد المضمون الحقيقي للولاء . .

الأساس الأول

الأساس العقائدي :

الولاء لأهل البيت (ع) لا يعبّر عن مضمونه الحقيقي إذا لم تؤصله في داخل الوعي مرتكزات فكرية عقائدية صاغتها مفاهيم الإمامة وتصوراتها .

فهذا الأساس الأول يتكون من عنصرين رئيسيين :

العنصر الأول :

القاعدة العقائدية :

وتمثل المرتكز الفكري الذي ترسو عليه كل المفاهيم والتصورات ، والعواطف والإنفعالات ، وأنماط السلوك والممارسات .

وتشكّل «عقيدة الإمامة» بكل جزئياتها ومفرداتها محتويات هذا المرتكز الفكري والمكوّنات الذاتية في بُنيته .

فالمضمون الحقيقي للولاء يجب أن يختزن في داخله عقيدة الإمامة ، وإلّا كان حالة شعورية سائبة ، لا تعبّر عن أصالة إنتمائية وعمق عقائدي ، فالعواطف والإنفعالات اذا لم

تكن تجسيداً للمفهوم الإيماني العقائدي تحولت إلى حالات نفسية منفلتة تائهة لا تملك الأصالة والعمق والصدق .

العنصر الثاني :

المضامين والمفاهيم :

وهي مجموعة الأفكار والتصورات المنبثقة عن قاعدة الامامة بما تعبّر عنه هذه المنظومة الفكرية من مضامين عقائدية وأخلاقية وفقهية وإجتماعية وسياسية ومفاهيم عامة .

فالولاء لأهل البيت (ع) إذا عاش منفصلاً عن هذه المضامين تحول إلى مشاعر بليدة ، وعواطف فارغة ، وإنفعالات خاوية ، بل إنّ الولاء الذي لا يتجسّد أفكاراً ورؤى ومفاهيم يعتبر إنفعالاً شكلياً لا يختزن في داخله الدلالات الحقيقية ، والمعاني الأصيلة ، والطموحات الكبيرة التي تمثل التعبير الواقعي للحالة الولائية الصادقة .

الأساس الثاني :

الأساس الروحي :

ويمثل العمق الكبير لحالة الولاء وهو يتضمن الأبعاد التالية :

البعد الأول :

الرؤية الروحية لمقامات الإمامة :

هذه الرؤية التي تفهم الأئمة من أهل البيت (ع) :

١ ـ بأنّهم الصفوة المختارة من الخلق بعد سيد الأنبياء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بما يحملونه من كمالات ذاتية وخصائص إيمانية وروحية ونفسية متميزة .

٢ ـ وأنّهم عليهم السلام الحجج البالغة لله تعالى في أرضه ، والهداة لعباده ، والأدلاء على طريقه ، وعروته الوثقى ، وصراطه المستقيم ، وسفن النجاة والأمان للعباد ، وسبل الرشاد .

٣ ـ وأنهم عليهم السلام ولاة أمر الله ، وخزنة علمه ، وعيبة وحية ، الذين فرض الله إمامتهم ، وأوجب معرفتهم ومودتهم وطاعتهم .

البعد الثاني :

الذوبان الروحي في حب أهل البيت (ع) :

الولاء إذا تجمد عند الحالة العاطفية الطافحة ولم يتحول إلى مستوى التفاني والذوبان فهو تعبير باهت خال من الأصالة والعمق .

الولاء الصادق حالة من الذوبان والإنصهار تمتزج من خلالها كل نبضة من نبضات القلب ، وكل دفقة من دفقات الوجدان ، وكل ومضة من ومضات الشعور ، مع نفحات الحب الايمانية والروحية .

الولاء الحقيقي دفعات قوية متأججة من الحب تخلق في داخل النفس حرارة الإنتماء ، وتبعث في داخل القلب وهج الشوق ، وتجعل الروح تعيش إلتهاب العشق والفناء .

فإذا ارتقى الحب لأهل البيت عليهم السلام إلى هذا المستوى من العمق والحرارة فقد تجسد مضموناً حقيقياً وتمثل وجوداً فاعلاً ، وترسخ قوة رافدة ، وإلا فهو صدى باهت لعاطفة بليدة ، ونبض فاتر لخاطرة راكدة ، وتعبير ساذج لانتماءة سائبة .

البعد الثالث :

الفاعلية الروحية :

قلنا أنّ الأساس الروحي له ثلاثة أبعاد :

١ ـ الرؤية الروحية التي تحدد المنظور الإيماني لمقامات الإمامة .

٢ ـ الذوبان الروحي الذي يعطي للعاطفة الولائية وهجها المتأجج ، وقوتها الفاعلة ، وعمقها الكبير .

٣ ـ الفاعلية الروحية التي تجسد المضمون الروحي للولاء على مستوى الحركة والفعل . .

فمن خلال الرؤية الروحية يتجسد المضمون الولائي مفهوماً روحياً ، ومن خلال الذوبان والتفاني يتجسد شعوراً روحياً ، ومن خلال الفاعلية يتجسد حركة روحية .

ونعني بالحركة الروحية ، الممارسة العملية المنتمية بما تحمله من الخصوصية الولائية لأهل البيت عليهم السلام ، هذه الخصوصية التي تعطي لكل الألوان السلوكية والممارسات العملية طابعها المتفرد ، ونسقها المتميز ضمن الإنتماءات الأخرى المتحركة في الساحة .

وبعبارة أخرى ، إنّ الحالة الولائية لكي تتوافر على مضمونها الروحي فكرياً ونفسياً وعملياً يجب أن تختزن في داخلها :

ـ المنظور الروحي . .

ـ والحس الروحي . .

ـ والحركة الروحية . .

وفي الحركة الروحية تتجسد الاشعاعات الولائية في داخل الفعل والعمل والسلوك ، فيقال هذا عمل ولائي ، وسلوك ولائي ، وفعالية ولائية .

ولا أريد هنا أن أعالج الجنبة العملية في الحالة الانتمائية لخط الأئمة من أهل البيت (ع) ، فذلك متروك لموقع آخر ، وإنّما أردت في هذا السياق أن أعالج مسألة الخصوصية الولائية التي يجب أن تطبع السلوك وتميز الحركة .

الأساس الثالث :

الأساس السياسي :

ولكي يملك الولاء لأهل البيت مدلوله الحقيقي يجب أن يحمل في داخله مضمونه السياسي والمتمثل في العناصر التالية :

١ ـ الرؤية السياسية . .

٢ ـ الولاء السياسي . .

٣ ـ الالتزام السياسي . .

ونتناول هنا «الولاء السياسي» ، ونؤجل الحديث عن العنصرين الآخرين إلى الفصل القادم إن شاء الله .

الولاء السياسي :

ونعني به الارتباط القلبي والنفسي والوجداني والعاطفي بالقيادة السياسية الاسلامية في مستوياتها المتمثلة في :

- قيادة الرسول صلى الله عليه وآله .
- قيادة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .
- قيادة الفقهاء الذين يمثلون القيادة النائبة لأئمة أهل البيت (ع) .

والولاء السياسي يتجسد في مسارين :

المسار الأول :

المسار الايجابي :

ويتمثل في تأصيل الحالة الولائية للقيادة الاسلامية في مستوياتها الثلاثة ، بنحو يتحول هذا الولاء الى عمق يوجه كل حالات النفس والقلب والوجدان ، ويصوغ كل الخواطر والمشاعر والعواطف ، ويملأ كل التوجهات والاهتمامات والطموحات ، ويحرك كل الممارسات والسلوكات والفعاليات .

المسار الثاني :

المسار السلبي :

ويتمثل في حالة الرفض لكل القيادات السياسية النقيضة ، فالولاء السياسي يفرض في داخل المحتوى الفكري والنفسي للانسان المؤمن حالتين متباينتين :

- حالة الإنتماء والتعاطي مع القيادة الأصيلة .
- حالة الإنفصال والتنافي مع القيادات النقيضة .

وبعبارة أخرى هناك نسقان في حالة التعامل مع القيادات السياسية :

١ ـ الولاء السياسي :

ويمثل حالة التعاطي مع القيادات الشرعية .

٢ ـ العداء السياسي :

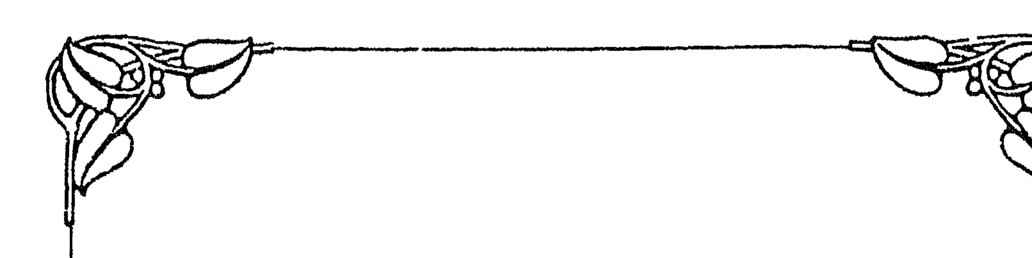
ويمثل حالة التنافي مع القيادات اللا شرعية .

وهاتان الحالتان من التعاطي والتنافي مع القيادات السياسية بل مع كل الوجودات والأنماط والظواهر حالتان متلازمتان في المنظور الايماني ، كما يؤكد ذلك النص القرآني في سورة (المجادلة/ الآية ٢٢) :

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون﴾ .

وفي نص قرآني آخر نجد هذا المفهوم واضحاً وذلك في سورة (البقرة/ الآية ٢٥٦) :

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ .



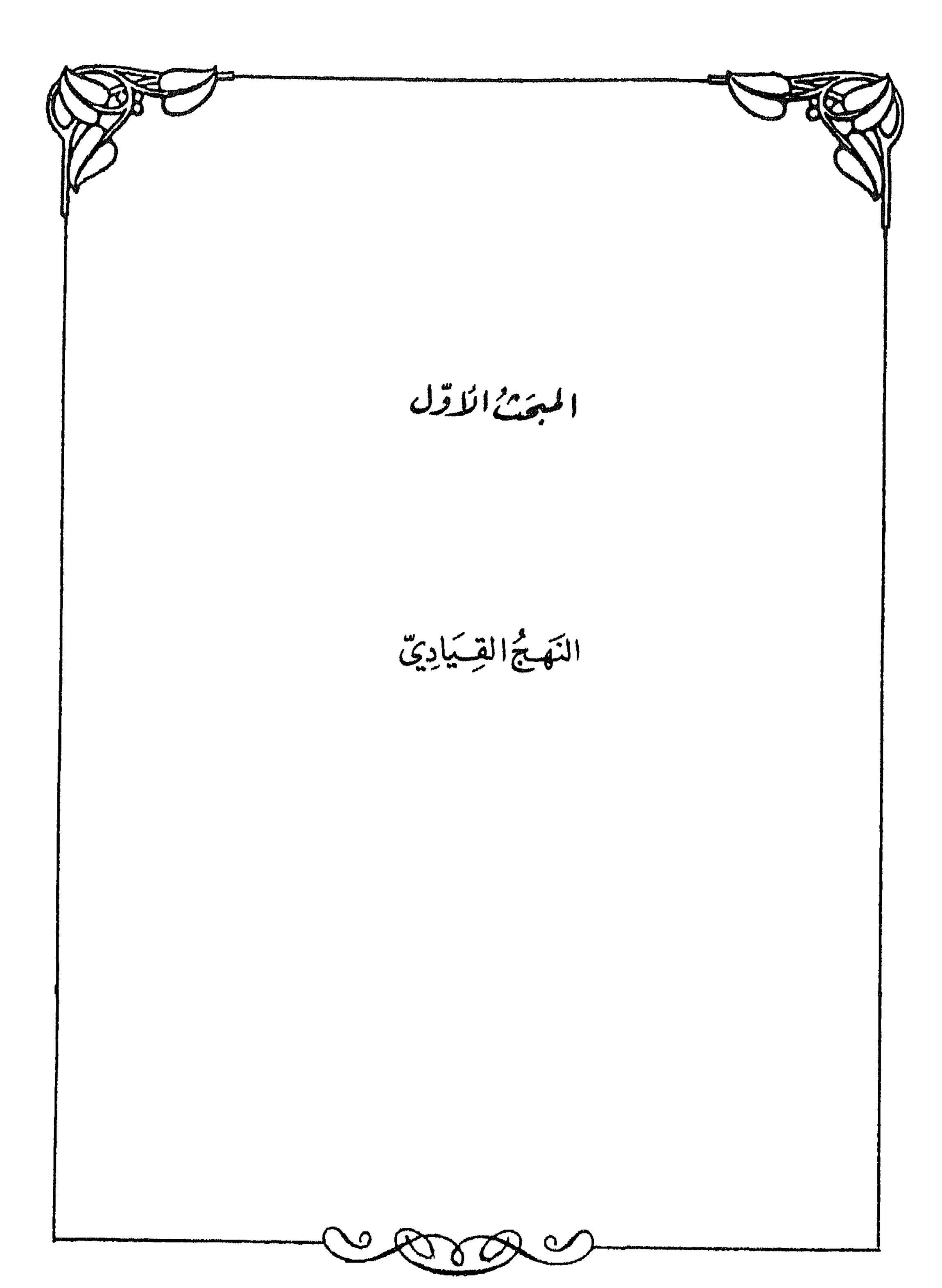
الفصل الثالث

المستوى العملي

«الإلتزام بنهج الأئمة من أهل البيت»

- المبحث الاول : النهج القيادي
- المبحث الثاني : النهج السلوكي
- المبحث الثالث : النهج الفقهي





المبحث الأول

النهج القيادي



تلتزم الحالة الشيعية في بنيتها الهيكلية صيغة قيادية تجسّد نهج الأئمة من أهل البيت (ع) والذي يفهم القيادة الإسلامية من خلال المستويات التالية :

المستوى الأول :

القيادة الأولى في الاسلام وهي قيادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله . . .

المستوى الثاني :

القيادة الإمتدادية وهي القيادة المعصومة التي يمثّلها الأئمة الاثنا عشر من أهل البيت عليهم السّلام .

المستوى الثالث :

القيادة النائبة وهي قيادة الفقهاء الذين يجسّدون خط الأئمة من أهل البيت (ع) . . .

المراحل القيادية في حياة الإمام المنتظر (ع) :

يمثل الإمام المهدي المنتظر ـ الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ـ الحلقة الأخيره في القيادة الإمتدادية المعصومة والتي لا زالت تعيش المعاصرة في حركة الأمة .

والممارسة القيادية في حياة الإمام المنتظر (ع) تتجسّد ضمن المراحل التالية :

ـ مرحلة الغيبة الصغرى .

ـ مرحلة الغيبة الكبرى .

ـ مرحلة الظهور وقيام الدولة الإسلامية العالمية .

المرحلة الأولى :

مرحلة الغيبة الصغرى :

بدأت هذه المرحلة سنة (٢٥٥ للهجرة) ، وانتهت سنة (٣٢٨ أو ٣٢٩ للهجرة) .

وفي هذه المرحلة كان الإمام المهدي (ع) يمارس دوره القيادي من خلال «نظام السفراء» ، فلم يكن هناك تواصل مباشر بين الإمام وقواعده المؤمنة ، وإنّما يتم هذا التواصل عبر عناصر مؤهلة خاصة إختارها الإمام عليه السلام لتشكّل حلقة الوصل بينه وبين الجماعات المؤمنة التي تجسّد حالة الإنتماء إلى خط الأئمة من أهل البيت (ع) .

وتولّى مهمة السفارة في هذه المرحلة أربعة سفراء وهم :

(١) السفير الأول :

عثمان بن سعيد العَمْري :

مدة سفارته : من سنة ٢٦٠ هـ حتى سنة ٢٦٥ هـ

(٢) السفير الثاني :

محمد بن عثمان بن سعيد العمري :

مدة سفارته : ٢٦٥ هـ ـ ٣٠٥ هـ .

(٣) السفير الثالث :

الحسين بن روح النوبختي :

مدة سفارته : ٣٠٥ ـ ٣٢٦ هـ .

(٤) السفير الرابع :

علي بن محمد السمري :

مدة سفارته : ٣٢٦ هـ ـ ٣٢٩ هـ .

المرحلة الثانية :

مرحلة الغيبة الكبرى :

بدأت هذه المرحلة بوفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري سنة ٣٢٨ هـ أو ٣٢٩هـ ، ولا زالت قائمة حتى يأذن الله تعالى لقائم آل محمد صلى الله عليه وآله أن يبدأ حركته التغييرية الكبرى في العالم فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا .

وفي هذه المرحلة تتم الممارسة القيادية للإمام من خلال «النيابة العامة» حيث يتولّى الفقهاء المؤهلون مهمة الإشراف على القواعد المؤمنة بتخويل عام صادر عن الإمام المهدي عليه السلام .

المؤهلات الأساسية في القيادة النائبة :

ويجب أن تتوافر القيادة النائبة على مجموعة مؤهلات أهمها :

(١) المؤهل العلمي :

ويتمثل في إمتلاك القدرة العلمية على إستنباط الأحكام والمفاهيم الإسلامية من الأدلة المعتمدة في الشريعة ، وهذا ما يعبر عنه في الفقه الإسلامي «بالفقاهة» ويسمى المؤهل للعملية الإستنباطية «بالفقيه» .

ويشترط في هذه القدرة العلمية :

أ ـ أن تكون ذات صبغة شمولية تستوعب كل المجالات العبادية والأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وشتى النواحي الحياتية وصاحب هذه القدرة يعبر عنه «بالفقيه المطلق» .

ب ـ أن تكون ذات مستوى متميز ، ودرجة عالية وهذا ما يعبر عنه في الإصطلاح الفقهي «بالأعلمية» .

(٢) المؤهل النفسي والسلوكي :

ويتمثل في الوصول إلى درجة عالية من التفاعل العملي مع خط الرسالة بكل ما فيه من مسؤوليات والتزامات شرعية ، وهذا ما يعبر عنه الفقهاء «بالعدالة» .

وقد تعددت التصورات الفقهية في تحديد معنى العدالة ، ومن أبرز تلك التصورات :

التصور الأول :

«العدالة عبارة عن ملكة راسخة باعثة على ملازمة التقوى من ترك المحرمات وفعل الواجبات» [١] .

التصور الثاني :

«العدالة عبارة عن الإستقامة في جادة الشريعة المقدسة وعدم الإنحراف عنها يميناً وشمالاً بأن لا يرتكب معصية بترك واجب أو فعل حرام من دون عذر شرعي» [٢] .

---

(١) الخميني : تحرير الوسيلة ج ١/١٠ .
(٢) الخوئي : منهاج الصالحين ج ١/٩ .

التصور الثالث :

«العدالة عبارة عن الإستقامة على شرع الإسلام وطريقته ، شريطة أن تكون هذه الاستقامة طبيعة ثابتة للعادل تماماً كالعادة»[1] .

(٣) المؤهل القيادي :

ويتمثل في :

ـ الوعي القيادي . .

ـ الممارسة القيادية القادرة على توجيه حركة الأمة على كل المستويات الثقافية والإجتماعية والسياسية ، وعلى ترشيد المواقف في مواجهة كل حالات التحدى .

الوظائف الرئيسية للقيادة النائبة :

أهم الوظائف والصلاحيات المناطة بالقيادة النائبة في مرحلة الغيبة الكبرى هي :

الوظيفة الأولى :

الإفتاء وبيان الأحكام الشرعية :

فالفقهاء هم المؤهلون لوظيفة الإفتاء وإعطاء الأحكام الشرعية ، ولا يسمح لمن لا يملكون قدرة الإستنباط أن يمارسوا العملية الإفتائية .

وإذا كان الإفتاء من مهام الفقهاء المؤهلين ، فإنّ «التقليد» من مسؤوليات الأمة التي لا تملك القدرة العلمية على الإستنباط ، حيث أنّ الطرق المعتمدة شرعاً لامتثال الحكم الإلهي تتحدد ضمن ثلاث طرق :

١ ـ الفقاهة : وهي القدرة العلمية على إستنباط الأحكام الإسلامية من أدلتها المعتمدة شرعاً .

٢ ـ الإحتياط : وهو العمل الذي يتيقن معه ببراءة الذمة واقعاً .

٣ ـ التقليد : وهو العمل إستناداً إلى فتوى الفقيه .

وقد حدد النص الشرعي التالي مسؤولية الأمة في الرجوع إلى الفقهاء المؤهلين : «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه» .

---

(١) الصدر : الفتاوى الواضحة ص ١٢٠ .

الوظيفة الثانية :

القضاء :

وقد نص الفقهاء على ضرورة توافر شروط معينة في القاضي :
- البلوغ
- العقل
- الإيمان
- العدالة
- الفقاهة
- الذكورة
- طهارة المولد

مسؤولية الأمة تجاه الوظيفة القضائية :

تتحدد هذه المسؤولية ضمن النقطتين التاليتين :
الأولى :
حرمة التصدي للوظيفة القضائية لمن لا يملكون مؤهلاتها .
الثانية :
حرمة الترافع إلى من لا يملكون مؤهلات القضاء إلا إذا فرضت الضرورات ذلك . .
(- يقرأ : منهاج الصالحين للسيد الخوئي الجزء الأول صفحة ٨ مسألة ٢١) .

الوظيفة الثالثة :

الولاية العامة :

الولاية في التصور الإسلامي الشيعي تتسلسل بالشكل التالي :
(١) ولاية الله تعالى : وهي الولاية المطلقة .
(٢) ولاية النبي صلى الله عليه وآله :
وهي مستمدة من «ولاية الله تعالى» وقد أكّد النص القرآني التالي هذه الولاية .
﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (الأحزاب/٦)
(٣) ولاية الإمام المعصوم عليه السلام :
وهي مستمدة من :

ـ ولاية الله تعالى . . .
ـ وولاية النبي صلى الله عليه وآله . . .
وهذا ما يؤكده :

١ ـ النص القرآني في سورة (المائدة/ الآية ٥٥) :

﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .

٢ ـ الحديث النبوي المشهور في يوم الغدير ، حينما خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم فقال :
«ألست أولى بكم من أنفسكم ؟»
قالوا : اللهم بلى .
قال صلى الله عليه وآله :
«من كنت مولاه فهذا علي مولاه» .
(سبقت الإشارة إلى مصادر هذا الحديث) .
(٤) ولاية الفقيه :
وللفقهاء في دائرة هذه الولاية عدة إتجاهات :

الإتجاه الأول :

يضيق دائرة هذه الولاية ويحددها ضمن :
أ ـ القضاء .
ب ـ رعاية شؤون القاصرين .
ج ـ إدارة شؤون الأوقاف العامة . .
د ـ الأمور الحسبية . .

الإتجاه الثاني :

يعطي للفقهاء بالإضافة إلى المهام السابقة ، صلاحية إقامة الحدود الشرعية في عصر الغيبة الكبرىٰ كالقصاص وقطع يد السارق ورجم الزاني أو جلده . . الخ . . .

الإتجاه الثالث :

يوسع دائرة ولاية الفقيه ، فيعطي للفقهاء الولاية الشرعية العامة في شؤون المسلمين السياسية والإجتماعية والتربوية والإقتصادية والحربية والتنظيمية والحياتية بشكل عام .
ويحاول أصحاب هذا الاتجاه إعتماد مجموعة نصوص لتأكيد هذه النظرية ، منها :

ـ النص القائل :

«العلماء ورثة الأنبياء»

ـ والنص القائل :

«العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا» .

ـ والنص الثالث :

«مجاري الأمور والأحكام بيد العلماء الأمناء على حلال الله وحرامه» .

ـ والنص الرابع :

«وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنّهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم» (1) .

وهناك مناقشات فقهية واسعة حول هذه المسألة في أدلتها ، ومنطلقاتها ، وآفاقها ، ومساراتها التطبيقية يرجع إليها في المدونات الاستدلالية .

المرحلة الثالثة :

مرحلة الظهور وقيام الدولة الإسلامية العالمية :

وفي هذه المرحلة يمارس الإمام المهدي دوره القيادي بشكل مباشر ، وذلك حينما تكتمل الشروط لبدء هذه المرحلة .

خصائص دولة الإمام المنتظر :

(١) العالمية :

ونعني بالعالمية :

أ ـ قيام الحكومة الاسلامية العالمية بقيادة الامام المهدي المنتظر عليه السلام .

ب ـ إنتشار العقيدة الاسلامية في العالم .

وقد أكّدت هذه الحقيقة عدة نصوص :

١ ـ قول النبي صلى الله عليه وآله وهو يتحدث عن دولة الإمام المهدي عليه السلام :

«لا يكون ملك إلاّ للإسلام» (2) .

---

(١) يقرأ : السيد محمد حسين فضل الله ، من أجل الاسلام ص ٤٠ ـ ٤٣ .

(٢) عصر الظهور ص ٣٢١ .

٢ ـ قول أمير المؤمنين عليه السلام مشيراً إلى عصر الإمام المهدي عليه السلام :

(حتى لا تبقى قرية إلاّ ونودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله بكرة وعشيا) .[1] .

٣ ـ قول الإمام الصادق عليه السلام :

(إذا قام القائم المهدي لا تبقى أرض إلاّ نودي فيها شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله)[2] .

٤ ـ عن محمد بن مسلم قال : قلت للباقر عليه السلام :

ما تأويل قوله تعالى في الأنفال : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ .

قال : «لم يجيء تأويل هذه الآية ، فإذا جاء تأويلها يقتل المشركون حتى يوحدوا الله ـ عز وجل ـ وحتى لا يكون شرك ، وذلك في قيام قائمنا»[3] .

٥ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى :

﴿الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

قال : «هذه لآل محمد : المهدي وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها ، ويظهر الدين ويميت الله عز وجل به وبأصحابه البدع والباطل كما أمات السفهة الحق»[4] .

٦ ـ وعن الإمام الباقر (ع) في قوله تعالى : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ .

قال : اذا قام القائم ذهب دولة الباطل[5] .

(٢) إنتشار العدل والأمن في الأرض :

وقد أكدت ذلك عدة نصوص :

١ ـ عن أبي سعيد الخدري قال : قال نبي الله (ص) :

«فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[6]

---

(١) عصر الظهور ص ٣٢١ .

(٢) في انتظار الامام ص ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه ص٦١ .

(٤) (٥) منتخب الاثر ص٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٦) المستدرك ج٤/٤٦٥

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) :

«ابشروا بالمهدي فإنّه يأتي في آخر الزمان على شدة وزلزال ، يسع الله له الأرض عدلاً وقسطاً»[١] .

٣ ـ عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) ؛

«المهدي من ولدي تكون له غيبة اذا ظهر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٢] .

٤ ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) :

«إنّ علياً وصيي ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٣] .

٥ ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) .

«إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثني عشر أولهم أخي وآخرهم ولدي» .

قيل يا رسول الله ومن أخوك ؟

قال : علي بن أبي طالب .

قيل : فمن ولدك ؟

قال : «المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً» .

(٣) الرخاء وظهور البركات والخيرات :

وقد أكدت ذلك عدة نصوص :

١ ـ عن أبي سعيد الخدري : أنّ النبي (ص) قال :

«يكون في أمتي المهدي ، إن قصر فسبع وإلّا فتسع ، فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط ، تؤتي أكلها ولا تدخر عنهم شيئاً ، والمال يؤمئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول : يا مهدي أعطني ، فيقول : يا مهدي أعطني ، فيقول : خذ»[٤] .

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري : أنّ رسول الله (ص) قال :

«يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً ، وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حججاً» .

رواه الحاكم في المستدرك وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٥] .

---

(١) منتخب الاثر ص١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) (٣) ينابيع المودة باب ٧٨ ، ص١٠٨ ، ١٠٩ .

(٤) سنن ابن ماجة ج٢/١٣٦٧

(٥) المستدرك على الصحيحين ج٤/٥٥٨ .

٣ ـ عن أبي سعيد الخدري قال : قال نبي الله (ص) :

«ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة وحتى يملأ الأرض جوراً وظلماً لا يجد المؤمن ملجأ يلتجىء إليه من الظلم ، فيبعث الله عز وجل رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تذخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته ولا السماء من قطرها شيئاً إلاّ صبّه الله عليهم مدراراً يعيش فيهم سبع سنين أو ثمان أو تسع تتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره» .

رواه الحاكم في المستدرك وقال عنه : هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1] .

٤ ـ عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي (ص) :

«يكون من أمتي المهدي فإن طال عمره أو قصر عمره عاش سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وتخرج الأرض نباتها وتمطر السماء قطرها»[2] .

٥ ـ عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) :

«أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على إختلاف منّ الناس وزلزال فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً ،

فقال له رجل : ما صحاحاً ؟

قال : بالسوية بين الناس . قال : ويملأ الله قلوب أمة محمد (صلى الله عليه وآله) غنى ، ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً فينادي فيقول : من له في مال حاجة ، فما يقوم من الناس إلاّ رجل ، فيقول : ائت الدان يعني الخازن فقل له إنّ المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً ، فيقول له : احث حتى اذا جعله في حجره وأبرزه ندم فيقول : كنت أجشع أمة محمد (ص) نفساً ، أو عجز عني ما وسعهم ، قال : فرده فلا يقبل منه ، فيقال له : إنّا لا نأخذ شيئاً أعطيناه ، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين ، أو تسع سنين ثم لا خير في العيش بعده أو قال ثم لا خير في الحياة بعده»[3] .

(٤) تكامل العقول وانتشار الثقافة والعلم :

وتشير إلى ذلك عدة نصوص منها :

١ ـ ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

«اذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم ، وكملت به أحلامهم»[4]

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٤/ ٤٦٥ .

(٢) (٣) مسند أحمد بن حنبل ج٣/ ٢٧ ٣٧ .

(٤) منتخب الأثر ص٤٨٣ .

٢ ـ وعنه عليه السلام قال وهو يتحدث عن الإمام المهدي :

«وتؤتون الحكمة في زمانه حتى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله»[١] .

(٥) التجسيد لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله» :

وتشير إلى ذلك عدة نصوص منها :

١ ـ عن عبد الله بن عطاء المكي قال : سألت أبا عبد الله الصادق (ع) عن سيرة المهدي ، كيف سيرته ؟

فقال : يصنع كما صنع رسول الله (ص) ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية ، ويستأنف الإسلام جديداً»[٢] .

٢ ـ وعن عبد الله بن عطاء قال : سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام فقلت : إذا قام القائم بأي سيرة يسير في الناس ؟

فقال : يهدم ما قبله كما صنع رسول الله (ص) ويستأنف الإسلام جديداً»[٣] .

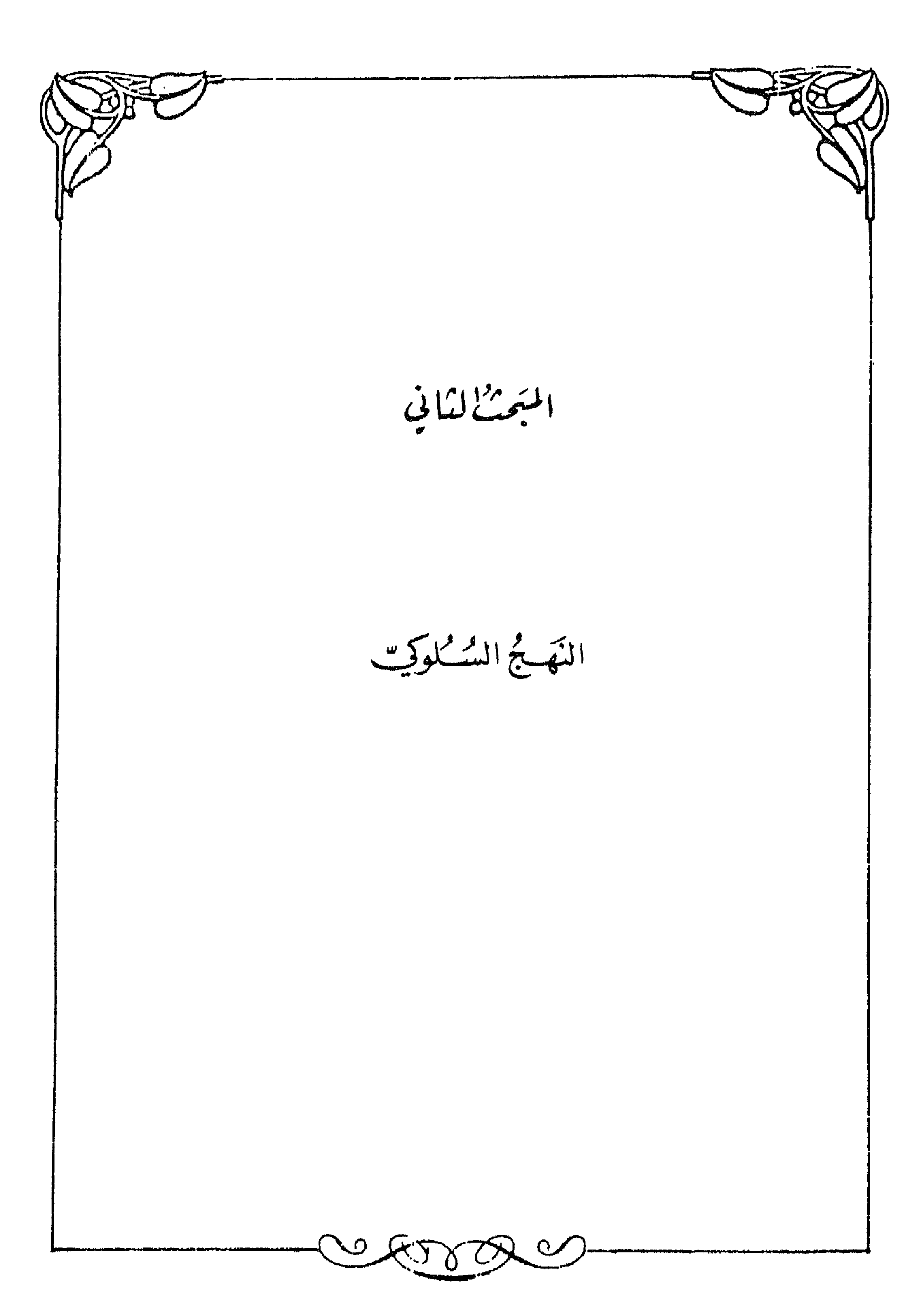
٣ ـ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال :

«ثم يظهر المهدي بمكة عند العشاء ، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقميصه وسيفه ، وعلامات ، ونور ، وبيان فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول : اذكركم الله أيّها الناس ، ومقامكم بين يدي ربكم وقد أكّد المحجة ، وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب يأمركم أن لا تشركوا به شيئاً وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله (ص) وأن تحيوا ما أحيا القرآن وتميتوا ما أمات ، وتكونوا أعواناً على الهدى ، ووزراً على التقوى فإنّ الدنيا قد دنا فناؤها ، وزوالها ، وأذنت بالوداع ، وإنّي أدعوكم إلى الله وإلى رسوله والعمل بكتابه ، وإماتة الباطل ، وإحياء السنة»[٤] .

---

(١) في انتظار الإمام ص٦٢ .
(٢) (٣) المصدر نفسه ص٦٣ .
(٤) منتخب الأثر ص٤٩٠ .





المبحث الثاني

النهج السلوكي



إنّ الحالة الإنتمائية إلى خط الأئمة من أهل البيت (ع) ليست صيغة نظرية تتبنى الأفكار والمفاهيم والتصورات وإنّما هي ممارسة عملية تجسّد المضامين والقيم والإلتزامات . وتتعاطى مع الواقع المتحرك في حياة الأئمة عليهم السلام على كل المستويات العبادية والأخلاقية والإجتماعية والجهادية .

ومن خلال هذا التجسيد والتعاطي تتحدد القيمة الحقيقية للحالة الإنتمائية وتتوافر على مكوّناتها الواقعية المصداقية الفاعلة .

إنّ الفهم الذي صاغته الرؤية المتأنية يرى في نهج الأئمة من أهل البيت عليهم السلام تجسيداً أصيلاً لنهج الإسلام في كل مضامينه الواقعية ، وإنّ تنسيب هذا النهج إلى أئمة أهل البيت (ع) يعبر عن تأكيد المنحى الأصيل في حركة التعاطي مع النهج الإسلامي في كل منطلقاته ومساراته وغاياته .

وحيث تعددت التعبيرات التي حاولت فكرياً وعملياً ، إبراز الصيغة الإسلامية ، فلا بد من الناحية المنهجية والعلمية أولاً ، ومن الناحية الإيمانية والاعتقادية ثانياً ، أن نعطي للتعبير الذي نؤمن بأصالته ومصداقيته وجوداً إصطلاحياً واضحاً في لغة الحديث والبحث .

وبهذا يمكن الإجابة عن إشكالية قد تثار على هذا اللون من التأكيد على «نهج الأئمة» بما يوحيه من وجود حالة من «التغييب» لفكر الأئمة (ع) عن موقعه في التعبير عن الإسلام في مصطلحاته ومضامينه . . .

هذه الإجابة التي ترى ضرورة إعتماد الصيغة التعبيرية ذات الدلالة الواضحة في إعطاء الرؤية حول النهج الأصيل الذي يجسّد فكر الرسالة وقيم الإسلام . . .

وعلى ضوء هذا الفهم نؤكد أنّ اعتمادنا مصطلح «نهج الأئمة» لا يهدف إعطاء حالة متمايزة عن «نهج الإسلام» بل هو تأصيل للمضمون الواقعي للنهج الإسلامي . . .

ونخلص إلى نتيجة نريد تثبيتها هنا وهي أنّ الحالة الشيعية المنتمية إلى مدرسة أهل البيت (ع) يجب أن تجسّد مصداقية الإنتماء إلى الإسلام من خلال التعاطي العملي مع نهج الأئمة عليهم السّلام بكل ما يحمله من معطيات عملية تستوعب كل المساحات المتحركة في حياة الإنسان .

وفي هذا المقطع من البحث نحاول أن نتعامل مع النص الصادر عن أئمة أهل البيت (ع) والذي يضع المعالم الحقيقية ، والصورة الأصيلة للحالة الشيعية . . . ومن خلاله يمكن أن نقوّم الواقع العملي لهذه الحالة . . .

ونترك للنص أن يتحدث :

(١) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يصف شيعته :

«شيعتي والله الحلماء العلماء بالله ودينه ، العاملون بطاعته وأمره ، المهتدون لحبه ، وأنصار عباده ، جلّاس زهاده ، صفر الوجوه من التهجد ، عمش العيون من البكاء ، ذبل الشفاه من الذكر خمص البطون من الطوى ، تعرف الربانية في وجوههم ، والرهبانية في سمتهم ، مصابيح كل ظلمة ، ورياحين كل قبيلة ، لا يشنؤون من المسلمين سلفا ، ولا يقفون لهم خلفاً ، سرورهم مكنونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، وأنفسهم منهم في عناء ، والناس منهم في راحة ، فهم الكاسة الأولياء ، والخالصة النجباء ، وهم الراغبون الرواعون فراراً بدينهم ، إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم بفتقدوا أولئك من شيعتي»[1] .

(٢) وقال أمير المؤمنين عليه السلام يوصي شيعته :

«من أحبنا فليعمل بعملنا ، ويستعن بالورع ، فإنّه أفضل ما يستعان به في الدنيا والآخرة ، لا تجالسوا لنا عائباً ، ولا تمدحونا معلنين عند عدونا فتظهروا حبنا وتذلوا أنفسكم عند سلطانكم

الزموا الصدق فإنّه منجاة ، ارغبوا فيما عند الله ، واطلبوا مرضاته وطاعته واصبروا عليهما ، فما أقبح بالمؤمن أن يدخل الجنة وهو مهتوك الستر ، لا تعيونا في طلب الشفاعة لكم يوم القيامة بسبب ما قدمتم ، ولا تفضحوا أنفسكم عند عدوكم يوم القيامة ، ولا تكذبوا أنفسكم في منزلتكم عند الله بالحقير من الدنيا ، تمسكوا بما أمركم الله به ، فما بين أحد وبين

---

(١) ارشاد القلوب ج١/١٤٥ .

أن يغتبط ويرى ما يحب إلّا أن يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما عند الله خير وأبقى ، وتأتيه البشارة والله فتقر عينه ويحب لقاء الله .

لا تحقروا ضعفاء إخوانكم ، فإنّه من احتقر مؤمناً حقّره الله ولم يجمع بينهما يوم القيامة إلّا أن يتوب ، ولا يكلف المرء أخاه الطلب اليه إذا عرف حاجته ، تزاوروا وتعاطفوا ، وتباذلوا ، ولا تكونوا لمنزلة المنافق الذي يصف ما لا يفعل . . .

ـ وقال عليه السلام في وصيته :

«اكثروا الاستغفار فإنّه يجلب الرزق ،قدموا ما استطعتم من عمل الخير تجدوه غداً ، إيّاكم والجدال فإنّه يورث الشك ، من كانت له الى الله حاجة فليطلبها في ثلاث ساعات من يوم الجمعة : ساعة الزوال حين تهب الريح وتفتح أبواب السماء وتنزل الرحمة ، وتصوت الطير ، وساعة في آخر الليل عند طلوع الفجر ، فإن ملكين يناديان : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فيعطى ؟ هل من مستغفر فيغفر له ؟ هل من طالب حاجة ؟ فأجيبوا داعي الله . . واطلبوا الرزق فيما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فإنه أسرع لطلب الرزق من الضرب في الأرض ، وهي الساعة التي يقسم الله جل وعز فيها الأرزاق بين عباده . . .»[1] .

(٣) قال الإمام أمير المؤمنين وقد مر على جماعة فاسرعوا اليه قياماً : **من ايّ قوم أنتم ؟**

قالوا : من شيعتك يا أمير المؤمنين . . .

فقال لهم خيراً ، ثم قال لهم : يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أوليائنا ؟

فأمسكوا عن الجواب حياءً . .

فقال من معه : نسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم أنبئنا صفة شيعتكم . . .

قال عليه السلام :

شيعتنا هم العارفون بالله ، العاملون بأمر الله ، هم أهل الفضائل ، الناطقون بالصواب ، مأكولهم القوت ، وملبوسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، خشعوا لله بطاعته ، وخضعوا اليه بعبادته ، مضوا غاضّين أبصارهم عما حرّم الله عليهم ، رافعين

---

(١) تحف العقول ص٧٤ ـ ٨٩ .

أسماعهم على العلم بربهم رضوا من الله بالقضاء ، فلولا الآجال التي كتب الله عليهم لا تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً الى لقاء الله تعالى والثواب ، وخوفاً من أليم العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها فهم على أرائكها متكئون ، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ، صبروا أياماً قليلة فأعقبهم راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وطلبتهم الدنيا فامتنعوا عنها ، أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلاً ، يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون بلاءهم بدوائه تارة ، وتارة يفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم على الأرض تجري دموعهم على خدودهم يمجدون جباراً عظيماً ، يلتجئون اليه في فكاك رقابهم .

هذا ليلهم وأما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء ، بادروا إلى الله بالأعمال الزاكية لا يرضون عنها هم بالقليل ولا يستكثرونها بالجزيل ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، ويرى لأحدهم قوة في دين وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً على علم ، وفهماً في فقه ، وعلماً في حلم ، وكيساً في قصد ، وقصداً في غناء ، وتحملاً في فاقة ، وصبراً في مشقة ، وخشوعاً في عبادة ، ورحمة لجمهور ، وعطاء في حق ، ورفقاً في كسب ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، واعتصاماً في شهوة . . .»[1] .

(٤) قال الامام محمد بن علي الباقر (ع) لجابر بن يزيد الجعفي :

«يا جابر : أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ؟

فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه ، وما كانوا يعرفون ـ يا جابر ـ إلاّ بالتواضع والتخشع ، وكثرة ذكر الله ، والصوم ، والصلاة ، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس إلاّ من خير .

فلو قال : إنّي أحب رسول الله (ص) ، ورسول الله (ص) خير من علي ، ثم لا يعمل بعمله ، ولا يتبع سنته ، ما نفعه حبه إياه شيئاً ، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابة ، أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له ، وأعملهم بطاعته ، والله ما يتقرب الى الله جل ثناؤه إلاّ بالطاعة .

ما معنا براءة من الله ، ولا على الله لأحد من حجة ، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، ولا تنال ولايتنا إلاّ بالورع والعمل . . .»[2] .

---

(١) ينابيع المودة ج٣/٧٠ـ ٧١ .

(٢) روح التشيع ص١٠٢ .

(٥) وقال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع)

«ليس من شيعتنا من وافقنا بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا ، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتبع آثارنا ، وعمل بأعمالنا ، أولئك شيعتنا»[١] .

(٦) وقال عليه السلام :

«إنّما شيعة علي من عف بطنه وفرجه ، واشتد جهاده ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، وخاف عقابه ، فإذا رأيت أولئك ، فأولئك شيعة جعفر»[٢] .

(٧) وقال عليه السلام يوصي خيثمة :

«أبلغ موالنا السلام ، وأوصهم بتقوى الله والعمل الصالح وأن يعود صحيحهم مريضهم ، وليعد غنيهم على فقيرهم ، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم ، وأن يتلاقوا في بيوتهم ، وأن يتفاوضوا علم الدين ، فإنّ في ذلك حياة لأمرنا ، رحم الله عبداً أحيا أمرنا .

وأعلمهم ـ يا خيثمة ـ أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً إلّا العمل الصالح ، فإن ولايتنا لا تنال إلّا الورع ، وإنّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره»[٣] .

(٨) وقال عليه السلام في وصيته لعبد الله بن جندب :

«يا ابن جندب : بلّغ معاشر شيعتنا وقل لهم : لا تذهبن بكم المذاهب ، فوالله لا تنال ولا يتنا إلّا بالورع والاجتهاد في الدنيا ، ومواساة الاخوان في الله ، وليس من شيعتنا من يظلم الناس . . .

يا ابن جندب : إنّما شيعتنا يعرفون بخصال شتى : بالسخاء والبذل للاخوان ، وبأن يصلوا الخمسين ليلاً ونهاراً ، شيعتنا لا يهرون هرير الكلب ولا يطمعون طمع الغراب ولا يجاورون لنا عدواً ، ولا يسألون لنا مبغضاً ولو ماتوا جوعاً . . .»[٤] .

(٩) وقال عليه السلام يذكر بعض صفات أصحابه وشيعته :

ـ «إنّما أصحابي من اشتدّ ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، هؤلاء أصحابي»

ـ ليس منا ولا كرامة من كان في مصرفية مائة ألف أو يزيدون ، وكان في ذلك المصر أحد أورع منه» .

---

(١) روح التشيع ص ١٠٣ .

(٢) (٣) المصدر نفسه ص١٠٤ .

(٤) تحف العقول ص٢٢٣ .

- «إنّا لا نعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمورنا متبعاً مريداً ، إلاّ وإن من أتباع أمرنا وإرادته الورع فتزينوا به يرحمكم الله»
- «ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه»[1]

(١٠) دخل على الإمام الصادق رجل فقال (ع) له : ممن الرجل ؟

فقال : من محبيكم ومواليكم . . .
قال له الإمام : من أيّ محبينا أنت ؟
فسكت الرجل . . .
فقال له سدير : وكم محبوكم يا ابن رسول الله ؟
قال عليه السلام : على ثلاث طبقات :
- طبقة أحبونا في العلانية ولم يحبونا في السر .
- وطبقة يحبون في السر ولم يحبونا في العلانية .
- وطبقة يحبونا في السر والعلانية ، هم النمط الأعلى شربوا من العذب الفرات ، وعلموا بأوائل الكتاب وفصل الخطاب ، وسبب الأسباب ، فهم النمط الأعلى ، الفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع اليهم من ركض الخيل ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا وفتنوا ، فمن بين مجروح ومذبوح ، متفرقين في كل بلاد قاصية ، بهم يشفي الله السقيم ، ويغني العديم ، وبهم تنصرون ، وبهم تمطرون ، وبهم ترزقون ، وهم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً .

والطبقة الثانية النمط الأسفل أحبونا في العلانية وساروا بسيرة الملوك فألسنتهم معنا وسيوفهم علينا .

والطبقة الثالثة النمط الأوسط ، أحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية ، ولعمري لئن كانوا أحبونا في السر دون العلانية ، فهم الصوامون بالنهار ، القوّامون بالليل ترى أثر الرهبانية في وجوههم أهل سلم وأنقياء . .
قال الرجل : فأنا من محبيكم في السر والعلانية .
قال الامام جعفر الصادق عليه السلام :
إنّ لمحبينا في السر والعلانية علامات يعرفون بها . . .
قال الرجل : وما تلك العلامات ؟

---

(١) عقائد الامامية ص١٥١ .

قال عليه السلام : تلك خلال :
- أولها أنّهم عرفوا التوحيد حق معرفته ، وأحكموا علم توحيده . . .
- والايمان بعد ذلك بما هو وما صفته . . .
- ثم علموا حدود الايمان وحقائقه وشروطه وتأويله»[1] .

(١١) جاء في رواية عبد العظيم بن عبد الله الحسني حين دخل على الإمام الهادي علي بن محمد عليهما السلام ...

قال : فقلت له يا ابن رسول الله (ص) إنّي أريد أن أعرض عليك ديني ، فإن كان مرضياً أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل .

فقال (ع) : هات يا أبا القاسم .

فقلت : إنّي أقول إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء خارج عن الحدين : حد الإبطال وحد التشبيه وأنّه ليس بجسم ولا صورة ، ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسم الأجسام ، ومصور الصور ، وخالق الأعراض والجواهر ، ورب كل شيء ومالكه وجاعله ومحدثه ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، خاتم النبيين ، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة . . .

وأقول : أنّ الإمام والخليفة وولي الأمر من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم أنت يا مولاي . . .

وأقول : إنّ وليهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله . .

وأقول : إنّ المعراج حق ، والمساءلة في القبر حق ، وأنّ الجنة حق ، والنار حق ، والصراط حق ، والميزان حق ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعث من في القبور .

وأقول : إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية ، الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . .

فقال الإمام الهادي عليه السلام :

يا أبا القاسم : هذا دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه ، ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[2] .

---

(١) تحف العقول ص٢٤٠ .

(٢) روح التشيع ص١٠٥ ، ١٠٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(١٢) وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام يوصي شيعته :

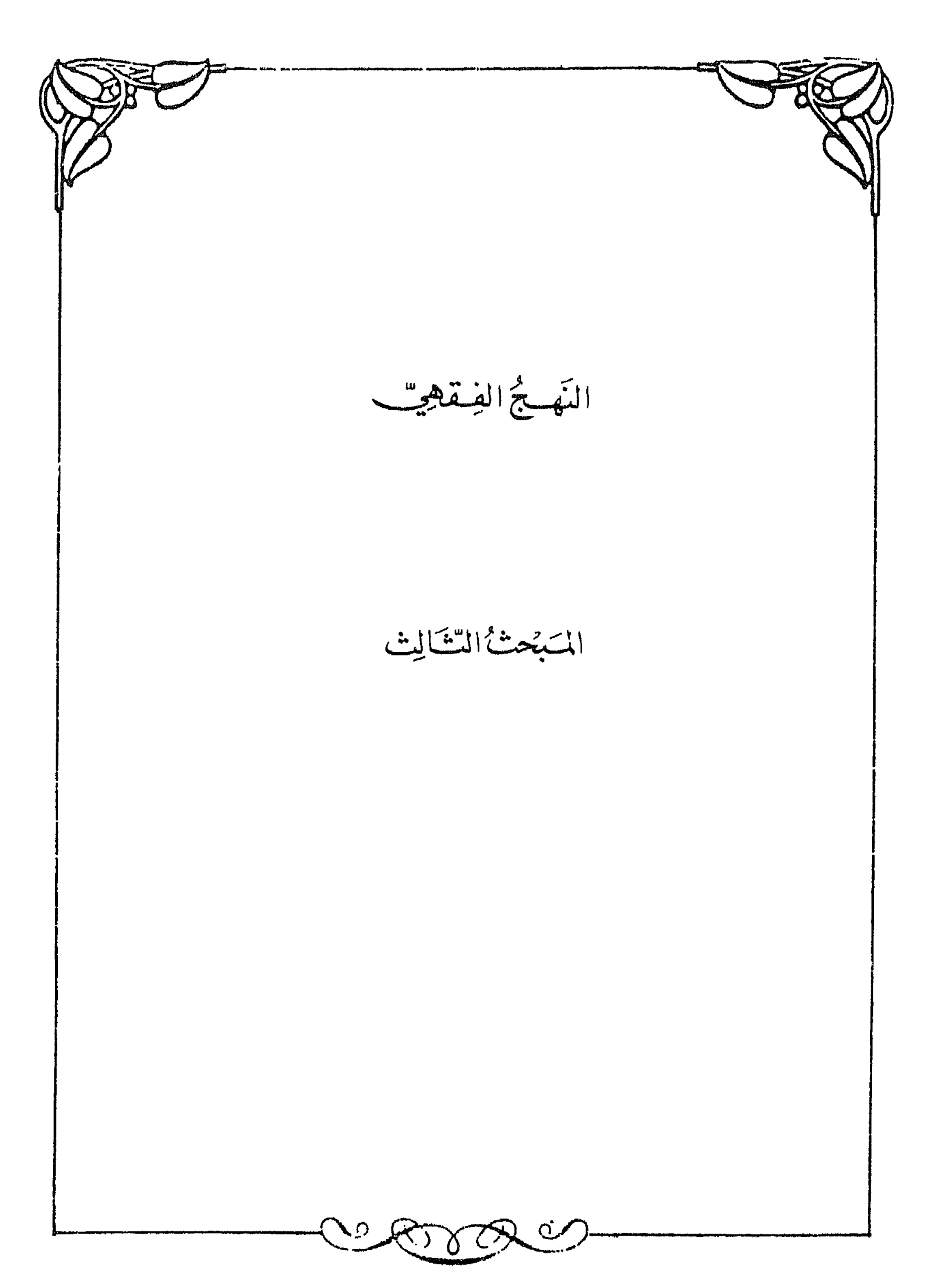
«أوصيكم بتقوى الله ، والورع في دينكم ، والاجتهاد لله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر ، وطول السجود ، وحسن الجوار ، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله . . صلوا في عشائرهم ، وأشهدوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهم ، وأدوا حقوقهم ، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه ، وصدق في حديثه ، وأدى الأمانة ، وحسن خلقه مع الناس ، قيل : هذا شيعي فيسرني ذلك . . .

اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً ، جرّوا الينا كل مودة ، وادفعوا عنا كل قبيح ، فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله ، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك ، لنا حق في كتاب الله ، وقرابة من رسول الله (ص) ، وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلّا كذاب .

اكثروا ذكر الله ، وذكر الموت ، وتلاوة القرآن ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فإنّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات ، احفظوا ما وصيتكم به ، واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»[1] .

---

(١) تحف العقول ص٣٦٢ .



النَهجُ الفِقهِيّ

المَبحثُ الثّالِث



النهج الفقهي لأئمة أهل البيت :

نعني بالنهج الفقهي هنا :

أولاً : اعتماد المصادر التشريعية الأصيلة التي حددتها مدرسة الأئمة من أهل البيت (ع) هذه المصادر المتجسدة في :

١ ـ كتاب الله تعالى . . .

٢ ـ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بصيغتها الأمينة كما حفظتها مدرسة أهل البيت (ع) ، وبامتدادها الحقيقي الذي تمثله «سنة الأئمة من أهل البيت» .

وقد تناولنا هذا الجانب بصورة مفصلة في فصل سابق من فصول هذا الكتاب . . .

وما يهم البحث هنا ، التأكيد أنّ «المدرسة الفقهية الشيعية» تعتمد في إستنباط الفتاوى والأحكام على «الكتاب والسنة» . . .

جاء في كتاب «الفتاوى الواضحة» للشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر :

«ونرى من الضروري أن نشير أخيراً بصورة موجزة إلى المصادر التي إعتمدناها بصورة رئيسية في إستنباط هذه الفتاوى الواضحة ، وهي كما ذكرنا في مستهل الحديث عبارة عن الكتاب الكريم والسنة الشريفة المنقولة عن طريق الثقاة المتورعين في النقل مهما كان مذهبهم ، أما القياس والإستحسان ونحوهما فلا نرى مسوغاً شرعياً للإعتماد عليها .

وأما ما يسمى بالدليل العقلي الذي اختلف المجتهدون والمحدثون أنّه هل يسوغ العمل به أولاً ، فنحن وإن كنا نؤمن بأنّه يسوغ العمل به ولكنا لم نجد حكماً واحداً يتوقف إثباته على الدليل العقلي بهذا المعنى ، بل كل ما يثبت بالدليل العقلي فهو ثابت في نفس الوقت بكتاب أو سنة .

وأمّا ما يسمى بالإجماع فهو ليس مصدراً إلى جانب الكتاب والسنة ، وإنّما لا يعتمد عليه إلاّ من أجل كونه وسيلة إثبات في بعض الحالات .

وهكذا كان المصدران الوحيدان هما : الكتاب والسنة ونبتهل إلى الله أن يجعلنا من المتمسكين بهما ومن استمسك بهما (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها والله سميع عليم)[1]

ثانياً : المضامين الفقهية :

فقد تعاطت «المدرسة الشيعية» عملياً مع المضامين الفقهية الصادرة عن أئمة أهل البيت (ع) في مختلف المجالات العملية : العبادية والأخلاقية والتربوية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية . . . وهذه المضامين ليست إلاّ تجسيداً أصيلاً للمضامين الفقهية التي جاءت في الكتاب والسنة .

وقد مارست المدرسة الفقهية الشيعية حالة التعاطي مع «نهج الأئمة الفقهي» كما توضح ذلك المدوّنات الفقهية والممارسات العملية ، سواء على المستوى العبادي أو على كل المستويات .

أمثلة تطبيقية :

ونحاول أن نعطي أمثلة فقهية تطبيقية ، تجسد النهج الفقهي الذي تبنته مدرسة الأئمة من أهل البيت ، مقارنين ذلك بموقف المذاهب الأربعة التي تعبر عن رأي مدرسة الخلفاء . . .

ونتناول هنا أربع مسائل فقهية فقط :

١ ـ كيفية الوضوء .

٢ ـ ما يصح السجود عليه في الصلاة .

٣ ـ الجمع بين الصلاتين .

٤ ـ الزواج المؤقت .

---

(١) الشهيد الصدر : الفتاوى الواضحة ص٩٨ .

المسالة الأولى :

كيفية الوضوء :

توجد نقطتان أساسيتان تعكسان اختلافاً فقهياً بين مدرسة أهل البيت (ع) ومدرسة الخلفاء في مسألة الوضوء وهما :

- كيفية غسل الأيدي في الوضوء .
- حكم الأرجل في الوضوء .

النقطة الأولى :

كيفية غسل الأيدي في الوضوء :

(١) مدرسة أهل البيت(ع) :

يجب في غسل الأيدي الابتداء بالمرفقين والانتهاء بأطراف الأصابع ، ولا يسوغ الابتداء بأطراف الأصابع والانتهاء بالمرفقين .

(٢) المذاهب الأربعة :

لا يوجبون ذلك ، ويجوزون الابتداء بأطراف الأصابع والانتهاء بالمرافق .[1]

الصيغة العملية لوضوء الرسول (ص) :

من خلال النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت (ع) ومن خلال ممارساتهم التطبيقية نتبين الصيغة العملية لوضوء الرسول صلى الله عليه وآله . . .

١ - روى زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال :

«ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا : بلى ، فدعا بقعب فيه شيء من الماء ، فوضعه بين يديه ثم حسر عن ذراعيه ، ثم غمس فيه كفه اليمنى ثم قال : هكذا إذا كانت الكف طاهرة ، ثم غرف ملأها ماء فوضعها على جبهته ثم قال : بسم

---

(١) الفقه على المذاهب الخمسة ص ٣٦ .

الله ، وسدله على أطراف لحيته ، ثم أمرّ يده على وجهه وظاهر جبهته مرة واحدة ، ثم غمس يده اليسرى فغرف بها ملأها ثم وضعه على مرفقه اليمنى فأمرّ كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه ، ثم غرف بيمينه ملأها فوضعه على مرفقه اليسرى فأمرّ كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه ، ومسح مقدم رأسه وظهر قدميه ببلة يساره وبقية بلة يمناه»[1]

٢ ـ عن زرارة وبكير أنهما سألا الإمام الباقر (ع) عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله فدعا بطست أو تور فيه ماء ، فغمس يده اليمنى فغرف بها غرفه فصبها على وجهه فغسل بها وجهه ، ثم غمس كفه اليسرى فغرف بها غرفه فأفرغ على ذراعه اليمنى فغسل بها ذراعه من المرفق الى الكف لا يردها الى المرفق ، ثم غمس كفه اليمنى فأفرغ بها على ذراعه اليسرى من المرفق وصنع بها مثل ما صنع باليمنى ثم مسح رأسه وقدميه ببلل كفه لم يحدث لهما ماء جديداً»[2]

٣ ـ وروى المفيد بالاسناد إلى بكير وزراره ابني أعين أنّهما سألا أبا جعفر (ع) عن وضوء رسول الله (ص) فدعا بطست أو بتور فيه ماء فغسل كفيه ، ثم غمس كفه اليمنى في التور فغسل وجهه بها واستعان بيده اليسرى بكفه على غسل وجهه ، ثم غمس كفه اليسرى في الماء فاغترف بها من الماء فغسل يده اليمنى من المرفق إلى الأصابع لا يرد الماء إلى المرفقين ، ثم غمس كفه اليمنى في الماء فاغترف بها من الماء فأفرغه على يده اليسرى من المرفق الى الكف لا يرد الماء إلى المرفق كما صنع باليمنى ، ثم مسح رأسه وقدميه الى الكعبين بفضل كفيه لم يجدد ماءً»[3] .

آية الوضوء :

قوله تعالى في سورة (المائدة/ الآية ٦) :

﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين﴾ .

قد يقال بأن دلالة الآية صريحة في وجوب غسل اليدين بدءاً بالأصابع وانتهاءً بالمرفقين . . .

ولنا حول هذه الفهم للآية ملاحظتان :

---

(١) (٢) وسائل الشيعة ج ٢٧٢/١ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢٧٥/١ .

الملاحظة الأولى :

الآية ليست في مقام البيان «لكيفية الوضوء» فلا يستفاد من هذا النص أكثر من تحديد الأجزاء الواجبة في الوضوء ، وأما الكيفية فقد أوضحتها الصيغة العملية لوضوء الرسول صلى الله عليه وآله . .

فقوله تعالى : «فاغسلوا وجوهكم» بيان للواجب الأول من أجزاء الوضوء ، وقوله تعالى : «وأيديكم الى المرافق» بيان للواجب الثاني ، وبقية النص يحدد الواجبين الثالث والرابع ومن خلال السنة النبوية استطعنا أن نتعرف على الكيفية العملية لممارسة هذه الأجزاء الواجبة .

ربما يقال أنّ قوله تعالى «وأيديكم الى المرافق» بيان لكيفية الغسل ، ونجيب أنّ قوله تعالى «الى المرافق» ليس تحديداً للغسل ، بل هو تحديد للمغسول حيث أنّ لفظة «اليد» لها عدة اطلاقات في اللغة تتمثل في :

- الأصابع . .
- الكف .
- الذراع . .
- العضو الذي يمتد الى الكتف . .

فمن أجل إزالة حالة الابهام جاء التقييد بقوله تعالى : «الى المرافق» لالغاء الاحتمالات الاخرى ، ولعلى فتوى فقهاء المذاهب الأربعة بالجواز لا الوجوب في الابتداء بالأصابع يؤكد هذا الفهم .

الملاحظة الثانية :

إنّ لفظة «إلى» تستعمل أحياناً بمعنى «مع» كما في قوله تعالى : ﴿ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم﴾ وقوله تعالى : ﴿من أنصاري الى الله﴾ وبناء على هذا الاستعمال نحتمل أنّ لفظة «إلى» في قوله تعالى : ﴿وأيديكم الى المرافق﴾ بمعنى «مع» .

النقطة الثانية :

حكم الأرجل في الوضوء :

تتجه مدرسة الأئمة من أهل البيت الى وجوب مسح الأرجل ، بينما يرى فقهاء المذاهب الاربعة وجوب غسل الأرجل في الوضوء . .

النص القرآني يؤكد المسح :

قوله تعالى في سورة (المائدة/ الآية٦) :

﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين﴾

يمكن الاستدلال بهذا النص على وجوب المسح ، وذلك على النحو التالي :

١ ـ في قوله تعالى : «وأرجلكم» وردت قراءتان مشهورتان :

القراءة الأولى :

«وأرجلكم» بالجر .

وهي قراءة ابن كثير ، وحمزه ، وأبي عمرو ، وعاصم (في رواية ابي بكر عنه) كما ذكر ذلك الرازي في تفسيره الكبير(١) .

وبناء على هذه القراءة فالأرجل معطوفة على الرؤوس فوجب مسحها كما وجب ذلك في الرؤوس .

القراءة الثانية :

قراءة «وأرجلكم» بالنصب .

وهي قراءة نافع ، وابن عامر ، وعاصم في رواية حفص عنه كما ذكر ذلك الرازي في تفسيره الكبير (ج١١/١٦١) .

وبناء على هذه القراءة ، فحكم الأرجل المسح كذلك ، لأنّها معطوفة على الرؤوس المنصوبة محلاً ، المجرورة لفظاً ، فقوله تعالى : «برؤوسكم» لها حالتان :

ـ النصب محلاً لأنّها مفعول به .

ـ الجر لفظاً لأنّها مسبوقة بحرف الجر . .

فالأرجل المعطوفة على الرؤوس يجوز فيها حالتان :

ـ النصب عطفاً على «المحل» .

ـ الجر عطفاً على «اللفظ» .

والعطف على «المحل» وارد في لغة العرب ، فيقال : «ليس فلان بعالم ولا عاملاً» بنصب «عامل» عطفاً على «محل عالم» .

٢ ـ لا يصح عطف الأرجل على الوجوه والأيدي حيث لا يجوز العطف على الأبعد مع إمكان العطف على الأقرب ، وكذلك لوجود الفاصل الأجنبي ، فلا يصح أن يقال : «ضربت زيداً ومررت ببكر وخالداً» بعطف «خالد» على «زيد» لوجود الفاصل وهو «مررت ببكر» .

---

(١) الرازي : التفسير الكبير ج ١١/١٦١ .

وكذلك في آية الوضوء :

﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين﴾ .

لا يصح عطف «أرجلكم» على «وجوهكم وأيديكم» لإمكان العطف على الأقرب وهو «رؤوسكم» ولوجود الفاصل الأجنبي وهو جملة «وامسحوا برؤوسكم» .

٣ ـ أكد كثير من أعلام أهل السنّة عطف «الأرجل» على «الرؤوس» منهم :

أ ـ الرازي في تفسيره الكبير (الجزء ١١/١٦١)

ب ـ الشيخ ابراهيم الحلبي في كتابه (غنية المتملي في شرح منية المصلي) على المذهب الحنفي . . ص ١٦ حيث قال :

«والصحيح أنّ الأرجل معطوفة على الرؤوس في القراءتين ونصبها على المحل وجرها على اللفظ»[1] .

ج ـ العلامة أبو الحسن السندي الحنفي في حاشيته على سنن ابن ماجه (ج١/٨٨ ط ١٣١٣) حيث قال :

«وظاهر القرآن يقتضي المسح كما جاء عن ابن عباس (ثم قال) : وإنّما كان المسح هو ظاهر الكتاب لأنّ قراءة الجر ظاهرة فيه ، وحمل قراءة النصب عليها بجعل العطف على المحل أقرب من حمل قراءة الجر على قراءة النصب كما صرح به النحاة لشذوذ الجوار واطراد العطف على المحل وأيضاً فيه خلوص عن الفصل بالأجنبي بين المعطوف والمعطوف عليه فصار ظاهر القرآن هو المسح»[2]

د ـ الطبري في تفسيره قال :

«حدثنا ابن حميد وابن وكيع قال حدثنا جرير عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن علقمه أنه قرأ ﴿وأرجلكم﴾ مخفوضة اللام»[3] .

هـ ـ الجصاص في (تفسير أحكام القرآن) قال :

«قرأ ابن عباس والحسن وعكرمة وحمزه وابن كثير ﴿وأرجلكم﴾ بالخفض وتأولوها على المسح»[4] .

---

(١) يقرأ : شرف الدين : مسائل فقهية ص ٩٣ .
نجم الدين العسكري : الوضوء في الكتاب والسنة ص ١٥ .

(٢) يقرأ : مسائل فقهية ص ٩٤ .
الوضوء في الكتاب والسنة ص ١٥ .

(٣) الوضوء في الكتاب والسنة ص ٩١ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٠٠ .

الصيغة العملية لوضوء الرسول (ص) :

وقد أكّدت هذه الصيغة وجوب المسح على الأرجل ولنا في إثبات هذه الصيغة طريقان :

الطريق الأول :

روايات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام :

١ ـ عن بكير بن أعين عن الإمام الباقر عليه السلام قال : «ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بكفه اليمنة كفاً من ماء فغسل به وجهه ثم أخذ بيده اليسرى كفاً فغسل به يده اليمنى ، ثم أخذ بيده اليمنى كفاً من ماء فغسل يده اليسرى ، ثم مسح بفضل يديه رأسه ورجليه»[1] .

٢ ـ عن زرارة قال : حكى أبو جعفر (الإمام الباقر) «وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدعا بقدح من ماء فأخذ كفاً من ماء فأسدله على وجهه ، ثم مسح وجهه من الجانبين جميعا ، ثم أعاد يده اليسرى في الإناء فاسدلها على يده اليمنى ، ثم مسح جوانبها ، ثم أعاد اليمنى في الاناء فصبها على اليسرى ثم صنع بها كما صنع باليمنى ، ثم مسح بما بقي في يده رأسه ورجليه ولم يعدهما في الإناء»[2] .

٣ ـ عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : «ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله قلت : بلى ، قال : فادخل يده في الإناء ولم يغسل يده فأخذ كفاً من ماء فصبّه على وجهه ثم مسح جانبيه حتى مسحه كله ثم أخذ كفاً آخر بيمينه فصبّه على يساره ثم غسل به ذراعه الأيمن ، ثم أخذ كفاً آخر فغسل به ذراعه الأيسر : ثم مسح رأسه ورجليه بما بقي في يديه»[3] .

٤ ـ عن أبان بن عثمان عن ميسر عن الإمام الباقر (ع) قال : «ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أخذ كفاً من ماء فصبها على وجهه ثم أخذ كفاً فصبها على ذراعه ثم أخذ كفا آخر فصبّها على ذراعه الأخرى ، ثم مسح رأسه وقدميه ثم وضع يده على ظهر القدم ثم قال : هذا هو الكعب»[4] .

٥ ـ عن أبي اسحاق الهمداني عن أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى محمد بن أبي بكر لما ولّاه مصر قال :

---

(١) (٢) وسائل الشيعة ج ٢٧٣/١ ، ٢٧٤ .

(٣) (٤) وسائل الشيعة ج ٢٧٤/١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ .

«وانظر إلى الوضوء فإنّه من تمام الصلاة ، تمضمض ثلاث مرات ، واستنشق ثلاثاً ، وأغسل وجهك ، ثم يدك اليمنى ، ثم اليسرى ، ثم امسح رأسك ورجليك ، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصنع ذلك»[1] .

الطريق الثاني :

روايات مدوّنة في المصادر السّنية :

١ ـ أخرج ابن ماجة في (سننه) عن رفاعة بن رافع أنّه كان جالساً عند النبي (ص) فقال :

«إنّها لا تتم صلاة لأحد حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين»[2] .

٢ ـ وأخرج ابن ماجة في (سننه) عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الرّبيعّ قالت : أتاني ابن عباس عن هذا الحديث ، تعني حديثها الذي ذكرت أن رسول الله (ص) توضأ وغسل رجليه ، فقال ابن عباس : «إنّ الناس أبوا إلاّ الغسل ولا أجد في كتاب الله إلاّ المسح»[3] .

٣ ـ أخرج أحمد بن حنبل في (مسنده) عن علي عليه السلام قال : «كنت أرى أنّ باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله (ص) يمسح ظاهرهما»[4] .

٤ ـ أخرج الحاكم في «المستدرك (ج ١/٢٤١) يسنده إلى رفاعه بن رافع عن رسول الله (ص) قال :

إنّها لا تتم صلاة أحد حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله عز وجل ، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين» . (وقال الحاكم) : هذه حديث صحيح على شرط الشيخين .

وأخرج الحاكم هذا الحديث بخمسة أسانيد صحيحة .

٥ ـ أخرج أحمد بن حنبل في (مسنده ج ١/١١٦) عن علي (ع) قال : «لولا أني رأيت رسول الله (ص) مسح على ظهر قدميه رأيت أنّ بطونهما أحق» .

---

(١) وسائل الشيعة ج/٢٧٩ .
(٢) سنن ابن ماجه ج ١/١٥٦ .
(٣) المصدر نفسه ج ١/١٥٦ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ج ١/٩٥ .

٦ ـ أخرج ابن حجر العسقلاني في كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة) في ترجمة تميم بن زيد الانصاري بسنده عن عباد بن تميم عن أبيه أنه قال : «رأيت رسول الله (ص) يتوضأ ويمسح الماء على رجله»

٧ ـ أخرج أحمد بن حنبل في (مسنده ج ٣٤٢/٥) بسنده عن أبي مالك الأشعري .أنّه قال لقومه : إجتمعوا أصلي بكم صلاة رسول الله (ص) فلمّا اجتمعوا قال : هل فيكم أحد غيركم ، قال : إلا ابن أخت لنا ، قال : ابن أخت القوم منهم ، فدعا بجفنة فيها ماء فتوضأ ومضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً . ومسح برأسه وظهر قدميه ثم صلى بهم . ...»[٢] .

٨ ـ قال الشوكاني في (نيل الأطار ج ١٦٤/١) أخرج الطبراني في (معجمه الكبير) عن عباد بن تميم عن أبيه قال : رأيت رسول الله (ص) يتوضأ ويمسح على رجليه»[٣]

٩ ـ أخرج الجصاص في (أحكام القرآن ج ٣٤٧/١) عن شعبه عن عبد الملك بن ميسره عن النزال بن سبرة : أنّ علياً صلى الظهر ثم قعد في الرحبة فلمّا حضرت العصر دعا بكوز من ماء فغسل يديه ووجهه وذراعيه ، ومسح برأسه ورجليه وقال : هكذا رسول الله (ص) فعل[٤] .

---

(١) الوضوء في الكتاب والسنة ص ٢٧ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٣٤٢/٥ .

(٣) (٤) الوضوء في الكتاب والسنة ص ٢٤ ، ٤٤ .

المسألة الثانية

ما يصح السجود عليه في الصلاة

(١) مدرسة أهل البيت (ع) :

يجب أن يكون موضع الجبهة في الصلاة من الأرض أو ما أنبته الأرض مما لا يؤكل ولا يلبس في الغالب ، فلا يصح السجود على المعادن ، والرماد ، والقطن ، والكتان والصوف ، والجلود . . .

ويجوز السجود على القرطاس . . .

(٢) فقهاء المذاهب الأربعة :

يجوّزون السجود على كل شيء (يقرأ : الفقه على المذاهب الخمسة ص ١٠٠) .

أدلة المدرسة الإماميه :

الدليل الأول :

أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله :

١ ـ قال صلى الله عليه وآله :

«جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا»[١] .

٢ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«جعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً»[٢] .

٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً ، أينما أدركتني الصلاة صليت»[٣]

---

(١) صحيح البخاري ج ١/٢٠٩ .
صحيح مسلم ج ١/٣٧١ .
(٢) صحيح مسلم ج ١/٣٧١ ،
(٣) وسائل الشيعة ج ٣/٤٢٣ .

٤ ـ وقال صلى الله عليه وآله :
«إن الله جعل الأرض مسجداً وطهوراً أينما كنت أتيمم وأصلي عليها»[١] .
٥ ـ وقال صلى الله عليه وآله :
«الأرض لك مسجداً فحيثما أدركت الصلاة فصل»[٢] .
٦ ـ وقال صلى الله عليه وآله :
«إذا سجدت فمكن جبهتك وأنفك من الأرض»[٣] .
٧ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه «نهى أن يسجد المصلي على ثوبه أو على كمه أو على كور عمامته»[٤] .

الدليل الثاني :

السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وآله :

توافرت الأخبار الكثيرة الدالة على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله ما كان يسجد في حال الإختيار إلا على :
ا ـ الأرض .
ب ـ الخمرة .
ج ـ الحصير . .
وندون هنا بعض النصوص الواردة في المصادر السنية :
١ ـ عن أبي سعيد الخدري في حديث جاء فيه :
«وكان سقف المسجد جريد النخل وما نرى في السماء شيئاً فجاءت قزعة فأمطرنا ، فصلى بنا النبي صلى الله عليه وآله حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله(ص) وأرنبته»[٥]
٢ ـ عن عائشة قالت وهي تتحدث عن صلاة رسول الله(ص) :
«وما رأيته يتقي على الأرض بشيء» تعني في السجود . .[٦] .

---

(١) البحار ج ٢٧٧/٣ .
(٢) (٣) السجود عى الأرض ص ٤٨ .
(٤) البحار ج ١٥٦/٨٥ .
(٥) صحيح البخاري ج٢/٣٨٦ .
(٦) مسند أحمد ج٦/٥٨ .

٣ ـ عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : رأيت رسول الله(ص) يسجد على الأرض واضعاً جبهته وأنفه في سجوده»[١] .
٤ ـ وعن وائل قال : رأيت رسول الله(ص) يضع أنفه على الأرض إذا سجد مع جبهته»[٢] .
٥ ـ عن أنس بن مالك :
«أنّ رسول الله(ص) صلى على حصير»[٣] .
٦ ـ عن أنس : أنّ جدته مليكة دعت رسول الله(ص) لطعام صنعته فأكل منه ، ثم قال : قوموا فأصلي معكم قال أنس : فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس ، فنضحته بماء فقام عليه رسول الله . .»[٤] .
٧ ـ عن أبي سعيد قال : صلى رسول الله(ص) على حصير[٥] .
٨ ـ عن أبي سعيد الخدري أنّه دخل على رسول الله(ص) فوجده يصلي على حصير يسجد عليه [٦] .
٩ ـ عن أم سلمة :
«أنّ رسول الله(ص) كان يصلي على الخمرة»[٧] .
١٠ ـ عن ابن عمر :
«كان النبي (ص) يصلي على الخمرة»[٨] .
١١ ـ عن عائشة :
«أنّ النبي (ص) كان يصلي على الخمرة»[٩] .
١٢ ـ عن ميمونة زوج النبي(ص) قالت :
«كان رسول الله(ص) يصلي على الخمرة»[١٠] .

---

(١) مسند أحمد ج٤/٣١٧ .
(٢) مسند أحمد ج٣/١٧٩ .
(٣) صحيح البخاري ج١/٢٣١ .
(٤) صحيح مسلم ج /٤٥٧ .
(٥) سنن ابن ماجة ج١/٣٢٨ .
(٦) صحيح مسلم ج١/٤٥٨ .
(٧) صحيح البخاري ج١/٢٣١ .
(٨) (٩) صحيح الترمذي ج٢/١٥١ .
(١٠) سنن ابن ماجة ج١/٣٢٨ .

معنى الخمرة :

١ ـ قال ابن منظور في (لسان العرب) :
«الخمرة : حصيرة أو سجادة صغيرة تنسج من سعف النخل وترمل بالخبوط ، وقيل حصيره أصغر من المصلى وقيل الحصير الصغير الذي يسجد عليه ، وفي الحديث : (أن النبي (ص) كان يسجد على الخمرة) وهو حصير صغير قدر ما يسجد عليه ينسج من سعف النخل .

قال الزجاج : سميت خمرة لأنّها تستر الوجه من الأرض وفي حديث أم سلمة : (قال لها وهي حائض ناوليني الخمرة) وهي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصيرة أو نسيجة خوص ونحوه من النبات . قال : ولا تكون خمرة إلّا في هذا المقدار ، وسميت خمرة لأنّ خيوطها مستورة بسعفها»[١] .

٢ ـ وقال الفيروزابادي في (القاموس المحيط) :
«الخمرة بالضم حصيرة صغيرة من السعف»[٢] .

٣ ـ وقال الزبيدي في (تاج العروس) :
وهي [أي الخمرة] حصيرة صغيرة تنسج من سعف النخل وترمل بالخيوط»[٣] .

٤ ـ وجاء في دائرة المعارف الاسلامية (ج١١/٢٧٦) :
«قد تردد أنّ النبي(ص) كان يؤدي الصلاة على خمرة (البخاري كتاب الصلاة باب ٢١ ، مسلم كتاب المساجد حديث ٣٧٠ ، الترمذي كتاب الصلاة باب ١٢٩ ، أحمد بن حنبل ج١/٢٦٩، ٣٠٨..) .
والظاهر أنّ الخمرة لم تكن تختلف عن الحصير في المادة وإنَّما كانتْ تختلف عنه في الحجم . .»[٤] .

٥ ـ وجاء في هامش كتاب (البحار) للعلامة المجلسي :
«الخمرة : حصيرة تعمل من سعف النخل وترمل بالخيوط ، وكان أصل استعمالها خمرة أي سترة وغطاء لرأس الكوز والأواني ، ولما كانت مما أنبتت الأرض وكانت سهل

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج٤/٢٥٨ (مادة خمر) .
(٢) الفيروزا ابادي : القاموس المحيط ص٤٩٥ (مادة خمر) .
(٣) الزبيدي : تاج العروس ج٣/١٨٨ (مادة خمر) .
(٤) يقرأ : السجود على الأرض ص٨٥، ٨٦ .

التناول اتخذها رسول الله(ص) مسجداً لجبهته الشريفة فصارت السجدة على الأرض فريضة وعلى الخمرة سنة»[1] .

الدليل الثالث :

أحاديث الأئمة من أهل البيت(ع) وسيرتهم العملية :

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :
«السجود لا يجوز إلّا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلّا ما أكل أو لبس»[2] .
٢ ـ وقال عليه السلام :
«السجود على ما أنبتت الأرض إلّا ما أكل أو لبس»[3] .
٣ ـ وقال عليه السلام :
«ولا يسجد إلّا على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلّا المأكول والقطن والكتان»[4] .
٤ ـ سئل الإمام الباقر عليه السلام عن السجود على الزفت (يعني القير) فقال :
«لا ولا على الثوب الكرسف ، ولا على الصوف ، ولا على شيء من الحيوان ، ولا على طعام ، ولا على شيء من ثمار الأرض ، ولا على شيء من الرياش»[5] .
٥ ـ وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن الصلاة على البساط والشعر والطنافس فقال : «لا تسجد عليه ، وإن قمت عليه وسجدت على الأرض فلا بأس ، وإن بسطت عليه الحصير وسجدت على الحصير فلا بأس»[6] .
٦ ـ قال الإمام الصادق(ع) :
«دعا أبي بالخمرة فأبطأت عليه فأخذ كفاً من حصى فجعله على البساط ثم سجد»[7] .
٧ ـ وعن الإمام الصادق أو أبيه الإمام الباقر عليهما السلام :
«كان أبي يصلي على الخمرة يجعلها على الطنفسة ويسجد عليها ، فإذا لم تكن خمرة جعل حصى على الطنفسة حيث يسجد عليها»[8] .
٨ ـ وروى عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام :
«عن الرجل يسجد وعليه العمامة لا يصيب وجه الأرض ، قال : لا يجزئه ذلك حتى تصل جبهته الى الأرض»[9] .

---

(١) هامش بحار الأنوار ج٧٦/١٣٦ .
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) وسائل الشيعة ج٣/٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤ .
(٨) (٩) الكافي ج٣/٣٣٢ ، ٣٣٤ .

٩ ـ وعن الإمام الصادق أو عن أبيه عليهما السلام :
«لا بأس بالقيام على المصلى من الشعر والصوف إذا كان يسجد على الأرض فإذا كان من نبات فلا بأس بالقيام عليه والسجود عليه»[١] .
١٠ ـ وعن اسحاق بن الفضيل أنّه سأل أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن السجود على الحصر والبواري فقال : «لا بأس وأن يسجد على الأرض أحبّ إليّ ، فإنّ رسول الله(ص) كان يحب أن يمكن جبهته من الأرض ، فأنا أحب لك ما كان رسول الله يحبه»[٢] .

السجود على التربة الحسينية :

نحاول أن نحدد رؤيتنا حول السجود على التربة الحسينية من خلال النقاط التالية :

النقطة الاولى :

السجود على التربة الحسينية يمثل حالة من حالات السجود على الأرض ، فإن كان اجماع المسلمين قائم على صحة السجود على الأرض وترابها ، فلا نجد أي مبرر لاستثناء هذه التربة ، وما يطرح من تصورات لتبرير هذا الاستثناء لا يحمل صيغة علمية مقبولة .

النقطة الثانية :

الإشكالية التي تثار حول السجود على التربة الحسينية باعتباره لوناً من ألوان السجود لغير الله تعالى إشكالية واهية لأنّ السجود له صيغتان :
ـ السجود للشيء .
ـ السجود على الشيء .
والفارق كبير بين الحالتين إذ تمثل الحالة الاولى لوناً من ألوان الشرك إذا كان المسجود له غير الله تعالى . .
والشيعة حينما يضعون جباههم في الصلاة على هذه التربة لا يعبرون عن الحالة الأولى ، وإنّما يعبرون عن الحالة الثانية وسجودهم خالص لله وحده لا شريك له .
وفتاوى فقهاء الشيعة صريحة في حرمة السجود لغير الله تعالى . .

---

(١) الكافي ج ٣٣١/٣ .
(٢) الوسائل ج٦٠٩/٣ .

قال السيد اليزدي في (العروة الوثقى) :

«يحرم السجود لغير الله تعالى فإنّه غاية الخضوع فيختص بمن هو في غاية الكبرياء والعظمة»[1] .

وقال السيد الخوئي في (منهاج الصالحين) :

«يحرم السجود لغير الله تعالى من دون فرق بين المعصومين وغيرهم»[2] .

فالشيعة يجسّدون في حالات السجود قمة العبودية والخشوع والتذلل لله تعالى ، تبرهن على ذلك تلك الألوان من الأدعية التي يرددونها في سجداتهم الذائبة مع الله تعالى كما أدبهم أئمتهم الطاهرون من أهل البيت عليهم السلام .

فمن أدعية السجود وأذكاره التي تعلمها الشيعة من أئمة أهل البيت عليهم السلام :

١ ـ «سبحان ربي الأعلى وبحمده» .

٢ ـ «لا إله إلّا الله حقاً حقاً ، لا إله إلّا الله إيماناً وتصديقاً ، لا إله إلّا الله عبودية ورقة ، سجدت لك يا رب تعبداً ورقة لا مستنكفاً ولا مستكبراً ، بل أنا عبد ذليل خائف مستجير» .

٣ ـ «اللهم لك سجدت . وبك آمنت ، ولك أسلمت وعليك توكلت ، وأنت ربي ، سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره ، والحمد لله رب العالمين ، تبارك الله أحسن الخالقين» .

النقطة الثالثة :

ربما يقال إنّ الشيعة يمارسون بعض حالات التقديس للتربة الحسينية كالتقبيل والعناية والاحترام وهذا يثير الشك والريبة في طبيعة هذا التعامل .

ونجيب :

أولاً : هذه الحالات لا تمثل ممارسات غير مشروعة ، وإلّا فالمسلمون قاطبة يمارسون الاحترام والعناية والتقبيل للقرآن والكعبة والحجر الأسود ، فهل يقال بأنّهم يعبدون القرآن والكعبة والحجر الأسود ؟

ثانياً : الشيعة حينما يقبلون التربة إنّما يجسدون العشق والحب لسبط الرسول صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام .

ثالثاً : الشيعة يقتدون بسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فهو أول من قبّل هذه التربة الطاهرة كما أكدت ذلك عدة من الأخبار :

---

(١) العروة الوثقى ج١/٥٣٤ مسألة ٢٤ .

(٢) منهاج الصالحين ج١/١٧٩ مسألة ٦٥٩ .

١ ـ روى الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين ج٤/٣٩٨) عن أم سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله(ص) اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الاولى ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها، فقلت ما هذه التربة يا رسول الله ؟

قال : أخبرني جبريل(ع) أنّ هذا يقتل بأرض العراق للحسين، فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها....

(ثم قال الحاكم) : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [البخاري ومسلم] ولم يخرجاه» .

٢ ـ وروى أحمد بن حنبل في (مسنده ج٦/٢٩٤) عن أم سلمة أو عائشة أنّ النبي(ص) قال :

«لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها فقال لي أنّ ابنك هذا حسيناً مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال : فأخرج تربة حمراء» .

٣ ـ وروى الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج٩/١٩٠) عن علي(ع) قال : دخلت على النبي(ص) ذات يوم وإذا عيناه تذرفان، قلت : يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان، قال : بل قام من عندي جبريل(ع) فحدثني أنّ الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال : هل لك أن أشمك من تربته ؟ قلت : نعم، قال فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا .

(قال الحافظ الهيثمي) : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجاله ثقات .

٤ ـ وروى الطبراني في (الكبير) عن أم سلمة قالت : اضطجع رسول الله(ص) ذات يوم فاستيقظ وهو حائر النفس وفي يده تربة حمراء يقبلها، فقالت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟

قال : أخبرني جبرئيل أنّ هذا يقتل بأرض العراق (للحسين) فقلت لجبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها[1] .

٥ ـ وروى السيوطي في (الخصائص الكبرى) في باب أخبار النبي(ص) بقتل الحسين(ع) ما يناهز العشرين حديثاً عن أكبر الثقات من رواة علماء السنّة ومشاهيرهم كالحاكم والبيهقي وأبي نعيم واضرابهم عن أم سلمة وأم الفضل وعائشة وابن عباس وأنس صاحب رسول الله(ص) وخادمه الخاص كلها تؤكد خبر التربة التي نزل بها جبرئيل على رسول الله (ص)[2] .

---

(١) الخوئي : البيان ص٥٢٤ .

(٢) محمد الحسين كاشف الغطاء : الأرض والتربة الحسينية ص٩٤ .

٦ ـ وأورد الأحمدي في كتابه (السجود على الأرض ص١١٦، ١١٧) عدة مصادر اخرى ذكرت (خبر التربة) منها :

أ ـ ذخائر العقبى (ص١٤٧) .
ب ـ كنز العمال (ج١٣/١٠٨) .
ج ـ المناقب للمغازلي (ص٣١٤) .
د ـ العقد الفريد (ج٢/٢١٩) .
هـ ـ ميزان الاعتدال (ج١/٨) .
و ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي (ص١٥٤) .
ز ـ نور الأبصار للشبلنجي (ص١١٦) .
ح ـ مقتل الحسين للخوارزمي (ج١/١٥٨) .
ط ـ النهاية لابن الأثير (ج٦/٢٣٠) .
ي ـ الصواعق المحرقة لابن حجر (ص١٩٠) .
ك ـ ينابيع المودة للقندوزي (ص٣١٨) .
ل ـ الفتح الكبير للبنهاني (ج١/٢٢) .
م ـ تاريخ الاسلام للدمشقي (ج٣/١١) .

النقطة الرابعة :

الأئمة من أهل البيت عليهم السلام كانوا يؤكدون مسألة السجود على التربة الحسينية :

١ ـ كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أول من سجد على التربة الحسينية[1] .

٢ ـ وكان للإمام الصادق عليه السلام خريطة من ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، فكان إذا حضرته الصلاة صبّه على سجادته وسجد عليها[2] .

٣ ـ وروى الحر العاملي في (الوسائل ج٣/٦٠٨) عن الديلمي قال : كان الصادق عليه السلام لا يسجد إلاّ على تربة الحسين عليه السلام تذللاً لله واستكانة اليه .

---

(١) روح التشيع ص٤٥٥ .
(٢) المصدر نفسه ص٤٥٥ .

٤ ـ وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور الى الأرضين السبعة ومن كانت معه سبحته من طين قبر الحسين(ع) كتب مسبحاً وإن لم يسبح»[1] .

٥ ـ وعنه عليه السلام قال :

«إنَّ السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السبع»[2] .

٦ ـ وكتب محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري الى الإمام الثاني عشر يسأله عن السجدة على لوح من طين قبر الحسين(ع) هل فيه الفضل .

فأجابه عليه السلام : يجوز ذلك وفيه الفضل[3] .

النقطة الخامسة :

الدلالات الكبيرة للسجود على التربة الحسينية :

(١) الدلالة العقائدية :

فعلى هذه التربة أريقت أزكى الدماء الطاهرة دفاعاً عن العقيدة والمبدأ والرسالة ، فالسجود عليها يمثل حالة التعاطي والتفاعل مع العمق العقائدي الذي تختزنه هذه التربة في داخلها ، وتحتضنه بين ذراتها وتحمله مع أريجها العابق بالطهر والقداسة ، فمن خلال هذا السجود يتجذر الانتماء الايماني وتتأصل حالة الخشوع والتذلل لله تعالى . .

(٢) الدلالة الروحية :

إنَّ هذه التربة شهدت أقدس ثورة مناقبية ، احتضنت قيم الرسالة وأخلاقية الاسلام وروحية المبدأ ، وشهدت أنقى حالات الحب والانقطاع الى الله تعالى وأصدق معاني الفناء في ذات الله ، فالسجود على هذه التربة يجسد حالات الانفتاح على آفاق القيم والمثل التي صاغتها تلك التضحيات الكبيرة في طريق الحب الإلهي العظيم . . فالذرات التي ترقد بين حنايا تربة الحسين تمثل نبضاً حياً تتحرك من خلاله كل المثل الرسالية ، وتتماوج على أصدائه كل المعاني الايمانية ، وتنسكب مع عبقاته كل القيم الروحية .

فليس غريباً أن يجد الانسان المؤمن نشوة روحية تشده الى أجواء الطهر والقداسة والايمان حينما يتعاطى مع هذه التربة التي تحمل بين حناياها روح الحسين الشهيد .

---

(١) (٢) (٣) وسائل الشيعة ج٣/٦٠٧ ، ٦٠٨ .

ولا تنفتح هذه الآفاق الايمانية والروحية إلّا لأولئك الذين عاشوا الانفتاح على حب الحسين عليه السلام ، وذابت أرواحهم ومشاعرهم في مأساة الحسين ، وتأصلت في نفوسهم أهداف الحسين .

(٣) الدلالة التاريخية :

التربة الحسينية هي الوثيقة التاريخية الحية التي تحمل شواهد الجريمة التي نفذها نظام الحكم الأموي في يوم عاشوراء ، وإذا كانت الأجهزة الظالمة عبر التاريخ قد مارست أساليب المصادرة لقضية كربلاء ، فإنّ الأئمة من أهل البيت(ع) رسّخوا في وعي الأمة وفي وجدان الأجيال حالة التعاطي والارتباط بقضية الحسين عليه السلام من خلال الإحياء والرثاء والبكاء والزيارة . . وفي هذا المسار تأتي مسألة التأكيد على التربة الحسينية لإبقاء القضية حية نابضة في ضمير الأمة وتبقى الذكرى متجذرة في عمق المسيرة التاريخية لحركة الجماهير وفي حاضرها وفي كل طموحاتها المستقبلية .

(٤) الدلالة الجهادية والثورية :

بمقدار ما تعيش قضية الحسين(ع) في وجدان الأمة تتحدد قوة الدفع الجهادي والثوري في حركتها وفي مسيرتها فقضية كربلاء أعادت للأمة أصالتها الجهادية وأيقظت في داخلها حسّها الثوري .

وقد حافظ الأئمة من أهل البيت(ع) على الوهج الجهادي والثوري لقضية الحسين(ع) وصاغوا حالة التفاعل الدائم مع الثورة الحسينية في منطلقاتها وأهدافها ومعطياتها .

والتربة الحسينية احدى صيغ التجذير للوهج الثوري والجهادي في حس الجماهير المسلمة ، فالتعامل مع هذه التربة ليس تعاملاً مع كتلة ترابية جامدة وإنّما هو تعامل مع مزيج متحرك من مفاهيم الثورة وقيم الجهاد ، ومضامين الشهادة ، فمع كل ذرة من ذرات هذه التربة صرخة جهادية ونداء ثوري ، ومفهوم استشهادي ، لا يقوى الزمن بكل امتداداته ، ولا تقوى الأجهزة المتسلطة بكل امكاناتها أن تجمد تلك الدلالات ، فالتربة الحسينية ثورة وجهاد وحركة واستشهاد .

المسألة الثالثة

الجمع بين الصلاتين

(١) مدرسة أهل البيت (ع) :

أكدت على جواز الجمع بين صلاتي الظهر والعصر ، وبين صلاتي المغرب والعشاء مطلقاً في السفر والحضر لعذر أولغير عذر .

(٢) المذاهب الأربعة :

أجمع أئمة المذاهب الأربعة على جواز الجمع بين الظهر والعصر في عرفة جمع تقديم ، وبين المغرب والعشاء في المزدلفة جمع تأخير ، ومنع أبو حنيفة الجمع بين الفريضتين في ما عدا ذلك مطلقاً وأمّا مالك والشافعي وأحمد فأجازوا الجمع في السفر وإختلفوا في ما عداه من الأعذار كالمرض والمطر والخوف[1] .

أدلة الجمع :

الدليل الأول :

قوله تعالى في سورة (الإسراء /الآية ٧٨) : **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾** .

يمكن أن نقرب الإستدلال بهذا النص على جواز الجمع بين الصلاتين على النحو التالي :

١ ـ النص توافر على المفردات التالية :

ـ الدلوك : الزوال .

ـ الغسق : فيه قولان :

أ ـ أول ظلمة الليل .

ب ـ شدة الظلمة في نصف الليل .

ـ قرآن الفجر : صلاة الفجر .

---

(١) شرف الدين : مسائل فقهية ص٧ ، ٨ .

٢ ـ بناء على تفسير «الغسق» بأول الليل يكون النص قد حدد ثلاثة أوقات للصلاة :
الوقت الأول : الزوال .
الوقت الثاني : أول الليل .
الوقت الثالث : الفجر .
فالزوال بداية الوقت للظهر والعصر معاً .
وأول الليل بداية الوقت للمغرب والعشاء معاً .
والفجر وقت خاص بصلاة الصبح .

٣ ـ وبناء على تفسير «الغسق» بنصف الليل يكون النص أيضاً دالاً على جواز الجمع ، فوقت الفرائض الأربع : الظهر والعصر والمغرب والعشاء ممتد من الزوال إلى منتصف الليل ، فالظهر والعصر يشتركان في الوقت من الزوال الى الغروب إلاّ أنّ الظهر قبل العصر ، ويشترك المغرب والعشاء في الوقت من الغروب إلى نصف الليل غير أنّ المغرب قبل العشاء ، أمّا فريضة الصبح فقد أختصها الله بوقتها المنوه في قوله سبحانه . **«وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً»**[1] .

٤ ـ وقد أكّد دلالة النص على ذلك ما ورد من تفسير عن أئمة أهل البيت عليهم السلام :

روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن عبيدة بن زراره عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى :

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل . . .﴾(منها صلاتان أول وقتهما من عند زوال الشمس الى غروب الشمس إلاّ أنّ هذه قبل هذه ، ومنها صلاتان أول وقتهما من غروب الشمس إلى إنتصاف الليل إلاّ أنّ هذه قبل هذه . . .)[2] .

٥ ـ ما ورد في التفاسير السنية حول هذه الآية :

قال الرازي في تفسيره الكبير :

«فإن فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة كان الغسق عبارة عن أول المغرب وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاث أوقات : وقت الزوال ، ووقت أول المغرب ، ووقت الفجر ، وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين ، وأن يكون أول المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً[3] .

---

(١) مسائل فقهية ص٢١ .
(٢) كنز العرفان ج١/٦٧ .
(٣) الرازي : التفسير الكبير ج٢١/٢٧ .

وبعد أن أكّد الرازي دلالة الآية على جواز الجمع بين الفريضتين مطلقاً ، عقّب على ذلك بقوله : «إلّا أنّه دل الدليل على أنّ الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز فوجب أن يكون الجمع جائزاً بعذر السفر وعذر المطر وغيره» .

وهذا التعقيب مرفوض حيث دل الدليل على جواز الجمع مطلقاً كما سنبين قريباً إن شاء الله تعالى .

وقال البغوي في (معالم التنزيل) :

«حمل الدلوك على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به ، ولأنّا إذا حملنا عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها ، فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر ، وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر هو صلاة الصبح»[1] .

الدليل الثاني :

السنة النبوية التي أكدت من خلال الصيغة العملية أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد جمع بين الفريضتين مطلقاً .

ولنا في إثبات ذلك طريقان :

الطريق الأول :

ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام :

١ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

(صلى رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علة»[2] .

٢ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام قال :

«صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علة ، وصلّى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير علة ، وإنّما فعل ذلك رسول الله (ص) ليتسع الوقت على أمته»[3] .

٣ ـ وعنه عليه السلام قال :

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علة بأذان واحد وإقامتين»[4] .

---

(١) أسد حيدر : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٦/٣٥٨ .

(٢) (٣) وسائل الشيعة ج٣/٩٢ ، ١٠١ .

(٤) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٦/٣٦١

٤ ـ وعنه عليه السلام قال :

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير علة ولا سفر ، فقال له عمر : أحدث في الصلاة شيء ؟

قال (ص) : لا ولكن أردت أن أوسع على أمتي»[١] .

٥ ـ وعنه عليه السلام في حديث عبد الملك القمي قال : قلت : أجمع بين الصلاتين من غير علة ؟ قال : قد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أراد التخفيف على أمته[٢] .

الطريق الثاني :

الأخبار الواردة في المصادر السّنية :

١ ـ عن ابن عباس قال :

صلى رسول الله (ص) الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر»[٣] .

٢ ـ وعن ابن عباس قال :

صليت مع النبي (ص) ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً»[٤] .

٣ ـ وعن ابن عباس قال :

«إنّ رسول الله (ص) صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً الظهر والعصر والمغرب والعشاء»[٥] .

٤ ـ وعن ابن عباس قال :

«رأيت رسول الله (ص) جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء»[٦] .

٥ ـ وعن ابن عباس قال :

«كنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٧] .

٦ ـ وعن ابن عباس قال :

«صلّى رسول الله (ص) الظهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر .

قال أبو الزبير : فسألت سعيداً لم فعل ذلك ؟

فقال : سألت أين عباس كما سألتني فقال : أراد أن لا يحرج أحداً من أمته»[٨] .

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٦/٣٦١ .

(٢) الحقائق ص٣٨٨ .

(٣) (٤) صحيح مسلم ج١/٤٨٩ ، ٤٩١ .

(٥) (٦) (٧) (٨) صحيح مسلم ج١/٤٩٠ ، ٤٩٢ .

٧ ـ وعن ابن عباس قال :

«جمع رسول الله (ص) بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر»[1] .

٨ ـ وعن سهل بن حنيف قال : سمعت أبا أمامة يقول : صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلي العصر فقلت : يا عم ما هذه الصلاة التي صليت ؟ قال : العصر وهذه صلاة رسول الله (ص) التي كنا نصلي معه[2] .

٩ ـ وعن جابر بن زيد عن ابن عباس قال :

«إنّ النبي (ص) صلّى بالمدينة سبعاً وثمانية الظهر والعصر والمغرب والعشاء»[3] .

١٠ ـ وعن عمر بن دينار قال : سمعت جابر بن زيد عن ابن عباس قال : «صلّى النبي (ص) سبعاً جميعاً وثمانياً جميعاً»[4] .

الدليل الثالث :

النصوص الصادرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الدالة على جواز الجمع بين الفريضتين :

١ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

«إذا زالت الشمس دخل الوقتان الظهر والعصر فإذا غابت الشمس دخل الوقتان المغرب والعشاء الأخرة»[5] .

٢ ـ وفي حديث عبيد بن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن وقت الظهر والعصر ، فقال : اذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر والعصر جميعاً إلاّ أنّ هذه قبل هذه ثم أنت في وقت منهما جميعاً حتى تغيب الشمس»[6] .

٣ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام قال :

«اذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر حتى يمضي مقدار ما يصلي المصلي أربع ركعات فإذا مضى ذلك فقد دخل وقت الظهر والعصر حتى يبقى عن الشمس مقدار ما يصلي المصلي أربع ركعات فإذ بقي مقدار ذلك فقد خرج وقت الظهر وبقي وقت العصر حتى تغيب الشمس»[7] .

---

(١) صحيح مسلم ج ١ / ٤٩١ .

(٢) صحيح البخاري ج١/٢٨٨ .

(٣) (٤) صحيح البخاري ج١/٢٨٦ ، ٢٩٣ .

(٥) (٦) (٧) الوسائل ج٣/٩١ ، ٩٢ .

٤ ـ وعنه عليه السلام قال :
«إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الصلاتين»(١) .
٥ ـ وعنه عليه السلام قال :
إذا غابت الشمس فقد حل الإفطار ووجبت الصلاة وإذا صليت المغرب فقد دخل وقت العشاء الأخرة إلى انتصاف الليل»(٢) .
٦ ـ وعنه عليه السلام قال :
«إذا غابت الشمس فقد دخل وقت المغرب حتى يمضي مقدار ما يصلي المصلي ثلاث ركعات فإذا مضى ذلك فقد دخل وقت المغرب والعشاء الآخرة حتى يبقى من إنتصاف الليل مقدار ما يصلي المصلي أربع ركعات وإذا بقي مقدار ذلك فقد خرج وقت المغرب وبقي وقت العشاء إلى إنتصاف الليل»(٣) .

---

(١) (٢) (٣) الوسائل ج٣/٩٣ ، ١٣٤ .

المسألة الرابعة

الزواج الموقت

ما المقصود بالزواج الموقت ؟

عقد زواج بين الرجل والمرأة ضمن شروط شرعية محددة من أهمها :

١ ـ الإيجاب والقبول .
٢ ـ تحديد المدة ضمن صيغة العقد .
٣ ـ تحديد المهر .
٤ ـ إذن الولي إذا كانت البنت باكراً على رأي الكثير من الفقهاء .
٥ ـ انتقاء الموانع الشرعية من النكاح كالنسب أو السبب أو الرضاع أو الإحصان أو العدة أو غير ذلك .
٦ ـ لا يجوز للمسلمة أن تتمتع بالكافر ، كما لا يجوز للمسلم أن يتمتع بالمشركة غير الكتابية .

العناصر المشتركة بين الزواج الدائم والزواج الموقت :

١ ـ العقد الشرعي المشتمل على الإيجاب والقبول اللفظيين .
٢ ـ الآثار الشرعية المترتبة على العقد إلّا ما استثنته الأدلة الخاصة .
٣ ـ أحكام الأولاد واحدة في الزواجين .
٤ ـ العدة واجبة على المرأة مع الدخول وعدم اليأس في الحالتين ، وبالنسبة للوفاة تجب العدة حتى وإن كانت المرأة صغيرة أو يائسة أو غير مدخول بها .

عناصر الإختلاف بين الزواجين :

١ ـ في الزواج الموقت تحدد المدة والأجل .
وفي الدائم لا تحديد للمدة والأجل .
٢ ـ في الزواج الموقت يشترط ذكر المهر وفي الدائم لا يشترط ذلك .

٣ ـ في الزواج الموقت : لا طلاق بل تبين المرأة بانتهاء المدة أو بهبة المدة لها أو الوفاة .
وفي الزواج الدائم لا تبين المرأة إلّا بالطلاق أو الوفاة إلّا في الحالات الإستثنائية كالارتداد والفسخ فتبين المرأة بلا طلاق .
٤ ـ في الزواج الموقت لا توارث بين الزوجين إلّا مع الشرط عند بعض الفقهاء .
وفي الزواج الدائم يتوارث الزوجان إلّا في الحالات الإستثنائية كالقتل أو كون الزوجة غير مسلمة .
٥ ـ في الزواج الموقت : لا نفقة للزوجة إلّا مع الشرط في ضمن العقد .
وفي الدائم تجب النفقة إلّا في الحالات الإستثنائية كالنشوز .
٦ ـ في الزواج الموقت : لا قسم للزوجة ولا تجب مضاجعتها ولا مقاربتها في كل أربعة أشهر مرة .
وفي الزواج الدائم يجب ذلك .
٧ ـ في الزواج الموقت : تستحق المرأة المهر كاملاً وإن لم يدخل بها ، إذا لم يكن بسبب مانع من قبلها ،
وفي الدائم : لا تستحق المهر كاملاً إلّا مع الدخول .

مشروعية الزواج الموقت :

(١) مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام تعتبر هذا الزواج زواجاً إسلامياً قد شرّعه الله سبحانه وتعالى ، وبقي التشريع قائماً لم ينسخ ولم يلغ .
(٢) أئمة المذاهب الأربعة يرون أنّ هذا الزواج قد شرّع في الإسلام إلّا أنّ هذا التشريع لم يبق حيث صدر النسخ والإلغاء له .

ادلة المشروعية وعدم الإلغاء :

الدليل الأول :

قوله تعالى في سورة (النساء /الآية ٢٣) :
﴿فما استمعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة﴾
ولنا في إثبات نزول هذه الآية في الزواج الموقت طريقان :

الطريق الأول :

طريق الأئمة من أهل البيت (ع) :

١ ـ عن أبي بصير قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة فقال : نزلت في القرآن ﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة﴾[1] .

٢ ـ عن زرارة قال : جاء عبد الله بن عمر الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال : ما تقول في متعة النساء ؟

فقال : أحلها الله في كتابه وعلى سنّة نبيه فهي حلال إلى يوم القيامة[2] .

٣ ـ عن أبي مريم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنّة من رسول الله صلى الله عليه وآله»[3] .

٤ ـ عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال : سمعت أبا حنيفة يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة ، فقال (ع) : عن أي المتعتين تسأل ؟ قال : سألتك عن متعة الحج فأنبئني عن متعة النساء أحق هي ؟

قال (ع) : سبحان الله أما تقرأ كتاب الله :﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة﴾ فقال أبو حنيفة : والله لكأنّها آية لم أقرءها قط[4] .

٥ ـ عن بكر بن محمد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة ، فقال : ﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة﴾[5] .

٦ ـ عن الفضل بن شادان عن الرضا عليه السلام في كتابه إلى المأمون : «محض الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله . . . .» .

(إلى أن قال) :

«وتحليل المتعتين الذين أنزلهما في كتابه وسنهما رسول الله (ص) : متعة النساء ومتعة الحج»[6] .

٧ ـ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : سألت أبا عبد الله هل نسخ آية المتعة شيء؟ .

قال : لا ، ولولا ما نهى عنها عمر ما زنى إلاّ شقي[7] .

---

(١) (٢) (٣) الوسائل ج١٤/٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٤) (٥) (٦) (٧) الوسائل ج١٤/٤٣٧ ، ٤٣٩ . ٤٤٠ .

الطريق الثاني :

المصادر السنّية تؤكّد نزول الآية في زواج المتعة :

١ ـ ذكر الرازي في تفسيره الكبير (ج١٠/٥١) أنّه روي عن أبي بن كعب كان يقرأ ﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى فآتوهنّ أجورهنّ . . .﴾ وهذا أيضاً قراءة ابن عباس ، والأمة ما أنكروا عليهما في هذه القراءة فكان ذلك إجماعاً من الأمة على صحة هذه القراءة .

٢ ـ ونقل الرازي في تفسيره (ج١٠/٤٩) أثناء بحثه حول أية المتعة ، عن عمران بن حصين أنّه قال : نزلت أية المتعة في كتاب الله تعالى ولم ينزل بعدها آية تنسخها وأمرنا بها رسول الله (ص) وتمتعنا بها ومات ولم ينهنا عنها ، ثم قال رجل برأيه ما شاء .

٣ ـ روى أحمد بن حنبل في مسنده (ج٤/٤٣٦) عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى وعملنا بها مع رسول الله (ص) فلم تنزل آية تنسخها ولم ينه عنها النبي (ص) حتى مات .

٤ ـ ونص على نزول هذه الآية في المتعة مجاهد فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره[١] .

٥ ـ وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد (فما استمتعتم به منهنّ) قال : يعني نكاح المتعة[٢] .

٦ ـ وأخرج ابن جرير عن السدي في الآية قال : هذه المتعة ، الرجل ينكح المرأة بشرط إلى أجل مسمى فإذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل وهي منه بريئة وعليها أن تستبرىء ما في رحمها وليس بينهما ميراث ، ليس يرث واحد منهما صاحبه[٣] .

٧ ـ وأخرج عبد الرزاق وأبو داود في ناسخه وابن جرير عن الحكم أنّه سئل عن هذه الآية [آية المتعة] أمنسوخة ؟ قال : لا ، وقال علي : لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلّا شقي»[٤] .

٨ ـ وعن ابن عباس قال :

«يرحم الله عمر ، ما كانت المتعة إلّا رحمة من الله رحم بها أمة محمد ، ولولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزنا إلّا شقي ، قال : وهي التي في سورة النساء (فما استمتعتم به منهنّ) إلى كذا وكذا من الأجل»[٥] .

---

(١) مسائل فقهية ص٧٥ .
(٢) (٣) (٤) الدر المنثور ج٢/٤٨٤ ، ٤٨٦ .
(٥) الدر المنثور ج٢/٤٨٧ .

دعوى النسخ :

قيل آية المتعة منسوخة ، وذكروا في نسخ الآية عدة أمور أهمها :
- الآية منسوخة بآيات في كتاب الله .
- الآية منسوخة بأحاديث من السنة .

الأمر الأول :

وأهم ما استدلوا له على النسخ هو قوله تعالى في سورة (المؤمنون /الآية ٥ - ٧) : **﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾** .

وجه الإستدلال بالآية :

وفي تقريب النسخ بهذه الآية قالوا :
١ - الآية أباحت نوعين من النكاح فقط : الزواج وملك اليمين ، وحرمت ما عدا ذلك .
٢ - المتعة ليست زواجاً ولا ملك يمين :
أ - أمّا كونها ليست ملك يمين فواضح .
ب - وأمّا كونها ليست زواجاً فلا نتفاء لوازم الزوجية كالميراث والنفقة والطلاق والعدة .

مناقشة هذا الإستدلال :

ولنا ملاحظتان حول هذا الإستدلال

الملاحظة الأولى :

هذه الآية وردت في سورة (المؤمنون) وهي سورة مكية ، وآية المتعة وردت في سورة (النساء) وهي مدنية فكيف يكون المتقدم نزولاً ناسخاً للمتأخر ؟

الملاحظة الثانية :

المتعة زواج ، وما ذكروه من أمور ليست من لوازم الزوجية التي لا تنفك عنها بدليل :

١ - المرأة الناشز زوجه ولا تجب لها النفقة .
٢ - الزوجة الكتابية لا ترث زوجها المسلم وكذلك الزوجة القاتلة لزوجها لا ترثه .
٣ - وهناك حالات يتحقق فيها الإنفصال بين الزوجين بدون طلاق :
- حالات الإرتداد .
- حالات الفسخ .
٤ - وأما العدة فهي لازمة في المتعة .

الخلاصة :

إنّ المتعة زواج شرعاً ، وإختلافها عن الزواج الدائم في بعض الأحكام ، ناشيء من ورود أدلة خصصت العمومات الواردة في أحكام الزوجات .

الأمر الثاني :

آية المتعة منسوخة بأحاديث من السنة :
وذكروا في ذلك عدة روايات منها :
١ - عن علي أنه قال لابن عباس : إنّ النبي (ص) نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر .(١)
٢ - عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : رخّص رسول الله (ص) عام أوطاس في المتعة ثلاثاً ثم نهى عنها .(٢)
٣ - عن الربيع بن سبرة الجهني أنّ أباه حدّثه أنّه كان مع رسول الله (ص) فقال : **« يا أيّها الناس إنّي كنت قد أذنت لكم في الإستمتاع من النساء وأنّ الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهنّ شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما أتيتموهَن شيئاً »**(٣) .
٤ - وعن عبد الملك بن الربيع سبرة الجهني عن أبيه عن جده قال : أمرنا رسول الله بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ، ثم لم نخرج حتى نهانا عنها .(٤)
٥ - وعن ربيع بن سبرة الجهنى أنّ أباه قال : قد كنت استمتعت في عهد رسول الله (ص) أمرأة من بني عامر ببردين أحمرين ثم نهانا رسول الله (ص) عن المتعة .(٥)

---

(١) صحيح البخاري ج٧/٢٤ .
(٢) (٣) (٤) (٥) صحيح مسلم ج٢/١٠٢٣ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٧ .

مناقشة هذه الدعوى :

ولنا عدة ملاحظات حول دعوى النسخ بالسنّة :

الملاحظة الأولى :

إنّ أخبار التحريم أخبار أحاد والنسخ لا يثبت بأخبار الأحاد .[1]

الملاحظة الثانية :

إنّ روايات التحريم معارضة بروايات الائمة من أهل البيت عليهم السلام المتواترة والدّالة على إباحة المتعة إلى يوم القيامة .

الملاحظة الثالثة :

روايات التحريم معارضة بروايات أخرى مدونة في مصادر الحديث المعتمدة عند السنّة مثل : صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن البيهقي ومسند أحمد بن حنبل وغيرها .

الملاحظة الرابعة :

التناقض الواضح في روايات التحريم :

- بعضها يقول أن التحريم صدر يوم خيبر .
- وأخرى في يوم أوطاس أو في يوم الفتح .
- وثالثة في تبوك .
- ورابعة في عمرة القضاء .
- وخامسة في حجة الوداع .

وقد تتبع الاستاذ الفكيكي في بحثه عن المتعة جميع مصادر السّيرة على إختلافها ، والتمس فيها خطب النبي (ص) في هذه المواضع جميعاً فلم يجد في خطبة واحدة ما يشير الى هذا التحريم مع أنّها تعرضت لنظائره من الأحكام[2] .

الملاحظة الخامسة :

روايات التحريم تتنافى مع ما أثبتته الكثير من مصادر الحديث والتفسير والتاريخ من أنّ النهي عن المتعة إنّما صدر في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب :

---

(١) البيان في تفسير القرآن ص٣١٧ .

(٢) الحكيم : الزواج المؤقت ص٣٣

١ - أخرج مسلم في صحيحه (ج٢/٨٨٥) بالإسناد إلى أبي نضره قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهي عنها فذكر ذلك لجابر فقال : على يدي دار الحديث تمتعنا في عهد رسول الله (ص) فلما قام عمر قال : إنّ الله يحل لرسوله ما شاء بما شاء فأتموا الحج والعمرة وأبتوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلاّ رجمته بالحجارة .

٢ - وروى مسلم في صحيحه (ج٢/١٠٢٣ باب نكاح المتعة) عن أبي الزبير قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث .

٣ - وروى مسلم في نفس الباب من صحيحه عن أبي نضرة قال : كنا عند جابر فأتاه آت فقال : أنّ ابن عباس وابن الزبير إختلفا في المتعتين فقال جابر : فعلناهما في عهد رسول الله (ص) ثم نهانا عنهما عمر .

٤ - وجاء في تفسير الرازي (ج١٠/٥٠) عن عمر بن الخطاب أنّه قال في خطبته ، متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما .

٥ - أخرج أحمد بن حنبل في مسنده (ج٢/٩٥) سئل عبد الله بن عمر عن متعة النساء فقال : « والله ما كنّا على عهد رسول الله (ص) زانين ولا مسافحين » .

٦ - وقال القوشجي في أواخر مبحث الإمامة من كتابه (شرح التجريد) : « أنّ عمر قال وهو على المنبر : أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله (ص) وأنا أنهي عنهنّ واحرمهنّ وأعاقب عليهنّ : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل .»[1]

٧ - وأخرج الثعلبي والطبري في تفسيريهما عند بلوغهما آية المتعة بالإسناد إلى علي عليه السلام أنه قال : « لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقي »[2]

الملاحظة السادسة :

لقد ثبت عن كثير من الصحابة والتابعين القول بحلية المتعة منهم :

١ - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

٢ - حبر الأمة عبد الله بن عباس .

٣ - عبد الله بن مسعود .

٤ - جابر بن عبد الله الأنصاري .

٥ - أبو سعيد الخدري الأنصاري .

٦ - عمران بن حصين .

---

(١) شرف الدين : مسائل فقهية ص٨٣ .

(٢) مسائل فقهية ص٨٤ .

٧ - سعيد بن جبير .
٨ - عبد الله بن عمر بن الخطاب .
٩ - أبي بن كعب .
١٠ - خالد بن المهاجر .
١١ - السدي .
١٢ - مجاهد . (١)

الدليل الثاني :

أحاديث الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الدالة على مشروعية « زواج المتعة » .

١ - عن اسحاق بن عمار عن أبي سارة قال : سألت أبا عبد الله [الصادق] عليه السلام عن المتعة ، فقال (ع) لي : حلال . (٢)

٢ - وعن علي عليه السلام قال :

« لولا ما سبقني به عمر بن الخطاب ما زنى إلّا شقي » (٣) .

٣ - وعن ابي عبد الله [الصادق] عليه السلام في قول الله عز وجل (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها).

قال : والمتعة من ذلك . (٤)

٤ - وعن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام قال : قال جابر بن عبد الله عن رسول الله (ص) أنّهم غزوا معه فأحلّ لهم المتعة ولم يحرمها . (٥)

٥ - وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال :

« تحل الفروج بثلاث : نكاح بميراث ، ونكاح بلا ميراث ، ونكاح بملك يمين » (٦)

٦ - عن الحسن بن زيد قال : كنت عند أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام فدخل عليه عبد الملك بن جريح المكي فقال له أبو عبد الله (ع) ما عندك في المتعة ؟

فقال: حدثني أبوك محمد بن علي عن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله (ص) خطب الناس فقال :

« أيّها الناس إنّ الله أحلّ لكم الفروج على ثلاثة معان : فرج موروث وهو البنات ، وفرج غير موروث وهو المتعة ، وملك أيمانكم» (٧) .

---

(١) انظر : الأميني : الغدير ج٦/٢٢٠ - ٢٢٢ .
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) الوسائل ج١٤/٤٣٨ ، ٤٤٠ .
(٧) الوسائل ج١٤/٥٨ .

٧ - وعن الإمام الصادق عليه السلام قال : «وأما ما يجوز من المناكح فأربعة وجوه : نكاح بميراث ، ونكاح بغير ميراث ، ونكاح بملك اليمين ، ونكاح بتحليل من المحلل له من ملك من يملك»[1] .

٨ - عن بكر بن محمد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن المتعة فقال : إنّي لأكره للرجل المسلم أن يخرج من الدنيا وقد بقيت عليه خلّة من خلال رسول الله (ص) لم يقضها[2] .

٩ - وعن جميل بن صالح قال : إنّ بعض أصحابنا قال لأبي عبد الله عليه السلام : إنّه يدخلني من المتعة شيء فقد حلفت أن لا أتزوج متعة أبداً .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّك إذاً لم تطع الله فقد عصيته»[3] .

الدليل الثالث :

الروايات المثبتة في المصادر السنية :

وقد تقدمت طائفة منها ، ونضيف هنا مجموعة اخرى من تلك الروايات :

١ - أخرج مسلم في صحيحه (ج٢/١٠٢٢ - باب نكاح المتعة): عن عبد الله بن مسعود قال : « كنا نغزو مع رسول الله (ص) وليس لنا نساء ، فقلنا : ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل معين » .

٢ - وأخرج الحديث نفسه البخاري في صحيحه (ج٧/ص٨ - باب النكاح - باب٨) إلاّ أنّه لم يذكر قيد « إلى أجل معين » .

٣ - وأخرج البخاري في صحيحه (ج٧/٢٤ باب نكاح المتعة) عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الاكوع قالا : كنّا في جيش فأتانا رسول الله (ص) فقال : « قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا » .

٤ - وأخرج البخاري في صحيحه (ج٧/٢٥) عن سلمة بن الأكوع عن النبي (ص) قال :

« أيما رجل وأمرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا » .

٥ - عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله قالا : تمتعنا الى نصف من خلافة عمر حتى نهى عمر الناس في شأن عمرو بن حريث[4] .

---

(١) (٢) (٣) الوسائل ج ١٤ /٥٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ .

(٤) الأميني : الغدير ج٦/٢٠٨ نقلا عن «عمدة القاري للعيني» ج٨/٣١٠ .

٦ - أخرج أحمد بن حنبل في مسنده (ج٣/٣٠٤) عن جابر بن عبد الله قال : كنا نتمتع على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر حتى نهانا عمر عنه أخيراً يعني النساء .

٧ - وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده (ج٣/٣٢٥) عن جابر بن عبد الله قال : « متعتان كانتا على عهد النبي (ص) فنهانا عنهما عمر فانتهينا » .

٨ - وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده (ج٣/٣٥٦) عن جابر بن عبد الله قال : « تمتعنا متعتين على عهد النبي (ص) الحج والنساء فنهانا عمر عنهما فانتهينا » .

٩ - وأخرج أحمد في مسنده (ج٣/٣٦٣) عن جابر بن عبد الله قال : «تمتعنا على عهد رسول الله (ص) متعتين الحج والنساء . . وقد قال حماد أيضاً متعة الحج ومتعة النساء فلما كان عمر نهانا عنهما فانتهينا » .

١٠ - عن عروة بن الزبير أنّه قال لابن عباس : أهلكت الناس ، قال : وما ذاك ؟ قال : تفتيهم في المتعتين وقد علمت أنّ أبا بكر وعمر نهيا عنهما . فقال : ألا للعجب أنّي أحدثه عن رسول الله (ص) ويحدثني عن أبي بكر وعمر[1] .

١١ - قال الراغب في المحاضرات (ج٢/٩٤) قال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصر : بمن اقتديت في جواز المتعة ؟ قال بعمر بن الخطاب ، قال : كيف وعمر كان أشد الناس فيها . قال : لأن الخبر الصحيح أنّه صعد المنبر فقال : إنّ الله ورسوله قد أحلاّ لكم متعتين وإنّي محرمها عليكم وأعاقب عليهما فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه »[2] .

١٢ - وذكر الرازي في تفسيره الكبير (ج١٠/ص٥٠) أنّه روى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي بن أبي طالب أنّه قال : « لولا أن عمر نهى الناس عن المتعة ما زنى إلاّ شقي » .

١٣ - وذكر الرازي في تفسيره (ج١٠/٥٢) أنّه روي أنّ عمر قال على المنبر : متعتان كانتا مشروعتين في عهد رسول الله (ص) وأنا أنهي عنهما متعة الحج ، ومتعة النكاح .

١٤ - وجاء في الدر المنثور للسيوطي (ج٢/٤٨٦) « أخرج عبد الرزاق وأبو داود في ناسخه وابن جرير عن الحكم أنّه سئل عن هذه الآية [آية المتعة] أمنسوخة ؟ قال : لا ، وقال علي : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقي .

---

(١) الأميني : الغدير ج٦/٢٢١ نقلا عن «كنز العمال» ج٨/٢٩٣ .

(٢) الأميني : الغدير ج٦/٢١٢ .

الزواج المؤقت ومشكلة الجنس :

المشكلة الجنسية ومضاعفاتها الخطيرة :

تعتبر مشكلة الجنس من أكثر المشكلات عمقاً وضراوة وتعقيداً وتأثيراً في مجتمعات الانسان المعاصر ، بما تحمله من مضاعفات خطيرة في حياة الانسان . . ومن أبرز هذه المضاعفات :

١ - الانحرافات الجنسية وتوظيف الغريزة بشكل غير مشروع .

٢ - الانعكاسات النفسية كالقلق والاكتئاب ، والانطواء وسائر التوترات والاضطرابات التي قد تنتج حالات الجنون أو حالات النزوع الى الانتحار .

٣ - الامراض الجنسية الفتاكة .

٤ - تصاعد معدلات الجريمة في مجتمعات الانسان المعاصر والتي باتت تقلق كل المعنيين من تربويين ونفسيين واجتماعيين وسياسيين .

ويقف وراء المشكلة الجنسية في جذورها وفي تصاعدها وامتداداتها مجموعة عوامل :

- الجنس حاجة متأصلة في التكوينية الانسانية .
- الاثارات الجنسية المتحركة في كل المواقع وبشتى الصيغ الاغرائية الخطيرة .
- غياب التربية الأخلاقية الأصيلة التي ترشد الانسان وتهذب غرائزه .

الحلول المطروحة في معالجة المشكلة الجنسية :

الحل الأول :

الدعوة الى اسكات «نداء الجنس» :

وذلك من خلال وسيلتين .

(١) وسيلة الوعظ والارشاد والتخويف والتحذير : وهذه الوسيلة عاجزة عن تناول المشكلة في عمقها لأن «نداء الجنس أقوى في تأثيره من ألف دعوة سلبية لا تعتمد غير سلاح الوعظ والتحذير كأداة في علاج المشكلة »[1]

---

(١) محمد تقي الحكيم : الزواج المؤقت ص٩ .

(٢) وسيلة القوة : «وهذ الحل لا يرضي علماء النفس والاجتماع لما فيه من أضرار نفسية واجتماعية بالغة ، ربما أنهت بصاحبها الى الانتحار أو الجنون ، ولو أردنا ذلك فإننا لا نجد القوة الكافية له»[1] .

الحل الثاني :

الدعوة إلى الإباحية الجنسية :

باعتبار أنّ ذلك يوفّر للشهوة الجنسية أجواءها الحرة ، ومساراتها الطليقة التي تخلّصها من حالات الكبت وتخفف من غلوائها وفورانها وضراوتها .

وهذا الحل مرفوض :

أولاً : لما فيه من تحدي واضح لجميع المثل والقيم الدينية والأنسانية .

ثانياً : لما يترتب عليه من مضاعفات خطيرة في حياة الإنسان على كل المستويات الفكرية والنفسية والصحية والأسرية والإجتماعية .

ثالثاً : ولأنّ إطلاق العنان للغريزة الجنسية لا يخفف من فورانها وضراوتها وتأججها ، بل يزيدها تصعيداً وتنشيطاً وهذا ما أكدته آخر الدراسات التربوية والنفسية والإجتماعية والطبية ، لأنّ الظمأ الجنسي مهما حصل له من حالات الإرواء فإنّه يتجدد باستمرار ، والمثيرات الخارجية تعطيه دفعاً وقوة ، والإستجابات تعطيه نشاطاً وحيوية .

الحل الثالث :

الدعوة إلى الزواج الدائم :

وتذليل كل الصعوبات التي تقف أمام الجنسين وذلك من خلال :

- توعية الشبان والشابات بضرورة التبكير في الزواج .
- تسهيل كل الإمكانات التي يتطلبها الزواج .
- محاربة كل الفوارق الطبقية والإجتماعية التي تشكل عوائق صعبة في طريق الزواج .

(١) الزواج المؤقت ص ٨ .

إلاّ أنّ هذا الحل :

« إذا عالج قسماً من المشكلة فهو لايعالجها في مختلف مجالاتها ، فالمشاكل ليست كلها مشاكل مالية أو طبقية لتعالج بأمثال هذه الدعوات ، وإنّما هناك جوانب من المشكلة ما تزال تتطلب الحل »(1)

ونستعين هنا بالمثال الذي يطرحه الفيلسوف (برتراندرسل) حيث يقول :

« إنّ سن الزواج قد تأخرت بغير إختيار وتدبير ، فإنّ الطالب كان يستوفي علومه قبل مائة سنة أو مائتين في نحو الثامنة عشرة أو العشرين فيتأهب للزواج في سن الرجولة الناضجة ولا يطول به عهد الإنتظار إلاّ إذا آثر الإنقطاع للعلم مدى الحياة ، وقلّ من يؤثر ذلك بين المئات والألوف من الشبان .

وأمّا في العصر الحاضر فالطلاب يتخصصون لعلومهم وصناعاتهم بعد الثامنة عشرة أو العشرين ، ويحتاجون بعد التخرج من الجامعات إلى زمن يستعدون فيه لكسب الرزق من طريق التجارة أو الأعمال الصناعية والاقتصادية ، ولا يتسنى لهم الزواج وتأسيس البيوت قبل الثلاثين ، فهناك فترة طويلة يقضيها الشاب بين سن البلوغ وبين سن الزواج لم يحسب لها حساب في التربية القديمة وهذه الفترة هي فترة النمو الجنسي والرغبة الجامحة ، وصعوبة المقاومة للمغريات ، فهل من المستطاع أن نسقط حساب هذه الفترة من نظام المجتمع الإنساني كما أسقطها الأقدمون وأبناء القرون الوسطى ؟

إننا إذا أسقطناها من الحساب فنتيجة ذلك شيوع الفساد والعبث بالنسل والصحة بين الشبان والشابات»(2) .

الحل الرابع :

الدعوة إلى الزواج المؤقت :

فمن خلاله يمكن أن تملأ الفراغات في علاج المشكلة الجنسية ليلتئم هو والزواج الدائم في إعطاء المشكلة علاجاتها الناجعة على كل المستويات وفي كل المجالات .

وهذا الحل الذي طرحه الاسلام قبل خمسة عشر قرناً بدأ الفكر البشري المعاصر في آخر تصوراته حول علاج مشكلة الجنس يتجه اليه .

---

(1) محمد تقي الحكيم : الزواج المؤقت ص١١ .

(2) الزواج المؤقت ص١١ نقلا عن : العقاد في كتاب «الفلسفة القرآنية» .

يقول الفيلسوف رسل :

« وإنّما الرأي أن تسمح القوانين في هذا السن بضرب من الزواج بين الشبان والشابات لايؤودهم بتكاليف الأسرة ولا يتركهم لعبث الشهوات والموبقات وما يعقبه من العلل والمحرجات»(١) .

وهنا يمكن أن نستوعب المغزى الكبير لمقولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومقولة حبر الأمة عبد الله بن عباس حينما قالا :

- لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقي » .

- «رحم الله عمر ، ما كانت المتعة إلاّ رحمة من الله ، رحم بها أمة محمد، ولولا نهيه لما احتاج إلى الزنا إلاّ شفا » .

فهاتان المقولتان تؤكدان عدة حقائق هامة :

(١) إنّ المتعة «رحمة» وهذه المفردة تختزن في داخلها دلالات كبيرة جداً :

أ - فالمتعة تحمي الإنسان من كل المضاعفات الخطيرة التي تفرزها مشكلة الجنس .

ب - والمتعة تحمي الإنسان من العقوبة الإلهية في الدنيا والآخرة .

(٢) إنّ الزنا قد يمثل حاجة أحياناً ، ولا ينطوي دائماً على التحدي للتشريع ، فصاحبه مريض ، والمريض يحتاج إلى العلاج ، وقد جعل الله في المتعة علاجه فهي رحمة له(٢) .

(٣) إنّ ظاهرة الإنحراف الجنسي تعتبر حالة استثنائية تحدث نتيجة لغياب العلاجات الأصيلة لمسألة الجنس عند الإنسان ، فالمقولتان السابقتان تؤكدان أنّ تجميد التشريع الخاص بالمتعة يفتح الآفاق المنحرفة أمام شهوة الجنس فلولا هذا التجميد لما مارس الزنا إلاّ قلة من الناس تأصلت فيهم نزعات الشذوذ .

إشكالات تثار حول المتعة :

تثار عدة إشكالات حول « زواج المتعة » إلاّ أنّ أكثر تلك الإشكالات غير جديرة بالمناقشة ، وما أراه جديراً بالوقوف والمناقشة هذين الإشكالين :

١ - المتعة لا تختلف في مضمونها ونتائجها عن العلاقات الجنسية غير المشروعة كالزنا .

٢ - المتعة لا تحقق الأهداف الأساسية للزواج .

---

(١) الزواج المؤقت ص ١٤

(٢) الزواج المؤقت ص ١٤

الإشكال الأول :

المتعة لا تختلف في مضمونها ونتائجها عن العلاقات الجنسية غير المشروعة كالزنا . .
فكلاهما يعبّران عن إرواء مؤقت للشهوة الجنسية .
- وكلاهما يجسّدان حالة الإمتهان للمرأة . .
- وكلاهما يسبّبان إختلاط المياه وضياع الأنساب . . .

مناقشة هذا الإشكال :

ولنا حول هذا الإشكال عدة ملاحظات :

الملاحظة الأولى :

أجمع المسلمون على أصل المشروعية لهذا اللون من النكاح ، قال الرازي في تفسيره الكبير (ج١٠/٤٩) : « واتفقوا على أنّها [المتعة] كانت مباحة في ابتداء الإسلام » .
وقال القاضي البافلاني : «واتفق العلماء على أنّ هذه المتعة كانت نكاحا إلى أجل لا ميراث فيها »[١]

فإذا كان اتفاق المسلمين قائم على أصل المشروعية لهذا اللون من النكاح - ولو في مرحلة من المراحل - فإعطاؤه صبغة الزنا في مضمونه ونتائجه فيه تجرؤ واضح على تشريع الله تعالى ، فهذا يعني أنّ الزنا كان مباحاً في مرحلة من مراحل التشريع الإسلامي .

وإذا كان من المستساغ أن يتجرأ مستشرق كتوماس يانريك هيوز على هذا التشريع الالهي فيعتبره « أعظم الوصيات في تشريع محمد الأخلاقي » كما نقل عنه ذلك الأستاذ العقاد في كتابه (الفلسفة القرآنية) وناقشه ، فإنه ليس من المستساغ أن يصدر هذا التجرؤ ممن ينتمون الى الإسلام ويؤمنون بتشريعاته ، وفي جواب عبد الله بن عمر حينما سئل عن المتعة ما يرد هذا الإشكال حيث قال :
« والله ما كنا على عهد رسول الله (ص) زانين ولا مسافحين »

الملاحظة الثانية :

إنّ تحديد المدة في الزواج المؤقت لا يعطيه مضمون الزنا وإلّا كان الزواج الدائم أيضا شبيهاً بالزنا في الحالات التي ينوي فيها الزوج البقاء مع زوجته مدة معينة ثم يفارقها ، وقد

(١) الزواج المؤقت ص١٨ .

أفتى أكثر فقهاء أهل السنة بصحة عقد الزواج مع تحديد المدة إذا لم ينص على ذلك في صيغة العقد .

وهذه نماذج من أقوالهم حول هذه المسألة :

١ ـ قال ابن عابدين :

«وليس منه [أي نكاح المتعة] ما لو نكحها على أن يطلقها بعد شهر أو نوى مكثه معها مدة معينة »(١)

٢ - وقال ابن قدامه في المغني (ج٦/٦٤٥ طبع دار المنار):

«وإن تزوجها بغير شرط إلاّ أن في نيته طلاقها بعد شهر أو إذا انقضت حاجته في هذا البلد فالنكاح صحيح في قول عامة أهل العلم إلاّ الأوزاعي قال : هو نكاح متعة ، والصحيح أنه لا بأس به ولا تضر نيته ، وليس على الرجل أن ينوي حبس امرأته ، وحسبه إن وافقته وإلاّ طلقها »(٢)

٣ - وقال الباجي الأندلسي من فقهاء المالكية في كتابه (المنتقى) :

«من تزوج امرأة لا يريد إمساكها ، وإنّما يريد أن يستمتع بها مدة ثم يفارقها فقد روى محمد عن الإمام - مالك - أنّ ذلك جائز وإن لم يكن من الجميل »(٣)

٤ - وذكر عبد الرحمن الجزيري في (الفقه على المذاهب الأربعة ج٤/٩٢ ، ٩٤) طبع بيروت ١٩٦٩ :

أ - أنّ المالكية يجوزون العقد إذا قصد الزوج في نفسه الأجل ولو فهمت المرأة ووليها ذلك .

ب - وأنّ الأحناف يرون صحة العقد إذا نوى الزوج معاشرتها مدة ولم يصرح بذلك .(٤)

٥ - وقال الدكتور عبد العزيز ذكر في كتابه (الانكحة الفاسدة) :

«إنّ النكاح بنية التوقيت دون اشتراط التوقيت باللفظ صحيح » .

«وعلى ذلك فإنّ النكاح بصيغته الصحيحية المشروعة وبلفظه الظاهر المطلق إنّما يقع صحيحاً وإن كان المتعاقدان أو أحدهما يقصد الزواج مدة معينة أو مجرد الاستمتاع إلى أجل من الآجال يخفيه في نفسه ».(١)

ومن خلال التأمل في الأمثلة التي أوردناها يتضح عدم الفرق مضموناً بين هذا اللون من العقد وبين الزواج المؤقت فالعقد بنية الفراق وخاصة مع علم الطرفين هو «نكاح مؤقت

---

(١) الوائلي : من فقه الجنس ص١٦٧ .

(٢) (٣) (٤) من فقه الجنس ص١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .

(١) من فقه الجنس ص١٦٩ .

في المعنى والواقع » . فإذا كان التوقيت لفظاً يعطي للممارسة الجنسية صبغة الزنا ، فلماذا لا يكون التوقيت واقعاً موجباً لإعطاء هذه الممارسة صبغة الزنا ؟

وإذا كان الإستمتاع المؤقت في المتعة يعتبر لوناً من امتهان المرأة ، فلماذا لا يكون الاستمتاع المؤقت في هذه الحالات كذلك ؟

إنّ التفريق بين الحالتين تحكم لا يملك مبرراته العلمية ، وإذا قيل أنّ النص الشرعي هو الذي أعطى لهذا التفريق مبرراته ، قلنا أنّ المتعة تملك من النصوص الشرعية ما يكفي لإعطائها طابعها المشروع .

الملاحظة الثالثة :

إنّ الفوارق بين المتعة والزنا واضحة وكبيرة :

(١) الزنا علاقة لا تعترف بها الشرائع ولا المجتمعات على اختلافها ، وإن مارسته كثير من الشعوب ، فالمقدم عليه يشعر أنّه مقدم على جريمة تأباها الشرائع والتقاليد[١] .

والزواج المؤقت علاقة طبيعية معترف بها في الشريعة وتقوم على أساس العقد الشرعي الذي يعطي لهذه العلاقة طابعها القدسي الطاهر ، ولا يلغي هذه الطابع ذلك الشعور الذي تأصل في مجتمعات المسلمين تجاه الزواج المؤقت ، فهو شعور صاغته حالة الإسقاط التاريخي لهذا اللون من النكاح ، إنّ التعبئة الفكرية المضادة التي امتدت قروناً طويلة استطاعت أن تفرغ هذه العلاقة من هويتها الأصيلة .

وحينما يتم التعامل مع الزواج المؤقت من خلال المنظور الشرعي بعيداً عن كل الرواسب والتراكمات لا تبقى حينئذ تلك الرؤية التي تختزن شعور الاستقذار واللاشرعية تجاه الزواج ومن خلال إعادة الاعتبار الشرعي لهذا الزواج تذوب كل الإحساسات النفسية المضادة وتنتهي كل الحالات الشعورية واللاشعورية الرافضة له .

(٢) الزنا علاقة جنسية هابطة تمتهن كرامة المرأة وتسقط عفتها وتحولها الى سلعة رخيصة مبتذلة .

وفي الزواج المؤقت :

أ - المرأة ترتبط مع الرجل بعقد شرعي تباركه شريعة السماء وهذا يضفي على هذه العلاقة الطهر والقداسة والاطمئنان فلا تحمل المرأة في شعورها إحساساً بالمهانة والابتذال وهدر العفة والكرامة .

ب - المرأة في علاقتها مع الرجل خاضعة لمجموعة ضوابط شرعية :

---

(١) محمد تقي الحكيم : الزواج المؤقت ص ٢٠

- الوفاء بالإلتزامات الشرعية التي يفرضها عقد الزواج .
- الإحصان الذي تخلقه حالة العلاقة الزوجية .
- العدة الشرعية التي تحدد وظيفة المرأة بعد الفراق . . .

وفي ضوء هذه الضوابط نجد أنّ المرأة في الزواج المؤقت لا تختلف عنها في الزواج الدائم من حيث : الالتزامات الشرعية تجاه الزوج ، وحالة الإحصان ، والعدة المفروضة .

(٣) الزنا علاقة جنسية منحرفة لها مضاعفات خطيرة نتيجة لاختلاط المياه . . .

وأما الزواج المؤقت فهو علاقة مشروعة تفرض على المرأة :

أولاً : الارتباط بعصمة رجل واحد ، شأنها في ذلك شأن المرأة في الزواج الدائم .

ثانياً : أن تعتد حينما تنتهي العلاقة المحدودة أو بموت الزوج كما هو الحال في الزواج حين الطلاق أو الموت .

وهذه الاجراءات كافية للوقوف دون اختلاط المياه وبالتالي صيانة هذه العلاقة من مضاعفات الممارسات الجنسية غير المشروعة .

(٤) الزنا يترتب عليه ضياع الأنساب واختلاطها .

وفي الزواج المؤقت :

أ - الأولاد يحملون الصفة الشرعية ويلحقون بآبائهم وأمهاتهم وحكمهم حكم الأولاد في الزواج الدائم من حيث البنوة والنفقة والتوارث .

ب - وقد وضعت الشريعه عدة احتياطات تحمي الأنساب من الضياع :
- فترة العدة لاكتشاف حالة الحمل أو عدمه .
- مسؤولية الرجل في الولاية والرعاية والنفقة .

■ الإشكال الثاني :

المتعة لا تحقق الأهداف الأساسية للزواج :

من الإشكالات التي تثار حول المتعة أنّها لا تحقق الأهداف الأساسية للزواج كالاستقرار النفسي وبناء الأسرة والتكاثر والتناسل وغيرها .

مناقشة هذا الإشكال :

يمكن أن نوجز أهم الأهداف التي يحققها الزواج في حياة الإنسان ضمن الأهداف التالية :

■ الهدف الاول :

الاستقرار النفسي :

وهذا الهدف يمكن التوافر عليه من خلال الزواج الدائم والزواج المؤقت ، لأنّ المشكلة الجنسية في حياة الإنسان عبر الصيغ الشرعية المطروحة في الإسلام تساهم بشكل فاعل في إنقاذ الإنسان من المضاعفات النفسية وإنعكاساتها الخطيرة .

■ الهدف الثاني :

تلبية الحاجة الجنسية عند الإنسان :

فلإسلام طرح ثلاث صيغ لإشباع الحاجة الجنسية عند الإنسان ووضع لكل صيغة ضوابطها الخاصة :

- الزواج الدائم .
- الزواج المؤقت .
- ملك اليمين .

ونظراً لاستيعاب الإسلام لكل حاجات الإنسان وفي كل الحالات فقد وضع لتلبية الحاجة الجنسية عند الإنسان صيغاً متعددة تملأ كل الإمتدادات التي تتسع لها هذه الحاجة .

■ الهدف الثالث :

حصانة الإنسان من الوقوع في منزلقات الرذيلة :

فالزواج بصيغته الدائمة والمؤقتة يخلق عند الإنسان حصانة تحميه في الغالب من الإنزلاقات السائبة في دروب الرذيلة ، لأنّ الجنس طاقة مسعورة إذا لم تحصّن بالزواج انفلتت في كل المسارات وتاهت في كل الدروب خاصة في الأجواء المعاصرة بما تزخر من مثيرات ومغريات صارخة .

■ الهدف الرابع :

التناسل والتكاثر :

المسار الأصلي لحركة التناسل والتكاثر هو الزواج الدائم ولكن هذا لا يعني إلغاء دور الزواج المؤقت في عملية الإنجاب ما دامت الخصوصيات التي يمنحها الإسلام للأولاد الذين

ينتجهم الزواج المؤقت هي نفسها الممنوحة لأبناء الزواج الدائم ، إلّا أنّ الحالات التي تتحرك من خلالها الحاجة الى الزواج المؤقت بحسب طبيعتها الاستثنائيسة تجمدّ في الغالب الطموح للإنجاب عند الإنسان .

■ الهدف الخامس :

بناء الأسرة :

ويمثل الزواج الدائم المنطلق الأساس لإنجاز هذا الهدف ، ويساهم الزواج المؤقت في صيانة هذا الهدف وحمايته ، فقد تطرأ حالات استثنائية في حياة الزوج تضعه أمام عدة خيارات :

- الإنزلاق في درب الرذيلة نتيجة ضغط الحاجة الجنسية .
- الكبت وهذا له مضاعفاته الخطيرة . . .
- التعدد في الزواج الدائم وهذا ما لا تتوافر إمكاناته وظروفه دائماً . .
- الزواج المؤقت : ومن خلاله يحتفظ الإنسان بنظافته ، وصحته ومسؤولياته في بناء الاسرة.

فالزواج المؤقت حينما طرحه الإسلام لم يطرحه بديلاً للزواج الدائم ، وإنّما لملء الفراغات التي تستعصي على الزواج الدائم ومعالجة الحالات الاستثنائية في حياة الإنسان .
وإلغاء هذا الزواج يحدث خللاً واضحاً في المعالجة لمشكلة الجنس عند الإنسان .

الخاتمة

نتائج البحث



وفي خاتمة المطاف نحاول أن نضع بين يدي القارىء أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وخلاصات ، أفرزتها هذه الدراسة المتأنية التي اعتمدت بقدر الإمكان النصر الإسلامي فيما طرحته من رؤى وتصورات . . . .

وأبرز هذه النتائج :

النتيجة الأولى :

إنّ التشيع حالة أصيلة في الإسلام تجسّدت من خلال ثلاث مراحل أساسية :

الأولى : مرحلة التأصيل والتجذير :

بدأت هذه المرحلة في عصر الرسالة كما أكّدت ذلك مجموعة نصوص مدوّنة في الكثير من مصادر الحديث والتفسير ، وفي هذه المرحلة تمّ وضع «المصطلح» وأصّلت دلالاته .

الثانية : مرحلة التجسيد والتطبيق :

وبدأت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة حيث اتجه شطر من الأمة يمثله صحابة كبار كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود إلى التعبد بنص الإمامة ، والإلتزام عملياً بأطروحة زعامة الإمام علي عليه السلام وقيادته .

الثالثة : مرحلة الوضوح والإمتداد :

وبدأت في عصر الإمام الباقر عليه السلام وتنامت في عصر الإمام الصادق عليه السلام حيث توافرت الأجواء الملائمة والظروف الموضوعية لإبراز المعالم الواضحة لمدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

النتيجة الثانية :

إنّ التشيع نتاج طبيعي لحركة الدعوة ، وتعبير أصيل لواقعية التجربة الإسلامية بما تحمله من طموحات كبيرة في استمرارية النمو الثوري والحركة التغيرية ، فمن خلال تجسيد أطروحة الإمامة يتجذر في داخل الأمة الخط القيادي الأصيل الذي أكّدته النصوص

الإسلامية الثابتة ، وقد تناولنا أثناء البحث المنظومات المتعددة لنصوص الإمامة وعالجناها سنداً ومتناً ودلالة .

النتيجة الثالثة :

إنّ التشيع في إطاره العام وفي كل مفرداته يمثل الحالة التجسيدية للصيغة الإسلامية التي عمل الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على تأصيلها في واقع الأمة ، بما تحمله هذه الصيغة من أبعاد عقائدية وروحية وفقهية وسياسية تعبّر عن المنحى الأصيل لفكر الرسالة .

النتيجة الرابعة :

وفي ضوء نتائج البحث ومعطياته يمكن أن نعطي رؤية تقويمية للتفسيرات التي تناولت الحالة الشيعية واعتبرتها ظاهرة طارئة في المجتمع الإسلامي أفرزتها مجموعة عوامل وأحداث اجتماعية وسياسية وتاريخية ، وتتمثل هذه الرؤية التقويمية فيما نسجله من الملاحظات التالية حول تلك التفسيرات .

الملاحظة الأولى :

التناقض والتباين في تحديد المرحلة التاريخية التي أنجبت الحالة الشيعية ، وفي تحديد طبيعة العوامل والأحداث التي أفرزت الظاهرة .

الملاحظة الثانية :

إنّ اعتبار التشيع ظاهرة طارئة يعبّر عن إغفال تام لكل النصوص والأحاديث بما تحمله من دلالات واضحة في تحديد مضمون الإمامة والقيادة ، وليس الحالة الشيعية إلاّ تجسيداً عملياً لخط الإمامة بما فيه من أصالة وعمق ووضوح ، وإنّ جميع المفردات التي توافر عليها الفكر الشيعي في لغته وخطاباته ومدوّناته ونتاجاته من أمثال : الإمامة والولاية والوصية والخلافة هي مفردات أصيلة وردت في النصوص الثابتة الصحيحة ، وليست مفردات دخيلة تسللت إلى مفاهيم الأمة من قواميس اليهود والفرس .

الملاحظة الثالثة :

إنّ الفهم الذي يعتبر التشيع حالة طارئة فهم لم يستوعب طبيعة الحركة التغييرية في مسيرة الرسالة بما تفرضه هذه الطبيعة من استمرارية الإمتداد القيادي المؤهل لحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة مهام التغيير ، وحماية أهداف الرسالة . . . . .

وإذا كان الفهم الموضوعي يعطي لموقف الخليفة الأول أبي بكر تبريراً حينما عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب ، باعتبار أنّ ذلك إجراء فرضته مصلحة الرسالة ، حماية لمسيرتها ، وتجنيباً للأمة من حالات الصراع ، وتوفيراً للجهود في اختيار الأصلح ، فلماذا لا نتعامل بنفس الرؤية مع موقف الرسول (ص) حيث أنّ مصلحة الرسالة تفرض بدرجة أشد وأكثر إلحاحاً أن يتخذ قراراً حاسماً في اختيار الخليفة وإعداد القيادة؟ ! !

وإذا كان الفهم الموضوعي يعطي لموقف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب تبريراً حينما أناط الأمر إلى «ستة من الصحابة» وحدد لهم مجموعة ضوابط تحكم عملية الإختيار باعتبار أنّ ذلك إجراء حتمته مصلحة الرسالة . . . فلماذا لا نفرض ذلك في موقف الرسول صلى الله عليه وآله؟ ! !

وإذا كانت أم المؤمنين عائشة قد أدركت خطورة الإغفال لمسألة الخلافة حينما قالت للخليفة الثاني عمر على لسان ابنه عبدالله :

«لا تدع أمة محمد بلا راع ، استخلف عليهم ، ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإنّي أخشى عليهم الفتنة»[1] .

فلماذا نتهم أبصر قائد في مسيرة البشرية وأعظم نبي من أنبياء الله بالإغفال لأخطر قضية في حياة الرسالة والدعوة والأمة وهي مسألة القيادة؟ ! !

إنّنا نبرىء مقام الرسالة من ذلك ، فالرسول صلى الله عليه وآله قد جعل الأمة على بصيرة من أمرها وحدّد لها المسار ، وأوضح لها المعالم ، وحدّد القيادة حينما قال :

- «إنّي مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» .
- «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق» .
- «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» .
- «إنّ علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي» .
- «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي» .
- «إنّ هذا [يعني علياً] أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» .
- «الأئمة من بعدي إثنا عشر» .

---

(١) المظفر : (السقيفة ص ٣٨) .

الملاحظة الرابعة :

إنّ التفسيرات المذكورة بما تحمله من تشويه متعمد للحالة الشيعية تعبّر عن أزمة في «المنهجية والبحث» فالكثير من المقولات التي أنتجتها ظروف مذهبية وسياسية وتاريخية لا زالت تتحرك كموروثات فكرية ثابتة لا تقبل المراجعة والنظر .

فمقولة (ابن سبأ) طرحها مؤرخ قديم كالطبري في تاريخه المعروف ، وهو أول مصدر يتناول هذه الشخصية معتمداً على (سيف بن عمر) الذي أجمع علماء الجرح والتعديل على إسقاطه .

ثم يأتي بعد الطبري من يدوّن هذه المقولة ، وتتحرك عبر الكتابات والبحوث والدراسات كمسلّمة تاريخية لا تقبل المناقشة . . .

وهكذا تجور الأقلام ، وتتجنى على حقائق التاريخ مأسورة لتلك الموروثات الظالمة ، التي أراد لها حكام في تاريخ المسلمين ، وأرادت لها قوة معادية للإسلام أن تزرع في ذهنية الأجيال ، وتجذّر في عواطف الناس لتشكّل حواجز تفصل الأمة عن روافدها الأصيلة .

وبين حنايا ذلك الركام من الكتابات التحريفية ، تتنفس حالات من الصحوة تتمخض عن كاتب نزيه وباحث حر ، وعالم منصف ، ودارس موضوعي .

ونحاول أن نطرح بعض الأمثلة التي تعبّر عن حالة الأصالة القادرة على التصدي لكل الموروثات الفكرية والنفسية والمذهبية والسياسية والإجتماعية والتاريخية وتؤكد المواقف الجريئة في التعبير عن الحقيقة :

(١) فتوى الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر :

«إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ، مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة .

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله ، وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والإجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات»[1] .

---

(١) حسين الراضي : سبيل النجاة ص١١١ .

(٢) كلمة الدكتور حامد حفني داود (رئيس قسم الأدب العربي في جامعة عين شمس) :

«مضى ثلاثة عشر قرناً من حياة التاريخ الإسلامي كان (أنصاف العلماء) خلالها يصدرون أحكامهم على الشيعة مشبوبة بعواطفهم وأهوائهم ، وكان هذا النهج السقيم سبباً في إحداث هذه الفجوة الواسعة بين الفرق الإسلامية ، ومن ثم خسر العلم الشيء الكثير من معارف أعلام هذه الفرق .

وكانت خسارة العلم أعظم فيما يمس الشيعة والتشيع بسبب ما رماهم به مبغضوهم من نحل وترهات وخرافات هم في الحقيقة براء منها . . . .

ولو أن هؤلاء الأنصاف ترفعوا بأنفسهم عن التعصب وطبقوا ـ وهم يكتبون عنهم أو يأخذون منهم ـ مناهج البحث العلمي الصحيح وآثروا حكم العقل على حكم القلب ، وقدموا الرأي على الهوى لجاءنا علم كثير عن الشيعة ولانتفعنا بالكثير من تراث هذا المذهب» .

(وجاء في كلمته) :

«ومن هنا أستطيع أن أجلّي للقارىء المتدبر أنّ التشيع ليس كما يزعمه المخرفون والسفيانيون من الباحثين مذهباً نقلياً محضاً أو قائماً على الآثار الدينية المشحونة بالخرافات والأوهام والاسرائيليات أو مستمد في مبادئه من عبدالله بن سبأ وغيره من الشخصيات الخيالية في التاريخ .

بل التشيع في نظر منهجنا العلمي الحديث على عكس ما يزعمه الخصوم تماماً ، فهو المذهب الاسلامي الأول الذي عنى كل العناية بالمنقول والمعقول جميعاً ، ولولا ما امتاز به الشيعة من توفيق بين المعقول والمنقول لما لمسنا فيهم هذه الروح المتجددة في الإجتهاد وتطوير مسائلهم الفقهية مع الزمان والمكان بما لا يتنافى مع روح الشريعة الاسلامية الخالدة»[١] .

(٣) كلمة الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود :

«إنّ في عقيدتي أنّ الشيعة هم واجهة الإسلام الصحيحة ، ومرآته الصافية ، ومن أراد أن ينظر إلى الإسلام عليه أن ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة ومن خلال أعمالهم ،

---

(١) الرضوي : في سبيل الوحدة الاسلامية ص ٧٥ .

والتاريخ خير شاهد على ما قدّمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الإسلامية .

وإنّ علماء الشيعة الأفاضل هم الذين لعبوا أدواراً لم يلعبها غيرهم في الميادين المختلفة فكافحوا وناضلوا وقدّموا أكبر التضحيات من أجل إعلاء الإسلام ونشر تعاليمه القيمة وتوعية الناس وسوقهم إلى القرآن»[1] .

(٤) كلمة الدكتور ابي الوفاء الغنيمي التفتازاني (مدرس الفلسفة الاسلامية بكلية الاداب ـ جامعة القاهرة) :

«وقع كثير من الباحثين سواء في الشرق أو الغرب قديماً أو حديثاً في أحكام كثيرة خاطئة عن الشيعة لا تستند إلى أدلة أو شواهد نقلية جديرة بالثقة ، وتداول بعض الناس هذه الأحكام فيما بينهم دون أن يسألوا أنفسهم عن صحتها أو خطئها .

وكان من بين العوامل التي أدت إلى عدم إنصاف الشيعة من جانب اولئك الباحثين الجهل الناشيء عن عدم الإطلاع على المصادر الشيعية ، والاكتفاء بالإطلاع على مصادر خصومهم .

ومما لا شك فيه أنّ أيّ باحث يتصدى للبحث عن تاريخ الشيعة أو عقائدهم أو فقههم لا بد له من الإعتماد ـ أولاً قبل كل شيء ـ على تراث الشيعة أنفسهم في هذه المجالات ، وهذا بالإضافة إلى ما ينبغي عليه من تحري الصدق في الروايات التاريخية التي يجدها في كتب خصوم الشيعة تحرياً دقيقاً ، وذلك للوصول إلى الحقيقة ذاتها ، وإلى كل ما ينبغي عليه من التجرد عن كل هوى مذهبي سابق يؤثر عليه في إصدار أحكامه .

وكان من بين العوامل التي أدت إلى عدم إنصاف الشيعة أيضاً أنّ الإستعمار الغربي أراد في عصرنا هذا أن يوسع هوّة الخلاف بين السنة والشيعة ، وبذلك تصاب الأمة الاسلامية بداء الفرقة والإنقسام ، فأوحى إلى بعض المستشرقين من رجاله بتوخي هذا الفن باسم البحث الأكاديمي الحر .

ومما يؤسف له أشد الأسف أن بعض الباحثين من المسلمين في العصر الحاضر تابع أولئك المستشرقين في آرائهم دون أن يفطن إلى حقيقة مرامهم .

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٦ ، ٦٧ .

والشيعة اسم كان يطلق قديماً على كل من شايع علياً رضي الله عنه وقال بإمامته وذريته من بعده ، نصاً ووصاية ، وهو يطلق الآن على الاثني عشرية خاصة والشيعة عموماً يستندون في تشيعهم للإمام علي رضي الله عنه إلى شواهد من الكتاب والسنة»[1] .

وفي الختام نرجوا أن نكون قد وفقنا في محاولتنا لدراسة قضية التشيع في منطلقاتها ومساراتها ومرتكزاتها على ضوء ما توافر لدينا من قدرة متواضعه على فهم النصوص الإسلامية والتعاطي مع دلالاتها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبدالله الغريفي

---

(١) المصدر نفسه ص١٠٧ ، ١٠٨ .



المصادر والمراجع



(حرف الالف)

١ ـ الأئمة الإثنا عشر : عادل الأديب .
ط ٣ ، ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
٢ ـ الإحتجاج : أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ .
٣ ـ إحقاق الحق : نور الله الحسيني التستري .
٤ ـ إحياء الميت بفضائل أهل البيت : جلال الدين السيوطي .
الطبعة الأولى ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ دار العلوم .
٥ ـ الإرشاد : محمد بن محمد بن النعمان المفيد .
الطبعة الثالثة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
٦ ـ إرشاد القلوب : أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي .
الطبعة الرابعة ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
٧ ـ الأرض والتربة : محمد الحسين كاشف الغطاء .
الطبعة الخامسة ١٤٠١ ـ ١٩٨١ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
٨ ـ الأصول العامة للفقه المقارن : محمد تقي الحكيم .
الطبعة الثانية ١٩٧٩ ، مؤسسة آل البيت (ع) ، قم .
٩ ـ أضواء على السنة المحمدية : محمود أبو ريّه .
١٠ ـ الإمام جعفر الصادق : عبد الحليم الجندي .
مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ .
١١ ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : أسد حيدر .
الطبعة الثالثة ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
١٢ ـ أوائل المقالات : محمد بن محمد بن النعمان المفيد .
من منشورات مكتبة الداوري ، قم ـ إيران .
١٣ ـ أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف : محمد باقر الصدر .
دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان .

(حرف الباء)

١٤ ـ بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي .
المطبعة الإسلامية طهران

١٥ ـ بحث حول الولاية : محمد باقر الصدر
الطبعة الثانية١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ دار التعارف للمطبوعات، بيروت

١٦ ـ البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئي
الطبعة الثامنة ١٤٠١ ـ ١٩٨١ ، دار الزهراء، بيروت

(حرف التاء)

١٧ ـ تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي
منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت

١٨ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان
ط١١ ، ١٩٨٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت

١٩ ـ تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) : محمد بن جرير الطبري
مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٨ ـ ١٩٣٩

٢٠ ـ تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام : محمد علي أبو ريان
دار النهضة العربية ـ بيروت

٢١ ـ تاريخ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي
دار صادر ـ بيروت

٢٢ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : حسن الصدر
منشورات الأعلمي ـ طهران

٢٣ ـ تحرير ابوسيلة : روح الله الموسوي الخميني
دار الأنوار ١٤٠٣ ـ ١٩٨٢ .

٢٤ ـ تحف العقول : الحسن بن علي بن شعبه الحراني
الطبعة الخامسة ١٣٩٤ ، ١٩٧٤ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت

٢٥ ـ تصحيح الإعتقاد : محمد بن محمد بن النعمان المفيد
الطبعة الثانية ١٣٧١ تبريز ـ إيران

٢٦ ـ تطهير الجنان واللسان: ابن حجر الهيتمي المكي
(مطبوع مع الصواعق المحرقة)

٢٧ ـ التفسير الكبير : الفخر الرازي
الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

٢٨ ـ التلخيص (بذيل المستدرك): الذهبي
دار المعرفة ـ بيروت
٢٩ ـ التمهيد في علوم القرآن : محمد هادي معرفة
مطبعة مهر ـ قم

(حرف الثاء)

٣٠ ـ الثقافة الإسلامية : مجلة تصدرها الملحقية الثقافية الايرانية في دمشق
٣١ ـ ثورة الحسين : محمد مهدي شمس الدين
ط٦ ، ١٤٠١ ـ ١٩٨١ دار التعارف للمطبوعات ، بيروت
٣٢ ـ ثورة الحسين في الوجدان الشعبي : محمد مهدي شمس الدين
ط١ ، ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ ، الدار الاسلامية ـ بيروت

(حرف الحاء)

٣٣ ـ حديث الثقلين : رسالة أصدرتها دار التقريب في القاهرة
٣٤ ـ الحقائق في الجوامع والفوارق : حبيب آل ابراهيم العاملي
ط١ ، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ ، المؤسسة الاسلامية للنشر ، بيروت
٣٥ ـ حق اليقين في معرفة أصول الدين : عبد الله شبر
مطبعة العرفان ـ صيدا ، ١٣٥٢ هـ

(حرف الخاء)

٣٦ ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : أحمد بن شعيب النسائي الطبعة الأولى ١٤٠٧ ـ ١٩٧٧ دار الكتاب العربي ـ بيروت

(حرف الدال)

٣٧ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي
الطبعة الأولى ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ دار الفكر ـ بيروت

(حرف الذال)

٣٨ ـ ذخائر العقبى : محب الدين الطبري
دار المعرفة ـ بيروت
٣٩ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة : آقابزرك الطهراني
دار الأضواء ـ بيروت

(حرف الراء)

٤٠ ـ روح التشيع : عبد الله نعمة
دار الفكر اللبناني ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥

(حرف الزاء)

٤١ ـ الزواج الموقت : محمد تقي الحكيم
مطبوع ضمن مجموعة من البحوث بعُنوان (قصة التقريب بين المذاهب وبحوث أخرى) .
ط٢ ، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ مطبوعات مكتبة النجاح ـ طهران

(حرف السين)

٤٢ ـ سبيل النجاة في تتمة المراجعات: حسين الراضي
(مطبوع مع المراجعات) تحقيق حسين الراضي
الطبعة الثانية ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ بيروت
٤٣ ـ السجود على الأرض: علي الأحمدي
نشر دار التبليغ الاسلامي ١٣٩٩ ـ ١٩٧٨
٤٤ ـ السقيفة: محمد رضا المظفر
ط٤، ١٣٩٢ ـ ١٩٧٣ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت
٤٥ ـ سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه
دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥

(حرف الشين)

٤٦ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي
مؤسسة إسماعليان، قم ـ إيران
٤٧ ـ الشيعة وفنون الإسلام : حسن الصدر
الطبعة الرابعة ١٣٩٦ ـ ١٩٧٦ دار المعلم للطباعة ـ القاهرة

(حرف الصاد)

٤٨ ـ الصافي في تفسير القرآن: الفيض الكاشاني
المكتبة الإسلامية ـ طهران
٤٩ ـ صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
دار القلم ، بيروت ـ لبنان
٥٠ ـ صحيح الترمذي: محمد بن عيسى بن سوره الترمذي
دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

٥١ ـ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري
دار إحياء التراث العربي ـ بيروت
٥٢ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم(ص): جعفر مرتضى العاملي قم المقدسة ١٤٠٠هـ
٥٣ ـ الصلة بين التصوف والتشيع : كامل مصطفى الشيبي
ط٣ ، ١٩٨٢ دار الأندلسي، بيروت
٥٤ ـ الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي المكي
ط٢، ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ دار الكتب العربية ـ بيروت

(حرف العين)

٥٥ ـ عبد الله بن سبأ : مرتضى العسكري
٥٦ ـ العروة الوثقي : السيد محمد كاظم اليزدي
المكتبة العلمية الاسلامية ـ طهران
٥٧ ـ عصر الظهور : علي الكوراني
الطبعة الأولى ١٤٠٨ بيروت
٥٨ ـ عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر
الطبعة السادسة ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ دار الزهراء، بيروت
٥٩ ـ علي والوصية: نجم الدين العسكري
الطبعة الثانية ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ دار الزهراء ـ بيروت
٦٠ ـ عوالم العلوم والمعارف والأحوال: عبد الله بن نور الدين البحراني
الطبعة الأولى ١٤٠٨، مطبعة أمير ـ قم

(حرف الغين)

٦١ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد الحسين الأميني دار الكتب الإسلامية ـ طهران

(حرف الفاء)

٦٢ ـ الفتاوى الواضحة : محمد باقر الصدر
ط٨ ، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ دار التعارف ـ بيروت
٦٣ ـ فجر الإسلام: أحمد أمين
ط١٠ ، ١٩٦٩، دار الكتاب العربي ـ بيروت
٦٥ ـ الفقه على المذاهب الخمسة: محمد جواد مغنية
الطبعة السابعة ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢
٦٦ ـ في إنتظار الإمام : عبد الهادي الفضلي
الطبعة الأولى ١٩٧٩ دار الأندلس ـ بيروت

٦٧ ـ في سبيل الوحدة الإسلامية : مرتضى الرضوي
ط٢، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ دار المعلم للطباعة ـ القاهرة
٦٨ ـ الفهرست: ابن النديم
طهران ١٣٩١ ـ ١٩٧١ تحقيق رضا ـ تجدد المازندراني

(حرف القاف)

٦٩ ـ قادتنا: محمد هادي الحسيني الميلاني.
الطبعة الأولى ١٤٠٦د مؤسسة الوفاء ـ بيروت
٧٠ ـ القاموس المحيط: الفيروزابادي
الطبعة الثانية ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت

(حرف الكاف)

٧١ ـ الكافي : أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني
دار الكتب الإسلامية ـ طهران
٧٢ ـ الكشاف: الزمخشري
دار المعرفة ـ بيروت
٧٣ ـ كنز العرفان : المقداد السيوري
المكتبة المرتضوية ـ طهران

(حرف اللام)

٧٤ ـ لسان العرب: ابن منظور
دار صادر ـ بيروت
٧٥ ـ اللمعة الدمشقية وشرحها: الشهيد الاول والشهيد الثاني
الطبعة الاولى ١٩٨٧ مطبعة الأداب ـ النجف الأشرف

(حرف الميم)

٧٦ ـ المباهلة : عبد الله السبيتي
ط٢، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ مكتبة النجاح ـ طهران
٧٧ ـ مجمع الزوائد: نور الدين الهيثمي
مؤسسة المعارف ـ بيروت ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦
٧٨ ـ المراجعات: عبد الحسين شرف الدين
ط٢، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ ، بيروت (تحقيق حسين الراضي)

٧٩ ـ المرسل الرسول الرسالة : محمد باقر الصدر
دار التعارف ـ بيروت ١٤٠١ ـ ١٩٨١
٨٠ ـ مسائل فقهية : عبد الحسين شرف الدين
مكتبة نينوي الحديثة ـ طهران
٨١ ـ المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري
دار المعرفة ـ بيروت
٨٢ ـ مستمسك العروة الوثقي : السيد محسن الحكيم
دار إحياء التراث العربي بيروت
٨٣ ـ مسند أحمد بن حنبل
دار صادر ـ بيروت
٨٤ ـ معالم المدرستين. مرتضى العسكري
الطبعة الثانية ١٤٠٦ مؤسسة البعثة ـ طهران
٨٥ ـ معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي
الطبعة الثالثة ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ بيروت
٨٦ ـ معرفة القرآن: مرتضى مطهري
دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت
٨٧ ـ الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
الطبعة الثالثة ١٣٦٤ هـ ـ ش مطبعة أمير ـ قم
٨٨ ـ من أجل الإسلام : محمد حسين فضل الله
دار التعارف ـ بيروت ١٤٠٩ ،
٨٩ ـ مناهج البحث التاريخي : محمد تقي الحكيم
مطبوع ضمن مجموعة بحوث بعنوان (قصة التقريب بين المذاهب وبحوث أخرى) ط٢ ،
١٤٠٢ مكتبة النجاح ـ طهران
٩٠ ـ منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر : لطف الله الصافي
الطبعة الثانية ـ منشورات مكتبة الصدر ـ طهران
٩١ ـ منتخب كنز العمال: المتقي الهندي
(مطبوع بهامش مسند أحمد بن حنبل)
٩٢ ـ المنطق: محمد رضا المظفر
٩٣ ـ المنطلق: مجلة إسلامية تصدر في بيروت

٩٤ ـ من فقه الجنس: أحمد الوائلي
مؤسسة أهل البيت(ع) ـ بيروت ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦
٩٥ ـ منهاج الصالحين: السيدأبو القاسم الخوئي
ط٢٥، الكويت ١٤٠٨
٩٦ ـ ميزان الإعتدال : الذهبي
دار المعرفة ـ بيروت ، لبنان

(حرف النون)

٩٧ ـ نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع).
٩٨ ـ نهج الحق وكشف الصدق: العلامة الحلي.
دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٨٢

(حرف الواو)

٩٩ ـ وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي
ط٦، ١٤٠٣، المطبعة الإسلامية ـ طهران
١٠٠ ـ الوضوء في الكتاب والسنة: نجم الدين العسكري
البعة الأولى ـ مطبعة دار التأليف ، القاهرة

(حرف الهاء)

١٠١ ـ هوية التشيع: أحمد الوائلي
الطبعة الثالثة ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ دار الكتبي ـ بيروت

(حرف الياء)

١٠٢ ـ ينابيع المودة : القندوزي الحنفي
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

ملاحظة :

توافر البحث على عدة مصادر أخرى لم يتسنّ لنا الرجوع إليها مباشرة فنقلنا عنها بالواسطة وقد أشرنا إلى ذلك أثناء البحث. . .

نذكر من جملة تلك المصادر والمراجع :

١٠٣ ـ أحكام القرآن : الجصاص
١٠٤ ـ أسباب النزول : الواحدي
١٠٥ ـ الإسلام وفلسفة الحكم: علي عبد الرزاق
١٠٦ ـ أمالي الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي

١٠٧ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية : أبو زهرة
١٠٨ ـ ترجمة الإمام علي بن ابي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر
١٠٩ ـ تفسير الطبري: الطبري
١١٠ ـ تفسير القرطبي : القرطبي .
١١١ ـ حياة محمد(ص): محمد حسين هيكل
١١٢ ـ دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي
١١٣ ـ شواهد التنزيل : الحاكم الحسكاني الحنفي
١١٤ ـ طبقات ابن سعد
١١٥ ـ العقيدة والشريعة : جولد تسيهر
١١٦ ـ فرائد السمطين ـ الحمويني
١١٧ ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي
١١٨ ـ الفلسفة القرآنية: العقاد
١١٩ ـ القاموس الإسلامي : أحمد عطية الله
١٢٠ ـ كفاية الأثر : أبو القاسم الخزاز القمي
١٢١ ـ المناقب : الخوارزمي
١٢٢ ـ مناقب علي بن أبي طالب : ابن المغازلي الشافعي



مُحتوياتُ الكِتَابُ

القسم الثاني
دور الأئمة من أهل البيت (ع)
في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الأصيلة
(١٨٩ - ٢٩٤)

القسم الثالث
الإطار العام للتشيع ومستوياته
(٢٩٥ ـ ٤٤٨)









